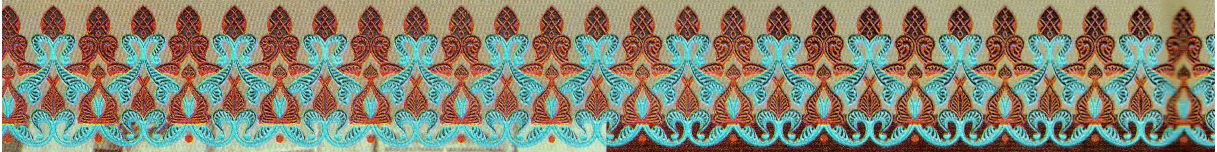
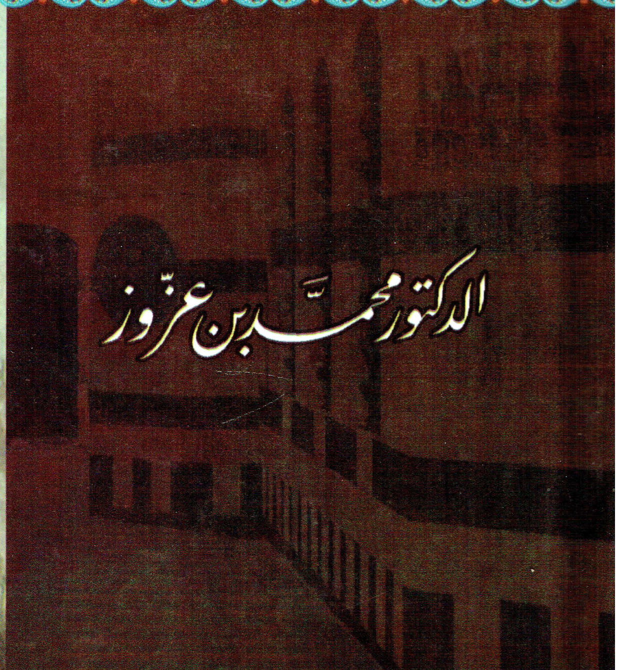
المحدثون المغاربة

في دمشق







الدكتور محمد بن عزوز

مركز التراث الثقافي المغربي

دار ابن حزم

المحدثون المغاربة

في دمشق

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



ISBN 978-9953-81-900-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء - 52 شارع القسطلاني - الأحباس
هاتف: 442931 - 022/ فاكس: 442935 - 022
المملكة المغربية

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

المحدثون المغاربة

في دمشق

الدكتور محمد بن عزوز

مركز التراث الثقافي المغربي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المغاربة عن دمشق

ـ «ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً وتقدماً وجمالاً، وكل وصف وإن طال فهو قاصر عن محاسنها». (ابن بطوطة)

«لك يا دمشق على البلاد فضيلة ... أيامك الأعياد لازمها الصفا»

(محمد بن جابر الوادي آشى)

ـ «إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها». (ابن جبير)

ـ «ألفتها كما تصف الألسن، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين». (نفح الطيب)

ـ «ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنّق في الخطاب، وأطال في الوصف وأطاب، وإن ملأ من البلاغة الوطاب.

كما قلت:

محاسن الشام أجلى ... من أن تسام بحدُّ
لولا حمى الشرع قلنا ... ولم نقف عند حَدُّ
كأنها معجزاتٌ ... مقرونة بالتحدّي»

(نفح الطيب)

ـ «جنة المشرق، ومطلع حسنه المونق المشرق، هي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها...»

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسول الله الأمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن تأليف كتاب في موضوع المحدثين المغاربة في دمشق كان أمنية من أجلِّ أماني القديمة في هذه الحياة، فدمشق عروس مدن المشرق، وهي مهوى الأفئدة، ومناط الرجاء.

ولعل السبب الذي ولَّد في حب هذه المدينة الخالدة، هو تاريخها القديم في العصور الإسلامية الأولى.

وكيف لا يكون لمثل هذا التاريخ الذي أبدعه أبناء هذه الأمة مكان في نفسي؟ وكيف لا يفنى مثلي في حبه؟ وهو الذي احتضن العروبة والإسلام في جلالهما كما تحتضن الأم الرؤوم طفلها الوحيد الحبيب.

لقد عشت زمناً طويلاً في رحاب هذه الأمنية، لقد عشت في أمنيتي، ومن الأماني أحلام، ومنها ما يكون حقّاً، ويعيش بها الإنسان زمناً رغداً.

منى إن تكن حقاً أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

نعم، لقد عشت كما عاش هذا الشاعر بأمنيتي قبل أن تكون وتتحقق عيشةً حالمةً زمناً رغداً. . . بتأليف كتاب عن أبناء قومي كانت تتطلع نفوسهم، وتهفوا أرواحهم دائماً إلى دمشق، فقد أحبوا هذه المدينة ورحلوا إليها قصد الرواية عن أعلامها، والتتلمذ على كبار المحدثين بها، ثم صاروا بعد ذلك أساتذة يتصدرون مجالس الرواية والسماع في جوامعها، ومدارسها وأشهر دور الحديث بها.

وبذلك تأصلت صلات العلم والرواية بين رجالات دمشق والمغرب، وهي صلات لم تنقطع عبر التاريخ، وعلاقات علمية مستمرة متجددة، غرست أصولها، وزكت فروعها وحدات الجنس والدين واللغة، ودعمت زكاءها، وغدت نماءها المشاعر والعواطف المشتركة، والمطامح المتجانسة.

فالتاريخ بين المغرب وبلاد الشام لا يزيد الروابط إلا توثيقاً عكس التاريخ بين أمم كثيرة التي في إثارة تاريخها إثارة لحفائظ الثأر، ونبش للعداوات.

ويقرأ الناظر في تاريخ البلادين من آيات الصلة بين أعلام رجالهما ما يُبيِّن له كيف كان العلم يرفع قواعد الأخوة، والاستفادة المتبادلة بين أصحابه، وكيف كانت النفوس طهارة، وصفاء، حتى اختار كثير من أعلام المغرب دمشق داراً لهم.

وكيف لا تكون هذه الصلات متينة، والفاتحون للأندلس هم أهل الشام؟ وغالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا الأندلس وطناً، وحضرة جديدة.

وقد نزل أهل دمشق بغرناطة وسموها باسمها فكانوا يقولون عنها: «دمشق الأندلس»، وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والأشجار، وقد أطل عليها جبل الثلج، وفي ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة:

يا دمشق الغرب هاتيـ ... ـك لقد زدت عليها

تحتك الأنهار تجري ... وهي تنصب إليها

قال ابن سعيد: أشار ابن جبير إلى أن غرناطة في مكان مشرف وغوطتها تحتها تجري فيها الأنهار، ودمشق في وَهْدة تنصب إليها الأنهار، وقد قال الله تعالى في وصف الجنة: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

وكان المغاربة يفضلون دمشق على غيرها من مدن الشرق، ولا يجهل أحد حملات العبدري وابن جبير وحتى ابن سعيد على أهل مصر. ولعل الوحشة التي لوحظت بين المغاربة والمصريين في بعض العصور ترجع لسوء

معاملة المسؤولين للمهاجرين والحجاج المغاربة، فقد ذكر ابن سعيد أن المصريين يتعرضون لفقراء المغاربة بالقبض للأسطول، وأن ذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر، وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم، ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين: إن كان المغربي غنياً طولب بالزكاة وضيق عليه، وإن كان مجرداً فقيراً حُمل إلى السجن حتى يحين وقت الأسطول(1).

وقد رأينا ابن سعيد يبكي المغرب وهو في مصر قائلاً:

هذه مصر فأين المغرب　　　مذ نأى عني فعيني تسكب

في حين يلاحظ ارتياح كثير من علماء المغرب الذين رحلوا للشام، حتى قال أحدهم: «فمحاسن الشام وأهله طويلة عريضة، ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة».

ثم قال(2):

محاسن الشام أجلى　　　من أن تسام بحد
لولا حمى الشرع قلنا　　　ولم نقف عند حد
كأنها معجزات　　　مقرونة بالتحدي

وكم كان موقف المغاربة عند وداعهم للشام وخصوصاً دمشق مؤثراً في النفوس، والكل ما بين واجم وباك وداع، وكيف ضاقت بهم الرحاب، حين مفارقة أعيان الصحاب، وكاثرت دموعهم من بينهم السحاب.

ودعتهم ودموعي　　　على الخدود غزار
فاستكثروا دمع عيني　　　لما استقلوا وساروا

يقول المقري:

لم أنس بالشام أنساً شمت بارقه　　　جادت معاهده أنواء نسيان
لهفي لعيش قضينا في مشاهدها　　　ما بين حسن من الدنيا وإحسان

---

(1) نفح الطيب: 1/ 498 ـ ويقال أن المقري سئل عن حظه بمصر فأجاب: دخلها ابن الحاجب وأنشد فيها قوله:

يا أهل مصر وجدت أيديكم　　　في بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرا بأرضكم　　　أكلت كتبي كأنني أرضه

(2) الأبيات للمقري.

وقال أيضاً:

يا دمشق حياك غيث غزير ووقاك الإله مما يضير
حسنك الفرد والبدائع جمع متناه فيه فعزَّ النظير
أين أيامنا بظلك والشمـ لُ جميع والعيش غض نضير

وما أجمل قوله:

حمدت وحق الله للشام رحلة أتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت أرتاح للصبا لأن الصَّبا تسري بعاطر ريَّاه
فللَّه عهد قد أتاح بجلق سروراً فحياها الإله وحيَّاه

بهذا الحنين البليغ، والشوق المستطير كان علماء المغرب يذكرون دمشق، ويبثونها وجدهم، فيعربون في هذا الحنين عن عاطفة ملأت صدورهم، كما كانت تملأ صدور من حولهم من الطلبة والمشايخ بالمغرب، تحبب إليهم دمشق وتدنيهم منها بالذكرى والروح، وتشيع من معانيها ومغانيها أشباحاً وأرواحاً، يخالطونها، ويأنسون إليها، ويهيمون بها، وقد ارتسمت في أذهانهم بفعل الدروس والطروس، التي كلما ترددوا عليها وقلبوها، وجدوا من أسرار دمشق، وصور معالمها، وأطياف أعلامها ما زادهم لها معاشرة، وبها ائتلافاً حتى أصبحوا يعيشون فيها بالهوى، ويعرفونها معرفة الوجدان التي تسمو على معرفة الأعيان.

وكذلك.. كان الشيخ المقري وجيله ورثوا هذه العلاقة الروحية عن أجيال قبلهم، كانوا أيضاً قد علقت قلوبهم بدمشق، وتعرفت أرواحهم إليها، فكانت تلك العلاقة غذاء النشأة الروحية المتسلسلة، انطبعت عليها الأجيال بعد الأجيال، فاصطبغت بها العقول والمشاعر، ثم أورثوها القرون من بعدهم إلى اليوم.

قال ابن جابر الوادي آشي بعد ذكره وصفَ ابن جبير لدمشق:

«ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد، وتوَّق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد، هذا ولم تكن له بها إقامة، فيعرب عنها بحقيقة علامة...»

وقال المقري: «وكنت قبل رحلتي إليها، والوفادة عليها، كثيراً ما أسمع عن أهلها زاد الله في ارتقائهم، ما يشوقني إلى رؤيتها ولقائهم، وينشقني على البعد أريج الأدب الفائق من تلقائهم...».

«.. فلما حللت بدارهم، صدَّق الخُبْر الخَبَر، وتمثلت فيهم بقول بعض من غَبَر:

ألمت بنا أوصافهم فامتلأ الفضا عبيراً وأضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغاً فصح النقل إذ حصل اللقا

فلست تجد بين علماء المغرب إلا ولدمشق على لسانه ذكر، إن لم يعرفها عن عيان، فلقد تأثر منها بعلمائها ومعالمها وآثارها وأخبارها، حتى أصبح لها في نفسه ظهور، لعله أقوى من ظهور بهجتها للناظر، حين يطل عليها من الربوة أو يشرف عليها من جبل قاسيون.

وكما أحب المغاربة دمشق وأهلها، فإن الدمشقيين كذلك قد بادلوهم أيضاً الحب والاحترام والتقدير، وأنزلوهم في نفوسهم منزلة عظيمة، حتى صاروا دمشقيين لهم ما لأهل دمشق، وعليهم ما عليهم.

ولنستمع لقول المقري وهو يحدثنا عن احتفال واحتفاء أهل دمشق به، وإكرامه، وإحسان وفادته: «وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء، وعرفني بديع برهم فن الاكتفاء:

غمرتني المكارم الغر منهم وتوالت عليَّ منها فنون
شرط إحسانهم تحقق عندي ليت شعري الجزاء كيف يكون

وقابلوني بالقبول مغضين عن جهلي:

وما زال بي إحسانهم وجميلهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

بل الأولى أن أتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلّب، وهو قول بعض من نزل بقوم برْق قصدهم غير خُلَّب في زمن به تقلّب

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم أمِنّا ونلنا الخصب في زمن محل
ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البر من أهلي حسبتهم أهلي

واستمرت محبة علماء دمشق للمغاربة إلى العصر الحاضر، خصوصاً من هاجر إلى دمشق من بيوتات العلم والرواية، فقد عرفوا قدرهم، فنوَّهوا بهم في الرواية والإسناد أيما تنويه. وقد ذكرت نماذج من هذه البيوتات المغربية في دمشق في كتابي «بيوتات الحديث بدمشق»[1] كما خصصت قسماً كبيراً في كتابي «المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الفاسي شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام»[2] للحديث عن مكانة هذا المحدث الكبير عند أهل دمشق، وكانوا يلقبونه بـ«أستاذ الأساتذة بدمشق»، وكان احتفاؤهم به كبيراً، وتقديرهم له عظيماً. وأقتطف هنا ما ذكره ولده العلامة محمد الزمزمي الكتاني في كتابه «عقد الزمرد والزبرجد» بما يدل على مكانة والده السامية، ومنزلته العالية عند الرؤساء وكبار القادة بدمشق.

يقول ولده متحدثاً عن علاقة والده بالملك فيصل:

«. . . فلما دخل عليه وجده في حفلة رسمية وحوله الوزراء والضباط وأركان الحرب، وهو جالس على كرسي ملكه وإيوانه، فاقتصر في السلام على الوالد على الوقوف والقيام له فقط في الدخول، فهش له وبش، وتبادلا الترحيب، وبارك له الوالد ودعا له بالتوفيق. وعند الخروج اقتصر الملك على القيام له فقط كذلك. لكن الوالد أراد أن يظهر له وللحاضرين عزة العلم وشرف السنة والنبوة، فأخذ بيده وهو على كرسي ملكه، وأخذه معه إلى الباب قائلاً له: «أريد أن أعلمك سنة جدك في تشييع ضيفك!». فساعده وامتثل ومشى معه للباب هاشاً مسروراً، أمام الجميع وهم يتعجبون. وهذا لم يرق الحاضرين من الوزراء ورجال دولته، فغاروا من ذلك وقالوا: «هؤلاء العلماء لا يعرفون السياسة ولا مقتضيات الأحوال!». لاكوا كلامهم بأفواههم وسكتوا. فانظر هذا العز الإلهي، وهذا المجد والنفوذ المعنوي الذي أكرم الله به هذا السعيد تعلم أن ذلك لا ينال بالخضوع ولا بالاستعمال، وإنما هو من بركة امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، ومن خاف الله خافه كل شيء».

---

(1) طبع بدار الفكر، دمشق 1425هـ/ 2004م.

(2) طبع بدار ابن حزم ببيروت، 1430هـ ـ 2009م.

وقال أيضاً:

«ثم أنه بعد مدة من ملكه، جاءنا الملك فيصل زائراً للدار، فاستقبله سيدنا الوالد، ونحن معه، حتى جلس واستراح. وتبادلا الترحيب والتكريم، وصارت بينه وبين الوالد مذاكرات ومساجلات، وأسدى إليه الوالد نصائح وإرشادات. . .

ولما أراد الملك فيصل الانصراف قال للوالد عند الخروج: «نريد منك أن تزورنا في محلنا وأن تكونوا تترددون علينا لنتبرك بكم!». فأجابه الوالد بقوله: «لا بل أنتم تترددون إلينا بالزيارة دوننا، فأنتم تأتون ولا آت أنا!». فسأل الملك عن ذلك متعجباً وقال له وهو يضحك: «وكيف يمكن ذلك؟». فأجابه الوالد: «إن جدكم المصطفى ﷺ يقول: إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء ويبغض العلماء إذا خالطوا الأمراء! فأنتم إذا زرتمونا وترددتم علينا دل ذلك على فضلكم وكمال احترامكم للعلم وأهله! وعد ذلك منكم تنويهاً بهما ورفعاً لقدرهما، وعلم الناس أنه ما أتى بكم إلا الخير والاسترشاد وطلب العلم والنصح والدين. ولا كذلك إذا ترددنا على أبوابكم، يقول الناس نحن طلاب دنيا وجاه ومناصب ووظائف ورئاسةّ! وعد ذلك منا تملقاً. على أننا لا ننساكم دائماً من الدعاء الصالح!». فأجابه الملك فيصل قائلاً: «ونحن نعلم ذلك ونتحققه، ولكن نريد تشريف محلاتنا بكم! وعلى أي حال يكفينا دعاؤكم لنا وتوجيهاتكم واهتمامكم بأمورنا!». فقال له الوالد: «هذا لكم علينا بدون شك!». ثم وعده الوالد خيراً. وانصرف الملك شاكراً.

وقال في علاقة والده بقائد القوات العثمانية أحمد جمال باشا السفاح:

«وأما القائد أحمد جمال باشا، وهو قائد القوات العثمانية التي كانت محاربة للأعداء ومجاهدة فيهم بجميع بلاد العرب، الحجاز والشام والعراق، فهذا الرجل مع جلالته وعظمته ومكانته العسكرية ومقامه السامي كان يحب الوالد كثيراً ويطلب منه الدعاء، بل زارنا بدارنا أكثر من مرة. وقد جاءنا مرة زائراً، ولما جلس على فراشنا المغربي لم تمكنه لبسته العسكرية من جلوسه متأدباً بين يدي الوالد. فاعتذر للوالد بما ذكر. فقال له الوالد: «أنت بمحلك،

فلتجلس كيفما تيسر لك!». فأجابه أحمد جمال باشا بقوله: «نعم، ولكن الولد إذا كان بين يدي والده يجب عليه أن يتأدب!». ثم التفت إلى الحاضرين وقال لهم: «أتسمعون بالكبريت الأحمر يسمع ولا يرى؟ هو هذا!». وأشار لسيدنا الوالد. ثم صار يطلب رضاه ودعاءه الصالح له وللدولة وللمسلمين.

والشوام يسمون أحمد جمال باشا بالسفاح، وذلك لكثرة ما شنق منهم، وكثرة ما قتل وسفك من دماء الفارين من الزحف، والهاربين من صفوف جنود المسلمين لناحية أعدائهم الكافرين، أو الذين ثبتت خيانتهم للأمة والوطن بتآمرهم مع دول الفرنجة ضد السلطان أو بلاد المسلمين.

عملي في الكتاب:

وأوجز الكلام عليه، فهو بين يدي القارئ.

وقد جعلت هذا الكتاب في قسمين:

القسم الأول: مرحلة الطلب والتلقي.

القسم الثاني: مرحلة العطاء.

أما القسم الأول: فقد خصصته للطبقات الأولى من المحدثين المغاربة الذين رحلوا إلى دمشق التي كانت تزخر بالعلم والعلماء، فما من فن من فنون العلم إلا وجدت بدمشق به قائماً، ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله وارداً وقائماً، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يحلوا الفخار بهم.

وهذا ما جعل طلاب العلم المغاربة يفدون عليها، ويكرعون من حياضها، ويتنافسون مزدحمين على الورود من مواردها.

وكانت مساجد دمشق ومدارسها ودور الحديث بها، وبيوتات المشايخ ملتقى لأولئك الطلاب، منها يتخرجون وفيها يسمعون، وبحلقها ومجالسها يتلقون صنوف وألوان العلوم والمعارف دراية ورواية.

أما القسم الثاني: مرحلة العطاء، ضمنته الحديث عن طائفة من علماء الحديث المغاربة لم يرحلوا إلى دمشق طلاب علم كالعهد بالطبقات الأولى

من المغاربة، وإنما نزحوا إلى دمشق، واختاروا المقام هناك، مزودين بما تلقوا من علوم، وحاملين ذخائر من التراث، ونوادر من الأصول. ولم يكتفوا بمجرد الرواية والنقل، وإنما أخضعوا ما نقلوه لموازين نقدية أرست أسس مدرسة مغربية متميزة بخصائص من الإبداع والتفوق، ولم يلبث نتاج هذه المدرسة المغربية أن أخذ مكانه في دمشق منافساً ومزاحماً. .

وتلقى علماء دمشق المصنفات الحديثية المغربية بحفاوة وتقدير، وأوسعوا لهذه المصنفات مكان الصدارة في الحلقات العلمية بدمشق، وأصبحت متداولة، وحظيت بشهرة ما حظي بها الكتاب المشرقي، مما يؤكد أن تراث الإسلام وليد حضارة ممتدة عريضة شارك في تشييدها علماء من المشرق والمغرب تنافسوا وتسابقوا في أن يبنوا هذا الصرح الشاهق الممتد من ثقافة الإسلام.

كما استطاع المغاربة في مهاجرهم بدمشق أن يرسخوا وجودهم العلمي، فانتهت إلى بعضهم الإمامة والرئاسة، وتوارث خلف منهم ميراثهم العلمي، فكانت منهم بيوتات علمية، وأسر قضاء ورواية.

ولا أريد في ختام هذه التقدمة أن أتردد في الاعتراف بأن ما فاتني من أعلام المحدثين المغاربة في دمشق ليس قليلاً، ولكن هذا جهد مخلص أرجو أن يتاح له النمو والاكتمال. وكل شيء يكون قليلاً ثم يكثر، ويكون صغيراً ثم يكبر.

وحيثما وقف غيري من الباحثين على اسم علم من أعلام المحدثين المغاربة في دمشق لم أذكره هنا، فإنه يجد موضعه فيضاف استدراكاً واستلحاقاً، وكذلك سارت حياتنا العلمية في نموها وحيويتها بما يضاف إلى جهود العلماء من مستدركات وذيول وإلزامات.

ولا أجد في هذا المقام أدق وأصدق مما قاله الإمام حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر لأخلص تلاميذه وأقدرهم على النهوض بالوصية : أبي علي الغساني بعد أن أسمعه «الاستيعاب»:

«أمانة الله في عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة».

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وكتبه: محمد بن عزوز

مدينة سلا بالمغرب الأقصى

22 شعبان 1430 هـ/ 14 غشت 2009م



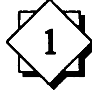
القسم الأول

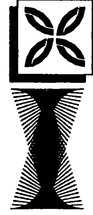
مرحلة الطلب والتلقي

الفصل الأول

من أوائل المحدثين المغاربة
الذين رحلوا إلى دمشق







أبو عبد الرحمٰن بقي بن مخلد
(ت 276 هـ)

اسمه ونسبه:

ورد ضبط اسمه عند المؤلفين في «المؤتلف والمختلف» ولدى أصحاب المعاجم، فقال الأزدي في باب: «بقي وتقي: فبقي ـ بالباء معجمة بواحدة من تحتها ـ بقي بن مخلد أندلسي، مشهور عندهم»(1).

وقال ابن ماكولا: أما بقي ـ بفتح الباء وكسر القاف ـ فهو بقي بن مخلد الأندلسي، أبو عبد الرحمٰن الحافظ»(2).

وقال الفيروزآبادي: «وبقي بن مخلد (كرضي) حافظ الأندلس»(3).

وقال شارح «القاموس» الشيخ مرتضى الزبيدي: «وأبو عبد الرحمٰن ـ بقي بن مخلد ـ ابن يزيد القرطبي (كرضي) وضبطه صاحب «النبراس» كعلي، والأشهر في وزنه كغني ـ حافظ الأندلس ـ.

وقال محمد بن الطيب المدني الفاسي الشركَي في حاشيته على «القاموس»: «قوله: (وبقي بن مخالد كرضي) إلخ ـ قلت: كتب عليه العجمي: قول صاحب «النبراس» بقي (كعلي) بن مخلد، قيل: وهو أوضح من عبارة المجد (كرضي) إن ضبطت في نسخة بالتشديد، لكن قد يتوهم أنها رضي بالتخفيف، ولذا نقلت كلام «النبراس»، قلت: وهو كلام غير مفيد، إذ الاحتمال مع علي مثله مع رضي، ورضي يزن به المصنف أحياناً كثيرة، وكأنه

---

(1) المشتبه في الرجال: 1/ 116.
(2) المؤتلف والمختلف: 1/ 18.
(3) تاج العروس: 15/ 41.

اعتمد هنا على الشهرة، وإلا فالوزن الموافق للاصطلاح أن يقول: كغني، وترجمة بقي واسعة في فهارسنا»[1].

والذين ترجموا له انقسموا إلى فريقين:

1 ـ فريق اقتصر على اسمه، واسم أبيه، وكنيته: بقي بن مخلد أبو عبد الرحمٰن.

2 ـ وفريق تجاوز ذلك إلى ذكر جده: بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمٰن.

أما عن نسبه فقد ذكر محمد بن إبراهيم المواعيني الإشبيلي في «ريحان الألباب وريعان الشباب»[2]: «دخل بقي بن مخلد على الأمير عبد الرحمٰن بن الحكم بن أمية بقرطبة، فثنى له وساداً، وأقعده إلى جانبه، وتكلم معه في مسائل من دين الله، وأحاديث عن رسول الله ﷺ ثم قال:

ـ لمن ولاؤكم، يا أبا عبد الرحمٰن؟

قال: لامرأة ضعيفة من أهل جيان!

قال: ولو شاء أن ينتسب إلى أعلى ذؤابة من معد بن عدنان لزانها، ولم يزده تواضعه إلا رفعة».

وجاء عند ابن حارث الخشني في «قضاة قرطبة»[3] عند ترجمة: «أحمد بن بقي بن مخلد القاضي» قوله: «وسمعت ولي عهد المسلمين ـ الحكم المستنصر ـ أبقاه الله وقد ذكر أحمد بن بقي، فوصف من صدقه وتواضعه، فقال فيما ذكر: قال لي الحاجب بن موسى بن محمد بن حدير: سألت أحمد بن بقي عن نسبه، وولائه فقال: ولاؤنا لامرأة من أهل جيان:

قال محمد: ثم جعل ولي العهد ـ أبقاه الله ـ يعجب من صدقه وإنصافه، وقال: لو شاء لادعى أشرف الأنساب، ثم لا يجد في ذلك مكذباً».

---

(1) إضاءة الراموس على إضاءة القاموس: 533.

(2) مخطوط، الخزانة الحسنية، رقم (1406).

(3) ص(163، 164).

ونخلص بعد هذا إلى القول بأننا لا نعرف عن نسب بقي بن مخلد شيئاً، فلا نعرف عن أبيه «مخلد». ولا عن جده «يزيد» شيئاً، حيث أن المراجع لم تنجدنا بشيء.

مولده:

جاءت في تاريخ ولادته روايات متعددة.

فعند ابن الفرضي[1]: كان مولده في شهر رمضان سنة 201هـ.

وعند محمد بن حارث الخشني[2]: كان مولده: 202هـ.

وجاء عند الدارقطني: في سنة 331هـ

وذكر الحافظ الذهبي[3] أن مولد بقي بن مخلد في جدود سنة 200 أو قبلها بقليل.

والراجح من هذه الأقوال هي ما قاله ابن الفرضي سنة 201هـ؛ لأن روايته جاءت من طريق عبد الله بن يونس المرادي القبري، وهو تلميذ اختص بشيخه بقي ولازمه وروى عنه كل كتبه، وعنه انتشرت، وهو آخر من حدث عنه.

وتابع ابن الفرضي في قولته تلك كل من أتى بعده، كالذهبي في «تذكرة الحفاظ» وابن عساكر، وابن أبي يعلى، وابن تغري بردي، والسيوطي، والعليمي، والداودي. وغيرهم.

أسرته:

لا ندري عن أصول بقي بن مخلد شيئاً، فهو من أسرة ضعيفة خاملة، ما كانت لتعرف لولاه.

كما أننا لا نعلم شيئاً عن تاريخ زواجه، إلا أنه من المؤكد أن زواجه لم

(1) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: 1/ 109.
(2) أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس: 145.
(3) سير أعلام النبلاء: 13/ 285.

يكن مبكراً، فقد قضى صباه، وشبيبته وكهولته في الطلب والتحصيل، ولم يفكر في الزواج إلا بعد أن أشبع نهمه ـ وأنى لمنهوم العلم أن يشبع ـ برحلتيه العلميتين الواسعتين اللتين استغرقتا خمساً وثلاثين سنة[1].

وقد أسس بقي بن مخلد أسرة بَقوية توارثت علم الحديث، وخطة القضاء، والخير والصلاح مدة خمسة قرون ونصف من بداية القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الثامن الهجري.

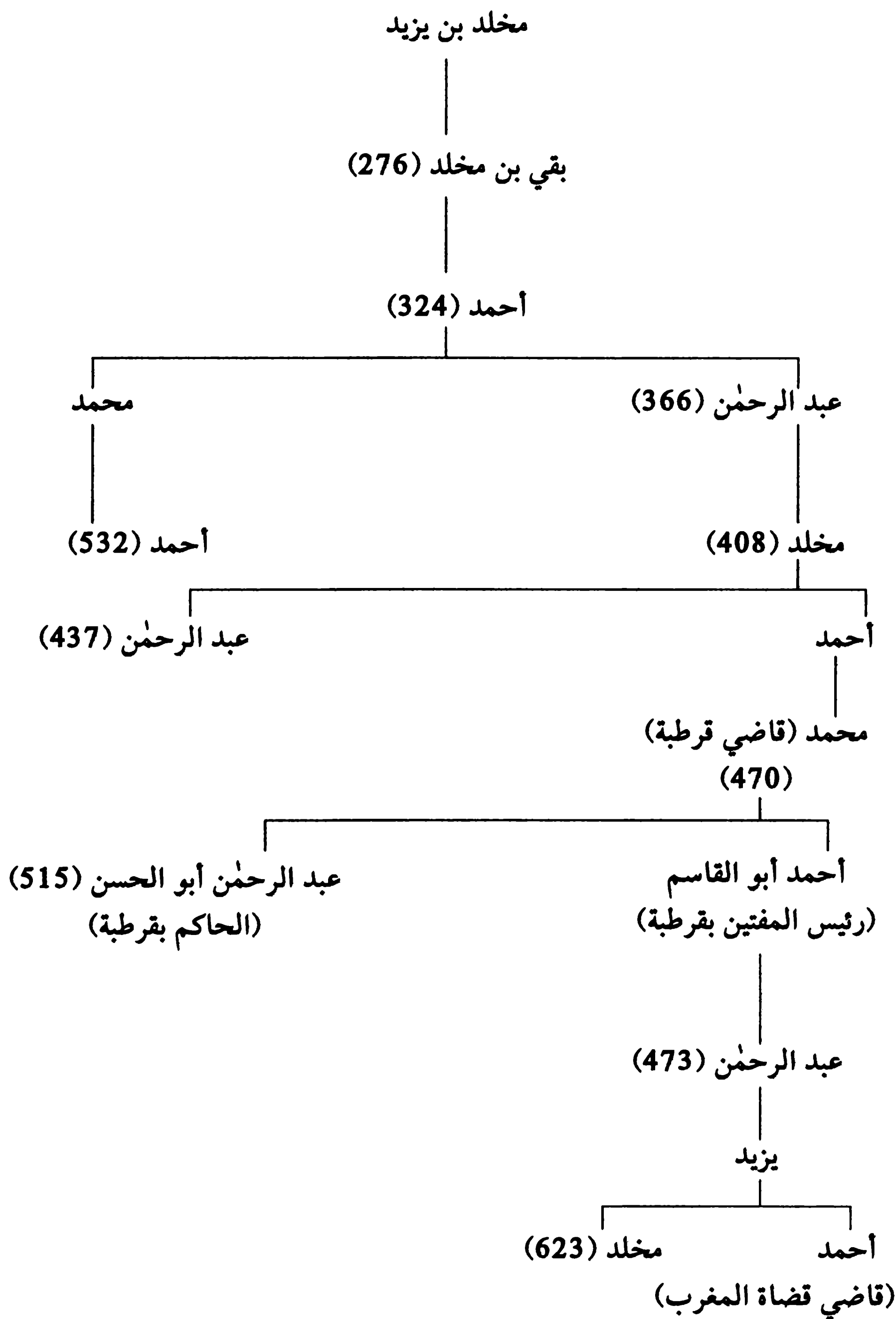
وأصبحت هذه الأسرة من أبرز الأسر العلمية بالأندلس إلى جانب أسرة بني لبابة، وبني مرتنيل، وبني ذكوان، وبني الصفار، وبني رشد، وبني عبد البر، وكل هذه بقرطبة .

وإذا كانت المراجع لم تسعفنا بشيء عن أصوله ـ كما ذكرنا ـ فإنها في فروعه قد أنجدتنا بشيء غير يسير، إذ أتاحت لنا الفرصة للحديث عن أربعة عشر عَلما من ذريته عاشوا في أزمان متلاحقة، وأجيال متتابعة تبلغ ثلاثة عشر جيلاً أو تكاد.

وإليك جدول باسماء أفراد هذه الأسرة:

---

(1) الإمام أبو عبد الرحمٰن بقي بن مخلد شيخ الحفاظ بالأندلس: 1/ 84.


مخلد بن يزيد
بقي بن مخلد (276)
أحمد (324)
عبد الرحمٰن (366)
محمد
مخلد (408)
أحمد (532)
أحمد
عبد الرحمٰن (437)
محمد (قاضي قرطبة)
(470)
أحمد أبو القاسم
(رئيس المفتين بقرطبة)
عبد الرحمٰن أبو الحسن (515)
(الحاكم بقرطبة)
عبد الرحمٰن (473)
يزيد
أحمد
(قاضي قضاة المغرب)
مخلد (623)

اشتغال بقي بن مخلد بالتجارة قبل طلبه للعلم:

لقد تعاطى مهنة التجارة ببلده قرطبة، في أيام شبابه، وكان ذلك منه قبل أن يقبل على العلم بجد، وكان فيها مثالاً للورع، ذكر محمد بن عمر بن لبابة: «لقد بلغني أنه كان يلزم في البزازين في سوق بقرطبة قبل طلبه العلم في وقت جده، كان يغرم الخراج عن الموضع الذي يجلس فيه مرتين يغرم إلى السلطان الخراج، ثم يتصدق بمثله، لما كان يتأول في ذلك على مذهب الورع.

رحلته في طلب العلم وشيوخه:

تذكر كتب التراجم أن لبقي بن مخلد رحلتين، ولم تبين تاريخ أي واحدة منها، بل اكتفى بعضها بالقول بأن رحلته الأولى كانت بعد رحلة ابن وضاح الأولى، التي كانت سنة 218هـ. أما مقدار كل رحلة، لدينا روايتان أندلسيتان تختلف إحداهما عن الأخرى في تحديد عدد سنوات كل رحلة:

الأولى: قال ابن حارث الخشني: «وكانت له رحلتان أقام في إحداهما عشرة أعوام، وفي الأخرى خمساً وعشرين سنة».

والثانية: قال ياقوت ـ نقلاً عن الحميدي الأندلسي ـ: «وكانت له رحلتان أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً».

وفي مقام الترجيح بين الروايتين، لا نتردد أن نرجح الرواية الأولى على الثانية، إذ أن ابن حارث يرويها عن عبد الرحمٰن بن أحمد بن بقي بن مخلد ـ حفيد بقي بن مخلد ـ وهو ـ بدون أدنى ريب ـ أعلم بأمر جده، وأقرب من الحميدي الذي يفصله عن بقي وعصره قرن ونصف من الزمان تقريباً.

معاناته في طلب العلم:

لقد تحمل بقي بن مخلد الشدائد، وقاسى الصعاب في رحلته العلمية، جاء في كتاب «أخبار علماء قرطبة» لأبي عبد الملك أحمد بن عبد البر:

«وكان بقي بن مخلد يقول: إني لأعرف رجلاً ـ يعني نفسه ـ كان يمضي عليه الأيام في وقت طلبه العلم، ليس له عيش إلا ورق الكرنب الذي يرمى، وسمعت من كل من سمعت منه في البلدان ماشياً إليهم على قدمي».

ونقل ياقوت عن الحميدي الأندلسي قال: «حدثت عن بقي بن مخلد أنه قال يوماً لطلبته: أنتم تطلبون العلم؟ أو هكذا يطلب العلم؟ إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضي أسمع العلم، إني لأعرف رجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه العلم، لا يكون له عيش إلا من ورق الكرنب الذي يلقيه الناس، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شري كاغد، حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها!»

وقصة اتصال بقي بن مخلد بالإمام أحمد بن حنبل ـ الذي وجده محبوساً ممنوعاً من الناس أيام المحنة ـ من أغرب القصص في طلب العلم، إذ انتحل شخصية المتوسل للأخذ عنه، ويرويها ابن حارث بسند متصل إلى بقي بن مخلد فيقول: «حكى لي عبد الرحمٰن بن أحمد بن بقي، عن أبيه أحمد بن بقي، قال: قال لي أبي رحمه الله: أتيت بغداد، ولم تكن وصلتي إليها إلا بسبب أحمد بن حنبل.

في حلقة يحيى بن معين:

فدفعت إلى المسجد الجامع فدخلته، فرأيت الحلق، فذهبت أجلس إلى بعضها، لأعرف ما يتذاكرونه، فنظرت منها إلى حلقة نبيلة، فإذا صاحبها يسأل عن الرجل فيقول: «صالح» و«كذاب»، و«لا شيء»، و«ثقة»، و«لا بأس»، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: (يحيى بن معين)، فقعدت حتى خلا، ثم تقدمت إليه، فقلت له: أصلحك الله، ما تقول في أبي الوليد هشام بن عمار الدمشقي؟ ـ وكان بقي بن مخلد أخذ عن هشام، وكان هشام صاحب صلاة دمشق، وكان لا يدع أحداً يبيت في المسجد الجامع غير بقي بن مخلد ـ قال: فقال لي: أبو الوليد هشام بن عمار: ثقة، وفوق الثقة، ولو كان تحت ردائه كبر، أو كان متقلداً كبراً ما ضره شيئاً، لخيره وفضله. فقلت له: رحمك الله،

ما تقول في أبي عبد الله أحمد بن حنبل؟ فقال: ما أقول؟ ذاك سيدنا، وخيرنا، وأفضلنا.

إلى منزل الإمام أحمد بن حنبل:

ثم خرجت من عنده، فسألت عن مسكن أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج منها إلى الأسطوان، فقلت له: أبا عبد الله، إني رجل غريب من أقصى المغرب، لم تكن رحلتي إلى هذا البلد إلا من أجلك، وذهبت إلى أن تحدثني، وأكتب عنك، فقال: يا هذا، ما كان شيء أحب إلي من عون مثلك، غير أنك صادفتني ممتحناً بالمحنة التي ترى، وهذا شيء قد منعته، قال: فسقط ما بيدي.

ابتكار الحيلة العجيبة:

فقلت له: يا سيدي، فافسح لي في الحيلة، فقال لي: وما حيلتك؟ قلت له: إني رجل مجهول العين في هذا البلد، فآتيك كل يوم في زي سائل، وأنادي بالباب، فإذا سمعتني فتفضل بالخروج إلي، وأنا أستعد بكاغدي، ومحبرتي، فتملي علي ما أمكن كل يوم، فقال لي: تفعل.

الطالب المتسول:

فكنت آتيه كل يوم، وبيدي قصبة، وفي رأسي خرقة، فأصيح بالباب: «الآجر ـ رحمكم الله ـ، وكذلك يصح السؤال عندهم، فيخرج إلي، فيملي علي حديثين أو ثلاثة، ثم أخرج، فكان هذا شأني معه برهة، فكتبت عنه على هذه الوتيرة نحو ثلاثمائة حديث.

ويرى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه: «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» أن قصة بقي بن مخلد أغرب وأعجب قصة في طلب العلم، حيث قال في آخر كتابه المذكور، تحت هذا العنوان: «استدراك»:

«هذه الصفحات قابلة للاستدراك والزيادة، ما زاد الاطلاع على مثل هذه

الأخبار في بطون الأسفار، وما كان بودي أن أستدرك عليها شيئاً الآن، لولا الخبر التالي، وجدته خبراً فريداً في معناه، فرأيت أن أستدركه هنا لأهميته، ولأني أكون كأني أفردته بهذا الاستدراك، ليكون مميزاً مفرداً بالاطلاع عليه، تحت عنوان لافت موجه للنظر، وهو حبر جدير بذلك، وهو خبر يتعلق بعالم رحل من المغرب الأقصى إلى المشرق، وقد رحل هذا العالم المغربي إلى المشرق، ليلقى إماماً من أئمته فيأخذ عنه العلم، ولكنه حين وصل إليه، وجده محبوساً ممنوعاً عن الناس، فتلطف وتحيل حتى لقيه، فأخذ العلم عنه، بصورة لا تخطر على البال لولا وقوعها. والتاريخ أبو العجائب والغرائب. ثم نقل الخبر المتضمن القصة التي رأينا عند ابن حارث، عن «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»، للعليمي أبي اليمن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الحنبلي المقدسي المتوفى سنة 928هـ.

حظوته عند الإمام أحمد:

بعد هذه القصة الفريدة، أصبح الإمام أحمد يدل تلميذه بقياً، ويكرمه، ويدنيه، فعن ابن حارث، عن بقي، قال: «ثم أن الله ﷻ تفضل بكشف تلك الحالة عنه، فظهر للناس، فسمعت منه مع الناس». وفي مختصر طبقات الحنابلة، والمنهج الأحمد: «فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر ابن حنبل، وسما ذكره، وعظم في عيون الناس، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي وأدناني من نفسه، ويقول لأصحاب الحديث: هذا يقع عليه اسم طالب العلم، ثم يقص عليهم قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه علي، وأقرؤه عليه».

عيادة الإمام له عند مرضه:

ويحكي بقي بن مخلد عيادة الإمام أحمد له فيقول: «ثم اعتللت علة أشفيت منها، ففقدني في مجلسه، فسأل عني، فأعلم بعلتي، فقام من فوره مقبلاً إلي عائداً بمن معه، وأنا مضطجع في البيت الذي كنت اكتريت، ولبدي

تحتي، وكسائي علي، وكتبي عند رأسي، فسمعت الفندق قد ارتج بأهله، وأنا أسمعهم: هو ذاك، أبصروه، هذا إمام المسلمين، فبدر إلى صاحب الفندق مسرعاً، فقال لي: يا أبا عبد الرحمٰن، هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلاً عائداً لك، فدخل فجلس عند رأسي، وقد احتشى البيت من أصحابه فلم يسعهم، حتى صارت فرقة منهم في الدار وهم وقوف، وأقلامهم بأيديهم. فما زادني على هذه الكلمات، فقال لي: يا أبا عبد الرحمٰن، أبشر بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها، أعلاك الله إلى العافية، ومسح عنك بيمينه الشافية، فرأيت الأقلام تكتب لفظه، ثم خرج عني، فأتاني أهل الفندق يلطفون بي ويخدمونني، ديانة وحسبة، فواحد يأتي بفراش، وآخر بلحاف وبلطائف من الأغذية وكانوا في تمريضي أكثر من تمريض أهلي لي، لو كنت بين أظهرهم، لعيادة الرجل الصالح لي».

وقد صاغ العلامة الأديب: علي الطنطاوي في كتابه: «قصص من التاريخ» ما ذكرناه من قدوم بقي بن مخلد إلى بغداد، واتصاله بالإمام أحمد، وابتكار الحيلة العجيبة التي استطاع بها أن يأخذ بها عنه أيام محنته، ومرض بقي في الفندق الذي كان يسكن فيه، وعيادة الإمام أحمد له في قالب قصة وحوار شيقين.

وقد هيأ الله لبقي بن مخلد رفيقاً أندلسياً ميسوراً صاحبه في رحلته العلمية، وكان هذا الرفيق الميسور ذا ذكاء محدود، فاتفق معه بقي بن مخلد أن يساعده على العلم، ويساعده هو بالمال، فكانا يسمعان معاً من الشيوخ، ويسكنان معاً، وهذا الرفيق الذي لم يكن إلا نعمة عظيمة أنعمها الله على بقي بن مخلد، هو: داود بن عيسى بن جَبُويَة الكلاعي الأحول القرطبي.

قال أبو محمد قاسم بن أصبغ: وكان كل ما وصل إليه بقي من العلم فعلى يد داود، إذ كان من أهل الوفر يقدر على الانتساخ، وكان بقي مُقِلّاً.

وقال ابن الفرضي: «ورحل داود إلى المشرق، فاجتمع مع بقي بن مخلد، وكان بقي لا مال له، وكان داود واسع المال، فسأل بقي أن يتيح له من ماله ما يشتري به الكتب، ويجمع به الدواوين، ويكون سماعهما واحداً،

وقال له: أرجو أن ينفعك الله بذلك، فأجابه داود إلى ذلك، فكان سبب استكثار بقي من الرواية والجمع، ولما انصرف إلى الأندلس كتب بقي الكتب لنفسه[1]. وكان داود مُغفَّلاً لا علم عنده أصلاً»[2].

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الإمام الذهبي[3]: «الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمٰن الأندلسي القرطبي، الحافظ، صاحب «التفسير» و«المسند» اللذين لا نظير لهما».

وقال أيضاً: «وعني بهذا الشأن عناية لا مزيد عليها، وأدخل جزيرة الأندلس علماً جماً، وبه وبمحمد بن وضاح صارت تلك الناحية دار حديث، وعدة مشيخته الذين حمّل عنهم مئتان وأربعة وثمانون رجلاً».

وقال أيضاً: «وكان إماماً مجتهداً صالحاً، ربانياً صادقاً مخلصاً، رأساً في العلم والعمل، عديمَ المثل، منقطع القرين، يفتي بالأثر، ولا يقلد أحداً».

ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال: «ما كنا نسميه إلا المِكْنَسة، وهل احتاج بلد فيه بقيٌّ إلى أن يرحل إلى هاهنا منه أحد؟!».

قال طاهر بن عبد العزيز الأندلسي: حملت معي جزءاً من «مسند» بقي بن مخلد إلى المشرق فأريته محمد بن إسماعيل الصائغ، فقال: ما اغترف هذا إلا من بحر، وعَجِب من كثرة علمه.

وقال إبراهيم بن حيُّون عن بقي بن مخلد. قال: لما رجعت من العراق، أجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه، وسمع مني سبعة أحاديث.

وقال أبو الوليد بن الفرضي في «تاريخه»: «ملأ بقي بن مخلد الأندلس حديثاً، فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون: أحمد بن خالد، ومحمد بن الحارث،

---

(1) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: 170، 171.

(2) المصدر نفسه: 171.

(3) سير أعلام النبلاء: 13/ 285.

وأبو زيد، ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث، فأغروا به السلطان وأخافوه به، ثم إن الله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، ومما انفرد به، ولم يدخله سواه «مصنف» أبي بكر بن أبي شيبة، وكتاب «الفقه» للشافعي بكماله، يعني ـ الأم ـ و«تاريخ» خليفة، و«طبقات» خليفة. وكتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز» لأحمد بن إبراهيم الدورقي... وليس لأحد مثل «مسنده»».

قال الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري: «أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل «تفسير» بقي، لا «تفسير» محمد بن جرير، ولا غيره».

قال: وكان محمد بن عبد الرحمٰن الأموي صاحب الأندلس مُحبّاً للعلوم عارفاً، فلما دخل بقي الأندلس «بمصنف» أبي بكر بن أبي شيبة، وقرئ عليه، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف، واستبشَعُوه، ونشَّطُوا العامة عليه، ومنعوه من قراءته، فاستحضره صاحب الأندلس محمد، وإياهم، وتصفح الكتاب كله جزءاً، جزءاً، حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا، ثم قال لبقي: انشر علمك، وارو ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له.

وألف أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 338هـ كتاباً في أخبار علماء قرطبة، وذكر فيه بقي بن مخلد فقال: «كان فاضلاً تقيّاً، صوَّاماً قوَّاماً متبتِّلاً، منقطع القرين في عصره، منفرداً عن النظير في مصره، كان أول طلبه عند محمد بن عيسى الأعشى، ثم رحل، فحمل عن أهل الحرمين، ومصر، والشام، والجزيرة، وحلوان، والبصرة، والكوفة، وواسط، وبغداد، وخراسان..» قال: «وكان بقي أول من كَثَّر الحديث بالأندلس ونشره، وهاجم به شيوخ الأندلس، فثاروا عليه لأنهم كان علمهم بالمسائل ومذهب مالك، وكان بقي يفتي بالأثر، فشذَّ عنهم شذوذاً عظيماً فعقدوا عليه الشهادات، وبدَّعوه، ونسبوا إليه الزندقة، وأشياء نزهه الله منها، وكان بقي يقول: «لقد غرست لهم بالأندلس غرساً

لا يُقلع إلا بخروج الدجال»[1].

قال الإمام ابن حزم: «و«مسند» بقي روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب ونيف، ورتَّب حديثَ كل صاحب على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبلَه، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث، وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم، الذي قد أربى فيه على «مصنف» ابن أبي شيبة، وعلى «مصنف» عبد الرزاق وعلى «مصنف» سعيد بن منصور. . .

. . فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكان مُتخيّراً لا يقلد أحداً، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل، وجارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي».

وقال أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر في (تاريخه): «كان بقي طُوالاً، أقنى، ذا لحية مضبَّراً، قوياً جلداً على المشي، لم يُر راكباً دابّة قط».

وقال ابن لبابة الحافظ: كان بقي من عقلاء الناس وأفاضلهم، وكان أسلم بن عبد العزيز يقدمه على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زهده، ويقول: ربما كنت أمشي معه في أزقة قرطبة، فإذا نظر في موضع خالٍ إلى ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه.

وذكر أبو عبيدة صاحب القِبلة قال: كان بقي يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر، وكان كثير الجهاد، فاضلاً، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة.

وقال حفيده عبد الرحمٰن بن أحمد بن بقي بن مخلد: «كان جدي قد قسَّم أيامه على أعمال البِرِّ: فكان إذا صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سُدسَ القرآن، وكان أيضاً يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، ويخرج كلَّ ليلة في الثلث الأخير إلى مسجده، فيختم قرب انصداع

---

(1) تاريخ علماء الأندلس 1/ 92.

الفجر، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جداً. ثم ينقلب إلى داره ـ وقد اجتمع في مسجده الطلبة ـ فيجدد الوضوء، ويخرج إليهم، فإذا انقضت الدُّول، صار إلى صومعة المسجد، فيصلي إلى الظهر، ثم يكون هو المبتدئ بالأذان، ثم يهبط ثم يسمع إلى العصر، ويصلي ويُسمِع، وربما خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر، فإذا غربت الشمس أتى مسجده، ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فيفطر، وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة، ويخرج إلى المسجد، فيخرج إليه جيرانه، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم، ثم يصلي العشاء، ويدخل بيته، فيحدث أهلَه، ثم ينام نومةً قد أخذتها نفسه، ثم يقوم، هذا دأبه إلى أن توفي، وكان جلداً، قوياً على المشي، قد مشى مع ضعيف في مظلمة إلى إشبيلية، ومشى مع آخر إلى إلبيرة، ومع امرأة ضعيفة إلى جَيَّان».

اتصال بقي بن مخلد
بشيوخ الحديث والرواية بدمشق

من شيوخ بقي بن مخلد في الحديث بدمشق:

1 أحمد بن أبي الحواري الدمشقي[1]

أحمد بن عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث الغطفاني التَّغلبي، أبو الحسن بن أبي الحواري[2] الدمشقي.

ولد سنة 164هـ. قال: سألني أحمد بن حنبل: متى مولدك؟ قلت: في سنة أربع وستين ومئة، قال: هي مولدي.

عني بهذا الشأن أتم عناية، وسمع من سفيان بن عيينة، وعبد الله بن إدريس، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب ووكيع، وطائفة.

دخل دمشق، فصحب الشيخ أبا سليمان الدَّاراني مدة، وأخذ عن مروان بن محمد، وأبي مسهر الغساني.

لقيه بقي بن مخلد في دمشق وروى عنه.

ذُكر أحمد بن أبي الحواري عند يحيى بن معين فقال: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به. وقال أبو حاتم الرازي: ما أظنه بقي على وجه الأرض مثله.

---

(1) الجرح والتعديل: 2/ 47؛ طبقات الصوفية: 98، حلية الأولياء: 10/ 5؛ طبقات الحنابلة: 1/ 78؛ صفوة الصفوة: 4/ 12؛ تهذيب الكمال: 1/ 369؛ سير أعلام النبلاء: 12/ 85؛ تاريخ ابن كثير: 10/ 342؛ تهذيب التهذيب: 1/ 49؛ طبقات الشعراني: 1/ 96؛ شذرات الذهب: 2/ 110.

(2) قال مغلطاي: «بفتح الحاء المهملة وكسر الراء» وانظر: «أنساب السمعاني» و«لباب ابن الأثير».

وكان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام.

قال أحمد بن أبي الحواري: «لما دلني أبي على أبي سليمان قال: يا بني اجتهد فيما آمرك، ولا تكتم عني شيئاً من أسرارك، فصحبته ما صحبته حتى قال لي يوماً: قد طلبت العلم وعرفته فاطلب من نفسك الإخلاص، وإياك أن تطلب بالعلم غير الله فيمنعك، قال: فأخذت كتبي كلَّها وغرقتها في البحر، وأقبلت على العبادة، فما زال أبو سليمان يرقى بي درجة درجةً حتى قال لي: يا بني قد بلغت أوائل الزاهدين فاجتهد، قال أحمد بن أبي الحواري: صحبت أبا سليمان طول ما صحبته، فما انتفعت بكلمة أقوى عليَّ وأهدى لرشدي وأدل على الطريق من هذه الكلمة، قلت له في ابتداء أمري: أوصني، فقال: أمستوص أنت؟ قلت: نعم، إن شاء الله، قال: خالف نفسك في كل مُراداتها، فإنها الأمارة بالسوء، وإياك أن تحقر أحداً من المسلمين، واجعل طاعة الله دِثاراً، والخوف منه شعاراً، والإخلاص زاداً، والصدق جُنَّة، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة، ولا تفارقها، ولا تغفل عنها، إنه من استحيى من الله ﷻ في كل أوقاته وأحواله وأفعاله، بلَّغه إلى مقام الأولياء من عباده، فجعلت هذه الكلمات أمامي، ففي كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها.

قال سعيد بن عبد العزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من عمِل بلا اتباع سُنَّةٍ فعمله باطل.

وقال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، وعن يوسف بن الحسين: طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة، ثم حمل كتبه كلها إلى البحر، فغرقها وقال: يا علم، لم أفعل بك هذا استخفافاً، ولكن لما اهتديتُ بك استغنيت عنك.

قال أبو زرعة: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: كنتُ أسمع وكيعاً يبتدئ قبل أن يحدث، فيقول: ما هنالك إلا عفوه، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم.

وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي بكر بن عياش: حدثنا، قال: دعونا

من الحديث، فقد كبرنا ونسينا، جيئونا بذكر المعاد وبذكر المقابر، لو أني أعرف أهل الحديث لأتيتهم إلى بيوتهم أحدثهم.

قال أبو نعيم: أسند أحمد بن أبي الحواري عن المشاهير والأعلام ما لا يُعد كثرةً.

وقال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس، فلما صلى العتمة قام يصلي، فاستفتح بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، فطفت الحائط كله ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزُها، ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح.

قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام».

مات رحمه الله تعالى سنة (246هـ).

2 صفوان بن صالح بن صفوان أبو عبد الملك الدمشقي(1)

مؤذن المسجد الجامع بدمشق، مولى عبد الرحمٰن ابن أم الحكم الثقفي. قال أبو زرعة الدمشقي: أخبرنا أن مولده سنة ثمان وستين ومئة.

روى عن: خالد بن يزيد الأزرق، وسفيان بن عيينة، وسويد بن عبد العزيز، وعبد الله بن كثير الدمشقي القارئ، ووكيع بن الجراح، والوليد بن مسلم، وطائفة.

روى عنه: بقي بن مخلد، وأبو داود، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، ويزيد بن محمد بن عبد الصمد، وخلق كثير.

---

(1) تاريخ البخاري الكبير: 4/ الترجمة 2939؛ المعرفة والتاريخ: 1/ 140؛ الجرح والتعديل: 4/ الترجمة 1868؛ ثقات ابن حبان: 8/ 321؛ المعجم المشتمل: الترجمة 436؛ تهذيب الكمال: 3/ 191؛ سير أعلام النبلاء: 11/ 475؛ تهذيب التهذيب: 4/ 426؛ تهذيب تاريخ دمشق: 6/ 436.

قال أبو حاتم: صدوق.

وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: حجة.

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: كان ينتحل مذهب الرأي، وقال أبو القاسم ابن عساكر: كان ينتحل مذهب أهل العراق، وداره بدمشق، في ربض باب الفراديس عند طرف العُقَيبة في الزقاق الذي شرقي المقبرة.

قال سَلْم بن معاذ: قلت لسليمان بن عبد الرحمٰن: إن صفوان بن صالح يأبى أن يحدثنا قال: فدخل صفوان فسلَّم عليه، فقال سليمان: بلغني أنك تأبى أن تحدث؟

فقال: يا أبا أيوب، منعنا السلطان، قال: ويحك حدِّث، فإنه بلغني أن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء في الجنة، كما يحتاجون إليهم في الدنيا، فحدِّث لعلك أن تكون منهم، فحدثنا صفوان.

قال عمرو بن دُحيم: مات في ربيع الأول سنة 239هـ.



عباس بن عثمان البجلي أبو الفضل الدمشقي[1]

ولد سنة 176هـ.

كان يسكن قَيْنية والرَّاهب[2].

روى عن إسماعيل بن عياش، وأيوب بن سويد الرملي، وعراك بن خالد بن يزيد بن صبيح المري، والوليد بن مسلم.

روى عنه: بقي بن مخلد، وابن ماجه، وأحمد بن إبراهيم الغساني، وزكريا بن يحيى السجزي، وسعد بن محمد البيروتي وغيرهم.

---

(1) تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 286؛ ثقات ابن حبان: 8/ 511؛ تاريخ ابن عساكر: 2/ 208؛ المعجم المشتمل: الترجمة 454؛ تهذيب الكمال: 14/ 233؛ تهذيب التهذيب: 5/ 124؛ التقريب: 1/ 398؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 3357.

(2) قينية: قرية كانت مقابل الباب الصغير، أو بظاهر باب الجابية. والراهب: محلة كانت قبلي المصلى لسعيد بن عبد الملك.

قال أبو الحسن بن سميع: كان ثقة.

وقال محمود بن خالد السُّلَمي: كان للعباس بن عثمان المعلِّم من الوليد بن مسلم موقع.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت الوليد بن مسلم يقول: احفظوني في عباس، فإن لي فيه فراسة.

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: ربما خالف.

مات سنة 239هـ.

4 عباس بن الوليد بن صبح الخلال السلمي أبو الفضل الدمشقي[1]

روى عن: إبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زَبْر، وآدم بن أبي إياس، وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني.. وطائفة.

حدث عنه: بقي بن مخلد، وابن ماجه، والحسن بن سفيان الشيباني، وخلق كثير.

قال أبو حاتم: شيخ.

وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود، عن العباس بن الوليد الخلال، فقال: كتبت عنه، كان عالماً بالرجال، عالماً بالأخبار، لا أحدث عنه.

وقال محمد بن عوف الطائي: كان مروان بن محمد، وأبو مسهر، يقدمان عبّاساً الخلال ويوجبان له.

مات يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من صفر سنة 248هـ.

---

(1) طبقات ابن سعد: 7/ 76، سؤالات الآجري لأبي داود: 5/ 18؛ الجرح والتعديل: 6/ الترجمة 1179؛ ثقات ابن حبان: 8/ 512؛ المعجم المشتمل: الترجمة 456؛ تاريخ ابن عساكر: 2/ 632، تهذيب الكمال: 14/ 252؛ ميزان الاعتدال: 2/الترجمة 4185؛ تهذيب التهذيب: 5/ 131؛ التقريب: 1/ 399؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 3364.

5 عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون القرشي[1] أبو سعيد الدمشقي المعروف بدُحَيم

القاضي، الإمام الفقيه الحافظ، محدث الشام.

ولد في شوال سنة 170هـ، قاله ابنه عمرو.

روى عن: آدم بن أبي إياس، وبشر بن بكر التنيسي، وسعيد بن أبي مريم، وسفيان بن عيينة، وسهل بن هاشم، وسويد بن عبد العزيز، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني، والوليد بن مسلم، وغيرهم من الشيوخ.

حدث عنه: بقي بن مخلد، والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابنه إبراهيم بن دحيم، وخلق كثير.

قال عبدان الأهوازي: سمعت الحسن بن علي بن بحر يقول: قدم دُحَيْم بغداد سنة اثنتي عشرة يعني ومئتين، فرأيت أبي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلف بن سالم، قعوداً بين يديه كالصبيان.

وقال أبو سعيد بن يونس: قدم مصر فكتب بها، وكُتب عنه، وهو ثقة ثبت.

وقال أبو بكر المرُّوذي، وسمعته ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يثني على دحيم ويقول: هو عاقل ركين.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي، وأبو حاتم، والنسائي، والدارقطني: ثقة.

زاد النسائي: مأمون لا بأس به.

وقال أبو داود: حجة، لم يكن بدمشق في زمنه مثله، وأبو الجماهر أسند منه، وهو ثقة.

---

(1) تاريخ الدارمي: الترجمة 45؛ تاريخ البخاري الكبير: 5/الترجمة 827؛ سؤالات الآجري: 5/ 17؛ ثقات العجلي: 33؛ الجرح والتعديل: 5/الترجمة 999؛ ثقات ابن حبان: 8/ 381؛ تاريخ بغداد: 10/ 265؛ أنساب السمعاني: 5/ 285؛ المعجم المشتمل: الترجمة 524؛ تهذيب الكمال: 16/ 495؛ سير أعلام النبلاء: 11/ 515؛ تذكرة الحفاظ: 480؛ تهذيب التهذيب: 6/ 131؛ التقريب: 1/ 471؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 4016؛ شذرات الذهب: 2/ 108.

وقال أبو حاتم: كان دُحيم يميز، ويضبط حديث نفسه، وكلمني دحيم في حديث أهل طبرية، وقد كانوا أتوني يسألوني الحديث، فأبيت عليهم، فقلت: بلدة يكون فيها مثل أبي سعيد القاضي، أحدث بها أنا، هذا غير جائز، فكلمني دحيم، فقال: إن هذه بلدة نائية عن جادة الطريق، وقلَّ من يقدم عليهم، فحدِّثهم.

وقال أبو بكر الإسماعيلي: سئل عبد الله بن محمد بن سيَّار الفرهياني: من أوثق أهل الشام ممن لقيت؟ فقال: أعلاهم دُحيم، وكان يحفظ عندي بعض ما يحدث به.

وقال الدارقطني: ثقة.

وقال أبو أحمد بن عدي: هو أوثق من حرملة.

قال الذهبي: قلت: ومن رفاقه سليمان بن عبد الرحمٰن، وسليمان بن أحمد الواسطي، وهشام بن عمار، ومحمد بن أبي السري العسقلاني.

أثنى عليه الذهبي فقال: «وعني بهذا الشأن، وفاق الأقران، وجمع وصنف، وجرح وعدَّل، وصحح وعلَّل».

مات سنة 245هـ في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان.

6 عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني، أبو محمد الدمشقي[1]

إمام المسجد الجامع بدمشق، كان يسكن نحو درب الهاشميين.

ولد سنة 173هـ.

روى عن: أيوب بن تميم التميمي المقرئ، وقرأ عليه القرآن، وبقية بن

---

(1) المعرفة والتاريخ: 1/ 122؛ الجرح والتعديل: 5/الترجمة 26؛ ثقات ابن حبان: 8/ 360؛ تاريخ ابن عساكر: 296؛ تهذيب الكمال: 14/ 280؛ تهذيب التهذيب: 5/ 140؛ التقريب: 1/ 401؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 3376.

الوليد، وسويد بن عبد العزيز، ووكيع بن الجراح، والوليد بن مسلم، وغيرهم.

حدث عنه: بقي بن مخلد، وأبو داود، وابن ماجه، وأحمد بن أبي الحواري وهو من أقرانه، وأبو زرعة عبد الرحمٰن بن عمرو الدمشقي، وسعد بن محمد البيروتي، وخلق كثير.

قال أبو القاسم ابن عساكر: بلغني عن هشام بن مرثد الطبراني أنه قال: سمعت يحيى بن معين يقول: ابن ذكوان ليس به بأس؛ يعني: عبد الله بن أحمد بن ذكوان.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت الوليد بن عتبة يقول: ما بالعراق أقرأ من عبد الله بن أحمد بن ذكوان، قال أبو زرعة: وأنا أقول من عندي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان عبد الله بن ذكوان أقرأ عندي منه، والله أعلم.

مات في شوال سنة 242هـ، وهو في السبعين.



7 محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي الدمشقي(1)

مولى نبيط من أهل غوطة دمشق، نزل عبَّادان.

روى عن: إبراهيم بن سليمان، وإسماعيل بن عياش، وأيوب بن سويد الرملي، وبقية بن الوليد، وشعيب بن إسحاق الدمشقي وغيرهم.

حدث عنه: بقي بن مخلد، وابن ماجه، وأسلم بن سهل الواسطي بحشل وعبد العزيز بن معاوية القرشي، ومحمد بن سعيد بن مهران الأبلي، وخلق.

---

(1) الجرح والتعديل: 7/الترجمة 1060؛ المجروحين لابن حبان: 2/ 301؛ تهذيب الكمال: 24/ 324؛ ميزان الاعتدال: 3/الترجمة 7102؛ تهذيب التهذيب: 9/ 14؛ التقريب: 2/ 141؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 6020.

قال عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: سمع منه أبي بمكة.

وقال أبو أحمد بن عدي: منكر الحديث، وعامة أحاديثه غير محفوظة.

وقال ابو الحسن الدارقطني: كذاب.

وذكره ابن حبان في «المجروحين» وقال: يضع الحديث على الشاميين، لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار.

8 محمود بن خالد بن أبي خالد السلمي أبو علي الدمشقي(1)

ولد سنة 176هـ.

روى عن: أحمد بن علي النَّمَري، وأبيه خالد بن أبي خالد السُّلَمي، وسليمان بن عبد الرحمٰن الدمشقي وهو من أقرانه. وغيرهم.

حدث عنه بقي بن مخلد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وإبراهيم بن عبد الرحمٰن بن دحيم، وجماهر بن محمد الزملكاني، وطائفة.

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا محمود بن خالد الثقة، الأمين.

قال أبو حاتم الرازي: كان ثقة رضى.

وقال النسائي: ثقة.

مات في شوال سنة 249هـ.

9 هشام بن خالد الأزرق أبو مروان الدمشقي(2)

ولد سنة 153هـ.

---

(1) المعرفة والتاريخ: 2/ 313؛ الجرح والتعديل: 8/الترجمة 1342؛ ثقات ابن حبان: 9/ 202؛ المعجم المشتمل، الترجمة 1028؛ تهذيب الكمال: 27/ 295؛ تهذيب التهذيب: 10/ 61، 62؛ التقريب 2/ 232؛ خلاصة الخزرجي 3/الترجمة 6879.

(2) تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 23؛ الجرح والتعديل 9/الترجمة 235؛ ثقات ابن حبان: 9/ 233؛ ميزان الاعتدال 4/الترجمة 9222؛ تهذيب الكمال: 30/ 198؛ تهذيب التهذيب: 11/ 37.

روى عن: أيوب بن سويد الرملي، وبقية بن الوليد، وسويد بن عبد العزيز، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، والوليد بن مسلم، وغيرهم.

حدث عنه: بقي بن مخلد، وأبو داود، وابن ماجه، وزكريا بن يحيى السجزي، ومحمد بن وضاح الأندلسي، ومعاوية بن صالح الأشعري وخلق كثير.

قال أبو حاتم: صدوق.

وذكره أبو زرعة الدمشقي في أهل الفتوى بدمشق.

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات».

10 هشام بن عبد الملك بن عمران اليَزَني[1]

قال عنه الإمام الذهبي: الإمام الحافظ المتقن.

روى عن: إسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، وسعيد بن مسلمة الأموي، وسويد بن عبد العزيز، ومحمد بن يوسف الفريابي، وغيرهم.

حدث عنه بقي بن مخلد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وحرب بن إسماعيل الكرماني، والحسن بن سفيان الشيباني، ومحمد بن عبيد فياض، وخلق كثير.

قال أبو حاتم الرازي: كان متقناً في الحديث.

وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: شيخ ضعيف.

وقال النسائي: لا بأس به.

وقال في موضع آخر: ثقة.

---

(1) المعرفة والتاريخ: 2/ 780؛ الجرح والتعديل: 9/الترجمة 254؛ ثقات ابن حبان: 3/ 304؛ تذكرة الحفاظ: 2/ 528؛ سير أعلام النبلاء: 12/ 303؛ تهذيب الكمال: 30/ 223؛ ميزان الاعتدال: 4/الترجمة 9231؛ تهذيب التهذيب: 11/ 45؛ التقريب: 2/ 319؛ خلاصة الخزرجي: 3/الترجمة 7683؛ شذرات الذهب: 2/ 124.

وذكره ابن حبان في «الثقات».

مات سنة 251هـ عن بضع وثمانين سنة.

11 الوليد بن عتبة الأشجعي، أبو العباس الدمشقي[1]

ولد سنة 176هـ.

كانت داره بدمشق في زقاق الأسديين عند باب الجابية بقرب مسجد ابن عطية وفيه كان يروي الحديث.

روى عن: أبي ضمرة أنس بن عياض الليثي، وبقية بن الوليد، والحارث بن مسكين المصري، وسعيد بن منصور، وسويد بن عبد العزيز، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني، والوليد بن مسلم وغيرهم.

حدث عنه: بقي بن مخلد، وأبو داود، وأحمد بن أبي الحواري وهو من أقرانه، وسلمة بن شبيب النيسابوري، ومحمد بن عوف الطائي، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي وخلق سواهم.

قال أبو زرعة الدمشقي: كان القرآء بدمشق الذين يحكمون القراءة الشامية العثمانية ويضبطونها: هشام بن عمار، والوليد بن عتبة، وعبد الله بن ذكوان.

عن محمد بن عوف الطائي: حدثني الوليد بن عتبة، وأثنى عليه خيراً، وزعم أنه أوثق من صفوان بن صالح.

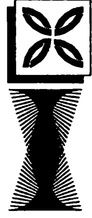
وقال أبو زرعة الدمشقي في موضع آخر: قلت له: يعني لدُحيم: فأي الثلاثة أحب إليك من أصحاب الوليد بن مسلم: وليد بن عتبة أو صفوان بن صالح أو العباس المُكتب؟ قال: وليد أكيسهم وأقدمهم طلباً، وقد كان يحضر صغيراً.

مات في جمادى الأولى سنة 240هـ، وهو ابن أربع وستين سنة.

---

(1) تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 286؛ الجرح والتعديل: 9/الترجمة 54؛ ثقات ابن حبان: 9/ 226؛ معرفة القراء الكبار: 1/الترجمة 93؛ ميزان الاعتدال: 4/الترجمة 9385؛ تهذيب الكمال: 31/ 46؛ غاية النهاية: 2/ 360؛ تهذيب التهذيب: 11/ 141؛ التقريب: 1/الترجمة 7439.





محمد بن وضاح القرطبي
(ت 289 هـ)

محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله القرطبي[1]، وكان جده عبداً مملوكاً لمؤسس الدولة الأموية بالأندلس الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل، ثم أعتقه ابتغاء للأجر والثواب والاحتساب.

ويتفرد كتاب ابن حارث الخشني «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس» وحده من بين سائر المراجع بحفظه وثيقة عتق «بزيع» التي وجدت في مكتبة حفيده: محمد بن وضاح. فقد ذكر ابن حارث ما نصه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

كتاب من عبد الرحمٰن بن معاوية لبزيع مولاه:

أعتقه لله جل وعز، فليس لأحد عليه سبيل وإن ولاءه لي ولعقبي

ولد ابن وضاح سنة 199هـ من أسرة فقيرة خاملة، ولم تحظ بثقافة أو معرفة تخولانها مركزاً اجتماعياً ملحوظاً كما كان الشأن في عهد ابن حزم مثلاً.

وقد ألمعت بعض المصادر إلى أنه كانت له أخت أنجبت ولداً كان حسن البرور به، قال القاضي عياض في «ترتيب المدارك»[2]: «وكان ابن أخته يبعث له كل ليلة ما يأتدم به».

---

(1) تاريخ علماء الأندلس: 2/ 17؛ ترتيب المدارك: 4/ 435؛ بغية الملتمس: 133؛ تذكرة الحفاظ: 2/ 646؛ المقتبس لابن حيان ـ تحقيق الدكتور محمود مكي ـ وللتوسع في معرفة أخباره راجع كتاب (محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد) للدكتور نوري معمر.

(2) ج4/ 240.

وقد أنجب محمد بن وضاح من زواجه ولداً أسماه محمداً، أخذ بحظ غير قليل من العلم، تتلمذ على أبيه ثم على الشيخ بقي بن مخلد الذي كان يحضر دروسه خفية من أبيه وفي غير علم منه، وذلك للجفوة الحاصلة بين الشيخين: بقي بن مخلد وابن وضاح. بسبب المحنة التي تعرض لها الشيخ بقي بن مخلد بقرطبة، والتي اضطر ابن وضاح للمساهمة فيها اضطراراً.

يذكر هذا الولد الذي يظن أنه الوحيد لابن وضاح في المراجع الأندلسية والمغربية في موضعين، يذكر ضمن علماء قرطبة حيث يخص بالترجمة ويذكر حينما كان صبياً في قصة العجلة التي نطحته فلم تصبه بأذى.

قال القاضي عياض: «وذكر بعض طلبته أنهم كانوا في السماع عند ابن وضاح في غرفة له، فدخل عليه رجل فقال له: حضرت الآن فأصابت الصبي العجلة ومشت عليه، فلم يكترث لذلك، وأقبل على ما كان فيه من إمساك كتابه، وأمر القارئ أن يتمادى على قراءته، فما لبث أن دخل آخر، فقال: أبشر يا أبا عبد الله، سلم الصبي، إنما أصابت العجلة ثوبه، فسقط وجازته ولم تضره، فقال: الحمد لله، قد أيقنت بذلك لأني رأيت الصبي قد ناول اليوم مسكيناً كسرة، فعلمت أنه لا يصيبه بلاء في هذا النهار، للحديث: «إن الله يدفع عن العبد الميتة السوء بالصدقة يتصدق بها»».

لا نكاد نعرف عن طفولة ابن وضاح شيئاً، فلم تشر المصادر إلى الكتّاب الذي تعلم فيه مبادئ الكتابة والقراءة، وحفظ فيه القرآن الكريم، على عادة أهل الأندلس.

وفي «ترتيب المدارك» نجد محمد بن وضاح يفضي لتلميذه وهب بن مسرة بقوله: «ختمت القرآن في عشرين يوماً من شهر رمضان ستين ختمة، وكان في نفسي أن أختمه أكثر من مئة مرة. فمرضت في العشر الأواخر».

وغير خاف أن مثل هذا الصنيع لا يتأتى إلا لمن حفظ القرآن حفظاً جيداً عن ظهر قلب. وقال القاضي عياض أيضاً في «ترتيب المدارك»: «أن أبا عمرو المقرئ ذكر ابن وضاح في القراء قائلاً: إنه روى القراءة عن عبد الصمد بن عبد الرحمٰن القاسم المصري، عن ورش المصري، ومن وقته

اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وكانوا من قبل معتمدين على قراءة الغازي بن قيس عن نافع».

وكان رحمه الله تعالى في طلبه للعلم ينتقي شيوخه فلا يحدث إلا عن ثقة، قال ابن حارث الخشني قال لي أحمد بن عبادة: كان ابن وضاح منتخباً للرجال، لا يأخذ شيئاً من روايته إلا عن الثقة.

ومن شيوخه الذين لازمهم، وأكثر الرواية عنهم:

- أبو بكر بن أبي شيبة.
- موسى بن معاوية الحضرمي الصمادحي.
- سحنون بن سعيد القيرواني.
- يوسف بن عدي أبو يعقوب الكوفي نزيل مصر.

فقر ابن وضاح وزهده وورعه وعفافه:

قد لازم الفقر ابن وضاح ورافقه طول حياته، فقد رحل إلى المشرق لطلب العلم وهو فقير، وذكر عن نفسه أن الحال آلت به بمصر إلى أن استأجر نفسه من صاحب فندق لكنس زبل الدواب، وطرحها على رأسه[1].

ومنذ أن عاد إلى بلده قرطبة وهو منقطع للعبادة والتدريس، ولم يشغل نفسه بأي شيء من حطام الدنيا، إنما كان بعض خلانه، وابن أخته أيوب يبعثون إليه ما يسد به رمقه، ورمق أفراد عائلته، وربما كان هؤلاء الخلان، وابن الأخت البار، ينسون، أو يغفلون أمره أحياناً فيفرغ بيته من أي طعام، فينفد صبر الزوجة المسكينة فتصيح في وجهه: أن اخرج، وابحث لنا عما نقتات به فتضيق السبل في وجهه، ويتجه إلى المسجد مستعيناً بالصبر، والصلاة، فيأتي الله بالفرج من عنده: قال أحمد بن خالد (من أبرز تلامذته): بقي بن وضاح يوماً لا قوت له، فحركته امرأته لطلب الرزق، ولامته على لزوم البيت قال: فخرجت، وقد ضاقت علي الأرض، فقلت: إلى من أقصد؟

(1) ترتيب المدارك: 4/ 439.

فقصدت الله تعالى في المسجد الجامع، فأقمت فيه إلى أن صليت العصر، فلما خرجت، قلت: إن رجعت إلى الدار بغير شيء، ضيقت على المرأة، وفي الوقت فسحة، فنويت زيارة إخوان لي في قرية مرضى، قال: فلما توسطت القنطرة، إذا غلام صديق لي ومعه دابة موقرة بدقيق، وجرة زيت، فقال لي: لك أقصد، فلان يقرئك السلام وقد بعث إليك بهذا، فحمدت الله تعالى، وسرت بذلك إلى داري.

ويحكي ابن حارث في كتابه «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس» في قصة فقره المدقع قصة أخرى مشابهة حيث يقول: «ذكر بعض أهلم العلم قال: كان محمد بن وضاح لا مال له، ولا شيء عنده وكان صابراً محتسباً ولقد حكى يوماً، قال: قال لي أهل بيتي: ليس عندنا سفة دقيق، فقم واخرج، ولا تقعد في هذا البيت، قال: فقمت وخرجت مع العشي، فعدت قوماً مرضى، ثم صليت المغرب، وانصرفت، وأنا لا أشك أني آئل إلى مرارة المرأة، قال: فتلقتني ببشر، وقالت: لقد جاء الحمل بالدقيق الذي أرسلت في وقت الحاجة، قال: فقلت: الحمد لله، وأظهرت لها أني أرسلته» قال ابن حارث: وإنما كان أرسله إليه رجل من إخوانه.

وتحدث المؤرخ الأندلسي أحمد بن عبد البر (توفي في السجن سنة 338هـ): عن حياة ابن وضاح المادية، وعن مذهبه في المال والاقتصاد قائلاً: «كان ابن وضاح لا يدخر شيئاً، ولا مال له، وله أخوان أفاضل، يبعثون إليه كل ليلة ما يأتدم به، وكان يقسم ما يهادى به على من كان قصده.

ونجد زهد ابن وضاح قد أتى مبكراً، بحيث تجمع المراجع أن رحلته الأولى ما كانت بقصد الرواية وطلب العلم، وإنما كانت للقاء العباد والزهاد، ولهذا يذكر الذين ترجموا له أنه كان كثير الحكاية عن العباد. وظاهرة الزهد هذه كانت بارزة واضحة فيه يعرفها الخاص والعام، وحتى شيوخه بالمشرق ـ كما يقول القاضي عياض ـ يعرفون زهده وورعه، وكما كان يعلم الناس العلم، كان كذلك يعلمهم الزهد.

ذكر أحمد بن سعيد، قال: «لم يختلف علينا أحد من شيوخنا أن ابن وضاح كان معلم أهل الأندلس العلم والزهد.

فكان مما علمه لتلامذته في الزهد ـ كما نقل ذلك عنه تلميذه أحمد بن خالد المعجب جداً بسلوكه ومذهبه ـ قوله:

«يقال: خير الدنيا ما لم تبتلوا بها منها، وخير ما ابتليتم به منها، ما خرج عن أيديكم، واعلموا أن ما سقط عن أيديكم رحمة لمساكنكم، فلا تعودوا فيه».

وقال ابن حارث ـ وهو يتحدث عن ورعه وزهده النادرين ـ:

وكان من أهل الزهد، والانقباض، والتقشف، علماً في ذلك، مشهوراً فيه، وقد قيد ذلك أحمد بن عبد ربه (تلميذه) في رثائه له، إذ مات:

جادت لك الدنيا بنعمة عيشها فكفاك منها مثل زاد الراكب

ومذهبه في الزهد، والانقباض، والخير، والورع، والتقشف مستفيض».

وقال الحافظ ابن الفرضي:

«كان محمد بن وضاح ورعاً، فقيراً زاهداً، متعففاً، وكان أحمد بن خالد بن الجباب (تلميذه) لا يقدم عليه أحداً ممن أدرك بالأندلس، ويعظمه جداً، ويصف فضله، وعقله، وورعه.

انقطاعه للعبادة ونشر العلم:

منذ أن عاد ابن وضاح من سفرته الثانية، وهو منقطع للعبادة، ونشر العلم، قال المؤرخ الأندلسي الكبير: أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر: «كان ابن وضاح سمحاً بعلمه، لا شغل له غير العبادة، ونشر العلم، وكان يختم القرآن في رمضان في مسجده تسع ختمات ويصبر على الصلاة قائماً.

وذكر وهب بن مسرة (من تلامذته) أن شيخه ابن وضاح قال له: «ختمت القرآن في عشرين يوماً من شهر رمضان ستين ختمة، وكان في نفسي أن أختمه أكثر من مائة مرة، فمرضت في العشر الأواخر».

وجاء عند القاضي عياض: أن ابن وضاح كان يواصل الأيام الخمسة ونحوها.

ونقل الحافظ الذهبي عن المؤرخ سعيد بن حزم: أن ابن وضاح كان يواصل أربعة أيام.

انقطاعه ثمانين يوماً للتهجد، والعبادة:

ذكر القاضي عياض في المدارك:

«أنه كان لابن وضاح ثمانون يوماً في السنة يتورع فيها، ولا يشغل فيها نفسه بشيء: أربعون يوماً في السمائم، وأربعون في شدة البرد.

أفضل كراماته:

ظهرت لابن وضاح كرامات كثيرة، من أحسنها وأوضحها: ما ذكره القاضي عياض قائلاً:

«حكى أبو عمرو المقري (الداني الأندلسي)، عن أبي إبراهيم الفقيه: أن ابن وضاح، لما قفل من سفرته الثانية، احتبس لسانه سبعة أيام، فكان لا يستطيع الكلام، فقال:

«اللهم إن كان في إطلاق لساني صلاح لنشر العلم فأطلقه» فأطلق الله تعالى لسانه، وأحيى الله به أهل الأندلس، وانتفعوا به، فكانوا يرون ذلك من أفضل كراماته.

انقباضه عن الأمراء والحكام:

اختار ابن وضاح حياة التقشف، وشظف العيش، والزهد في الدنيا، فلم يعر للحياة المادية أي اهتمام، فكان يكفيه لقيمات يقمن صلبه، وهكذا ظل مخلصاً لمذهبه، منقطعاً للعبادة، جاعلاً قرة عينه في الصلاة، ومواصلة الصيام، متفانياً في نشر العلم، غير آبه بذوي السلطان والجاه، فلا يطرق أبوابهم، بل يعتذر لهم إذا دعوه، مع العلم أن فرض الاتصال بهم لديه كانت مواتية جداً، بسبب ولائه للبيت الأموي المالك، غير أنه رضي الله عنه فضل

حياة الأنبياء، والصالحين: حياة الزهد، والقناعة، وبث العلم، والاتصال بالطبقة الشعبية في المساجد في الصلوات الخمس، ومدارسة العلم، وفي حلقات الدروس بين تلاميذه الملتفين حوله المتعطشين لينابيع علمه، فضل كل هذا على أن يطرق أبواب ذوي السلطة والجاه ولو كانوا ملوكاً، لينال من صلاتهم، قال المؤرخ الأندلسي: أحمد بن عبد البر: «كان ابن وضاح لا يأتي الحكام ولا الأمراء إلا عائداً، منقبضاً عنهم، قال: وكان الأمير: عبد الله يفضل ابن وضاح، ويعرف حقه، ويكاتبه فيما احتاج إليه، ويرسل فيه، فإذا أتاه الرسول، ألقي على نفسه قطيفة، ثم يقول: إني مريض، فاعتذر عني».

ابن وضاح ومدى تغلغل الحديث والسنة في عقيدته، وسلوكه:

لعل الحكاية التي ذكرها القاضي عياض في قصة العربة التي أصابت ولد ابن وضاح وهو في مجلس الحديث فلم يهتم لذلك وتمادى في قراءته تبرز إلى أي حد كان إيمان ابن وضاح بالحديث النبوي، ورسوخ اعتقاده بمحتواه، وتطبيقه له في حياته الخاصة.

ابن وضاح مثل أعلى في السخاء والكرم:

ورد عند القاضي عياض أن تلميذه: ابن الزراد قال:

«لم أر أسخى منه، لو لم يملك غير زيتونة، قاسمها مع من أتاه، ولقد عادني مرة فأخرج إلي نصف جبنة، وقال لي: أعلم أنها لا تصلح للعليل، ولكن كرهت أن آتيك دون شيء، ولم يكن عندي سواها، فلتأكل به الخادم خبزها. وعادني مرة أخرى، فأخرج إليّ نصف سفرجلة».

من أخلاقه الفاضلة:

ذكر المؤرخ الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد البر، قال: «كان ابن وضاح حليماً، طيب الخلق، صبوراً على الجفاء».

ابن وضاح والتزامه مذهب مالك:

يعد ابن وضاح من أعلام المالكية بالأندلس، فقد سلكه القاضي عياض تبعاً لتلميذ ابن وضاح: ابن أبي دليم، والشيرازي، في: (الطبقة الثالثة ممن انتهى إليهم فقه مالك، والتزموا مذهبه، ممن لم يره، ولم يسمع منه).

وكان من الكتب التي رُويت عنه بقرطبة: المدونة لسحنون: الكتاب الذائع الصيت في الفقه المالكي.

وهكذا ظل ابن وضاح ملتزماً لمذهب مالك، منافحاً عنه مدافعاً، لا يحيد عنه في شيء، طاعناً في المذهب الشافعي، وحتى في صاحب المذهب: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، حيث قال: إن يحيى بن معين: (إمام الجرح والتعديل) تكلم فيه، مما جعل الأمير عبد الله بن الملك: عبد الرحمٰن الناصر، الذي كان متزعماً مذهب الشافعي ينحى باللائمة على ابن وضاح، بل وتكذيبه فيما ادعاه من تكلم ابن معين في الشافعي.

ومما زاد ابن وضاح تشبثه بالمذهب المالكي وفي اعتقاده أنه هو المذهب الأمثل: ما ذكره القاضي عياض: ان ابن وضاح قال: قال لي يحيى بن معين: على علم مالك تعتمد؟ قلت: على علم مالك. قال: حسبك به.

مكانة ابن وضاح العلمية، وثناء الأئمة عليه:

- أثنى على محمد بن وضاح تلاميذه وأقرانه وعلماء عصره، وجل من ترجم له من كتب التراجم.
- كان أحمد بن خالد (تلميذه) لا يقدم على ابن وضاح أحداً ممن أدرك بالأندلس، وكان يعظمه جداً، ويصف عقله وفضله.

- قال ابن دليم (تلميذه): كان ابن وضاح إماماً، ثبت.
- كان ابن الزراد (تلميذه) يصفه بكل فضيلة، وكان يقول: إنه لم ير مثله في العقل، والفهم، وحفظ معاني الحديث، وحسن الحكايات، قال: وكان إماماً.
- قال ابن حارث: قال لي أحمد بن عبادة (تلميذه): ما كنت أشبه محمد بن وضاح مع الناس في اختلاف هممهم إلا بالطبيب العين الذي يقابل كل داء بما يصلحه من الدواء. كان يأتيه أهل الرأي فيفيدهم في باب الرأي، ويأتيه أهل الحديث فيفيدهم في باب الحديث.
- قال الحافظ ابن الفرضي: «وبمحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث، وكان محمد بن وضاح عالماً بالحديث، بصيراً بطرقه متكلماً على علله، صابراً على الاسماع، محتسباً في نشر علمه، سمع منه الناس كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس.
- أدرجه القاضي عياض في: (الطبقة الثالثة الذين انتهى إليهم علم مالك، والتزموا مذهبه، ممن لم يره، ولم يسمع منه قائلاً: «وقد ذكره ابن أبي دليم (من تلامذته) والشيرازي في هذه الطبقة من فقهاء المالكية».
- ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ[1] مدرجاً إياه في الطبقة العاشرة تحت عدد 16 قائلاً: «الحافظ الكبير، محدث الأندلس مع بقي بن مخلد» وقال في ميزان الاعتدال: «روى علماً جماً، رأس في الحديث، صدوق في نفسه»[2].
- وقال الحميدي الأندلسي[3]، وتبعه الضبي[4] الأندلسي، وابن حجر[5]

(1) ج2/ 646.
(2) ج4/ 59.
(3) جذوة المقتبس: 93.
(4) بغية الملتمس: 119.
(5) لسان الميزان: 5/ 416.

العسقلاني: «من الرواة المكثرين، والأئمة المشهورين».

- قال محمد بن مخلوف التونسي[1]: «هو الفقيه، المحدث، الراوية، الثقة، الثبت، الأمين، العمدة».

صبر ابن وضاح على عناء الدرس، ووفرة تلاميذه:

مرّ قبل قليل أن ابن وضاح لما عاد من رحلته العلمية الثانية، احتبس لسانه. فدعا الله ﷻ أن يطلق لسانه إن كان فيه صلاح لنشر علم السنة والحديث الشريف. فاستجاب الله دعاءه. ومن ذلك الحين، كرس كل وقته، وكل جهوده لنشر العلم وغرس السنة النبوية في البلاد الأندلسية التي كانت قاعاً صفصفاً منها.

وقال ابن الفرضي:

«وبمحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث».

وقال الضبي:

«وحدث ابن وضاح بالأندلس مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جم، وروى عنه بها من أهلها جماعة رفعاء مشهورون».

شروط العلم عند ابن وضاح:

كان ابن وضاح يعلم تلامذته كيف يتلقون العلم ويأخذونه في حلقات الدروس، ومجالس العلم، فكان موقفه موقف المربي الماهر الذي يحرص على توجيه تلامذته التوجيه الصالح النافع، فقد روى عنه تلميذه: أحمد بن خالد بن الجباب أنه كان يقول في دروسه لتلاميذه:

«أول العلم الصمت، والثاني حسن الاستماع، والثالث حسن السؤال، والرابع حسن الحفظ، والخامس حسن التخير، والسادس العمل به، والسابع الفرار من الناس، والثامن نشره، إذا لم يوجد منك بد.

---

(1) شجرة النور الزكية: 76.

عطفه وحدبه على تلامذته:

لم يبلغ أحد ممن عاصره، ولا من شيوخه كذلك، ما بلغه في وفرة تلاميذ، وكثرتهم، ولعل أوضح سبب لذلك شعبيته، وتعاطفه معهم ومحبته لهم، فكان يحبهم حباً جماً، كأنهم أفلاذ كبده، ولعل النص التالي الذي ينقله أحمد بن خالد بن الجباب عن شيخه ابن وضاح يبرز مدى عطف ابن وضاح وحبه لتلامذته، فهو لم ينسهم حتى في صلاته، قال أحمد بن خالد: «كان ابن وضاح يقول لي: إني لأدعو الله لكم في سجودي أن ينفعكم؛ لأنكم إذا انتفعتم، انتفعت أنا بكم».

وقد حقق الله رجاء ابن وضاح وأمله في تلامذته، فانتفعوا به في حياته، ونفعوه بعد مماته، فحافظوا على ما تلقوه منه، فرووا حديثه، وروايته، وعلمه، الذي كان أعز شيء لديه، والذي كان كل ما يملك، فإننا نجد له أحاديث كثيرة بالمئات مبثوثة في كتب الحافظين: أبي عمر بن عبد البر، وأبي محمد بن حزم، برواية المشاهير من تلاميذه أمثال: أحمد بن خالد بن الجباب وقاسم بن أصبغ (وهو أكثر تلاميذه رواية عنه)، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وغيرهم.

ابن وضاح يتراجع عن قراره، ويأخذ بنصيحة أحد المخلصين من تلامذته:

جاء عند محمد بن حارث الخشني في كتابه: «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس»: القصة التالية، التي تبرز بوضوح مدَى تعاطف ابن وضاح مع تلاميذه، وتبرز في الوقت نفسه مدَى ثقته بهم، وركونه إليهم، وترجيح آرائهم ـ أحياناً ـ على رأيه نفسه، قال أحمد بن خالد بن الجباب (من أبرز تلامذته):

«دخل عليَّ ابن وضاح يوماً، فقال لي: اقرأ هذا اللوح، فقرأته، فإذا به لامرأة من بنات الملوك، كتبت إليه تخطبه إلى نفسه، وتسأله نكاحها، قال: فقال لي: ما ترى؟ فقلت: ما أرى شيئاً من ذلك، فقال: إذ شبعت أنت، فما تبالي من جاع، والله لولا أيوب ابن أختي الذي يفتقدني كل ليلة بإدام، ما

ذقت إداماً ولا وجدته، فقلت: أي والله أبالي بك، وأغتمُّ بغمك، ولكن فكون مثلك إمام زمانه، صبرت إلى آخر عمرك تتزوج فلانة، وأنت تعرف أباها، ومسكنها، فيقول الناس: لم يكن ذلك الفعل احتساباً، فلما أمكنته الفرصة انتهزها. قال ففكر ساعة، ثم قال لي: صدقت - والله - ونصحت، وأنا آخذ بقولك.

من وصايا ابن وضاح لبعض تلاميذه:

قال وهب بن مسرة (من تلامذته):

«لما ودعت محمد بن وضاح، قلت: أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله تعالى، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفر من الناس، فإن الحسد من اثنين، والنميمة من اثنين، والواحد من هذا سليم.

جلالة ابن وضاح عند الأندلسيين:

لقد نال ابن وضاح إعجاب جميع الأندلسيين، ولا سيما الطبقة المثقفة منهم، فكانت كل طبقة من تلاميذه تفاخر الأخرى وتباهيها، وصار كل من لم تمكنه الفرصة للأخذ عنه والرواية عنه، بسبب تأخر سنه، يتحايل ويلف ويزور في سنه حتى يصدق فيما يدعيه ويزعمه من الرواية عن ابن وضاح، فهذا محمد ابن عبد الله بن عبد المؤمن المعلم، ادعى أنه عاش 116 ست عشرة سنة ومئة.

وقد مات سنة 386هـ بينما ابن وضاح مات سنة 287هـ، فبين وفاتيهما 99 تسع وتسعون سنة.

مقام ابن وضاح، ومنزلته عند تلامذته:

لقد نال ابن وضاح من الإعجاب، والإجلال، والإكبار، ما هو خليق به وجدير من جميع تلامذته، ونذكر فيما يلي نماذج من ذلك: كان أحمد بن خالد بن الجباب لا يقدم أحداً ممن أدرك بالأندلس عليه، مع التعظيم البالغ له وكان ابن أبي دليم يصفه بأنه إمام، ثبت وابن الزراد كان يصفه بكل فضيلة، مع اعتقاده أنه لم ير مثله عقلاً، وفهماً، وحفظ معاني الحديث، وحسن

الحكايات، وقد ترك الجلوس في دروس محمد بن عبد السلام الخشني؛ لأنه ظن أن الخشني يعرض بابن وضاح.

رحلة ابن وضاح إلى المشرق:

رحل ابن وضاح إلى المشرق رحلته الأولى، ولما يتجاوز عمره تسع أو ثماني عشرة سنة، ويجزم ابن الفرضي بأن رحلته هذه كانت سنة 218هـ، وتبعه في ذلك القاضي عياض وابن فرحون، أما ابن حارث الخشني فلم يكن متأكداً من سنة بعينها، مما تفيد عبارته التالية: «سمع ابن وضاح من فقهاء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق قبل سنة عشرين ومئتين».

ثم إننا نجدهم متفقين جميعاً على أن رحلته هذه كانت قبل رحلة قرينه ـ بقي بن مخلد ـ وأن قصده فيها لم يكن طلب الحديث وروايته، بل كان فقط الاتصال بالعباد والزهاد، فكان جل أخذه للرقائق، فلو وفق واتصل بشيوخ الرواية في المشرق لكان قد شارك البخاري، ومسلماً، وأبا داود وغيرهم من أصحاب الكتب الستة في أكثر شيوخهم.

ويظهر أن رحلة ابن وضاح هذه كانت قصيرة، ذلك لأن عدد شيوخه فيها عدد قليل لا يكاد يتجاوز أربعة عشر، ومن هنا نعتقد أن ما ذكره الدكتور حسين مؤنس من أن ابن وضاح «سمع فيها سماعاً كثيراً من عدد كبير من شيوخ الحديث» غير صحيح.

وكانت رحلته الثانية إلى المشرق بعد 230هـ وكان عدد شيوخه في هذه الرحلة (175) شيخاً أما البلدان التي رحل إليها هي: مكة والمدينة، وبيت المقدس، وطرابلس وحمص وحلب، ودمشق، وأيلة وطوسة، وحوران، وخراسان، وأنطاكية، وأذنة، وطرسوس، والمصيصة، وغزة، وهيت، والقلزم وعسقلان، ومصر، والكوفة وبغداد، وتاهرت والقيروان.

اتصال محمد بن وضاح
بشيوخ الحديث والرواية بدمشق

اتصل محمد بن وضاح القرطبي بعدد وافر من شيوخ الحديث والرواية، بدمشق، وشارك عصريه وبلديه بقي بن مخلد في سِتّة شيوخ.

فمن شيوخه بدمشق:

1 إبراهيم بن العلاء أبو إسحاق الدمشقي[1]

وهو والد إسحاق بن إبراهيم بن العلاء.

حدث عن: إسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، وشعيب بن إسحاق الدمشقي، والوليد بن مسلم وغيرهم.

حدث عنه: محمد بن وضاح القرطبي، وأبو داود، وإبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختُّليُّ وطائفة.

قال أبو حاتم: صدوق.

وقال أبو أحمد بن عدي: سمعت أحمد بن عُمير يقول: سمعت محمد بن عوف يقول: وذكرت له حديث إبراهيم بن العلاء عن بقية عن محمد بن زياد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ: «استعتبوا الخيلَ فإنها تُعتِب»[2] فقال: رأيته على ظهر كتابه مُلحقاً فأنكرته، فقلت له: فتركه.

قال ابن عوف: وهذا من عمل ابنه محمد بن إبراهيم، كان يسوّي الأحاديث، وأما أبوه فشيخ غير مُتَّهم، لم يكن يفعل من هذا شيئاً.

---

(1) تاريخ البخاري الكبير: 1/ 1/ 307؛ الجرح والتعديل: 1/ 1/ 121؛ تهذيب الكمال: 2/ 161.

(2) خبر لا يصح، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» ونسبه إلى ابن عدي وابن عساكر.

قال ابن عدي: وإبراهيم هذا حديثه عن إسماعيل بن عياش، وبقية وغيرهما مستقيم، ولم يُرْمَ إلا بهذا الحديث، ويشبه أن يكون من عمل ابنه كما ذكره ابن عوف.

مات سنة 235هـ.

2 سليمان بن عبد الرحمٰن بن عيسى بن ميمون التميمي[1] أبو أيوب الدمشقي، ابن بنت شرحبيل

الإمام العالم الحافظ محدث دمشق.. كان من فرسان الحديث[2] ولد سنة 152هـ.

روى عن: إسماعيل بن عياش، وبشر بن عون، وبقية بن الوليد، وسفيان بن عيينة، وسويد بن عبد العزيز، وعبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن كثير القارئ الدمشقي، ومحمد بن سعيد بن الفضل بن ثابت القرشي الدمشقي، والوليد بن مسلم، ويحيى بن حمزة الحضرمي...

روى عنه: البخاري، وأبو داود، ومحمد بن وضاح القرطبي، وجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، وسعد بن محمد البيروتي، وأبو زرعة عبد الرحمٰن بن عمرو الدمشقي وغيرهم.

قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن يحيى بن معين: ليس به بأس.

وقال عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: سألت يحيى بن معين عن أبي أيوب الدمشقي فقال: ليس به بأس، وهشام بن عمَّار أكيس منه.

---

(1) تاريخ البخاري الكبير: 4/الترجمة 1838؛ علل أحمد: 1/ 162؛ المعرفة والتاريخ: 1/ 209؛ تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 396؛ الجرح والتعديل: 4/الترجمة 559؛ سؤالات الحاكم للدارقطني رقم (339)؛ تذكرة الحفاظ: 2/ 438؛ ميزان الاعتدال: 2/الترجمة 3487؛ تهذيب الكمال: 12/ 26؛ تهذيب التهذيب: 4/ 207.

(2) سير أعلام النبلاء: 11/ 136.

وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: سمعت يحيى بن معين يقول: هشام بن عمَّار كيِّس، قال أبو داود: وابو أيوب ـ يعني سليمان بن بنت شرحبيل ـ خير منه ـ يعني من هشام ـ حدث هشام بأرجح من أربع مئة حديث ليس لها أصل مسندة كلها، كان فَضلَكُ[1] يدور على أحاديث أبي مسهر وغيره يلقنها هشام بن عمَّار.

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ثقة إذا روى عن المعروفين.

وقال يعقوب بن سفيان: كان صحيح الكتاب إلا أنه كان يُحوِّل، فإن وقع فيه شيء فمن النقل، وسليمان ثقة.

وقال النسائي: صدوق.

وقال ابن حبان: يعتبر حديثه إذا روى عن الثقات المشاهير، فأما إذا روى عن المجاهيل ففيها مناكير.

وقال الحاكم أبو عبد الله: قلت للدارقطني: سليمان بن عبد الرحمٰن؟ قال: ثقة. قلت: أليس عنده مناكير؟ قال: حدَّث بها عن قوم ضَعْفَى، فأما هو فثقة.

وقال أحمد بن عمير بن جوصا: سمعت إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني يقول: كنا عند أبي أيوب سليمان بن عبد الرحمٰن الدمشقي فلم يأذن للناس أياماً، فلما دخلنا عليه واستزدناه قال: بلغني ورود هذا الغلام الرَّازي ـ يعني أبا زرعة ـ فدرست للالتقاء به ثلاث مئة ألف حديث.

علق الذهبي على قوله: قلت: هو في نفسه صدوق، لكنه لَهِج برواية الغرائب عن المجاهيل والضعفاء.

مات: سنة 232هـ.

---

(1) هو: الحافظ أبو بكر الفضل بن العباس الرازي الصائغ.

3 صفوان بن صالح أبو عبد الملك الدمشقي

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

4 عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عمرو دُحَيْم

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

5 عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

6 محمد بن الخليل بن حماد بن سليمان الخشني(1) أبو عبد الله الدمشقي البَلَاطي

والبلاط، قرية بالقرب من دمشق.

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

والبلاط، قرية بالقرب من دمشق.

روى عن: إسماعيل بن عياش، وسويد بن عبد العزيز، وشعيب بن إسحاق الدمشقي، ومسلمة بن علي الخشني، وغيرهم.

روى عنه: النسائي، ومحمد بن وضاح القرطبي، وأبو حاتم الرازي، ومحمد بن علي بن طرخان، وخلق.

قال أبو حاتم: شيخ.

وقال النسائي: لا بأس به.

---

(1) الجرح والتعديل: 7/الترجمة 1361؛ المعجم المشتمل: الترجمة 815؛ تهذيب الكمال: 25/ 166؛ تهذيب التهذيب: 9/ 150؛ والتقريب: 2/ 159؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 6198.

7 محمد بن عائذ بن أحمد أبو عبد الله الدمشقي[1]

الإمام المؤرخ الصادق، صاحب المغازي[2].

ولد سنة 150هـ.

سمع من: إسماعيل بن عياش، والهيثم بن حميد، ويحيى بن حمزة، وسويد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، وخلق سواهم.

روى عنه: أحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن وضاح القرطبي، ويعقوب الفسوي، وأبو زرعة النصري، ومحمود بن سميع، ويزيد بن عبد الصمد، وآخرون.

قال إبراهيم بن الجنيد: سألت يحيى بن معين عن محمد بن عائذ، فقال: الكاتب ثقة.

وقال أبو زرعة: سألت دُحيماً عنه، فقال: صدوق.

وقال أبو زرعة الدمشقي: سألت يحيى بن معين عنه: تراه موضعاً للأخذ؟ قال: نعم، قلت: وهو يعمل على الخراج؟ قال: نعم.

وذكره أبو زرعة الدمشقي في أهل الفتوى بدمشق.

وقال صالح بن محمد جزرة: ثقة، إلا أنه قدري.

قال أبو داود: محمد بن عائذ كما شاء الله، قال لي يوماً: ايش تكتب عني!؟ أنا أتعلم منك.

وقال النسائي في «الكنى» أبو أحمد محمد بن عائذ ليس به بأس، وكناه في موضع آخر أبا عبد الله، وهو المحفوظ.

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات».

مات سنة 233هـ.

---

(1) تاريخ البخاري الكبير: 1/الترجمة 648؛ تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 288؛ الجرح والتعديل: 7/الترجمة 237؛ ثقات ابن حبان: 9/ 75؛ تهذيب الكمال: 25/ 427؛ ميزان الاعتدال: 3/الترجمة 7724؛ تهذيب التهذيب: 9/ 241؛ التقريب: 2/ 173؛ خلاصة الخزرجي: 2/الترجمة 6334؛ شذرات الذهب: 2/ 78.

(2) سير أعلام النبلاء: 11/ 104.

8 محمود بن خالد بن أبي خالد السلمي أبو علي الدمشقي

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

9 هشام بن خالد الأزرق القرشي أبو مروان الدمشقي

تقدمت ترجمته فيمن روى عنهم بقي بن مخلد.

10 هشام بن عمَّار بن نصير أبو الوليد السلمي الدمشقي[1]

الإمام الحافظ العلامة المقرئ، عالم أهل الشام.. خطيب دمشق[2] ولد سنة 153هـ.

روى عن: إبراهيم بن أعين، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وسويد بن عبد العزيز وعبد الله بن الحارث الجمحي، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، ومالك بن أنس، وآخرون.

روى عنه: البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، ومحمد بن وضاح القرطبي، وأبو زرعة الدمشقي، وخلق كثير.

ذكره محمد بن سعد في الطبقة السابعة من أهل الشام.

---

(1) طبقات ابن سعد: 7/ 473؛ سؤالات ابن الجنيد: الترجمة: 555؛ تاريخ البخاري الكبير: 8/ الترجمة 2701؛ الجرح والتعديل: 9/ الترجمة 255؛ ثقات ابن حبان: 9/ 233؛ تذكرة الحفاظ: 2/ 451؛ سير أعلام النبلاء: 11/ 420؛ تهذيب الكمال: 30/ 242؛ ميزان الاعتدال: 4/ الترجمة 9234؛ تهذيب التهذيب: 11/ 51؛ التقريب: 2/ 320؛ خلاصة الخزرجي: 3/ الترجمة 76 ـ 86.

(2) سير أعلام النبلاء: 11/ 420.

وقال معاوية بن صالح وإبراهيم بن الجنيد عن يحيى بن معين: ثقة.

وقال النسائي: لا بأس به.

وقال الدارقطني: صدوق، كبير المحل.

قال أبو أحمد بن عدي: سمعت قسطنطين بن عبد الله الرومي مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين يقول: حضرت مجلس هشام بن عمار، فقال له المستملي: من ذكرت؟ فقال: حدثنا بعض مشايخنا، ثم نَعس، ثم قال له: من ذكرت؟ فنعس، فقال المستملي: لا تنتفعوا به، فجمعوا له شيئاً فأعطوه فكان بعد ذلك يملي عليهم حتى يَمَلُّوا.

وقال أبو بكر محمد بن أحمد بن راشد بن معدان الأصبهاني: سمعت محمد بن مسلم بن وارة الرازي يقول: عزمت زماناً أن أمسك عن حديث هشام بن عمَّار؛ لأنه كان يبيع الحديث.

وقال صالح بن محمد الأسدي: كان هشام بن عمار يأخذ على الحديث، ولا يحدث ما لم يأخذ، فدخلت عليه يوماً فقال: يا أبا علي حدثني بحديث لعلي بن الجعد، فقلت: حدثنا ابن الجعد، قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: علِّم مجاناً كما عُلِّمت مجاناً، قال: تعرضت بي يا أبا علي؟ فقلت: ما تعرضت بك، بل قصدتك.

وقال أبو بكر محمد بن سليمان الرَّبَعي عن محمد بن الفيض الغساني: سمعت هشام بن عمَّار بن نصير يقول: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً، وجهزني للحج، فلما صرت إلى المدينة، أتيت مجلس مالك بن أنس، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسألونه وهو يجيبهم، فلما انقضى المجلس، قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عن ما معك، فقلت له: يا أبا عبد الله ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام احمله! فحملني كما يحمل الصبي وأنا يومئذٍ غلام مدرك فضربني بدِرَّةٍ مثل درَّة المعلمين سبع عشرة درة، فوقفت أبكي، فقال لي مالك بن أنس: ما يبكيك؟ أوجعتك هذه؛ يعني الدِّرة؟ قلت: إن أبي باع منزله ووجه بي أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتني، فقال: أكتب،

فحدثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني.

وقال يعقوب بن إسحاق بن محمود الهروي عن صالح بن محمد الحافظ: سمعت هشام بن عمَّار يقول: دخلت على مالك بن أنس، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ: فقلت: لا بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام تعال اذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي فضربني خمس عشرة دِرَّة ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لقد ظلمتني، ضربتني خمس عشرة دِرَّة بغير جُرْم، لا أجعلك في حِلٍّ، فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثاً، قال: فحدثني بخمسة عشر حديثاً، فقلت له: زِد من الضرب، وزد في الحديث، قال: فضحك مالك، وقال: اذهب.

وعن أبي بكر محمد بن خُريم الخُريمي: سمعت هشام بن عمَّار يقول في خطبته: قولوا الحقَّ، ينزلكم الحقَّ منازل أهلِ الحقِّ يوم لا يقضى إلا بالحق.

وكان هشام بن عمَّار إذا مشى أطرق إلى الأرض لا يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله ﷻ.

مات سنة 245هـ.

الفصل الثاني

رواية المغاربة عن مشاهير أعلام بيوتات الحديث بدمشق

رواية المغاربة عن مشاهير أعلام بيوتات الحديث بدمشق

عرفت مدينة دمشق بيوتات علمية عريقة شهيرة رفيعة، قد أنجبت جمعاً من العلماء الأجلاء، والمحدثين الفضلاء، وقد تسلسل في كثير من هذه البيوت أهل العلم والفضل[1].

وكانت هذه البيوتات كطاقة الزهر المتنوعة، أو قل عقداً فريداً حوى كل جوهرة نادرة لا تشبه أختها تمام الشبه، وكان بين هذه البيوتات تنافس على العلم والأخذ بأسبابه، فرفع الله ذكرها وجعل لها قدراً.

ولعل أحدنا يتساءل فيقول: ما أسباب ظهور هذه البيوتات الكبيرة؟

ولماذا حظيت دمشق بهذا العدد الكثير من بيوتات العلم والحديث؟

أما أسباب ظهور هذه البيوتات فيمكن إجمالها في أربعة أسباب:

1 ـ حرص الآباء على تنشئة أبنائهم على العلم.

2 ـ تأثر الأبناء بالبيئة العلمية داخل أسرهم.

3 ـ نظام توارث الوظائف الدينية الذي كان معمولاً به، وقد استمر تأثير هذا النظام في ظهور بيوتات العلم وتتابعها في بلاد الشام حتى نهاية الخلافة العثمانية في أوائل القرن العشرين.

4 ـ نظام الوقف حيث كان الأمراء يُعيِّنون المدرسين في مدارسهم التي يبنونها، ويجعلون التدريس وقفاً لهؤلاء المدرسين وأبنائهم من بعدهم إذا استوفى هؤلاء الأبناء الشروط المؤهلة للتدريس، وإلا انتقلت الوظيفة إلى أكفأ الموجدين بالبلد.

---

(1) للتوسع راجع كتابي (بيوتات الحديث بدمشق)، ط1، دار الفكر، دمشق.

أما لماذا حظيت مدينة دمشق بهذا العدد الكثير من بيوتات العلم؟ فهذا يرجع إلى النهضة العلمية التي شهدتها دمشق، وأسباب ذلك متعددة من أهمها:

1 ـ كثرة المساجد والمدارس ودور الحديث.

2 ـ اعتناء الملوك بأصحاب بيوتات العلم وبناء المدارس لهم.

ولقد استقطبت مدينة دمشق من المشرق والمغرب علماء وطلاب علم قصدوها لما فيها من بيوتات العلم والحديث، علموا الناس، وكانوا لهم قدوة صالحة، وأرشدوهم ووجهوهم، دخلوا دورهم، عاشوا معهم، أثروا في كل قلب نابض فيهم، فأحبهم الناس حباً جمّاً، ورفعوا أقدارهم.

ويهدف هذا الفصل إلى إبراز بيوتات الحديث التي قصدها المغاربة ورووا الحديث عن مشاهير أعلامها، وكبار الحفاظ بها، من هذه البيوتات الحديثية:

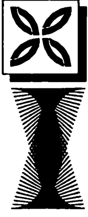
1 ـ بيوتات المقادسة.

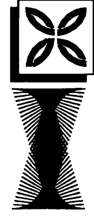
2 ـ بيت آل عساكر.

3 ـ بيت الخشوعي.

4 ـ بيت ابن الحرستاني.

5 ـ بيت ابن صصرى.





رواية المغاربة عن أعلام بيوتات المقادسة بسفح قاسيون

أكثر المغاربة الرواية عن المقادسة، وتحملوا مشاق السفر للرحلة إليهم بسفح قاسيون، من ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي:

«قال الضياء المقدسي: سمعت الزاهد أحمد بن سلامة النجار حدثنا الفقيه عبد الرزاق بن أبي الفهم: أن رجلاً مغربياً جاء إلى دمشق فسأل عن جبل قاسيون فدلَّ عليه، فجاء إلى الشيخ أبي عمر فقال: «ما قدمت من المغرب إلا لزيارتك»[1].

وإليك تراجم أعلام المقادسة الذين روى عنهم المغاربة، ثم أتبعهم بتراجم مختصر للأعلام المغاربة الذين أخذوا عنهم الحديث.

أولاً: رواية المغاربة الحديث عن نصر بن إبراهيم المقدسي (ت490هـ)

ـ ترجمته:

الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ القُدوة المحدِّث، مفيدُ الشَّام، شيخُ الإسلام، أبو الفَتح نصرُ بنُ إبراهيم بنِ نَصر بنِ إبراهيم بنِ داود النَّابُلُسِيُّ المَقْدِسِيُّ[2] الفَقيه الشافعيّ، صاحبُ التصانيف والأمالي.

---

(1) تاريخ الإسلام (حوادث = 607) ص(254).

(2) تاريخ ابن عساكر: 17/ 269؛ معجم ابن الأبار: 199؛ تهذيب الأسماء: 2/ 125؛ دول الإسلام: 2/ 19؛ العبر: 3/ 329؛ سير أعلام النبلاء: 19/ 136؛ عيون التواريخ: 13/ 78؛ مرآة الجنان: 3/ 152؛ طبقات السبكي: 5/ 351؛ طبقات الإسنوي: 2/ 389؛ النجوم الزاهرة: 5/ 160؛ الأنس الجليل: 254؛ طبقات ابن هداية الله: 181؛ شذرات الذهب: 3/ 395؛ منتخبات التواريخ لدمشق: 469.

وُلِدَ قبلَ سنةِ عشرٍ وأربعِ مئة، وارتَحل إلى دَمشق قبل الثَلاثين، فسمع «صحيحَ» البخاري من أبي الحَسن بن السَّمْسار، صاحِب الفَقيه أبي زَيد المَرْوَزِي، وسَمِعَ من عبد الرحمٰن بن الطُّبَيز[1]، وأبي الحسن محمد بن عَوف المُزَني، وابن سَلْوان المازِني، وطَبقتهم، وسَمِعَ من هِبة الله بنِ سُليمان، وغيرِه.

لحقه أبو حامِد الغَزالي، وتفقَّه به، وناظره، وكان يُشغل في جامع دِمشق في الزّاوية الغَربيةِ الملقَّبَةِ بالغزالية.

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: قَدِمَ دمشقَ سنة ثمانين وأربع مئة، فأقام بها يُدرِّسُ المذهبَ إلى أن مات، ويروي الحديث، وكان فَقيهاً، إماماً، زَاهداً، عامِلاً، لم يَقْبَلْ صِلةً مِن أحد بدمشق، بل كانَ يقتاتُ من غَلَّةٍ تُحمل إليه من أرض نَابُلُس، فَيخْبِزُ له كُلَّ يومٍ قُرْصَة في جانب الكانون. حكى لنا ناصرٌ النجار ـ وكان يَخدمه ـ مِن زُهده وتَقلُّلِه وتَركه الشَّهوات أشياءَ عجيبة.

قال غيثُ بنُ علي الأرْمَنازِيّ: سمعتُ الفقيه نصراً يقول: دَرَسْتُ على الفقيه سُليم الرازي من سنةِ سبع وثلاثين وأربع مئة إلى سنة أربعين، ما فاتني منها درسٌ، ولا وَجِعْتُ إلا يوماً واحداً، وعُوفيت. وسألتُه في كَم التَّعليقة التي صنَّفها؟ قال: في نحوِ ثلاثِ مئةِ جُزء، ما كتبتُ منها حرفاً إلا وأنا على وُضوء، أو كما قال.

قال: وسمعتُ مَنْ يَحْكي أنَّ الملكَ تاجَ الدَّولة تُتُش بن ألْب أَرْسلان زار الفقيهَ نصراً يوماً، فلم يَقُمْ له، ولا التفتَ إليه، وكذا ابنُه الملك دُقَاق، فسأله عن أَحَلِّ الأموال التي يتصرَّفُ فيها السُّلطان، قال: أحلُّها أموالُ الجِزْية، فقام مِن عنده، وأرسل إليه بمَبلغ، وقال: هذا من الجِزية، فَفَرِّقْه على الأَصْحاب، فلم يقبلْه، وقال: لا حاجةَ بنا إليه، فلما ذهب

---

(1) هو: الشيخ المعمر المسند أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد العزيز بن أحمد الحلبي السراج المشهور بابن الطبيز (المتوفى سنة 431هـ) انظر «مشتبه المؤلف» 2/ 418؛ وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي: 2/ 122.

الرسولُ، لامه الفقيهُ نصر المِصِّيصي، وقال: قد عَلِمْتَ حاجتَنا إليه، فقال: لا تَجْزَع مِن فَواته، فسوف يأتيك من الدُّنيا ما يَكفيك فيما بعد، فكان كما تَفرَّس فيه.

قال الحافظُ ابنُ عساكر: كان رَحِمَهُ اللهُ على طريقةٍ واحدة من الزُّهد والتَّنَزُّهِ عن الدنيا والتقشُّف، حكى لي بعضُ أهل العلم قال: صحبتُ إمام الحرمين بخُراسان، والشيخَ أبا إسحاق بِبَغداد، فكان طريقَةُ عندي أفضلَ من طريقةِ إمامِ الحَرَمَين، ثم قَدِمْتُ الشام، فرأيتُ الفَقيه أبا الفَتح، فكانت طريقَتُه أحسنَ مِن طَرِيقَتَيْهما.

قلتُ: كان الفَقيهُ نصرٌ يُعرف أيضاً بابن أبي حائِط، ألَّفَ كتاب «الانتِخاب الدِّمشقي» في بِضعة عَشر مجلداً، وله «(التَّهذيب» في المَذْهب، في عَشرة أسفار، وله كتاب «الكافي» في المَذْهب، مجلد، ما فيه أقوال ولا وجوه. وعاشَ نَيِّفاً وثمانين سَنة، رحمه الله ودُفن بمقبرة باب الصَّغير.

روى عنه من المغاربة:

1 ـ علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري ميورقي (ت474هـ)[1]

روى بالأندلس عن أبي الحسن بن عبد الغني الحصري، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي محمد غانم بن وليد، ورحل وأخذ بدمشق عن أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن الكناني، وتدبج معه، وأبي نصر بن طلاب.

وقدم بغداد فأخذ بها عن الخطيب البغدادي وتدبج معه.

وكان محدثاً مكثراً، عدلاً ثقة حافظاً للغة ضابطاً لها، قال أبو غالب الماوردي: قدم علينا البصرة ثم خرج إلى عمان، ولقيته بمكة سنة ثلاث وسبعين، ثم عاد إلى البصرة على أن يقيم بها، فلما وصل إلى بابها وقع عن الجمل فمات، وذلك سنة أربع وسبعين، قاله ابن عساكر عنه.

---

(1) الذيل والتكملة: 3/ 164.

2 ـ أبو علي الصدفي ـ المعروف ـ بابن سكرة (ت514هـ)

وردت ترجمته في «نفح الطيب»[1]: «هو حسين بن محمد بن فِيرُّه بن حَيّون، ويعرف بابن سُكّرة، وهو من أهل سَرَقُسْطَة، سكن مُرْسِية، وروى بسَرَقُسْطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل وغيرهما، وسمع بَبَلَنْسِيَةَ من أبي العباس العذري، وسمع بالمرِيّة من أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما، ورحل إلى المشرق أول المحرم من سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وحج من عامه، ولقي بمكّة ابا عبد الله الحسن بن علي الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما، ثم سار إلى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكي وأبا العباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم، وخرج إلى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره، ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة، وسمع بها من أبي الفضل بن خَيْرُون مُسْنِدِ بغداد، ومن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وطراد الزينبي، والحميدي، وغيرهم، وتفقّه عند أبي بكر الشاشي وغيره، ثم رحل منها سنة سبع وثمانين، فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج الأسفراييني وغيرهما، وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخِلَعي وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي، وأجاز له الحبال مُسْنِد مصر في وقته ومكثرها، وسمع بالإسكندريّة من أبي القاسم الوراق وشعيب بن سعيد وغيرهما، ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربعمائة، وقصد مُرْسِية، فاستوطنها، وقعد يُحَدّث الناس بجامعها، ورحل الناس من البلدان إليه، وكثر سماعهم عليه، وكان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلله، وأسماء رجاله ونَقَلَته، وكان حسن الخط جيّد الضبط، وكتب بخطّه علماً كثيراً، وقَيّده، وكان حافظاً لمصنّفات الحديث، قائماً عليها، ذاكراً لمتونها وأسانيدها

---

(1) ج2/ 90 ـ 93؛ وله ترجمة في: الصلة: 143؛ تهذيب ابن عساكر: 4/ 359؛ تذكرة الحفاظ: 1253؛ وفي أصحابه ألّف ابن الأبار «المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي».

ورُواتها، وكتب منها «صحيح البخاري» في سِفْر، و«صحيح مسلم» في سِفْر، وكان قائماً على الكتابين مع مُصَنّف أبي عيسى الترمذي، وكان فاضلاً دَيِّناً متواضعاً حلوماً وقوراً عالماً عاملاً، واستُقضي بمُرسِية، ثم استعفى فأُعفي، وأقبل على نَشْر العلم وبَثّه.

وقد ذكره أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه لدخوله الشام، قال: وبعد أن استقرت به النوى، واستمرت إفادته بما قيّد ورَوَى، رفعته ملوك أوانه، وشَفّعتْه في مطالب إخوانه، فأوسعته رعياً، وأحسنت فيه رأياً، ومن أبنائهم من جعل يقصده، لسماع يُسْنِده، وعلى وقاره الذي كان به يُعرف، نَدَر له مع بعضهم ما يُستطرف، وهو أن فَتًى يسمى يوسف لازم مجلسه، معطراً رائحته ومنظفاً مَلْبَسه، ثم غاب لمرض قطعه، أو شغل منعه، ولمّا فرغ أو أبلّ، عاود ذلك النادي المبارك والمحلّ، وقبل إفضائه إليه، دلّ طيبُه عليه، فقال الشيخ على سلامته من المجون، وخَلاصه من الفتون: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94] وهي من طُرَف نوادره رحمة الله عليه.

ولمّا قُلّد قضاء مُرْسِية وعزم عليه صاحب الأمر فيه فرَّ إلى المرية فأقام بها سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة، وفي سنة ست قَبِلَ قضاءها على كره إلى أن استخفى آخر سنة سبع في قصّة يطول إيرادها، وبطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها، فلمّا كانت وقعة كُتَنْدَةَ كان ممّن حضرها ففُقِد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة، رحمه الله تعالى.

وقال القاضي عياض: ولقد حدّثني الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر أنّه قال له: خذ الصحيح، واذكر أيَّ متن شئت منه أذكر لك سنده، أو أيَّ سند شئت أذكر لك متنه، انتهى.

3 ـ علي بن القاسم بن محمد أبو الحسن التميمي (ت519هـ)(1)

قدم دمشق، وسمع بها «صحيح البخاري» من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، وخرج إلى العراق، وقرأ على أبي عبد الله محمد بن عتيق

(1) تاريخ ابن عساكر: 12/ 492؛ تكملة مختصر تاريخ دمشق: 4/ 160.

القيرواني، ولقي الأئمة، ثم عاد إلى دمشق، وأكرمه رئيسها أبو الداود المفرج بن الصوفي، قرئ عليه من كتب الأصول بعدما كان قد قرأه على القيرواني، قال ابن عساكر: لم أجالسه، ولم أسمع منه شيئاً، وكان يذكر عنه أنه كان يعمل كيمياء الفضة، ورأيت له تصنيفاً في الأصول سماه: كتاب «تنزيه الإلهية وكشف فضائح المشبهة الحشوية».

4 ـ أبو بكر بن العربي (ت543هـ)[1]

الإمامُ العلامةُ الحافظُ القاضي، أبو بكر، محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمد بن عبد الله، ابنُ العربي الأندلسيُّ الإشبيليُّ المالكي، صاحبُ التصانيف.

سأله ابنُ بَشْكُوال عن مولِدِه، فقال: في سنةِ ثمانٍ وستين وأربع مئة.

سمع من خالِهِ الحسنِ بنِ عُمر الهَوْزَنيّ وطائفةٍ بالأندلس.

وكان أبوه أبو محمدٍ من كبارِ أصحاب أبي محمد بن حزم الظّاهري بخلاف ابنِهِ القاضي أبي بكر، فإنَّه مُنافِرٌ لابنِ حزم، مُحِطٌّ عليه بنفسٍ ثائرة.

ارتحل مع أبيه، وسمعا ببغداد من طِرَاد بنِ محمدٍ الزَّينبي، وأبي عبد الله النِّعَالي، وأبي الخطَّاب ابنِ البَطِر، وَجَعْفَرٍ السَّرّاج، وابنِ الطُّيُوري، وخلقٍ، وبدمشق من الفقيهِ نصرِ بنِ إبراهيم المَقْدِسِي، وأبي الفضل بنِ الفُرات، وطائفة، وببيتِ المقدس من مكّي بنِ عبد السلام الرُّمَيليِّ، وبالحرم الشريف من الحُسين بنِ علي الفقيهِ الطَّبريِّ، وبمصر من القاضي أبي الحسن الخِلَعي، ومحمدِ بنِ عبدِ الله بنِ داود الفارسي وغيرِهِما.

---

(1) مطمح الأنفس: 71 ـ 73؛ الصلة: 2/ 590؛ بغية الملتمس: (179)؛ الغنية: (10)؛ المغرب في حلى المغرب: 1/ 254؛ وفيات الأعيان: 4/ 296؛ السير: 20/ 197؛ العبر: 4/ 125؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 1294؛ دول الإسلام: 2/ 61؛ الوافي بالوفيات: 3/ 330؛ مرآة الجنان: 3/ 279؛ البداية والنهاية: 12/ 228؛ المرقبة العليا: 105 ـ 107؛ الديباج المذهب: 2/ 252؛ النجوم الزاهرة: 5/ 302؛ جذوة المقتبس: 160؛ أزهار الرياض: 3/ 62؛ نفح الطيب: 2/ 25 ـ 43؛ شذرات الذهب: 4/ 141؛ سلوة الأنفاس: 3/ 198.

وَتَفَقَّهَ بالإِمامِ أبي حامدٍ الغزَّالي، والفقيهِ أبي بكرٍ الشاشي، والعلامةِ الأديب أبي زكريا التِّبريزيِّ، وجماعة.

وذكر أبو القاسم بنُ عساكر أنه سَمِعَ بدمشقَ أيضاً من أبي البركات ابنِ طاوس، والشريفِ النسيب، وأنه سَمِعَ منه عبدُ الرحمٰن بنُ صابر، وأخوه، وأحمدُ بنُ سلامة الأبَّار، ورجع إلى الأندلس في سنةٍ إحدى وتسعين وأربع مئة.

قال الإمام الذهبي: «قلتُ: رجع إلى الأندلس بَعْدَ أن دفنَ أباهُ في رحلَتِهِ ـ أظنُّ ببيتِ المَقْدس ـ وصنَّف، وجمع، وفي فنون العلم بَرَعَ، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً.

واشتهر اسمُهُ، وكان رئيساً مُحتشماً، وافرَ الأموال بحيث أنشأ على إشبيلية سوراً من ماله.

وكان ثاقبَ الذهن، عذبَ المَنطِقِ، كريمَ الشمائل، كاملَ السُّؤدُد، ولي قضاءَ إشبيلية، فَحُمِدَتْ سياسَتُهُ، وكان ذا شِدَّةٍ وسطوة، فعُزِلَ، وأقبل على نشرِ العلم وتدوينِهِ».

وصفه ابنُ بَشْكُوال بأكثر من هذا، وقال: أَخبرني أنَّه ارتحلَ إلى المشرقِ في سنة خمسٍ وثمانين وأربع مئة، وسمعتُ منه بقُرطبة وبإشبيلية كثيراً.

وقال غيرُه: كان أبوه رئيساً وزيراً عالماً أديباً شاعراً ماهراً، اتفق موتُه بمصرَ في أول سنة ثلاثٍ وتسعين، فرجع ابنُه إلى الأندلس.

قال أبو بكر محمدُ بنُ طرخان: قال لي أبو محمد بنُ العربي: صحبتُ ابنَ حزم سبعةَ أعوام، وسمعتُ منه جميعَ مُصنَّفاته سوى المُجَلَّدِ الأخيرِ من كتاب «الفِصَل» وقرأنا من كتاب «الإِيصال» له اربع مجلدات، ولم يَفُتني شيءٌ من تواليفه سوى هذا.

كان القاضي أبو بكر ممن يُقالُ: إنه بلغ رُتبة الاجتهاد.

قال الإمام الذهبي: قرأت بخط ابنِ مَسْدي في «مُعجمه»، أخبرنا أحمدُ بنُ محمد بنِ مُفرج النَّبَاتيُّ، سمعتُ ابنَ الجَدِّ الحافظَ وغيرَه يقولُون: حضر فُقهاءُ إشبيلية: أبو بكر بنُ المُرَجّى وفلان وفلان، وحضَر معهم ابنُ العَربي، فتذاكروا حديثَ المِغْفَر، فقال ابنُ المُرَجّى: لا يُعرفُ إلا مِن حديث

مالكٍ عن الزُّهري. فقال ابنُ العربي: قد رويتُه من ثلاثةَ عشرَ طريقاً غير طريق مالك. فقالوا: أفِدْنا هذا. فوعدَهُم، ولم يُخرج لهم شيئاً، وفي ذلك يقولُ خلَفُ بنُ خير الأديب:.

يا أهلَ حِمْصَ ومَنْ بِهَا أُوصيكُمُ ... بالبِرِّ والتقوى وصيَّةَ مُشْفِقِ
فخُذُوا عن العَرَبيِّ أسمارَ الدُّجى ... وخُذُوا الرِّوايةَ عن إمامٍ مُتَّقِ
إنَّ الفَتى حُلْوُ الكَلامِ مَهذَّبٌ ... إنْ لم يَجِدْ خَبَراً صحيحاً يَخْلُقِ

علق الإمام الذهبي على ذلك فقال: «قلت: هذه حكاية ساذجةٌ لا تدلُّ على تَعمُّد، ولعل القاضي رَحِمَهُ اللهُ وَهِمَ، وسرى ذهنُه إلى حديثٍ آخر، والشاعرُ يخلُقُ الإفكَ، ولم أَنْقُمْ على القاضي رَحِمَهُ اللهُ إلا إقذاعَه في ذَمِّ ابنِ حزم واستجهالَه له، وابنُ حزم أوسعُ دائرةً من أبي بكرٍ في العُلُومِ، وأحفَظُ بكثير، وقد أصابَ في أشياءَ وأجاد، وَزَلَق في مضايقَ كغيرِه من الأئمة، والإنصافُ عزيز.

ثانياً: رواية المغاربة الحديث عن:

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت620هـ)

ـ ترجمته:

ـ ترجم له ابن رجب الحنبلي في «ذيل طبقات الحنابلة»(1).

ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل، ووهم الدبيثي في ذكر مولده.

وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، فقرأ القرآن، وحفظ مختصر الخرقي، واشتغل، وسمع من والده، وأبي المكارم بن هلال، وأبي المعالي بن صابر وغيرهم.

ورحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني سنة إحدى وستين،

---

(1) ج2/ 133 ـ 149 ـ وتكملة المنذري 3/ الترجمة: 1944 ـ وذيل الروضتين: 139. تلخيص ابن الفوطي 5/ الترجمة: 1962 ـ تاريخ الإسلام للذهبي ـ وفيات: (620) ـ المختصر المحتاج إليه: 2/ 134 ـ دول الإسلام 2/ 93 ـ فوات الوفيات 1/ 433 عقد الجمان 17/ 440 ـ التاج المكلل: 229 ـ السير 22/ 165.

وسمعا الكثير من هبة الله الدقاق، وابن البطي، وسعد الله الدجاجي، والشيخ عبد القادر، وابن تاج الفراء، وابن شافع، وأبي زرعة، ويحيى بن ثابت، والمبارك ابن خضير، وأبي بكر بن النقور، وشُهد، وخلق كثير، وسمع بمكة من المبارك ابن الطباخ، وبالموصل من خطيبها أبي الفضل.

وأقام عند الشيخ عبد القادر بمدرسته مدة يسيرة، فقرأ عليه من الخرقي، ثم توفي الشيخ، فلازم أبا الفتح بن المنى، وقرأ عليه المذهب، والخلاف والأصول حتى برع، وأقام ببغداد نحواً من أربع سنين. هكذا ذكره الضياء، عن أمه، وهي أخت الشيخ، ثم رجع إلى دمشق، ثم عاد إلى بغداد سنة سبع وستين. كذا قال سبط ابن الجوزي.

وذكر الناصح ابن الحنبلي: أنه حج سنة أربع وسبعين، ورجع مع وفد العراق إلى بغداد، وأقام بها سنة، فسمع درس ابن المنى، قال: وكنت أنا قد دخلت بغداد سنة اثنتين وسبعين، واشتغلنا جميعاً على الشيخ أبي الفتح بن المنى، ثم رجع إلى دمشق، واشتغل بتصنيف «المغني» في شرح الخرقي، فبلغ الأمل في إتمامه، وهو كتاب بليغ في المذهب، عشر مجلدات، تعب عليه، وأجاد فيه وجمل به المذهب.

وقرأه عليه جماعة، وانتفع بعلمه طائفة كثيرة، قال: ومشى على سمت أبيه وأخيه في الخير والعبادة، وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم.

وقال سبط ابن الجوزي: كان إماماً في فنون، ولم يكن في زمانه ـ بعد أخيه أبي عمر والعماد ـ أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا وأهلها هيناً ليناً متواضعاً، محباً للمساكين حسن الأخلاق، جواداً سخياً. من رآه كأنه رأى بعض الصحابة. وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كل يوم وليلة سُبعاً من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته، اتباعاً للسنة، وكان يحضر مجالسي دائماً في جامع دمشق وقاسيون.

وقال أيضاً: شاهدت من الشيخ أبي عمر، وأخيه الموفق، ونسيبه العماد: ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالهم أهلي وأوطاني، ثم عدت إليهم على نية الإقامة، عسى أن أكون معهم في دار المقامة.

وقال ابن النجار: كان الشيخ موفق الدين إمام الحنابلة بالجامع. وكان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل، كامل العقل، شديد التثبت، دائم السكوت، حسن السمت، نزهاً ورعاً عابداً على قانون السلف، على وجهه النور، وعليه الوقار والهيبة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه، صنف التصانيف المليحة في المذهب والخلاف، وقصده التلامذة والأصحاب، وسار اسمه في البلاد واشتهر ذكره. وكان حسن المعرفة بالحديث، وله يد في علم العربية.

وقال عمر بن الحاجب الحافظ في معجمه: هو إمام الأئمة، ومفتي الأمة. خصه الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر، والعلم الكامل. طنت في ذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار. قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية. فأما الحديث: فهو سابق فرسانه. وأما الفقه: فهو فارس ميدانه، أعرف الناس بالفتيا. وله المؤلفات الغزيرة. وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضع عند الخاصة والعامة، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار. وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير. وصار في آخر عمره يقصده كل أحد. وكان كثير العبادة دائم التهجد، لم ير مثله، ولم ير مثل نفسه.

وقال أبو شامة: كان شيخ الحنابلة موفق الدين إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين في العلم والعمل. صنف كتباً حساناً في الفقه وغيره، عارفاً بمعاني الأخبار والآثار. سمعت عليه أشياء. وكان بعد موت أخيه أبي عمر هو الذي يؤم بالجامع المظفري، ويخطب يوم الجمعة إذا حضر. فإن لم يحضر فعبد الله بن أبي عمر هو الخطيب والإمام. وأما بمحراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلي فيه الموفق إذا كان حاضراً في البلد، وإذا مضى إلى الجبل صلى العماد أخو عبد الغني، وبعد موت العماد: كان يصلي فيه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الغني، ما لم يحضر الموفق وكان بين العشائين يتنفل حذاء المحراب. وجاءه مرة الملك العزيز ابن العادل يزوره، فصادفه يصلي، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته. ثم اجتمع به ولم يتجوز في صلاته. وكان إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضي إلى بيته بالرصيف، ومعه من فقراء الحلقة من قدره الله تعالى: فيقدم لهم ما تيسر يأكلونه معه.

ومن أظرف ما حكي عنه: أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس من الفتاوى والإجازات وغيرها. فاتفق ليلة خطفت عمامته، فقال لخاطفها: يا أخي خذ من العمامة الورقة المصرورة بما فيها ورد العمامة أغطى بها رأسي وأنت في أوسع الحل مما في الورقة. فظن الخاطف أنها فضة ورآها ثقيلة، فأخذها ورد العمامة. وكانت صغيرة عتيقة. فرأى أخذ الورقة خيراً منها بدرجات. فخلص الشيخ عمامته بهذا الوجه اللطيف.

وبلغني من غير وجه عن الإمام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال: ما دخل الشام ـ بعد الأوزاعي ـ أفقه من الشيخ الموفق.

وقد أفرد الحافظ الضياء، سيرة الشيخ في جزئين. وكذلك أفردها الحافظ الذهبي.

قال الضياء: كان رَحِمَهُ اللهُ إماماً في القرآن وتفسيره، إماماً في علم الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو، إماماً في الحساب، إماماً في النجوم السيارة والمنازل. قال: ولما قدم بغداد قال له الشيخ أبو الفتح ابن المني: اسكن هنا؛ فإن بغداد مفتقرة إليك، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك.

وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيماً كثيراً، ويدعو له، ويقعد بين يديه، كما يقعد المتعلم من العالم.

وسمعت الإمام المفتي شيخنا أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة ببغداد يقول: ما أعرف أحداً في زماني أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق.

وسمعت أبا عمرو بن الصلاح المفتي يقول: ما رأيت مثل الشيخ الموفق.

وقال الشيخ عبد الله اليونيني: ما أعتقد أن شخصاً ممن رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه.

فإنه رَحِمَهُ اللهُ كان كاملاً في صورته ومعناه من الحسن والإحسان، والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة، والأخلاق الجميلة، والأمور التي ما رأيتها كملت في غيره. وقد رأيت من كرم أخلاقه، وحسن عشرته، ووفور حلمه، وكثرة علمه وغزير فطنته، وكمال مروءته، وكثرة حيائه، ودوام بشره، وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها، والمناصب وأربابها: ما قد عجز عنه كبار الأولياء. فإن رسول الله ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره» فقد ثبت أن إلهام الذكر أفضل من الكرامات، وأفضل الذكر ما يتعدى نفعه إلى العباد، وهو تعليم العلم والسنة، وأعظم من ذلك وأحسن: ما كان جِبِلَّة وطبعاً، كالحلم والكرم والعقل والحياء، وكان الله قد جبله على خلق شريف، وأفرغ عليه المكارم إفراغاً، وأسبغ عليه النعم، ولطف به في كل حال.

قال: وكان لا يناظر أحداً إلا وهو يتبسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه.

قال: وأقام مدة يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق، يناظر فيها بعد الصلاة. ثم ترك ذلك في آخر عمره. وكان يشتغل عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار. ثم يقرأ عليه بعد الظهر، إما من الحديث أو من تصانيفه إلى المغرب. وربما قرأ عليه بعد المغرب وهو يتعشى. وكان لا يرى لأحد ضجراً. وربما تضرر في نفسه ولا يقول لأحد شيئاً.

روى عنه من المغاربة:

1 ـ محمد بن علي بن محمد بن إدريس التجيبي (ت650هـ)[1]

غرناطي، أبو عبد الله الدهان، رحل حاجاً وتجول هنالك سنتي 605هـ، وأخذ بمكة شرفها الله، والشام والإسكندرية ومصر عن طائفة كثيرة أزيد من أربعين شيخاً منهم: أبو الحسن بن أبي المكارم البنَّا، وابن هبة الله الدمشقي، وأبو علي الحسين بن إسحاق بن موهوب الجواليقي، وآباء محمد: عبد الله بن

(1) الذيل والتكملة: 4/ 484.

أحمد بن قدامة، وعبد القوي بن عبد العزيز الجباب، وعبد الكريم بن علي الشيباني، وعبد الوهاب بن هبة الله بن وردان، وغيرهم.

ولم يذكر أنه حمل عن أحد من أهل المغرب، أجاز لكل موجود من أهل غرناطة في محرم 648هـ بسؤال الأستاذ أبي جعفر بن خلف، وبمحضر أبي الحسن الشاري.

وكان شيخاً جليلاً سرياً، حسن السمت والخلق والخُلق، والهيئة، ظريف الملبس، بارع الخط، ديناً خيراً، فاضلاً عدلاً، أميناً بقيسارية غرناطة، متحرفاً بالتجارة فيها، ثم رحل بأخرة بنية المجاورة بقية عمره، فأدركته منيته بمصر بعد 650هـ.

2 ـ محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحيم بن هشام الأنصاري السلاوي (ت671هـ)[1]

نشأ بسلا، قرطبي أصل السلف، روى بسلا عن أبيه، ومؤدبه أبي علي عمر بن موسى بن الحسن بن علي بن مكابر بن بلول الصنهاجي الفشتالي، من بني بلول، ثم من بني عطاف، وبه انتفع في العربية، والطريقة الأدبية، وأبي جعفر بن فرقد، وأبي عبد الله بن حماد...

وشرق مرتين حج فيهما، فصل في أولاهما من سلا سنة 618هـ، وجال في بلاد المشرق والشام والعراق.

وروى بدمشق عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وشمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله الشيرازي، بإفادة صاحبه أبي عبد الله بن يوسف البرزالي الإشبيلي مستوطن دمشق، وقفل من وجهته هذه سنة 622هـ، واستوطن مراكش وقتاً، ثم رحل إلى الأندلس وسكن إشبيلية مدة وشريش أخرى، ومنها فصل لرحلته الثانية سنة 648هـ، وكان محركه إليها، وباعثه عليها ما حدثني به ونقلته من خطه قال: وذلك رؤيا رأيتها في المنام لم تكن

---

(1) المصدر نفسه: 5/ 337، 338.

من أضغاث الأحلام، رأيت في العشر الأواخر من رمضان سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر جالساً على سرير تبرق من وجهه الأسارير، فبادرت إليه مسرعاً، ووقفت بين يديه متخضعاً، وقلت له بعد أن سلمت عليه، وقمت مقام المستكين بين يديه: يا رسول الله، ما أعظم عند الله تعالى من سلم عليك، وقبل ثرى نعليك، فقال لي عليه الصلاة والسلام مجيباً بعد أن رحب ترحيباً: إني أحبك، إني أحبك، إني أحبك، ثلاثاً يعددها، ويكرر الكلمات ويرددها، ثم قال لي في الآخر: ومن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، فاستيقظت من منامي، وقمت على أقدامي والعزائم مني مشحوذة، وعلق تعلقي بحبال هذه الفانية بمدى اليأس مقطوعة مجذوذة، وخرجت لا ألوي على متعذر، خروج المجد إلى لقاء المحبوب المشمر، فسرت على عون الله متوركاً، وبرؤيتي هذه المنامة متبركاً، وبعرى ودي الصحيح، وحبي الصريح متمسكاً، ولم يعن في هذه الرحلة بالأخذ عن أحد.

ثالثاً: رواية المغاربة عن:

عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت624هـ)(1)

ـ ترجمته: وردت ترجمته في «ذيل طبقات الحنابلة»

سمع بدمشق من أبي عبد الله بن أبي الصقر وغيره.

ورحل إلى بغداد، وسمع بها من شُهدة، وعبد الحق اليوسفي، وطبقتهما، وسمع بحران من أحمد بن أبي الوفاء الفقيه.

ويقال: إنه تفقه ببغداد على ابن المني، وتفقه بدمشق على الشيخ موفق الدين ولازمه، وعلق عنه الفقه واللغة، وقرأ العربية. وصنف في الفقه والحديث والرقائق.

فمن تصانيفه «شرح العمدة» للشيخ موفق الدين في مجلد، وهو شرح

---

(1) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 170. وأيضاً: تكملة المنذري 3/الترجمة: 2173. المختصر المحتاج إليه: 2/ 194 ـ منتخب المختار للفاسي: 78 السير 22/ 269 ـ النجوم الزاهرة 6/ 296 ـ شذرات الذهب 5/ 114.

مختصر، ونص في أوله: أن الماء لا ينجس حتى يتغير مطلقاً، ويقال: إنه شرح «المقنع» أيضاً.

وقال سبط ابن الجوزي: كان يؤم بمسجد الحنابلة بنابلس، ثم انتقل إلى دمشق. قال: وكان صالحاً ورعاً زاهداً، غازياً مجاهداً، جواداً سمحاً.

وقال المنذري: كان فيه تواضع، وحسن خلق، وأقبل في آخر عمره على الحديث إقبالاً كلياً، وكتب منه الكثير. وحدث بنابلس، ودمشق.

توفي رَحِمَهُ اللهُ في سابع ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة، ودفن من يومه بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

روى عنه من المغاربة.

ـ علي بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم الإشبيلي (ت640هـ)[1]

أبو الحسن القُسْطَار، رحل وحج وتجول بلاد المشرق طالباً العلم فكتب ببغداد ودمشق وغيرهما عن طائفة كبيرة منهم: آباء الحسن: علي بن محمد السخاوي، ومحمد بن أبي جعفر القرطبي الفنكي، وابن المقيّر، وأبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ابن الصلاح، وأبو محمد عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي، وأبو المفضل مكرم بن محمد بن أبي الصقر القرشي، وأبو نصر محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي، وأبو المنجا عبد الله بن عمر اللتي آخر أصحاب أبي الوقت وغيرهم.

وكان من أهل العناية بالرواية والضبط والتقييد والإتقان.

رابعاً: رواية المغاربة عن:

محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (676هـ)

ـ ترجمته: قال عنه ابن رجب الحنبلي[2]:

---

(1) الذيل والتكملة: 3/ 175.

(2) ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 294.

ولد في يوم السبت رابع عشر صفر ـ وقيل: الأحد ـ سنة ثلاث وستمائة بدمشق. وحضر بها على ابن طبرزد.

وسمع من الكندي، وابن الحرستاني، وابن ملاعب، والشيخ موفق الدين. وتفقه عليه، ثم رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة.

وسمع بها من أبي الفتح بن عبد السلام، والداهري، والسهروردي، وجماعة وتفقه بها، وتفنن في علوم شتى. وتزوج بها. وولد له.

ثم انتقل إلى مصر، وسكنها إلى أن مات بها. وعظم شأنه بها. وصار شيخ المذهب علماً وصلاحاً، وديانة ورياسة. وانتفع به الناس. وولى بها مشيخة خانقاه سعيد السعدا، وتدريس المدرسة الصالحية. وولي قضاء القضاة مدة. ثم عزل منه. واعتقل مدة. ثم أطلق، فأقام بمنزله يدرس بالصالحية ويفتي، ويقرئ العلم إلى أن توفي.

قال عبيد الأسعردي الحافظ: كان مشهوراً بمكارم الأخلاق، وحسن الطريقة، والمناقب المرضية. تفقه بدمشق، وبغداد. وأفتى ودرس، وولى قضاء القضاة بالديار المصرية. وكان شيخ الشيوخ بها.

قال البرزالي في تاريخه: كان حسن السمت وضيء الوجه، ونَيِّر الشيبة. له معرفة بالفقه والأصول. وكان كثير البر والصلة والصدقة، كثير التواضع والتودد، وكان مدرساً بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، ثم ولي القضاء، ثم عزل وحبس مدة بسبب ودائع أكره على أخذها، أخذت من بيته سنة سبعين، واعتقل سنتين ثم أفرج عنه. ولزم بيته يدرس ويفتي ويقرئ ويتعبد، إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي: استوطن مصر بعد الأربعين، ورأس بها في مذهب أحمد. وصار شيخ الإقليم في الأيام الظاهرية، وكان إماماً محققاً، كثير الفضائل، صالحاً خيراً، حسن السيرة، مليح الشكل، كثير النفع والمحاسن.

وقال القطب اليونيني: كان من أحسن المشايخ صورة، مع الفضائل الكثيرة التامة، والديانة المفرطة، والكرم وسعة الصدر، وأظنه جعفري النَّسب،

وهو أول من درس بالمدرسة الصالحية للحنابلة. وأول من ولي قضاء القضاة منهم بالديار المصرية. وتولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة مدة. وكان كامل الأدوات، سيداً صدراً من صدور الإسلام وأئمتهم، متبحراً في العلوم، مع الزهد الخارج عن الحد، واحتقار الدنيا، وعدم الالتفات إليها. وكان الصاحب بهاء الدين ـ يعني ابن جنا ـ يتحامل عليه، ويغري الملك الظاهر به؛ لما عنده من الأهلية لكل شيء من أمور الدنيا والآخرة. وهو لا يلتفت إليه، ولا يخضع له.

حدث بالكثير. وسمع منه الكبار، منهم: الدمياطي، والحارثي، وعبيد الأسعردي، والشريف أبو القاسم الحسيني الحافظ، وعبد الكريم الحلبي.

روى عنه من المغاربة:

ـ أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت708هـ)[1]

الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء والمحدثين بالأندلس.

ولد سنة 627هـ، وجمع بالسبع على أبي الحسن علي بن محمد الشاري، وعلى أبي الوليد إسماعيل بن يحيى الأزدي العطار وغيرهم.

وعني بهذا الشأن ونظر في الرجال.

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم بدمشق محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي.

وخرج وألف وعمل تاريخاً للأندلسيين ذيل به على الصلة لابن بشكوال، وأفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها، وأحكم العربية، وتصدر مدة، وتخرج به الأصحاب[2].

قال عنه ابن عبد الملك المراكشي: «... روى عنه جماعة من أهل

---

(1) الإحاطة: 1/ 195؛ درة الحجال رقم (8)؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 1484؛ غاية النهاية: 1/ 32؛ الديباج: 42؛ الذيل والتكملة: 1/ 39؛ الدرر الكامنة: 8411؛ شذرات الذهب: 6/ 16؛ بغية الوعاة: 126؛ الوافي بالوفيات: 5/ 123؛ مقدمة صلة الصلة.
(2) تذكرة الحفاظ: 4/ 1484.

بلده وطائفة من الراحلين إليه من أقطار الأندلس وغيرها، وكتب إلي وإلى بني بإجازة ما رواه وما ألفه مطلقاً وهو الآن متصدر لإقراء كتاب الله تعالى، وإسماع الحديث، وتعليم العربية، وتدريس الفقه عامراً بذلك عامة نهاره، عاكفاً عليه، مثابراً على إفادة العلم ونشره، انفرد بذلك في بلده قاعدة جزيرة الأندلس، وصارت الرحلة إليه، وهو من أهل التجويد والإتقان، عارف بالقراءات، حافظ للحديث مميز لصحيحه من سقيمه، ذاكر لرجاله وتواريخهم، متسع الرواية، عني بها كثيراً ورحل بسببها إلى سبتة وإلى كثير من بلاد الأندلس، وصنف في كثير من المعارف التي عني بها..»[1].

خامساً: رواية المغاربة عن:
أحمد بن عبد الدائم المقدسي (ت 668هـ)[2]

ـ ترجمته:

ـ **أحمد بن عبد الدايم** بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكر، المقدسي الصالحي، الكاتب المحدث المعمر، الخطيب زين الدين أبو العباس.

ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة بفندق الشيوخ من أرض نابلس.

وسمع الكثير بدمشق، ومن يحيى الثقفي، وأبي عبد الله بن صدقة، وأبي الحسن بن الموازيني، وعبد الرحمٰن الخرقي، وإسماعيل الجنزوي، وغيرهم.

وانفرد في الدنيا بالرواية عنهم.

ودخل بغداد. وسمع بها من أبي الفرج بن كليب، والمبارك بن المعطوش، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي الفتح بن المندآى، وعبد الله بن أبي المجد، وعبد الوهاب بن سكينة، وغيرهم.

وسمع بحران من خطيبها الشيخ فخر الدين، وأجاز له خطيب الموصل

---

(1) الذيل والتكملة: 1/ 44.

(2) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 278، 279.

أبو الفضل، وعبد المنعم الفراوي، وابن شاتيل، والقزاز. وتفرد بالرواية عنهم أيضاً.

وقرأ بنفسه، وعني بالحديث. وتفقه على الشيخ موفق الدين. وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه، وجمع تاريخاً لنفسه. وكان فاضلاً متنبهاً. وله نظم.

ولي الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة.

وكان يكتب خطاً حسناً، ويكتب سريعاً. فكتب ما لا يوصف كثرة من الكتب الكبار، والأجزاء المنثورة لنفسه وبالأجرة، حتى كان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس أو أكثر، ويكتب مع اشتغاله بمصالحه الكراسين والثلاثة. وكتب «الخرقي» في ليلة واحدة. وكتب «تاريخ الشام» لابن عساكر مرتين و«المغني» للشيخ موفق الدين مرات. وذكر: أنه كتب بيده ألفي مجلدة، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة.

وكان حسن الخَلْق والخُلُق، متواضعاً ديناً. وحدث بالكثير بضعاً وخمسين سنة. وانتهى إليه علو الإسناد. وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد.

وخرج له ابن الظاهري مشيخة، وابن الخباز أخرى.

سمع منه الحفاظ المقدسيون، كالحافظ ضياء الدين، والزكي البرزالي، والسيف ابن المجد، وعمر بن الحاجب.

روى عنه الأئمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين ابن تيمية، وخلق كثير. آخرهم: شيخنا الشيخ محمد بن إسماعيل بن الخباز، حضر عليه أجزاء. وآخر من روى عنه بالإجازة: أحمد بن عبد الرحمٰن الحريري.

وتوفي يوم الاثنين سابع ـ كذا قاله الشريف ـ وقيل: تاسع رجب سنة ثمان وستين وستمائة. ودفن بسفح قاسيون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ورأى رجل ليلة موته في المنام: كأن الناس في الجامع، وإذا ضجة.

فسأل عنها؟ فقيل له: مات هذه الليلة مالك بن أنس، قال: فلما أصبحت جئت إلى الجامع، وأنا مفكر، وإذا إنسان ينادي: رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم . رحمه الله.

روى عنه من المغاربة:

ـ أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد اللخمي (ت699هـ)(1)

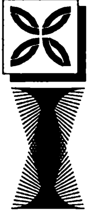
خولاني من قلعة خولان من نظر إشبيلية.

قال ابن عبد الملك: «أخذ بإشبيلية عن أبي الحسن ابن جابر الدباح وغيره، وقدم على مراكش بعد 650هـ، وصحبنا مدة عند شيخنا أبي زكرياء بن عتيق وأبي القاسم البلوي، ثم فصل عن مراكش مشرقاً، فجال في تلك البلاد واستوطن دمشق ولقب شهاب الدين، ومن شيوخه هنالك زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي وتقي الدين إسماعيل بن بهاء الدين إبراهيم بن اليسر التنوخي، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني.. وكان أديباً فاضلاً حسن الخلق والخُلُق والصحبة، ذا حظ صالح من رواية الحديث.. كتب إلي وإلى ولدي محمد من ظاهر دمشق»(2).

---

(1) نفح الطيب: 3/ 282؛ درة الحجال: 1/ 16؛ الذيل والتكملة: 1/ 359؛ وهو صاحب القصيدة الغزلية في ألقاب الحديث المعروفة بغرامي صحيح.

(2) الذيل والتكملة: 1/ 359.





رواية المغاربة عن أعلام بيت ابن عساكر

أولاً: رواية المغاربة عن الحافظ ابن عساكر

ـ ترجمته:

ـ علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم بن عساكر الحافظ (ت571هـ)

ولد في العشر الآخر من محرم (سنة 499هـ)[1].

قال ولده الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم: قال لي أبي لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلاً يقول لها: تلدين غلاماً يكون له شأن، فإذا ولدتيه فاحمليه إلى المغارة ـ يعني مغارة الدم بجبل قاسيون ـ يوم الأربعين من ولادته، وتصدقي بشيء، فإن الله تعالى يبارك لك وللمسلمين فيه. ففعلت ذلك كله وصدقت اليقظة منامها[2].

وقال أيضاً: إن أباه رأى رؤيا معناها يولد لك ابن يحيي الله به السنة[3].

وكانت كل الدلائل من قبل تنبئ ذويه عن نبوغ هذا الصبي، كما كان للأسرة التي نشأ فيها أثر كبير في اتجاهه نحو العلم ونبوغه فيه. فقد نشأ الحافظ ابن عساكر والعلم يظله بظله، من كل حدب وصوب أتى إليه، وأحاط به حتى إنه يخالط الهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه، ولا غرابة في هذا

(1) خريدة القصر: 1/ 275.
(2) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 218.
(3) تذكرة الحفاظ: 4/ 1331.

الأمر فقد نشأ في بيت قضاء وحديث وفقه، وكان يتكون من كبار علماء دمشق، فما رأى منذ نشأته غير العلماء وما وعى غير العلم.

قضى الحافظ ابن عساكر مرحلة شبابه الأول (499 ـ 520هـ) في مدينة دمشق. سمع الكثير، وقرأ الكثير، ومن استعراض وفيات شيوخه الدمشقيين وبعض ما قرأ عليهم يتبين لنا ضخامة عدد الكتب التي قرأها في مرحلة الطفولة والصبا، وقبل أن يولي وجهه صوب بغداد قرأ على أبي الفرج غيث بن علي الصوري كتاباً في الأدب لأبي حازم بن الفراء، وتاريخ صور، وقطعة من (تلخيص المتشابه) للخطيب البغدادي، أما عبد الكريم بن حمزة السلمي فقد قرأ عليه «الإكمال» لابن ماكولا، و«مشتبه النسبة» لعبد الغني بن سعيد، و«تاريخ مولد العلماء ووفاتهم» لابن زبر، وغيرها من الكتب الهامة.

ولو أردنا استعراض الكتب التي سمعها ابن عساكر قبل أن تبدأ مرحلة الرحلات وأسماء الشيوخ الذين سمع منهم لما اتسعت هذه الصفحات، وإنما ذكرنا بعض أسماء الكتب التي سمعها على سبيل التمثيل لا الحصر، لنَبيِّن جانباً من الحياة الجادة التي ألزم بها نفسه منذ طفولته وصباه.

لم يشغل الحافظ ابن عساكر نفسه بغير العلم، سمع الكثير، وقرأ الكثير، وأحس إحساساً لا حدود له بكل ما يجري حوله، فلم يشارك في الأحداث السياسية، ولم يرغب في منصب ولم يتخذ الوسائل لذلك. زحفت الدنيا نحوه فأعرض عنها. كان أمام عينيه هدف واحد كبير هيأ له عقله وقلبه. ذلك الهدف الذي يحقق حُلم والده. إنه محاربة الشبهة والبدعة، ومناصرة السنة[1].

ومن الطبيعي أن يلتفت هذا الشاب النابه إلى تجاوز حدود دمشق إلى غيرها من مراكز الثقافة الإسلامية بعد أن ملأ صدره بكل ما استطاع الوصول إليه من معارفها، وسمع ما أراد سماعه من كبار محدثيها.

---

(1) مقدمة تحقيق كتاب تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء) للأستاذة الفاضلة سكينة الشهابي.

فرحل إلى بغداد مدينة السلام، ومجمع الرافدين، وغرة البلاد، وعين العراق ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيبات، وبها أرباب الغايات في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع[1].

وبرغم تدني نفوذها السياسي إلى مستوى كبير، فقد حافظت على دورها حيث بقيت المركز الأساس الذي يجذب طلبة الحديث والفقه والعلوم، ولم تستطع أي من المراكز الأخرى من مصر ومكة والمدينة وخراسان ونيسابور وأصبهان ومرو وهراة وسرخس وطوس أن تنال من أهمية بغداد ودورها.

وقد عُرف عن أهل بغداد أنهم أرغب الناس في طلب الحديث، وأشدهم حرصاً عليه وأكثرهم كتباً له. يقول الخطيب البغدادي: «وأهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في أخذ الحديث وآدابه وشدة الورع في روايته، اشتهر ذلك عنهم وعرفوا به»[2].

وكانت رحلة ابن عساكر إلى بغداد بعد وفاة أبيه الحسن بن هبة الله (519هـ) ولا ندري لماذا كانت الرحلة بعد وفاة والده؟

هل هو الخوف والإشفاق والحنان الذي كان يملأ صدر الوالد الشيخ فيكبح جماح الرغبة الملحة في نفس ابنه؟ ومهما يكن من أمر فإن رحلة ابن عساكر كانت سنة (520هـ).

ولم تكن رحلته إلى العراق بجديدة على أهله وعشيرته، إذ سبقه إليها كل من جدّه وخاله وأخيه.

أما لماذا لم يرحل ابن عساكر وأهله إلى غير العراق من الأقطار الإسلاميّة الأخرى كمصر مثلاً؟ نقول: إن مصر في ذلك العهد لم تكن بالتي تجذب إليه الأنظار لقلة علمائها[3].

---

(1) معجم البلدان: 1/ 461.

(2) تاريخ بغداد: 1/ 461.

(3) ومما يدل على ذلك أن الخطيب البغدادي لما أراد الرحلة إلى مصر أثناه عن عزمه شيخه المعروف بالبرقاني، وفضل له نيسابور على مصر، فقال: إنك إن خرجت إلى مصر، إنما تخرج إلى رجل واحد، فإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى =

ولعلّ هذه الرحلة التي استغرقت خمس سنوات، كانت أنشط رحلاته وأعمّها بالفائدة، يبدو لنا ذلك من عدد الشيوخ الذين لقيهم وكثرة الكتب التي سمعها على هؤلاء الشيوخ.

فقد قرأ على أبي غالب بن البنا كتاب «نسب قريش» للزبير بن بكار، و«التاريخ» لابن أبي خيثمة، وبعض «الطبقات الكبرى» لابن سعد.

وقرأ على أبي القاسم بن الحصين «مسند أحمد» و«الغيلانيات» وعلى أبي العز بن كادش كتاب «الجليس والأنيس» للمعافي بن زكريا القاضي.

وعلى أبي بكر محمد بن عبد الباقي «الطبقات الكبرى» لابن سعد. وكتاب «المغازي» للواقدي، وسمع على أبي القاسم بن السمرقندي الكثير من الكتب منها:

- «سيرة ابن إسحاق».
- وكتاب «الفتوح» لسيف بن عمر التميمي.
- و«المحتضرون» لابن أبي الدنيا.
- و«تاريخ الخلفاء» لابن ماجه.
- وتاريخ أبي بشر هارون بن حاتم التميمي.
- و«معجم الصحابة» لأبي القاسم البغوي.
- و«تاريخ جرجان» لحمزة بن يوسف السهمي.
- و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي.

هذا قليل من كثير، ذكرته على سبيل التمثيل لا الحصر، لأبين أهمية هذه الرحلة في حياة الحافظ، وما سيكون لها من شأن، وما تؤتيه من ثمار، حين يعود إلى بلده ويتصدر للتحديث والتأليف.

وفي سنة (525هـ) تنتهي رحلته الأولى إلى بغداد، فيعود إلى دمشق ويمكث فيها أربع سنين، يولد له خلالها ابنه القاسم.

= نيسابور ففيها جماعة، إن فاتك واحد أدركت من بقي. (طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 12).

وفي سنة (529هـ) غادر دمشق مرة أخرى، وكانت وجهته نيسابور، ومن ثم باقي بلاد المشرق. لقي في هذه الرحلة عدداً كبيراً من الشيوخ، وسمع ما أراد سماعه من الكتب، ولكنها كانت قاسية متعبة عبّر ابن عساكر عن قسوتها في أبيات من الشعر الوجداني العذب ومن قوله فيها:

لا قدس الله نيسابور من بلد ... ما فيه من صاحب يسلي ولا سكن

لولا الجحيم الذي في القلب من حرق ... لفرقة الأهل والأهل والأحباب والوطن

لمت من شدة البرد الذي ظهرت ... آثار شدته في ظاهر البدن[1]

فكان هذا الشعر جزءاً من ترجمة ذاتية تفيد المتتبع لمراحل حياته.

استغرقت رحلة ابن عساكر الثانية أربع سنوات، عاد منها بعدد كبير من الكتب المسموعة على كبار الشيوخ في بلاد المشرق. سمع الحافظ في هذه الرحلة أبا عبد الله الفراوي، وعبد المنعم القشيري، وسعيد بن أبي الرجاء، وأبا محمد السيدي، وزاهر بن طاهر الشحامي.

ومن الكتب التي قرأها على الفراوي (دلائل النبوة) للبيهقي، وسمع من أبي محمد السيدي (موطأ مالك)، ومن زاهر بن طاهر (سنن البيهقي).

وشيوخه كثر جداً بلغ عددهم ألفاً وثلاث مئة شيخ، ومن النساء بضعاً وثمانين إمرأة.

اهتمام الحافظ ابن عساكر بالحديث:

يقول الحافظ ابن عساكر: «لما عزمت على التحديث والله المطلع أنه ما حملني على ذلك حبّ الرئاسة والتقدم، بل قلت: متى أروي كل ما قد سمعته، وأي فائدة في كوني أخلفه بعدي صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد، وطفت عليهم فكل قال: ومن أحق بهذا منك؟ فشرعت في ذلك سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة»[2].

---

(1) معجم الأدباء: 13/ 73.

(2) تذكرة الحفاظ: 4/ 1332.

فلم يكن العلم وطلب الحديث عن ابن عساكر وسيلة للحصول على جاه أو ثروة، ولم يتطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه.

قال ابنه القاسم: «وكان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد سمع أشياء لم يحصل منها نسخاً اعتماداً على نسخ رفيقه الحافظ أبي علي ابن الوزير[1] وكان ما حصله ابن الوزير لا يحصله أبي، وما حصله أبي لا يحصله ابن الوزير.

فسمعت أبي ليلة يتحدث مع صاحب له في الجامع فقال: رحلت وما كأني رحلت، كنت أحب أن ابن الوزير يقدم بالكتب مثل: الصحيحين وكتب البيهقي والأجزاء، فاتفق سكناه بمرو، وكنت أؤمل وصول رفيق آخر له يقال له: يوسف بن فاروا الجياني، ووصل رفيقنا أبي الحسن المرادي[2] وما أرى أحداً منهم جاء، فلا بدّ من رحلة ثالثة وتحصيل الكتب المهمات. قال: فلم يمض إلا أيام يسيرة حتى قدم أبو الحسن المرادي فأنزله في منزلنا، وقدم بأربعة أسفاط كتب مسموعة، ففرح أبي بذلك فرحاً شديداً، وكفاه الله مؤونة السفر. وأقبل على تلك الكتب فنسخ واستنسخ وقابل، وبقي من مسموعاته أجزاء نحو ثلاث المئة فأعانه عليها أبو سعد السمعاني، فنقل إليه منها جملة حتى لم يبق عليه أكثر من عشرين جزءاً، وكان كلما حصل له جزء منها، كأنه قد حصل على ملك الدنيا»[3].

وحريٌّ بمثل هذا العالم الرحالة أن يكون شيخاً محدثاً، كيف لا وهو الذي رحل وطاف البلاد وصرف كل غال في سبيل العلم يقول:

وأنا الذي سافرتُ في طلبِ الهدى ... سَفرين بين فدافدٍ وتنائفِ
وأنا الذي طوفت غير مدينة ... من أصبهان إلى حدود الطائف

---

(1) هو: أبو الحسن بن مسعود الدمشقي. قال السمعاني: حافظ متقن، له معرفة بالحديث والأنساب (ت543هـ).

(2) هو: علي بن سليمان بن أحمد المرادي القرطبي (ت544هـ). الأنساب: 7/ 367.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 219.

والشرق قد عاينت أكثر مدنه ... بعد العراق وشامنا المتعارف
وجمعت في الأسفار كل نفيسة ... ولقيت كل مخالف ومؤالف
وسمعت سنة أحمد من بعدما ... أنفقت فيها تالدي وطارفي
ورويتها بأمانة وصيانة ... ونزاهة تنفي سفاهة قارف

ويقول الحافظ الذهبي: «وبلغنا أن الحافظ عبد الغني المقدسي بعد موت ابن عساكر أنفذ من استعار له شيئاً من تاريخ دمشق، فلما طالعه انبهر لسعة حفظ ابن عساكر، ويقال: ندم على تفويت السماع منه»[1].

وكان الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بنى له دار الحديث النورية فدرّس بها إلى حين وفاته، غير ملتفت إلى غيرها، ولا متطلع إلى زخرف الدنيا ولا ناظر إلى محاسن دمشق ونزهها، بل مواظباً على خدمة السنة، والتعبد باختلاف أنواعه[2].

وقال أبو شامة المقدسي: «بلغني أن الحافظ ابن عساكر الدمشقي ﵁ حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فرأى من اللغط وسوء الأدب من الجلوس فيه ما لا حد عليه، فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين، فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعهم، فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلاحي. وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر. فعاتبه صلاح الدين يوسف على انقطاعه فقال: نزهت نفسي عن مجلسك، فإنني رأيته كبعض مجالس السوقة، لا يستمع فيه إلى قائل، ولا يرد جواب متكلم، وقد كنا بالأمس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل: كأننا على رؤوسنا الطير، تعلونا الهيبة والوقار، فإذا تكلم أنصتنا، وإذا تكلمنا استمع لنا. فتقدم صلاح الدين إلى أصحابه أنه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم إذا حضر الحافظ»[3].

---

(1) سير أعلام النبلاء: 20/ 568.
(2) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 223.
(3) الروضتين في أخبار الدولتين: 1/ 10.

وعن ابن النجار: سمعت شيخنا عبد الوهاب ابن الأمين يقول: كنت يوماً مع الحافظ أبي القاسم بن عساكر، وأبي سعد بن السمعاني، نمشي في طلب الحديث ولقاء الشيوخ، فلقينا شيخاً، فاستوقفه ابن السمعاني ليقرأ عليه شيئاً، وطاف على الجزء الذي هو سماعه في خريطته فلم يجده فضاق صدره، فقال له ابن عساكر: ما الجزء الذي هو سماعه؟ فقال: «البعث والنشور» لابن أبي داود، سمعه من أبي نصر الزينبي. فقال: لا تحزن، وقرأه عليه من حفظه أو بعضه»[1].

ثناء العلماء عليه:

قال رفيقه في الطلب الإمام السمعاني: «أبو القاسم كثير العلم غزير الفضل حافظ متقن دين خيّر حسن السمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد صحيح القراءة متثبت محتاط.. إلى أن قال: جمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على أقرانه، دخل نيسابور قبلي بشهر سمعت منه وسمع مني»[2].

وقال الحافظ الذهبي: «الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة»[3] وقال أيضاً: «هو الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود محدث الشام»[4] وقال في العبر: «أستاذ أهل زمانه في الحديث ورجاله، وبلغ في ذلك الذروة العليا، ومن تصفح تاريخه علم منزلة الرجل في الحفظ»[5].

وقال القاسم بن عساكر: «سمعت التاج المسعودي يقول: سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل استأذنه في الرحلة قال: إن عرفت أحداً أفضل مني فحينئذٍ آذنك أن تسافر إليه إلا أن تسافر إلى ابن عساكر فإنه حافظ كما يجب»[6].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 219.
(2) تذكرة الحفاظ: 4/ 1330.
(3) المصدر نفسه: 4/ 1328.
(4) سير أعلام النبلاء: 20/ 554.
(5) العبر: 4/ 212.
(6) تذكرة الحفاظ: 4/ 1331.

وقال الإمام السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»: «هو الشيخ الإمام، ناصر السنة، إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفاظ، ولا ينكر أحد مكانة مكانه، محط رحال الطالبين، وموئل ذوي الهمم من الراغبين، الواحد الذي أجمعت الأمة عليه، والواصل إلى ما لم تطمح الآمال إليه... سمع بالأنبار، والرافقة، والرحبة، وماردين، وماكسين وغيرها من البلاد الكثيرة، والمدن الشاسعة، والأقاليم المتفرقة، لا ينفك نائي الديار يعمل مَطِيَّهُ في أقاصي القفار، وحيداً لا يصحبه إلا تُقىً اتخذه أنيسه، وعزم لا يرى غير بلوغ المآرب درجة نفيسة، ولا يظله إلا سَمُرة في رباع قفراء، ولا يرد غير إداوة لعلَّه يرتشف منها الماء»[1].

روى عنه من المغاربة.

1 ـ محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري (المتوفى 593هـ)[2]

روى بالأندلس عن أبيه أبي العباس وغيره، ورحل إلى المشرق وحج. وروى بمكة شرفها الله عن أبي الحسن علي بن حميد الأطرابلسي، وبدمشق عن أبي القاسم بن عساكر، وبالإسكندرية عن أبي الحجاج بن محمد بن أبي طالب التنوخي. وأبي الضيا بدر بن عبد الله الحبشي.. وغيرهم.

وشارك أبا عبد الله التجيبي وأبا عمر بن عات في السماع من بعضهم سنة 573هـ، ثم عاد إلى بلده وحدث فيه بيسير.

2 ـ محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد الرعيني (المتوفى 598هـ)[3]

سرقسطي، رحل إلى المشرق فلقب ثمَّ بركن الدين، وأخذ هنالك عن أبي الطاهر بن عوف، وابنه أبي الحرم مكي، وأبي القاسم علي بن عساكر وابنه أبي محمد القاسم...

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 215.

(2) الذيل والتكملة: 4/ 69.

(3) الذيل والتكملة: 4/ 364.

روى عنه أبو الحسن بن خروف وأبو سليمان بن حوط الله، وأبو عبد الله بن قاسم بن عبد الرحمٰن بن عبد الكريم الفاسي...

كان سنياً، فصيح العبارة، مقتدراً على جدال المخالفين، ودفع شبههم وتزييف آدائهم.

3 ـ أحمد بن هارون ابن عات النفزي (المتوفى 609هـ)(1)

شاطبي، سمع بالأندلس على الحافظ أبي محمد أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن هذيل، وأبي يوسف ابن سعادة، وأجاز له أبو الخطاب ابن واجب، وأبو القاسم ابن بشكوال، ورحل إلى المشرق، فلقي عبد الحق الإشبيلي بن الخراط، وبالإسكندرية أبا الطاهر السِّلَفي، ولقي أبا القاسم ابن العريف، وخلائق بمصر وغيرها، ومن شيوخ مكة أبا محمد عبد الدائم العسقلاني، وبدمشق من ابن عساكر أبي القاسم، وبالموصل من أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، والكاتبة شهدة، ومَن لا يحصى كثرة، وقد ضمن ذكرهم وجملة صحيحة من مروياته برنامجيه أحدهما يسمى بـ«النزهة، والتعريف بشيوخ الوجهة» وهو كتاب جليل نافع جامع، والآخر بـ«ريحانة النفس وراحة الأنفس، في ذكر شيوخ الأندلس»، وروى عنه عالم كثير كعلي ابن القطان، وأبي الحسن صاعد، وأبي الخطاب ابن واجب المتقدم ذكره، وأبي العباس ابن سيد الناس، وأبي محمد عبد الرحمٰن ابن برطله، وأبي بكر ابن مسدى، وكان من أكابر المحدثين، وجلة الحفاظ المسندين للحديث والأدب بلا مدافعة، يسرد الأسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بشيء منها، ثقة عدلاً مأموناً مرضياً، متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل، إذ لم يُعْنَ بذلك عنايته بغيره، وكان أهل شاطبة يفاخرون بأبي عمر بن عبد البر، وابن عات، وكان على سنن الصالحين في الانقباض ونزاهة الكلام ومتانة الدين وأكل الحشف ولباس الخشن ولزوم التقشف والزهد في الدنيا، قال أبو عامر ابن

---

(1) التكملة: 1/ 101؛ الذيل والتكملة: 1/ 256؛ الديباج المذهب: 58؛ نفح الطيب: 3/ 357.

نذير: لازمته مدة من ستة أشهر فلم أر أحفظَ منه، وحضرت لسماع الموطأ والبخاري منه، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضاً بلفظه كل يوم لا يتوقف في شيء من ذلك، وقال ابن مسدي كان يستظهر عدة كتب، وحضر مجلس السلطان بمراكش فتذاكروا علم الكلام فانقطع عن المجلس، وحفظ فيه نحواً من مئتي ورقة ثم رجع يذاكرهم، وكان مهيباً وقوراً، وكان ذا حظ وافر من الأدب قائلاً لجيد الكلام نظماً ونثراً، وله تصانيف، وفقد رحمه الله في وقعة العقاب من ناحية جيان فلم يوجد حياً ولا ميتاً سنة تسع وستمائة، وهذه الواقعة هي السبب الأقوى في تحيف الروم بلاد الأندلس حتى استولوا على معظمها وأفضى الحال إلى خلائها من أهل الملة الحنيفية، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال في «نفح الطيب» في ترجمته وذكر نحو ما تقدم ما نصه: قال ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة»: حدثنا عنه شيخنا حسن بن علي ابن القطان، ثم قال وحكى أنه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم، فغاب الكتاب أو القارئ بكتابه، فقال أبو عمر أنا أقرأ لكم، فقرأ لهم من حفظه، ثم قال: وقال بعض المؤرخين إنه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والأسانيد ظاهراً لا يخل بحفظ شيء منها موصوفاً بالدراية والرواية، غالباً عليه الورع والزهد، على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الحشف وربما أذن في المساجد، وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر، ثم قال: قال ابن الأبار وهو ممن أجاز له المذكور فيما رواه أو ألفه رحمه الله تعالى.

وقال في «النفح» في غير ترجمته، قال في «عنوان الدراية» عند ذكر الحافظ أبي الخطاب عمر ابن دحية مجد الدين الأندلسي الظاهري: رأيت له تصنيفاً في رجال الحديث لا بأس به، وارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلساً أقروا له بالتقدم وعرفوا أنه من أهل الضبط والاتقان والتفهم، وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها، ثم ذكر

الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية، ومثل هذه الحكاية اتفق لأبي عمر ابن عات في كتاب مسلم بمراكش ببيت الطلبة منها.

كان الأمراء من آل عبد المؤمن يخاطبونه ويعتمدون رأيه وإشارته في مصالح بلده شاطبة وأهلها ثقة بدينه وركوناً إلى نصيحته، وكان ذا حظ وافر من الأدب قائلاً لجيد الكلام نثراً ونظماً، وقد ضمن جملة وافرة منهما كتابيه: «النّزهة» و«الريحانة» المذكورين وغيرهما من تصانيفه، ومن ذلك قوله يرثي الشيخ الإمام الأوحد عبد الله بن عبد الرحمٰن العثماني الديباجي بن أبي اليابس رحمه الله:

خطب كبير في مصاب كبير ... ما بعده من سلوة وسرور
لا تسألوا عمن أصيب بفقده ... حلَّت رزيته على المعمور
أسفاً لأهل العلم غُيّبَ نورهم ... تحت الصفيح فما لهم من نور
فجعوا بعثمانيهم فتناثرت ... عبراتهم كاللؤلؤ المنثور
يا شيبة تقبيلُها كفارة ... للحوب أذكى من شذا الكافور
ما كان أدأب ليلها ونهارها ... في طاعة المكتوب والمسطور
ما كان آثرها لأهل الفضل في ... تسميعها للنقل والمأثور
ما كان أنزهها عن الدنيا وعن ... طلابها ترميهم بالمور
أين السماحة والشجاعة والتقى ... ها إنها قبرت مع المقبور
يا فائتي بزمانه ومكانه ... ولئن ظفرت برؤيَةٍ وحضور
أشكو إليك تعطُشي وتوحشي ... لما حللت بربعك المهجور
ماذا أصاب الفضل بعدك من شجى ... حتى ليرنو من عيون عور
أخليت صدر الدست فاختلت به ... إذا ناب قوم ما همُ بصدور
فالآن يعرف قدر فضلك إنما ... يُدرى ضياء الشمس بالديجور
فأحلَّك الرحمٰن دار نعيمه ... وحبوره مع جدك المحبور
وكساك في الفردوسِ حلياً فاخراً ... من لؤلؤ وزبرجد وشذور

ولد قبيل الزوال في ساعة الرواح إلى الجمعة لخمس خلون من شوال اثنتين وأربعين وخمسمائة، ومن الاتفاق الغريب أن كنيه أبا عمر بن عبد البر المذكور آنفاً ولد يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة

ثمان وستين وثلاثمائة فبينهما موافقه ما، واستشهد أبو عمر ابن عات في وقيعة العقاب من ناحية جيان على المسلمين يوم الاثنين منتصف صفر تسع وستمائة فُقِد فيها فلم يوجد حياً ولا ميتاً، وكانت هذه الحادثة الشنعاء مع الناصر محمد بن المنصور يعقوب من بني عبد المؤمن، وهي التي كانت السبب الأقوى في تحيف الروم بلاد الأندلس حتى استولوا على معظمها وأفضى إلى خلائها من أهل الملة الحنيفية، إنا لله وإنا إليه راجعون.

أنشدني القاضي أبو محمد ابن القطّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الحافظ الشهيد أبو عمر ابن عات رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الحافظ المتفنن أبو الحسن ابن المفضل المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنفسه وهو من تجنيس القوافي البديع:

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل ... وأصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه ... لما طاب من نشر له أن تمسكي
وخافي غداً يوم الحساب جهنّماً ... إذا لفحت نيرانها أن تمسكي

4 ـ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري (المتوفى 621هـ)[1]

مروي أبو عبد الله الأندرشي، وابن البلنسي وابن اليتيم، تجول طالباً العلم ببلاد الأندلس والعدوة. وأكثر عن أبوي العباس: أبيه ومحمد بن يزيد بن خير، وأبي إسحاق بن قرقول، وأبي القاسم بن بشكوال.

ورحل إلى المشرق حاجاً فلقي في وجهته أعلاماً جلة وروى عنهم سماعاً، فأكثر عن أبي الخطاب عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانجي نزيل مكة شرفها الله، وسمع من أبي القاسم علي بن عساكر.

---

(1) التكملة: 2/ 122 (318)؛ وترجمه المنذري في التكملة: 3/الترجمة 2009؛ المستملح من كتاب التكملة: 125؛ وابن الصابوني في تكملة إكمال الإكمال: 334؛ وابن عبد الملك في الذيل: 6/ 44؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 678؛ وسير أعلام النبلاء: 22/ 250؛ والعبر: 5/ 84؛ الوافي بالوفيات: 2/ 116؛ وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: 6/ 260؛ شذرات الذهب: 5/ 95.

قال عنه ابن عبد الملك: «وكان ممن أطال التجوال في طلب العلم، وأبعد الرحلة في التماسه بالأندلس وبر العدوة وبلاد المشرق... وكان معدوداً في المجودين من مقرئي القرآن، حسن التصرف في طريقة الحديث، برَّ المعاملة جميل العشرة، كثير البشر، كريم الأخلاق، عدلاً ثقة في ما يرويه وقد تكلم بعض المنافسين عليه وغمزه بالاضطراب في روايته، وذلك مما لا ينبغي الالتفات إليه ولا التعريج عليه، فقد روى عنه جلة بالمشرق والمغرب، ووثقوه واستجازوه، وممن حدَّث عنه بالإجازة أبو سليمان بن حوط الله وهو من أقرانه، وأستقضي بدلاية مدة، ثم ولي الخطبة بجامع قصبة المرية، إلا أنه كان لا يقيم إسناداً، فقد حدث عليه الوهم في غير إسناد، ولعل ذلك سبب التكلم فيه.

قرأت على شيخنا أبي إسحاق ابن القشاش بمراكش قال: قرأت على الشيخ الحاج الراوية أبي عبد الله الأندرشي، أنشدني الحافظ الإمام أبو القاسم علي بن الحسن، قدسه الله، ابن عساكر لنفسه:

واظب على جمع الحديث وكَتْبه ... واجهد على تصحيحه في كُتْبه
واسمعه من أربابه نقلاً كما ... سمعوه من أشياخه تسعد به
واعرف ثقات رواية من غيرهم ... كيما تميز صِدقَهُ من كذبه
فهو المفسر للكتاب وإنما ... نطق النبيُّ لنا به عن ربه
فتفهم الأخبار تعرف حلّه ... من حرمه مع فرضه من ندبه
وهو المبين للعباد بشرحه ... سير النبي المصطفى مع صحبه
وتتبع العالي الصحيح فإنه ... قرب إلى الرحمٰن تحظ بقربه
وتجنب التصحيف فيه فربما ... أدَّى إلى تحريفه بل قلبه
واترك مقالةَ من لحاك بجهله ... عن كتبه أو بدعة في قلبه
فكفى المحدث رفعة أن يرتضي ... ويُعدَّ من أهل الحديث وحزبه»[1]

---

(1) الذيل والتكملة: 4/ 46.

ثانياً: رواية المغاربة عن أبي محمد القاسم بن علي بن عساكر

ـ ترجمته:

1 ـ القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، أبو محمد (ت600هـ)[1]

مولده ليلة النصف من جمادى الأولى (سنة 527هـ).

سمع من والده الحافظ أبي القاسم، وعمه الحافظ أبي الحسين هبة الله، وجد أبويه قاضي القضاة أبي الفضل يحيى بن علي القرشي، وابنه قاضي القضاة أبي المعالي محمد بن يحيى بن علي، وأبي الحسن علي بن المسلم الشافعي، وأبي الفتح نصر الله بن محمد المصِّيصي، وأبي طالب علي بن عبد الرحمٰن الصوري.

وآباء القاسم: أحمد بن محمد بن المسَلَّم الهاشمي، ويحيى بن بطريق بن بُشرى الطَّرسُوسي، والخضر بن الحسين بن عبد الله بن عبدان، ونصر بن أحمد بن مقاتل السوسي، والحسين بن الحسن بن محمد الأسدي، وأبي محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاوس، وأبي الحسين عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي الحديد، وأبي الدُّر ياقوت بن عبد الله التاجر، وأبي يعلى حمزة بن الحسن بن أبي الجيش الأزدي، وأبي الفتح نصر بن القاسم بن الحسن المقدسي، وأبي إسحاق إبراهيم بن طاهر بن بركات الخشوعي، والشريف أبي طالب علي بن حيدرة بن جعفر الحسيني، وأبي العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسي، وأبي الحسين محمد بن كامل بن ديسم المقدسي، وأبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي الحسن الدّاراني، والحافظين: أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد الْمُرادي، وأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، وجماعة كبيرة.

وأكثرهم سمع منهم والده. وسمع بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ من أبي بكر

---

(1) التكملة للمنذري: الترجمة: 767 ـ الذيل على الروضتين: 47 ـ تذكرة الحفاظ 4/ 1368 ـ السير 21/ 405 ـ العبر 4/ 314 ـ طبقات الشافعية 8/ 352 ـ البداية والنهاية 13/ 38 النجوم الزاهرة 6/ 186 ـ شذرات الذهب 4/ 347.

أحمد بن المقرب الكرخي، وأبي منصور مسعود بن عبد الواحد بن الحصين، وأبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السُّهْرَوَردي، وأبي محمد المبارك بن علي بن الطبّاخ وغيرهم.

واستجاز له والده من جماعة كبيرة من البغداديين، والأصبهانيين والخراسانيين وغيرهم، ولم يزل يكتب ويسمع ويؤلف ويجمع ويحدث[1].

يقول الحافظ الذهبي: «وهو أوسع رواية وسماعاً من أبي الفرج ابن الجوزي، وله عمل جيد، ولكن ابن الجوزي أعلم منه بكثير بالرجال والمتون وبعدة فنون، وكل منهما لم يرحل، بل قنع أبو محمد ببلده ووالده، وناهيك بذلك، وقنع أبو الفرج ببغداد.

نعم، وحج أبو محمد في (555هـ) فسمع بمكة من مسعود بن الحصين وأحمد ابن المقرب، وأبي النجيب السُّهَروردي، وفخر النساء شهدة، وسمع بمصر، وحدّث بها، وبالحجاز، وبيت المقدس ودمشق.

وكتب ما لا يوصف كثرة بخطه العديم الجودة، وأملى، وصنّف، ونعت بالحفظ والفهم، ولكن خطه نادر النقط والشكل.

جمع كتاباً كبيراً في الجهاد، وما قصَّر فيه، ومجلداً في فضائل القدس، ومجلداً في المناسك، وكتاباً في من حدّث بمدائن الشام وقراها، وخرّج لنفسه موافقات وأبدالاً وسباعيات، وأملى عدة مجالس، وروى الكثير، وتفرد بأشياء عاليه»[2].

وقال ابن نقطة: «وكان ثقة في الحديث مكرماً للفقراء، وكتب كثيراً إلا أن خطه لا يشبه خط أهل الضبط والإتقان»[3].

حدّث عنه: أبو المواهب بن صَصْرى، وأبو الحسن بن المفضَّل، وعبد القادر الرُّهَاوي، ويوسف بن خليل، وولده عماد الدين علي بن القاسم، وأبو الطاهر ابن الأنماطي، والتاج القرطبي، وفتاه فرج، والتقي اليلداني، والشهاب القوصي، وعبد الغني بن بنين، وبدل بن أبي المعمَّر التبريزي،

---

(1) التكملة لوفيات النقلة: 2/ 9.

(2) سير أعلام النبلاء: 21/ 407.

(3) التقييد: 144.

والزين خالد بن يوسف، والمجد محمد بن عساكر، والتقي إسماعيل بن أبي اليُسر، والنُّشْبِي وولده أبو بكر، والكمال عبد العزيز بن عبد، وعبد الوهاب بن زين الأمناء، وفراس بن علي العسقلاني، وعماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني، وآخرون.

وبالإجازة: أحمد بن سلامة الحدّاد، وأبو الغنائم بن علّان، وطائفة.

يقول الحافظ الذهبي: «أخبرني ابن رافع أنه قرأ بخط عماد الدين علي بن القاسم الحافظ ترجمة لأبيه فقال: كان والدي بهاء الدين من الأئمة والعلماء حين بلغ حدّ السمع، سمَّعَه عماه الحافظ أبو الحسين، وأبو عبد الله محمد من المشايخ الأعيان، ثم قدم أبوه ـ يعني من الرحلة ـ سنة ثلاث وثلاثين، فأسمعه إلى أن قال: فتقرب عدة مشايخه من مئة شيخ، تفرد بالرواية عن أكثرهم، ولم يزل يسمع ويكتب ويؤلف، قال: وحج في سنة خمس وخمسين، فسمع بمكة إلى أن قال: ولولا تبييضه لكتاب التاريخ، ونقله من المسودة، لما قدر الشيخ الكبير ـ يعني والده ـ على إتقانه، ولا جَوَّدَه، فإنه حين فرغ من تسويده عجز عن نقله، وتجديده، وضبط ما فيه من المشكل، وتحديده، كأن نظره قد كَلَّ، وبصره قد قلَّ، فلم يزل والدي يكتب، وينقله من الأوراق الصغار والظهور، ويهذب إلى أن نجز منه نحو مئة وخمسين جزءاً، وكان بينهما نفرة، فكان لا يحضر السماع تلك المدة. فحكى لي والدي، قال: ضاق صدري، فأتيت الوالد ليلة النصف في المنارة الشرقية، وزال ما في قلبه. وسمعت أبا جعفر القرطبي كثيراً ما يقول عند غيبة والدك عنه: جزاه الله عني خيراً، فلولاه ما تمّ التاريخ، هذا أو معناه.

قلت: يقال: إن الحافظ أبا القاسم حلف أنه لا يكلم ابنَه حتى يكتب التاريخ، فكتبه. ولما عمل بهاء الدين كتاب «الجهاد» سمعه منه كُلَّه السلطان صلاح الدين في سنة ست وسبعين، قال: فدعوت في أوله وآخره بفتح بيت المقدس، فاستجاب الله ذلك، وله الحمد، وفتح بيت المقدس في السادس والعشرين من رجب سنة 583هـ وأنا حاضر فتحه»[1].

وقد أثنى عليه الحافظ المنذري فقال: «وكان أحد الفضلاء المذكورين

---

(1) سير أعلام النبلاء: 21/ 410.

والحفاظ المشهورين ولقيه شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي بالحجاز، وكان يذكره بالحفظ»[1].

ووصفه الحافظ الذهبي بـ«الإمام المحدّث، الحافظ، العالم الرئيس»[2].

نموذج من خط الحافظ القاسم بن علي بن الحسن بن عساكر

روى عنه من المغاربة:

1 ـ محمد بن قاسم بن عبد الرحمٰن بن عبد الكريم التميمي الفاسي (المتوفى 604هـ)[3]

روى ببلده عن أبي إسحاق بن قرقول، وآباء الحسن: ابن أحمد بن حنين، وابن الحسن اللواتي، وابن موسى بن النقرات، وأبي عبد الله بن علي بن الرمامة.

رحل إلى المشرق فأخذ عن السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، وأبي العباس أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن بن عبد الله بن العباس السلمي، وبركات بن إبراهيم بن بركات الخشوعي وأبي محمد القاسم بن علي بن عساكر.. وخلق.

كان محدثاً حافظاً ذاكراً للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم، ولم يكن في ضبطه بذلك، وحدث بالمشرق والمغرب.

ومن مصنفاته: «المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من

(1) التكملة لوفيات النقلة: 2/ 9.

(2) سير أعلام النبلاء: 21/ 405.

(3) التكملة: 2/ 161؛ المستملح من التكملة: 160؛ الذيل والتكملة: 5/ 352؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 84.

البلاد» و«أدب المريد السالك، والطريق إلى الواحد المالك» و«رسالة البرهان في ذكر حنين النفوس إلى الأحبة والأوطان». وغير ذلك.

2 ـ محمد بن أحمد بن جبير (المتوفى 614هـ)[1]

روى بالأندلس عن أبيه وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش.

له رحل ثلاث من الأندلس إلى المشرق حج في كل واحدة منها.

ولقي في هذه الرحلات جماعة من أعلام العلماء وأكابر الزهاد والفضلاء، فروى بدمشق عن أبي محمد القاسم بن علي بن عساكر، وأبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن عبد الله بن العباس السلمي، وأبي سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، وأبي الطاهر بركات الخشوعي.

وفي رحلته ذكر ما شاهد من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدائع المصانع، وهو كتاب ممتع مؤنس مثير سواكن النفوس إلى الوفادة على تلك المعالم المكرمة، والمشاهد المعظمة.

ورجع فحدث بالأندلس.

3 ـ محمد بن إبراهيم بن عبد الملك الأزدي (المتوفى 643هـ)[2]

قيجاطي نزل مرسية أبو عبد الله القارجي وابن قرشية.

رحل إلى المشرق سنة 599هـ، وحج، أخذ ببلاد الشام على أبي

---

(1) التكملة: 598؛ المستملح من التكملة: 115؛ وابن دحية في المطرب: 1/ 86؛ التكملة لوفيات النقلة: 2/الترجمة 1550؛ زاد المسافر: 72؛ الذيل والتكملة: 5/ 595؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 417؛ سير أعلام النبلاء: 22/ 45؛ مسالك الأبصار: 8/ 311؛ الإحاطة: 2/ 230؛ غاية النهاية: 2/ 60؛ جذوة الاقتباس: 1/ 277؛ نفح الطيب: 2/ 381؛ شذرات الذهب: 5/ 60؛ وهو صاحب الرحلة المشهورة.

(2) التكملة: 2/ 148؛ الذيل والتكملة: 4/ 97؛ المستملح من كتاب التكملة: 150؛ تاريخ الإسلام: 14/ 468.

الحسن علي بن محمد التجيبي، وبدمشق على أبي الطاهر بركات الخشوعي، وأبي محمد القاسم ابن محدث الشام أبي القاسم علي بن عساكر، ولازمه ورافقه إلى القدس وأقام معه فيه شهر رمضان وأياماً يسيرة بعده.

روى عنه أبو الحسن بن محمد بن بقي الغساني، وأبو عبد الله بن غالب، وأبو علي بن رشيق، وكان شيخاً معمراً فاضلاً ديناً، خطب ببلده قيجاطة زماناً.

4 ـ إبراهيم بن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري (المتوفى 651هـ)(1)

سمع بدمشق من الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، وأبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد الدَّارقزي، وأبي علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي وحدَّث.

وأبوه الخطيب أبو الحسن علي سمع ببلاد المغرب من الحافظ أبي القاسم بن بشكوال وغيره، وقدم الشام وسمع بها من جماعة.

5 ـ علي بن أبي بكر بن محمد، شاطبي أبو الحسن(2)

روى بالأندلس عن بعض مشيخته، ورحل مشرقاً فأخذ بدمشق عن أبي محمد القاسم ابن الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر.

6 ـ محمد بن عطية الأنصاري(3)

سكن المرية، ذكره أبو العباس النباتي في شيوخه: وقال إنه لقي ببغداد: أبا الطاهر بن أبي المعالي بن المعطوش، وأبا علي بن أبي القاسم بن علي بن الخريف. . .

---

(1) صلة التكملة لوفيات النقلة: 1/ 288، (482)، من تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، وأيضاً، تاريخ الإسلام للذهبي: 14/ 704.

(2) المستملح من كتاب التكملة: 330؛ الذيل والتكملة: 3/ 193؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 817.

(3) الذيل والتكملة: 4/ 432.

وبدمشق: أبا الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، وأبا محمد القاسم بن علي بن عساكر وأجازوا له.

روى عنه أبو العباس النباتي وقال فيه: نزيل المرية. فيبحث عنه هل هو أندلسي أو طارئ عليها، وكان محدثاً فاضلاً، ويقال: إنه اختلط بأخرة.

ثالثاً: رواية المغاربة عن الحسن بن محمد بن عساكر

- ترجمته:

1 - زين الأمناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن خضر بن عساكر (ت627هـ)[1]

ولد في سَلْخ ربيع الأول (سنة 544هـ).

وسمع من أبي العشائر محمد بن الخليل القيسي في الخامسة، وأبي المظفر الفلَكيّ، وعبد الرحمٰن بن أبي الحسن الدّاراني، وأبي القاسم بن البُن الأسدي، وعبد الواحد بن إبراهيم بن القُزّة، والخضر بن عبد الحارثي، وإبراهيم بن الحسن الحصني، وعلي بن أحمد بن مقاتل السوسي، ومحمد بن أسعد العراقي، وحسّان بن تميم الزَّيّات، وأبي النجيب السُّهْرَوَردي، ومحمد بن حمزة ابن الموازيني، وعلي بن مهدي الهلالي، ومحمد بن بركة الصِّلحي، والحسن بن علي البطليوسي، وعبد الله الرشيد بن عبد الجبار الخواريّ، ومحمد بن محم الكشميهَنيّ، وأخيه محمود، وعدة.

حدّث عنه الإمام عز الدين ابن الأثير، وكمال الدين ابن العديم، وابنه أبو المجد، وزكي الدين المنذري، والزين خالد، والشرف ابن النابلسيّ، والجمال ابن الصابوني، والشمس ابن الكمال، وسعد الخير بن أبي القاسم وأخوه نصر الله، والعماد عبد الحافظ النابلسيون، والشهاب الأبَرقُوهي، والشرف ابن عساكر، وأمين الدين أبو اليمن حفيده وآخرون.

---

(1) تكملة المنذري 3/الترجمة: 2277 - ذيل الروضتين: 158 - تكملة ابن الصابوني: 219. السير 22/ 284 - العبر 5/ 108 - الوافي بالوفيات 11/ 31 - طبقات السبكي 5/ 54. البداية والنهاية 13/ 127 - النجوم الزاهرة 6/ 273 - شذرات الذهب 5/ 123.

يقول عنه تلميذه الجمال ابن الصابوني: «شيخنا الزاهد زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد... كان كثير العبادة، ملازماً للصلوات الخمس في الجماعة، دائم التنفل، قَلّ أن يُرى إلا مصلياً، سمع الحديث من جماعة بقراءة عمه الحافظ المؤرخ أبي القاسم وولده أبي محمد القاسم، وحدّث بدار الحديث النورية مكان عمه الحافظ، سمعت منه كثيراً وتفرد بالرواية عن جماعة»[1].

ويقول الحافظ المنذري: «لقيته بدمشق وسمعت منه، وهو من بيت الفقه والحفظ والعدالة والتقدم»[2].

ووصفه الحافظ الذهبي بـ«الشيخ العالم الجليل المسند العابد الخيِّر» وقال أيضاً: «وكان شيخاً جليلاً، نبيلاً، عابداً ساجداً، متألهاً، حسن السَّمت، كيس المحاضرة من سروات البلد... وولي نظر الخزانة، ونظر الأوقاف، وأقبل على شأنه، وكان كثير الصلاة حتى إنه لُقِّب بالسجاد»[3].

روى عنه من المغاربة:

1 ـ عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى بن خلف بن موسى الأزدي (المتوفى 616هـ)[4]

مالقي رندي الأصل أبو حفص وأبو علي، وهي المشهورة، الرندي.

روى عن أبي إسحاق بن قرقول، وأبي بكر بن خير، وابن مُقرّب التجيبي وعبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني وعبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد التغلبي الدولعي خطيب جامع دمشق والإمام به، وعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر وآباء محمد: جامع بن باق بن عبد الله التميمي وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن موسى التميمي وابن عبد الجبار بن عبد الله العثماني الديباجي وعبد الرحيم بن النفيس السلمي وعبد الكريم بن

---

(1) تكملة إكمال الإكمال: 219.
(2) التكملة لوفيات النقلة: 3/ 259.
(3) سير أعلام النبلاء: 22/ 286.
(4) التكملة: 1828؛ صلة الصلة: 67؛ الذيل والتكملة: 3/ 450؛ الإحاطة: 309؛ برنامج الرعيني: 86.

أبي بكر عتيق بن عبد المالك الربعي وعبد الوهاب بن هبة الله بن محمود بن الخلال البزاز والقاسم بن علي بن عساكر المذكور ويونس بن يحيى بن أبي البركات الهاشمي وأبو محمد بن المجِّلي المصري وأبو مسعود عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مَنْدُوَيه وأبو المفضل محمد بن أبي الحسين بن أبي الرضا ابن الخصم وأبوا منصور: عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن أخو أبي البركات وأبي الفضل المذكورين ويونس بن محمد بن محمدالفارقي، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي اللغوي تاج الدين وحسن بن إسماعيل بن الحسن وحسين بن عبد السلام بن عتيق بن محمد بن محمد وعبد المجيد بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي ويحيى بن ياقوت وقال: مملوك العتبة الشريفة، والحرة تاج النساء بنت رستم أخت أبي شجاع المذكور، وكتب عنها، وحدث بالإجازة العامة لأهل الأندلس عن أبي الطاهر السلفي. روى عنه أبوا الحسين: ابن أخيه وعبيد الله الدايري وأبو جعفر بن يحيى المالقي وآباء عبد الله: ابن أحمد الرندي المُسَلْهَم وابن أبي يحيى أبو بكر الموّاق وابنا عَبْدَي الله: ابن محمد الأنصاري الجذامي الكتامي وابن علي بن عساكر، وأبو عمرو عبد الواحد بن تقي. وحدثنا عنه شيوخنا أبو الحسن الرعيني وأبوا علي: الحسن بن علي الماقري والحسين بن الناظر، وأبو محمد بن القطانِ.

وكان من أهل التفنن في العلوم والتوسع في المعارف، مقرئاً عارفاً مجوداً محدثاً مكثراً تام العناية بتقييد الحديث، عدلاً ثقة نحوياً متقدماً بارعاً أديباً حافظاً فاضلاً صالحاً ورعاً، أقرأ القرآن ودرس العربية والأدب طويلاً بسبتة، ثم استدعاه أهل مالقة بعد ارتحال السهيليّ عنها ـ وقيل بعد موته ـ للتدريس بها والإقراء مكانه، فأجابهم إلى ذلك واستقر بها إلى أن توفي، وله على «جمل» الزجاجي شرح جيد أفاد به.

وكان بينه وبين الأستاذ أبي محمد بن القرطبي من التنافس ما يكون بين المتواردين على مشرع واحد ـ إذ كانا المشار إليهما بمالقة ـ أفضى بهما إلى ردّ كل واحد منهما على صاحبه في أكثر ما يصدر عنه، إلى أن توفي أبو محمد فانفرد أبو علي برئاسة الإقراء. ومن ذلك ردُّ أبي محمدٍ على أبي علي

في أسانيد إجازة كتبها أبو علي لبعض الطلبة ذكر أبو محمد أنه وهم في مواضع منها، وألَّفَ في ذلك كتابه المسمَّى «بالمبدي خطا الرندي». وكذلك كان بين أبي علي وأبي الحسن بن خروف تنازع في مسائل تفسيرية ونحوية ظهر فيها شفوف أبي علي وتبريزه عليه، رحمهم الله أجمعين.

وكان لأبي علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبل في منازعه واتقان في ما يحاول بيده من التسفير وما يتعلق به مما هو كمال في حق المرتسم بالعلم وطلبه، وقدم مراكش وحدث عنه وأخذ عنه كثيرٌ من أهلها والقادمين عليها، واختلط بأخرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2 ـ محمد بن عامر بن فرقد بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمرو بن فرقد القرشي[1]: إشبيلي موروري أصل السلف (المتوفى 627هـ)

أبو القاسم بن فرقد؛ روى عن أبوي إسحاق: عم أبيه وابن حصن، وآباء بكر: ابن الجد وابن صاف وابن العربي الحاج وابن يوسف الشريشي، وأبي جعفر ابن عم أبيه أبي إسحاق المذكور، وأبوي الحسن: عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن مسلمة وابن هشام الشريشي.

وتجوَّلَ طالباً العلم، فأخذ بسجلماسة عن سالم بن سلامة السوسي، وبقسنطينة عن قاضيها أبي الفضل قاسم بن علي بن عبدون، وله شيوخ غير هؤلاء من أهل العدوتين.

وبدمشق أحمد بن عبد الله السلمي والحسن بن محمد بن عساكر وإبراهيم بن عبد الواحد بن سرور وداود بن ملاعب ومحمد بن أبي سعد البكري.

قال ابن عبد الملك المراكشي:

وقد ضمن أبو القاسم هذا ذكر مشيخته في برنام احتفل فيه وأفاد به، وقفت عليه في خطه قديماً، ولم يتأت ليَ الانتفاع به لذهابه بإضاعة من لا يقدر قدره إياه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وإن كان لم يعْن بالرواية ولقاء

---

(1) التكملة: 2/ 130؛ المستملح من كتاب التكملة: 132؛ برنامج الرعيني: 134؛ الذيل والتكملة: 4/ 421؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 843.

الشيوخ إلا بأخرة، فأخذ عمن أدرك من بقايا الشيوخ حين تنبه لذلك، ورغب فيه فأكثر واستبحر.

روى عنه ابناه: أبو طلحة أحمد وأبو عبيدة محمد، وأبو بكر بن أحمد بن سيد الناس وأبو محمد طلحة، وحدثنا عنه من شيوخنا أبو الحسن الرعيني وأبو علي ابن الناظر.

وكان فقيهاً مفتياً عاقداً للشروط، بصيراً بعللها، عدلاً مبرزاً في العدالة في الشهادة، راوية ثقة مكثراً، شديد العناية بالعلم على الاطلاق، كان يَهِمُ أحياناً في الأسانيد، براً بالناس متواضعاً، مكرماً كلَّ من تعرض له، راجح العقل حسن اللقاء طلق الوجه جميل السيرة دائم البشر، فاضلاً ديناً، وافر الحظ من الأدب، يقرض مقطعات الشعر ويجيد فيها، رائق الوراقة كثير الدءوب على النسخ ليلاً ونهاراً، حتى إنه كان متى دعي إلى موضع لعقد وثيقة أو شهادة فيها استصحب ما ينسخ، فإن أمكنت مهلة ريثما يتم أمر ما توجه إليه شرع في نسخه، فلذلك خلف بخطه من دواوين العلم كباراً وصغاراً ما لا يحصى، وقد وقفت على كثير منها.

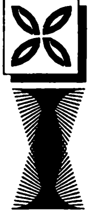
أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرعيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي القاسم بن فرقد إجازة إن لم يكن سماعاً لنفسه ونقلته من خط أبي القاسم:

أرى زمـــنـــاً فـــيـــه نـــافـــق وذو الدين فيه أعوزته المرافقُ
ومـا الـمـرء إلا الـعـقـلُ والـديـنُ والتقى وليس سواءً أحوذي ومائق
وقد قسم الله المعايشَ في الورى فلا العلمُ يعطيها ولا الجهلُ عائق
فكنْ رجلاً يرضى الحقائقَ شيمةً ولا تك سراً تستهلْكَ المخارق
وثق بالذي لا يكشف الضرَّ غيرُهُ فما خاب عبدٌ في المهماتِ واثق

وقال: رأيت سحر ليلة منىً من عام أربعة وعشرين وستمائة كأن منشداً ينشد:

اليوم يومٌ هني والدارُ جامعةٌ والنفسُ في جزع من صاحب الدارِ
يا ربَّ فاغفر ذنوبي إنها عظمت وعافني من عذاب القبر والنار

ثم قال: «ويا ابن الستين بلغتَ المعترك».





رواية المغاربة عن أعلام بيت الخشوعي[1]

ويعرف بيتهم أيضاً بالفرشي[2].

وهو بيت مشهور بالحديث والرواية بدمشق، وقد شهد بذلك الحافظ المنذري[3] عند ترجمته لإبراهيم بن بركات الخشوعي بقوله: «وهو من بيت الحديث حدّث هو وأبوه وجده».

وقال الحافظ الذهبي[4] في ترجمة مؤسس هذا البيت: «روى عدة من آبائه وأولاده».

وعميد هذا البيت هو العلامة المحدث:

1 ـ بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم الدمشقي الخشوعي الأنماطي الرفّاء الذهبي

نسبة إلى محلة حجر الذهب (ت598هـ).

مولده بدمشق في صفر (سنة 510هـ).

سمع من أبي محمد هبة الله ابن أحمد بن الأكفاني، وانفرد بالرواية عنه سماعاً وإجازةً، وانفرد أيضاً بالرواية عن أبي محمد القاسم بن علي الحريري إجازة كتبها إليه من البصرة في شهر رمضان (سنة 512هـ)، وانفرد أيضاً بالرواية عن جماعة من المجيزين له.

---

(1) يقول المنذري: «سئل أبوه أبو إسحاق إبراهيم (والد بركات) لِمَ سموا الخشوعيين؟ فقال: كان جدنا الأعلى يؤمّ بالناس، فتوفي في المحراب، فسمّي الخشوعي» التكملة لوفيات النقلة: 1/ 420.

(2) الفُرشي: بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبعدها شين معجمة نسبة إلى بيع الفرش.

(3) التكملة لوفيات النقلة: 2/ 420.

(4) السير: 21/ 358.

وسمع أيضاً من آباء محمد: عبد الكريم بن حمزة السلمي، وطاهر بن سهل بن بشر الأسفراييني، وهبة الله بن أحمد بن طاوس المقرئ، وأبوي الحسن: علي بن أحمد بن قبيس المالكي، وعلي بن المسلَّم الشافعي وغيرهم.

وأجاز له الشريف أبو علي محمد بن محمد المهدي، وأبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف، وأبو علي الحسن بن محمد بن إسحاق الباقَرْحِيّ، وأبو نصر محمد بن الفضل الأصبهاني، والقاضي أبو علي الحسن بن أحمد الحداد الأصبهاني.

وأجاز له من مصر باستدعاء الحافظ أبي طاهر السلفي أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني، وابو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء، وأبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي، وأبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن صولة البغدادي وغيرهم.

وأجاز له من الإسكندرية الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وأبو عبد الله محمد بن محمد علي بن حكم الباهلي، وأبو الفضل جعفر بن إسماعيل بن خَلَف المقرئ، وأبو القاسم عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن سعيد الصِّقلّي المعروف بابن الفحّام، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، وأبو الحسن علي بن المشرف الأنماطي، وأبو الحسن علي بن المؤمل الكاتب وغيرهم[1].

حدّث عنه أولاده:

- إبراهيم.
- وعبد العزيز.
- وعبد الله.

---

(1) التكملة لوفيات النقلة: 1/ 420.

- وست العجم.

- وستهم.

وحدّث عنه الشيخ الموفق، وعبد القادر الرُّهاوي، والبهاء عبد الرحمٰن والضياء، والبلداني، وأحمد بن يوسف التلمساني، والزين بن عبد الدائم، والشهاب القوصي، وحفيد الشيخ بركات بن إبراهيم، والخطيب داود بن عمر، وعبيد الله بن أحمد بن طِعَان وأخوه عبد الرحمٰن، وعلي بن المظفر النُّشبِي وابنه محمد، والخطيب عماد الدين عبد الكريم ابن الحرستاني، وفرج الحبشي، وفراس ابن العسقلاني، والشيخ الفقيه محمد اليونيني، والتاج مظفر ابن الحنبلي، وابن عمه يحيى ابن الناصح، ويوسف بن يعقوب الإربلي، ويوسف بن مكتوم الحبَّال، وأيوب بن أبي بكر الحمامي، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري، والمجد محمد بن عساكر والتقي ابن أبي اليسر، وعبد الوهاب بن محمد القُنَّبِيطي، والكمال عبد العزيز بن عبد وخلق كثير.

وبالإجازة القطب بن عصرون، وأحمد بن أبي الخير وأبو الغنائم بن علّان، والفخر علي، وعدة.

قال القوصي: «كان أعلاهم إسناداً مع تواضع وافر، ودين ظاهر، ومروءة تدل على أصل طاهر، لازمته إلى حين موته»[1].

قال ابن نقطة: «سماعاته وإجازاته صحيحة»[2].

ويقول الحافظ المنذري: «ولنا منه إجازة كتب بها إلينا من دمشق في صفر (سنة 595هـ)، ومرة أخرى في ذي القعدة من السنة»[3].

وأثنى عليه الحافظ الذهبي فقال: «الشيخ العالم، المحدث، المعمَّر، مسند الشام»[4].

---

(1) الذيل على الروضتين: 28؛ البداية والنهاية: 31/ 32.

(2) التقييد: 67.

(3) التكملة لوفيات النقلة: 1/ 420.

(4) سير أعلام النبلاء: 21/ 355.

روى عنه من المغاربة:

1 ـ عبد الله بن محمد بن طاهر الأزدي (المتوفى 600هـ)(1)

من أهل وادي آش

حج، وسمع بدمشق الخشوعي والقاسم بن عساكر، وحدث ببلده، سمع منه أبو سليمان بن حوط الله سنة 599هـ.

2 ـ علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري (المتوفى 605هـ)(2)

مالقي استوطن الشام، وعرف هناك بزين الدين، روى بالأندلس عن بعض شيوخها، وبسبتة عن أبي الصبر الفهري، ورحل مشرقاً فأخذ ببجاية عن أبي محمد عبد الحق الخراط، وبدمشق عن أبي الطاهر الخشوعي.

كان ورعاً زاهداً، فاضلاً حافظاً الحديث، عارفاً بالقراءات، إماماً في النحو، حسن الخط، شهر في بلاد الشام بمتانة الدين وكمال الفضل، ولما افتتح صلاح الدين بيت المقدس التمس إماماً يكون خطيبه وصاحب الصلاة به فأجمع من حضر هناك من العلماء والأفاضل المشار إليهم على أنه لا أحق من أبي الحسن هذا بذلك المنصب، فقدمه لذلك، وإياه عندي عن عماد الدين الأصبهاني ابن أَلُهِ كاتب السلطان صلاح الدين ـ رحمهما الله ـ بقوله في كتابه: «الفتح القسي في الفتح القدسي»: «ورتب السلطان في قبة الصخرة إماماً من أحسن القراء تلاوة، وأزينهم طلاوة، وأنداهم صوتاً، وأسماهم في الديانة صيتاً، وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر، وأطيبهم في العرف والنشر، وأغناه وأقناه، وأولاه لما ولاه، ووقف عليه داراً وأرضاً وبستاناً، وأسدى إليه معروفاً دارّاً وإحساناً».

(1) التكملة: 2/ 283: صلة الصلة؛ 3/الترجمة 214؛ المستملح من كتاب التكملة: 214؛ الذخيرة السنية: 39؛ نفح الطيب: 2/ 222؛ الإعلام للمراكشي: 8/ 203.

(2) التكملة: 3/ 222؛ التكملة لوفيات النقلة: الترجمة: 1087؛ الذيل والتكملة: 3/ 314؛ المستملح من كتاب التكملة: 321؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 13/ 117؛ العبر: 5/ 13؛ النجوم الزاهرة: 6/ 197؛ شذرات الذهب: 5/ 17.

وبقوله في كتاب «البرق الشامي»: «وأقام السلطان بها إماماً حسن التلاوة، حافظاً للقرآن جامعاً في القراءة للعذوبة والحلاوة».

واستمرت حاله كذلك معلوم الجلالة إلى أن توفي فكانت جنازته مشهودة لم يتخلف عنها كبير أحد، حتى إن النصارى الذين كانوا بالكنيسة هنالك اتبعوا جنازته ورموا بعض ثيابهم على نعشه، وأخذ بعضهم يناول بعضاً إياها، ويمسحون بها على وجوههم تبركاً به رضي الله عنه.

وقال ابن الأبار إنه عاد إلى الأندلس وأن أخاه روى بها عنه وما أرى ذلك صحيحاً والله أعلم.

3 ـ عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى بن خلف بن موسى الأزدي المالقي (المتوفى 616هـ)

تقدمت ترجمته.

روى عن أبي الطاهر الخشوعي.

4 ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن عياش الكناني أبو جعفر (المتوفى 630هـ)[1]

روى عن أبي القاسم بن بشكوال ورحل إلى المشرق سنة 578هـ، وحج في ثاني عام رحلته وتجول هنالك نحواً من عشرين سنة، ودخل بغداد وأخذ بها عن ضياء الدين أبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة، وبمكة شرفها الله عن أبي حفص الميانجي، وبدمشق عن أبي الطاهر الخشوعي، وأبي محمد القاسم بن علي بن عساكر، وسكنها سنين، وأقرأ بها القرآن العظيم.

ثم قفل إلى الأندلس سنة 597هـ، فأقام بمالقة مدة فروى عنه بها أبو جعفر: ابن عبد المجيد الجبار وابن علي الفحام، ثم تحول إلى مرسية فروى

---

(1) التكملة: 1/ 118؛ الذيل والتكملة: 1/ 373؛ نفح الطيب: 3/ 360.

عنه بها أبو بكر محمد بن غلبون، وأبو عبد الله بن علي بن حماد، وأبو محمد بن عبد الرحمٰن برطلة.

وكان حافظاً للقرآن العظيم، مثابراً على تلاوته، حسن القيام على تجويده، ذا عناية برواية الحديث، معروفاً بالثقة فيما يرويه، والعدالة واستقامة الحال.

5 ـ فرج بن عبد الله الحبَشي، فتى الشيخ أبي جعفر القرطبي، وعتيق المجد البهنسي بدمشق (المتوفى 652هـ)(1)

سمع الكثير بدمشق من جماعة من أهل البلد والقادمين إليها، منهم: مولاه أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي، وأبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، والحافظ أبو محمد القاسم بن علي الدمشقي، وأبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد، وأبو بكر عبد الرحمٰن بن سلطان القرشي، وأبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد، وأبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج.

وحدث بدمشق مدة بالكثير، وكان شيخاً صالحاً خيِّراً عفيفاً، ووقف كتبه على أصحاب الحديث ينتفعون بها.

ـ وممن أجاز له الخشوعي من دمشق ولم يلقه:

6 ـ عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الأندي (المتوفى 612هـ)(2)

«الحافظ الإمام محدث الأندلس»(3).

---

(1) ذيل الروضتين: 188؛ تكملة إكمال الإكمال: 271؛ تاريخ الإسلام: 14/ 731؛ سير أعلام النبلاء: 23/ 290؛ العبر: 5/ 213؛ البداية والنهاية: 13/ 186؛ النجوم الزاهرة: 7/ 33؛ شذرات الذهب: 14/ 737.

(2) التكملة: 2/ 287؛ المستملح من كتاب التكملة: 217؛ التكملة لوفيات النقلة: 2/ الترجمة 1445؛ صلة الصلة: 3/الترجمة 221؛ نفح الطيب: 2/ 1165؛ تاريخ الإسلام: 13/ 338؛ سير أعلام النبلاء: 22/ 41؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 1397؛ الوافي بالوفيات: 17/ 201؛ مرآة الجنان: 4/ 23؛ الإحاطة: 3/ 416؛ المرقبة العليا: 112؛ الديباج: 1/ 447؛ بغية الوعاة: 2/ 44؛ شذرات الذهب: 5/ 50.

(3) سير أعلام النبلاء: 22/ 41.

سمع أباه وأخذ عنه القراءات، وقدم بلنسية، وسمع النصف الأول من «إيجاز البيان» في قراءة ورش لأبي عمرو الداني من أبي الحسن بن هذيل، لم يسمع منه غير ذلك ولا أجاز له، ورحل إلى مرسية فسمع من أبي القاسم بن حُبيش، وأبي عبد الله بن حميد، فأخذ عنهما القراءات، وسمع منهما الحديث، وناظر في العربية على ابن حميد، وقيد عنه اللغات، ثم جال في الأندلس يأخذ القراءات والحديث، فأكثر عن ابن بشكوال، وسمع من أبي الوليد بن رشد، وأبي عبيد البكري، وطائفة، واعتنى بالطلب من صغره إلى كِبَرِه، وروى العالي والنازل.

وكان إماماً في هذا الشأن، مقيداً، بصيراً به، معروفاً بالإتقان، حافظاً لأسماء الرجال، ألف كتاباً في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي، نزع فيه منزع أبي نصر الكلاباذي لم يكمله، وأكثر الأسفار، فتفرقت أصوله، ولو قعد للتصنيف لعظُم الانتفاع به، ولم يكن في زمانه أكثر مسموعاً منه، ومن أخيه أبي سليمان.

وكان له على أخيه الشفوف الواضح في علم العربية، والتفنن في غير ذلك، والتميُّز بإنشاء الخطب، وتحبير الرسائل، والمشاركة في قرض الشعر.

أقرأ بقرطبة القرآن والعربية، واستأدبه المنصور لبنيه، فأقرأهم بمراكش، وحظي لديه، ونال من جهتهم وجاهةً متصلة ودنيا عريضة، وتصرف في الخطط النبيهة، وولي قضاء إشبيلية وقرطبة ومرسية، وكان حميد السيرة، محبّباً في الناس، جزلاً، صليباً في الحق، مهيباً، على حِدَّة ربما أوقعته فيما يكره، عالماً مُقدماً، خطيباً مُفوَّهاً، أخذ عنه الناس.

قال ابن الزبير: سمع بمدائن الأندلس، وبسبتة، ومراكش، وسلا من عالم عظيم مع أخيه، وحصل لهما سماع جمٌّ لم يشاركهما فيه وفي كثرته أحد واعتنيا بباب الرواية.




4

رواية المغاربة عن أعلام بيت ابن الحرستاني[1]

ترجع شهرة هذا البيت في الحديث إلى المحدث الكبير:

1 ـ أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي ابن الحرَستاني (ت 614هـ)

من ذرية سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ

ولد في أحد الربيعين (سنة 520هـ).

وسمع في سنة خمس وعشرين، وبعدها من عبد الكريم بن حمزة، وطاهر بن سهل، وجمال الإسلام علي بن المسلم، والفقيه نصر الله بن محمد، وهبة الله بن طاوس، وعلي بن قبيس المالكي، ومعالي ابن الحبوبي، وأبي القاسم بن البُن الأسَدي، وأبي الحسن المرادي، وأبي المجد معالي بن هبة الله بن الحسن بن علي الثعلبي، والفقيه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المِصيِّصي، والزاهد أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السُّهْرَوردي، وأبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، وأبي المرَجَّى سالم بن عبد السلام بن الربيع البوازيجي[2].

وتفرد بالرواية عن جماعة منهم، وكان سماعه من بعضهم بقراءة الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي وإفادته.

---

(1) منسوب إلى حرستا، قال ياقوت: «بالتحريك وسكون السين وتاء فوقها نقطتان، قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ» وهي اليوم مشهورة أيضاً.

(2) التكملة لوفيات النقلة: 2/ 416.

وله الإجازات العالية من جماعة كثيرة من الشاميين، والعراقيين، والأصبهانيين، والخراسانيين.

وله مشيخة في جزء مروي.

وقد أجاز له أبو عبد الله الفُرَاوي، وهبة الله بن سهل السيدي، وزاهر بن طاهر، وعبد المنعم ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري، وإسماعيل القارئ وطائفة.

وحدّث «بدلائل النبوة» للبيهقي، و«صحيح مسلم»، وأشياء. وبرع في المذهب وأفتى ودرس. وعُمِّر دهراً طويلاً وتفرد بالعوالي.

حدّث عنه أبو المواهب ابن صَصْرى، وعبد الغني المقدسي، وعبد القادر الرُّهاوي، والضياء، وابن النجار، والبرزالي، وابن خليل، والقوصي، والزكي عبد العظيم، وكمال الدين ابن العديم، والنجيب نصر الله الصَّفار، وزين الدين خالد، والجمال عبد الرحمٰن بن سالم الأنباري، وأبو الغنائم بن عَلّان، وأبو حامد ابن الصابوني، والبرهان ابن الدرجي، ويوسف بن تمام، وأبو بكر بن الأنماطي، ومحمد وعمر ابنا عبد المنعم القواس، ومحمد بن أبي بكر العامري، والفخر علي، وأبو بكر بن محمد بن طرخان، والشمس عبد الرحمٰن بن الزين، وأبو بكر بن عمر المزي، والقاضي شمس الدين محمد بن العماد، وأبو إسحاق ابن الواسطي، وخلق كثير.

وروى عنه بالإجازة العماد عبد الحافظ بن بدران، وعائشة بنت المجد[1]. وكان إماماً فقيهاً، عارفاً بالمذهب، ورعاً صالحاً، محمود الأحكام، حسن السيرة، كبير القدر.

رحل إلى حلب، وتفقه بها على المحدث الفقيه أبي الحسن المرادي، وولي القضاء بدمشق، نيابة عن أبي سعد بن أبي عصرون، ثم إنه ولي قضاء القضاء استقلالاً في (سنة 612هـ).

---

(1) ذيل الروضتين: 105، 106؛ البداية والنهاية: 13/ 78.

قال ابن نقطة: «هو أسند شيخ لقينا من أهل دمشق، حسن الإنصات، صحيح السماع»[1].

وقال أبو شامة: «دخل به أبوه من حَرَستا، فنزل بباب توما، يؤم بمسجد الزينبي، ثم أَمَّ فيه ابنه جمال الدين، ثم انتقل جمال الدين فسكن بداره بالحُوَيرة، وكان يلازم الجماعة بمقصورة الخضر، ويحدّث هناك، ويجتمع خلق، مع حسن سَمْتِهِ وسُكُونه وهيبته. حدثني الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لم يَرَ أفقه منه، وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صحب فخر الدين بن عساكر فسألته عنهما فرجّح ابن الحرستاني، وكان حفظ «الوسيط» للغزالي».

ثم قال أبو شامة: «ولما ولي محيي الدين القضاء لم ينب ابن الحرستاني عنه، وبقي إلى أن ولاه العادل القضاء، وعزل الطاهر، وأخذ منه العزيزية، والتقوية، فأعطى العزيزية ابن الحرستاني مع القضاء، وأقبل عليه العادل، وكان يحكم بالمجاهدية، وناب عنه ولده العماد، ثم ابن الشيرازي، وشمس الدين ابن سَنيّ الدولة، وبقي سنتين وسبعة أشهر، ومات، وكانت له جنازة عظيمة، وقد امتنع من القضاء، فألحوا عليه وكان صارماً عادلاً على طريقة السلف في لباسه وعفته»[2].

وقال سبط ابن الجوزي[3]: «كان زاهداً، عفيفاً، ورعاً، نزهاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، اتفق أهل دمشق على أنه ما فاتته صلاة بجامع دمشق في جماعة إلا إذا كان مريضاً»، ثم ساق حكايات من مناقبه وعدله في قضاياه، وأُتِي مرة بكتاب فرمى به وقال: «كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب» فبلغ العادل قوله فقال: «صدق كتاب الله أولى من كتابي». وكان يقول للعادل: أنا ما أحكم إلا بالشرع، وإلا فأنا ما سألتك القضاء، فإن شئت فأبصر غيري.

قال أبو شامة: «ابنه العماد هو الذي ألَحَّ عليه حتى تولى القضاء،

---

(1) التقييد: 64.

(2) ذيل الروضتين: 105.

(3) مرآة الزمان: 8/ 589.

وحدثني ابنه قال: جاء إليه ابن عُنَيْن، فقال: السلطان يُسلم عليك ويوصي بفلان، فإن له محاكمة، فغضب وقال: الشرع ما يكون فيه وصية»[1].

وقال المنذري: «وحدّث مدة نحو الأربعين سنة، ونشر علماً جماً، ودرّس، لقيته بدمشق وسمعت منه، وكان مهيباً حسن السمت، مجلسه مجلس وقار وسكينة، ويبالغ في الإنصات إلى من يقرأ عليه»[2].

وقد أثنى عليه الحافظ الذهبي، وحلاه بأجمل الأوصاف فقال: «الشيخ الإمام العالم المفتي المعمَّر الصالح مسند الشام شيخ الإسلام، قاضي القضاة»[3].

مات رحمه الله تعالى في الرابع من ذي الحجة (سنة 614هـ)، وهو في خمس وتسعين سنة.

روى عنه من المغاربة:

1 ـ أحمد بن تميم بن هشام ابن حَنُّون البهراني (المتوفى قبل 620هـ)[4]

لبُلي سكن إشبيلية، روى بالأندلس عن أبيه وأبي إسحاق ابن خلف السنهوري، وأبي بكر بن عبد الله بن الجد، وأبي عبد الله بن زرقون..

رحل إلى المشرق سنة 603هـ، وسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد، وبدمشق من أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني.

كان ثقة صالحاً صحيح السماع، روى عنه أبو بكر بن أحمد بن سيد الناس.

---

(1) ذيل الروضتين: 106.
(2) التكملة لوفيات النقلة: 2/ 416.
(3) سير أعلام النبلاء: 22/ 80.
(4) التكملة: 1/ 112؛ الذيل والتكملة: 1/ 112؛ نفح الطيب: 3/ 359.

2 ـ محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي (المتوفى 637هـ)(1)

إشبيلي، مرسي الأصل.

استوطن دمشق ودعي في المشرق محيي الدين، أبو بكر بن العربي والحاتمي والقشيري لملازمته رسالة القشيري إلى الصوفية وإكبابه على قراءتها ومطالعتها. أخذ ببلده عن مشيخته ومنهم: أبو عمران الزاهد المارتلي، وأخذ بها أيضاً عن تقي الدين أبي القاسم عبد الرحمٰن بن علي القسطلاني، وبفاس عن أبي الحسن بن حرزهم وأبي عبد الله بن قاسم وغيرهما، وروى عن أبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن سُكينة وأبي بكر بن العربي، وتدبج معه، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمٰن الفرياني وأبي الضيا بدر الحبشي وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي، وأبوي العباس الأحمدين: ابن داود بن ثابت بن منصور الجزيري الحلفاوي وابن مسعود بن سداد المقري وذكره في «المبشرات» قال: كان جملة من أصحابنا قبل أن أعرف العلم قد رغبوا وقصدوني محرضين على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذاك ولا بالحديث، فرأيت نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع، وجماعة بأيديهم السلاح يريدون قتلي، ولا ملجأ معي آوي إليه، فرأيت أمامي ربوة، ورسول الله ﷺ عليها، فلجأت إليه، فألقى ذراعه إليّ وضمني إليه ضماً عظيماً، وقال لي: يا حبيبي استمسك بي تسلم، فنظرت إلى أولئك الأعداء فلم أر على وجه الأرض منهم أحداً، فمن ذلك الوقت اشتغلتُ بتقييد الحديث.

وذكر فيها: رأيت وأنا بحرم مكة في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، وكأني واقف بين يدي ربي مطرقاً خائفاً من عتابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جلّ جلاله: يا عبدي لا تخف فإني لا أطلب منك عملاً إلا أن

---

(1) التكملة: 2/ 145؛ المستملح من كتاب التكملة: 147؛ إكمال الإكمال: 4/ 293؛ ذيل تاريخ مدينة السلام: 1/ 530؛ التكملة لوفيات النقلة: 3/الترجمة 2972؛ الذيل والتكملة: 4/ 493؛ تاريخ الإسلام: 14/ 273؛ سير أعلام النبلاء: 23/ 48؛ العقد الثمين: 2/ 160 ـ 199؛ ومراجع أخرى.

تنصح عبادي، فانصح عبادي، وكنتُ أُرشد الناسَ إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزاً تكاسلتُ، وعزمت تلك الليلة أن أشتغل بنفسي وأتركَ الخلقَ وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤيا، فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح والآفات القاطعة بكل صنف عنه: من الفقهاء والفقراء والصوفية في العوام، فكلّ قام علي وسعى في إهلاكي فنصرني الله عليهم وعصم فضلاً منه ورحمة؛ قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، ذكره في صحيح مسلم.

وقال فيها: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين، فقلت: من هؤلاء الذين يقرؤون القرآن في مثل هذا الوقت ولا خوف عليهم؟ فقيل لي: هم حملة القرآن، فقلت: وأنا منهم، فأدلي لي سلم فرقيت فيه إلى غرفة في عليين فيها كبار وصغار يقرؤون القرآن على رسول الله ﷺ إبراهيم الخليل، فقعدت بين يديه وافتتحت القرآن آمناً لا أعرف خوفاً ولا هولاً ولا حساباً ولا أدري ما همُ الناسُ فيه من الكرب في الحشر؛ قال النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: 37].

3 ـ أبو العباس النباتي (ت637هـ)(1)

هو: أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي مولاهم: إشبيلي أبو العباس، ابن العشاب وابن الرومية وهي أشهرهما وألصقهما به، وكان يكرهها ويقلق لها، فشهر بالعشاب وبالنباتي، وكان ولاء جده مفرج لأحد أطباء قرطبة وكان قد تبناه وعن مولاه هذا أخذ علم النبات.

روى بالأندلس عن أبوي إسحاق: ابن خلف الدمشقي السنهوري، وابن عبد الله اليابري وغيرهم.

---

(1) التكملة: 1/ 121 ـ الإحاطة 1/ 88 ـ الذيل والتكملة ـ السفر الأول ـ ص487 ـ اختصار القدح: 181 ـ تذكرة الحفاظ 4/ 1425 ـ السير 23/ 58 ـ الوافي بالوفيات 8/ 45 الديباج المذهب 1/ 191 ـ نفح الطيب 1/ 634 ـ شذرات الذهب 5/ 184.

ومن أهل المشرق: أبوا عبد الله المحمدان: ابن إسماعيل بن أبي الصيف وابن الحسن جوبكار نزيلا مكة شرفها الله.

ثم رحل إلى المشرق بنية الحج (عام 612هـ) فأدى فريضته عام ثلاثة عشر، ولقب هنالك بمحب الدين، وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، ولقي في وجهته من أعلام العلماء الأكابر جملة كبيرة.

فلقي بدمشق عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني، والحسن بن علي بن الحسين بن محمد الأسدي أبو محمد بن البُن وغيرهم من كبار أعلام دمشق.

حَدّث في رحلته فأخذ عنه ببغداد أبو عبد الله بن سعيد بن الدبيثي وبمصر الحافظ أبو بكر بن نقطة وقال فيه: كان صالحاً حافظاً ثقة حدثني من حفظه، وإبراهيم بن يوسف بن علي القيسيَ، وأبو محمد عبد الرحمٰن بن عفير ومحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن بدرون، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي الأنصاري؛ وقفل إلى بلده برواية واسعة وفوائد جمة، وجلب كتباً نافعة وتصانيف غريبة، وأخذ بها عنه جماعة منهم: ابنه أبو النور محمد جارنا بمراكش، والأحامد أبناء العليين: ابن عمريل وابن هارون وابنا المحمدين: ابن عيسى المومناني أبو عبد الله وابن أبي الخليل وابن يوسف بن فرتون وسليمان بن علي بن محمد بن سليمان وطلحة بن محمد بن طلحة وأعَبد الله: ابن عبد الرحمٰن بن برطله وابن عبد الرزاق وابن قاسم الحرار.

قال عنه ابن عبد الملك المراكشي: «وكان محدثاً حافظاً ناقداً ذاكراً تواريخ المحدثين وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وتعديلهم وتجريحهم سنياً ظاهري المذهب منحياً على أهل الرأي شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم وعنه انتشرت تصانيفه إذ كان قد عني بها كثيراً واستحسنها وأنفق عليها أموالاً جسيمة حتى استوعبها جمعاً فلم يشذ عنه منها إلا ما لا خطر له إن كان قد شذ مقتدراً على ذلك معاناً عليه بجدَتِه ويَساره، بعد أن تفقه طويلاً على أبي الحسين محمد بن أحمد بن زرقون في مذهب مالك، وكان زاهداً في الدنيا موثراً بما في يديه منها موسعاً عليه في معيشته كثير الكتب في كل فن من العلوم على تفاريقها سمحاً لطلبة العلم بها وبما وهب

منها لملتمسه الأصل النفيس الذي يعز وجوده ويعظم جدواه وترتفع قيمته احتساباً به على التعلم له في ذلك كله أخبار منبئة عن فضله وكرم طبعه وكان كثير الشغف بالعلم والدّؤوب على تقييده على إفراط رداءة خطه ومداومة سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته وحاجات الناس إليه، إذ كان حسن العلاج في طبه، مورد الموضع لثقته ودينه، إمام أهل المغرب قاطبة في معرفة النبات وتمييز الأعشاب وتحليتها وعلم منافعها ومضارها غير مدافع عنه ولا منازع فيه، أخذه قديماً عن أبيه وعن جده وكانا قدوة في العلم به وعن غيرهما، ثم جال بسببه الكثير حتى وقف على منابته وصوره، ورحل في ذلك إلى جبل غرناطة وغيره من بلاد الأندلس، وعاين في وجهته المشرقية كثيراً مما لا يكون بالمغرب منه، وفاوض فيه هنالك كل من أمكنه ممن يشهد له بالفضل في معرفته، ولم يزل باحثاً عن حقائقه كاشفاً عن غوامضه حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الإسلامية، فصار أوحد عصره في ذلك فرداً لا يجاريه أحد فيه بإجماع من أهل ذلك الشأن، وكان له دكان متسع يقعد فيه لبيع الحشائش الطِّبيّة والنفع بها، وله فيما كان ينتحله من الفنين تصانيف مفيدة وتنبيهات نافعة واستدراكات نبيلة بارعة وتعقبات لازمة، منها في الحديث ورجاله «المعلم بزوائد البخاري على مسلم» و«اختصار غرائب حديث مالك» جمع أبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني و«نظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري» و«توهين طرق حديث الأربعين» جعله أربعين باباً و«حكم الدعاء في أدبار الصلوات» و«كيفية الأذان يوم الجمعة» و«اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين» لأبي أحمد ابن عدي و«الحافل في تذييل الكامل» المذكور و«أخبار محمد بن إسحاق»؛ ومنها في النبات شرحه حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس، والتنبيه على أوهام مترجميها، و«التنبيه على أغلاط الغافقي في أدويته»، إلى غير ذلك من المصنفات الجامعة والمقالات المفردة والتعاليق المتنوعة وكل ذلك شاهد بتبريزه وجودة إدراكه في جميع ما كان يتولّاه من ذلك، وعلى الجملة فإنه كان من حسنات الدهر التي قلما يسمح بمثلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبلغني أن تلميذه الأخص به الناقد المحدث الأنبل أبا محمد بن قاسم الحرار تهمم بجمع أخباره وعني بحشد مآثره وآثاره وضمنها

مجموعاً له نبيلاً لم أقف عليه، وفيما ذكرته من أحواله نبذه صالحة.

4 ـ علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله بجائي أبو الحسن بن أبي نصير (المتوفى 652هـ)[1]

كان فاتح أبوه رومياً اشتراه أبو الحسن علي بن الأفرم، فلما أسن أعتقه.

أخذ أبو الحسن ببلده عن أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي، ودخل الأندلس، وبلغ من غربيها إلى مالقة وإشبيلية ثم شرق في نحو ستمائة، وحج وسمع بمكة ـ شرفها الله ـ: أبا محمد يونس بن يحيى الهاشمي، وببيت المقدس أبا الحسين بن جبير، وبدمشق أبا القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني.

وقيل: إنه انتهى في رحلته هذه إلى خراسان، وأنفق فيها أموالاً كثيرة، وأنه أخذ بالموصل والشام والعراق عن جماعة من أهلها، وقفل إلى بلده فاقرأ به وأسمع.

روى عنه أبو عبد الله بن الأبار، وأبو العباس: ابن محمد بن الغماز، وابن الرومية وحدث عنه بالإجازة أبو محمد مولى سعيد بن حكم.

وكان أبو الحسن من أهل الإتقان والضبط والأمانة، متقدماً في الثقة والعدالة، صدراً في الزهد والورع والإنفاق، ملتمس الدعوة، معظماً عند الخاصة والعامة من أهل بلده.

5 ـ محمد بن عمر بن محمد بن علي الأنصاري الفاسي (المتوفى 670هـ)[2]

سمع بدمشق من أبي علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي، وقاضي القضاة أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني وغيرهما، وحدث.

---

(1) التكملة: 3/ 252؛ المستملح من كتاب التكملة: 341؛ الذيل والتكملة: 5/ 161؛ عنوان الدراية: 137؛ تاريخ الإسلام: 14/ 730.

(2) صلة التكملة لوفيات النقلة: 2/ 619؛ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، تاريخ الإسلام: 15/ 187؛ الوافي بالوفيات: 4/ 262؛ المقفى: 6/ 428.

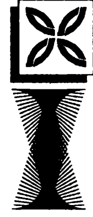
قال الحسيني: وسمعت منه[1].

وأضاف الحافظ شهاب الدين الدمياطي بعد نهاية الترجمة ما يأتي:

«وسمع أيضاً من ابن ملاعب، وأبي اليمن الكندي، وكان يعرف بالإسكندري»[2].

(1) صلة التكملة: 2/ 612.

(2) معجم شيوخ الحافظ الدمياطي، نقلاً عن تعليق الدكتور بشار عواد معروف، في تحقيقه لصلة التكملة، التعليق (2) 2/ 619.

5

رواية المغاربة عن أعلام بيت ابن صَصْرى

عميد هذا البيت:

أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن أبي البركات محفوظ بن الحسن بن أبي الحسين بن صصرى التغلبي الدمشقي (ت626هـ)

ولد (سنة بضع 530هـ)(1).

سمع من أبيه وجده، وجده لأمه أبي المكارم بن هلال.

سمع من آباء القاسم: الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي المعروف بابن البُن، ونصر بن أحمد بن مقاتل السُّوسي، وعلي بن الحسن بن هبة الله بن الحسن الدمشقي وغيرهم.

وأجاز له الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي اللاذقي وغيره من الدمشقيين، وأبو محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ، والشريف أبو السعادات هبة الله بن محمد بن علي النحوي المعروف بابن الشجري، وأبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَرُوخي، وأبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر ابن الزاغوني وغيرهم من البغداديين، وأبو عبد الله بن الحسين بن خميس الموصلي(2).

حدّث عنه الضياء، والقوصي، والمنذري، والجمال ابن الصابوني، والزين خالد، وأبو بكر بن طرخان، وإبراهيم بن عثمان اللمتوني، والشرف أحمد بن أحمد الفرضي، والجمال أحمد بن أبي محمد المغاري، والتقي بن

---

(1) في تكملة المنذري: «مولده قبل (540هـ)» 3/ 240.

(2) التكملة لوفيات النقلة: 3/ 240.

الواسطي وأخوه، والتقي ابن مؤمن، والعز بن الفراء، وعبد الحميد بن حولان، ونصر الله بن عيّاش، وأبو المعالي الأبرقوهي، وأبو جعفر ابن الموازيني، وخلق[1].

خرّج له البرزالي مشيخة في مجلد[2]، وقال عنه: «كان يسأل من غير حاجة، وهو مسند الشام في زمانه»[3].

قال ابن الحاجب: «ربما كان يأخذ من آحاد الأغنياء على التسميع».

وقال محمد بن الحسن بن سلام: «كان فيه شح بالتسميع إلا بعرض من الدنيا، وهو من بيت حديث وأمانة وصيانة، كان أخوه من علماء الحديث، وقرأت عليه «علوم الحديث» للحاكم في ميعادين، وكان متمولاً، له مال وأملاك، رزئ في ماله مرات»[4].

قال تلميذه المنذري: «حدّث بالكثير، لقيته بدمشق وسمعت منه وهو من بيت الحديث والعدالة»[5].

وأثنى عليه الحافظ الذهبي فقال: «الشيخ الجليل القاضي مسند الشام»[6]. وقال الصفدي: «كان عدلاً جليلاً صحيح الرواية»[7].

ومن أبناء الحسن بن هبة الله، نجد سالم بن الحسن جدّ أسماء بنت محمد بن سالم.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات 626).

(2) يقول الصفدي: «خرج له الشيخ البرزالي مشيخة في سبعة عشر جزءاً بالسماع والإجازة» الوافي بالوفيات: 13/ 80.

(3) المصدر نفسه: 13/ 80.

(4) سير أعلام النبلاء: 22/ 284.

(5) التكملة لوفيات النقلة: 3/ 241.

(6) سير أعلام النبلاء: 22/ 282.

(7) الوافي بالوفيات: 13/ 80.

روى عنه من المغاربة:

1 ـ أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعي مرسي (ت598هـ)(1)

أنْدي الأصل سبط القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية من بنته أمة الرحمٰن المدعوة بأم هاني؛ روي بِبَلَنْسِيَة عن أبي الحسن بن عبد الله بن النعمة وأبي عبد الرحمٰن محمد بن عبد الرحمٰن ابن طَاهر ثم رافق أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير في رحلته الأولى إلى المشرق وفصلاً لها عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال ثمان وسبعين وخمسمائة وحجا سنة تسع بعدها وتجوَّلا بتلك البلاد المشرقية ولقيا بها طائفة من بقايا أهل العلم ومشاهير الزهّاد والصلحاء، منهم بمكة ـ شرفها الله ـ: ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن الأمين ـ بالنّون ـ أبي منصور علي بن علي بن عبيد الله بن سُكَيْنَة بالكاف والنون مصغرّاً ـ وهي أم أبي منصور ـ وأبو إبراهيم إسحاق التونسي وأبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانجي وأبو جعفر بن علي القرطبي ابن الفنكي وأبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخُجَنْدي بالخاء المعجمة مضمومة والجيم مفتوحة والنون ساكنة ودال منصوباً وأبو يوسف بن أحمد بن محمد بن إبراهيم البغدادي، وببغداد أبو الفرج ابن الجوزي، وبدمشق أبو الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن عبد الله بن العباس السلمي ابن الموازيني وأبو الطاهر بركات ابن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن العباس بن هاشم القرشي المعروف بالخشوعي نقلت نسبه من خطه هكذا وبذلك أشهر ما يعرف وبالجَيْروني بالجيم مفتوحة والياء بثنتين من أسفل ساكنة والراء مضمومة بعدها واو آخره نون منسوباً إلى باب جيرون بدمشق لسكناه به، ويقال فيه الفُرْشي بالفاء مضمومة والراء ساكنة

(1) التكملة: 1/ 93؛ جذوة الاقتباس؛ الذيل والتكملة: 1/ 87؛ نفح الطيب: 2/ 143؛ عيون الأنباء: 2/ 79؛ اختصار الفتوح: 126؛ البيان المغرب: 3/ 283.

منسوباً إلى بيع الفرش، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن ألُه الأصبهاني وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، وغلط ابن الأبار في كنيته فكناه أبا محمد، وأبو محمد: عبد الرزاق بن نصر بن مسلم النجار والقاسم بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين يعرف بابن عساكر وأبو الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الربعي التغلبي وأبو القاسم عبد الرحمٰن بن الحسين بن الخضر بن عبدان وأبو عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن أبي سعد الصولي وأبو الوليد إسماعيل بن علي بن إبراهيم وأجازوا له وسمع على بعضهم وأبو عبد الله المرادي الأشبيلي نزيل دمشق، وبحرّان العارف المتكلم الصوفي أبو البركات حيّا ابن عبد العزيز وابنه الحاذي حذو أبيه أبو علي عمر، وحمّله أبو جعفر ابن الزبير الرّوايةَ عن أبي الطاهر السِّلَفي زاعماً أنه لقيه وذلك وهم بيّن لتقدّم تاريخ وفاة أبي الطاهر على تاريخ رحلة أبي جعفر هذا إذ كانت وفاة أبي الطاهر ليلة الجمعة الخامسة من شهر ربيع الآخر من سنة ست وسبعين وخمسمائة، وقد تقدم تاريخ رحلة أبي جعفر هذا، وأفحش من هذا الوهم تخيله الرواية عن أبي القاسم ابن عساكر وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين، وإنّما يروي عن ابنه أبي محمد القاسم وأرى أن هذا الوهم جره عدم التثبُّت حال النقل فلعله كان أبا محمد القاسم ابن عساكر فزل بصره عن محمد المكنى به القاسم الابن فصار أبا القاسم وهي كنية الأب علي المذكور والله أعلم، وقفل إلى الأندلس، روى عنه أبو الحسن ثابت بن خيار الكلاعي ثم تحول إلى مدينة فاس فاستوطنها داراً واتخذ بها ضياعاً وعقاراً، وكان من سروات الرجال وأفاضلهم كامل المروءة كريم الطباع ماهراً في الصناعة الطبية متقدماً في المعرفة بالتعاليم حسن المشاركة في غير ذلك من فنون علم اللسان العربي.

2 ـ محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي الأزدي الأندلسي الغرناطي (ت663هـ)

ذكره ابن سيد الناس في كتابه «الأجوبة» فقال:

وأما السؤال عن الحافظ «أبي بكر ابن مسدي:

هو أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة الأزدي المهلبي، يعرف جده بابن البابش ويدخل في المؤتلف مع البابس. والبابش لقب ليوسف بن إبراهيم، وإبراهيم يعرف بالقصير وهو النازل بمرسية.

والمغيرة هو ابن شرحبيل وهو المعروف بمسدي لأن أباه تصاهر إلى مسدي، فلقب ولده بهم لقباً بقي في العقب، وأصله من الخؤولة، وفي المحدثين جماعة غلب عليهم اللقب بأخوالهم فلا يعرفون إلا بهم.

كان أبو بكر هذا حافظاً عنى بهذا، وجال الأقطار وجاب البلدان: طاف بلاد الأندلس والعدوتين، ورحل إلى الإسكندرية والديار المصرية مرتين، وسافر إلى دمشق وحلب وغير ذلك، وجدَّ في الطلب، وأبعدت إجازاته في الجولان أكثر من إبعاده. فدخلت من بلاد العراق ومدن فارس ما لم ينله باجتهاده.

وكان بصيراً بهذه الفنون، مقدماً في علم الأسانيد والمتون، كتب فأكثر، وأخذ عمن أقبل وأدبر، ولم يزل ذا عناية بالآثار، مقيماً على الاستخبار والإخبار، له بحمل العلم اضطلاع وعلى معرفة السنن اطلاع مستوطن مكة ـ شرفها الله تعالى ـ أشرف البقاع، يفيد ويستفيد، على منهج سديد. وقفت له على «معجم شيوخه» في ثلاثة أسفار، مسفرة عن فنون المعارف أي أسفار، قلما ينتقد منها المنتقد، وليس فيها ما يسيء به ظنه المعتقد، يعظم من شيوخه من الأندلسين من ينبغي له التعظيم، ويقدم منهم من يستحق التقديم، فمتى مر به أحدهم أخذ في الثناء عليه، وتعظيم ما لديه، مجرياً في ذلك الميدان منتهى الحضر وملء العنان. وإذا ذكر غيرهم لم يلف لمدحه ثانية دانية، ويمر عليه

كأنما مر على قرية خاوية. غير أنه أثنى على الحافظ «أبي الحسن القرشي» بعض الثناء، واعتنى بتقريظه بعض الاعتناء، فقال: «لم ألق بالديار المصرية من سلك التخريج على طريق الحفاظ، وتحرر في تحرير الأسانيد والألفاظ سواه، ـ أكرمه ـ فإن أكثر أهل المشرق يعتمدون في التخريج على كتب الأطراف وينتحلون كلام الأسلاف». فهذا كلام شاب شهده بصابه، بما شاء من التعريض بغيره، والتعريض لتمزيق إهابه.

وأما الحافظ عبد العظيم فلا يلوي عليه، ولا يثني عنان الثناء عليه، وإن أثبت له حفظاً وأعاره من الثقة والتثبت لحظاً، فإن له أصحاباً لم يضعه حيث وضعوه ولا رفعه في الصعود إلى منازل السعود كما رفعوه، ولعل ما أجراه قلمه من ذلك كان مجرى على لسانه، فاقتضى وضعه من شأنهم وضعهم من شأنه، وأبدلوه في ذلك الوقت من المقة بالمقت، وليس أحد ـ والحمد لله ـ يتكلم بهواه، ولا ينوي إلا الصدق، إذ لكل امرئ ما نواه، غير أن الإغراب مظنة، وسعة العلم للإغراب فطنة، فلا ينبغي أن يتهم في الإغراب من بحر علمه عباب.

ذكر لي الحافظ عبيد بن محمد الأسعردي عنه أنه خرج لابن الجميزي حديثاً من «الجزء الرابع من فوائد حديث المحاملي» عن شهدة. ولم يكن المعروف عندهم أنه روى عنها إلا «الثاني من هذه الفوائد».

وأنه أخرد لفخر القضاة أبي الفضل أحمد بن محمد بن الجباب «مشيخة» ذكر فيها حديثاً له عن الإمام، أبي محمد بن بري ولم يكن المعروف عندهم أن ابن الجباب سمع من ابن بري حديثاً، وإنما روى عنه «كتابه الكبير في اللغة على صحاح الجوهري» وما ليس فيه حديث.

فقلت له: هذه الأحاديث من أين؟

فقال: أصولها لدي، وحصولك حتى تراها عليّ.

فأتيت إلى منزله وأعدت عليه المسالة، فأخذ في تطلب ذلك بين أجزائه، وكانت كثيرة جداً، فلم يزل في كشفها حتى انتصف النهار، وما أتى على نصفها، فضجرت وأضجرته، وقمت بعد أن ساءت أخلاقه وتركته.

وذكر لي «عبيد هذا أنه كان جالساً مع الشيخ الإمام الرضي الشاطبي ينظر في إجازة؛ فاجتاز بهما ابن مسدي، وسلم. وجلس إليهما يتكلم، فقال: ما هذه؟

فقال له الرضى: إجازة فيها خط ابن بوش وابن الجوزي، احذر أن تلحق اسمك فيها فإن وفاتهما قبل مولدك، ومصدرهما قبل موردك. فتبسما، وأفاضا في غير ذلك وتكلما.

قال أبو الفتح: أما هذه من الشاطبي فعلى الممازحة مقولة، وليست على غير المداعبة محمولة. ولو خرجت مخرج الجد لكانت جد مقبولة، بدليل التبسم والرضى، وانفصالهما على أنه ليس لهذا الكلام من الطعن مقتضى.

وأما رواية «ابن الجميزي» و«ابن الجباب» التي ادعاها فليس فيها قضية محققة ينكرها المنكر، أو ينعاها؛ لأنه ادعى الممكن، ولم يستوعب كشف أجزائه في ذلك الموطن، وإنما يلحقه وبالها، لو انضم إليها أمثالها. على أنه كان بين أقرانه معظماً. وبالعلم مقدماً.

قرأت على الأمير المحدث أبي محمد سنجر بن عبد الله الدواداري بظاهر القاهرة، قلت له: أخبركم أبو عبد الملك بن يوسف الصفراوي الحافظ سماعاً عليه بمكة، قال: أنا محمد بن عماد (ح). وأخبرناه أعلى من هذا بدرجة الإمام أبو محمد طه بن إبراهيم الإربلي بقراءة والدي عليه سنة ست وسبعين وستمائة بالقاهرة. وأخبرنا أبو الطاهر مقرب بن أبي القاسم عبد الرحمٰن بن مقرب التجيبي، وعبد الله بن خير بن حميد القرشي، وعبد الرحمٰن بن سليم بن منصور الهمداني وأحمد بن عبد الرحمٰن الحارثي. ومحمد بن حسن بن عبد الملك بن البوني. وعطية بن ماجد الكناني، والإمام أبو الحسن علي بن أحمد الغرافي بقراءتي عليهم بالإسكندرية. قالوا كلهم: أنا ابن عماد. قال: أنا أبو محمد بن رفاعة أنا أبو الحسن الخلعي:

«أنا عبد الرحمٰن الشاهد، أنا ابن الأعرابي، ثنا ابن الصباح، ثنا سفيان عن أبي الزناد وابن عجلان وغيرهما عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُكلَم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله،

إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، واللون لون الدم، والريح ريح المسك». رواه مسلم عن عمرو الناقد وزهير عن ابن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج. فوقع لنا بدلاً عالياً له.

هكذا قال فيه الدواداري: «أبو عبد الملك» كناه بابنه عبد الملك، ونسبه «الصفراوي» إلى المهلب بن أبي صفرة جده، تدليساً وهو أبو بكر محمد بن يوسف كما تقدم.

أنشدنا شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ بدار الحديث الكاملية إملاء قال أنشدنا الحافظ أبو بكر محمد بن أبي أحمد الأندلسي إملاء بالمسجد الجامع بقوص قال: أنشدنا أبو زيد عبد الرحمٰن بن أبي سعيد الكاتب بمنزله بإشبيلية لنفسه، وكتبه لي بخطه:

علم الحديث لكل علم حجة ... فاشدد يديك به على التعيين
وتوخ أعدل طَرْقه واعمل به ... تعمل بعلم بصيرة ويقين
وعن الثقات خذ الديانة وانحرف ... عن كل متهم وكل ظنين
فكتاب ربك إن أردت بيانه ... فعلى الحديث كفاية التبيين
طلابه في شرقها أو غربها ... أهل التسنن والتقى والدين
هم أنجم الإسلام يهدي نورهم ... لمعالم المفروض والمسنون
خلف عن السلف الكريم وراثة ... موعودة البقيا ليوم الدين
في كل عصر للحديث أئمة ... نابوا عن القطان وابن معين
ذبوا عن الدين الحنيف حياتهم ... ومضوا وقد عضدوه بالتدوين
وأمانة التصحيح توجد فيهم ... وسواهم في ذاك غير أمين

كان شيخنا أبو الفتح القشيري ممن يعظم ابن مسدي هذا، وكان به عارفاً، وله بالحفظ واصفاً، وذكر لي يوماً «الأونبي» ـ يعني أبا بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون ـ فقال: أبوك يقول: كذا، وكان ابن مسدي يقول لنا: كذا؛ ـ يعني في حركة النون من الأونبي ـ وقال: هي مفتوحة أو مكسورة، فقد حرنا بينكم.

قلت له: كان جدي أبو بكر ممن رحل إلى هذا الشخص وسمع منه وأكثر من الرواية عنه.

قال أبو الفتح وكان لأبي بكر بن مسدي، رحمه الله تعالى، أدب حسنُه باهر، وروضه زاهر، يقف عنده المجتاز، ويقفو ورده الممتاز، ويجتلي منه الساري والسارب، بدر دجى وشمس نهار، فمنه ما أنشدني الأمير الكبير محلاً، الذي كان برواية الآثار محلى، «علم الدين سنجر الدواداري الصالحي رَحِمَهُ اللهُ في سنة سبع وتسعين وستمائة، قال: أنشدنا الإمام العالم الحافظ أبو بكر محمد بن أبي أحمد بن مسدي المهلبي لنفسه بمكة شرفها الله تعالى سنة أربع وخمسين وستمائة، من أبيات:

تحوم علينا للمنايا حوائم ... كأنا حبوب والحِمام حمائم
ولم أر كالدنيا حبالة صائد ... يُرى النمل في أشراكها والضراغم
ولم أر كالإنسان أجهل عيشة ... يؤمل يحيا وهو بالموت عالم
ولو علمت منه البهائم علمنا ... إذا هزلت خوف المنون البهائم
حياة وموت، لذاك مباين ... وبينهما للنائبات تلازم
فيا صاحبي رافق رفيقاً يمانياً ... فإنك للبرق الشآمي شائم
ونادم نداماك التقى وصحابه ... فإنك يوم للمنايا منادم

وأنشدنا الأمير علم الدين سنجر الدواداري قال: أنشدنا الحافظ أبو بكر محمد بن مسدي لنفسه أبياتاً في مدح النبي ﷺ أولها:

هذا المقام وهذا الحل والحرم

ومنها يمدحه ﷺ:

يبيت ظبيان والأضياف طاعمة ... ما بات طيان من أضيافه طعموا

الفصل الثالث

ملازمة المغاربة لمجالس سماع الحديث على مشاهير الحفاظ بدمشق

لازم المغاربة كبار الحفاظ بدمشق منذ القرن الثالث الهجري، وسأذكر بعون الله تعالى في هذا الفصل كبار حفاظ دمشق الذين لازمهم المغاربة مع ذكر تراجم موجزة لهم.




1

أبو زرعة الدمشقي (المتوفى: 281هـ)

هو: عبد الرحمٰن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري، أبو زرعة الدمشقي.

حرص أبو زرعة الرازي ـ وهو بعد في عهد النشأة ـ على الاجتماع بالعلماء، ومناقشتهم مما جعل شيوخه يعجبون به، وقد ذكر أبو زرعة أن شيخه أبا مسهر أعجب به لمجالسته إياه وهو صغير كما أن شيخه أحمد بن أبي الحواري لقبه بـ «شيخ الشباب».

كان شيوخ أبي زرعة من كبار العلماء في العالم الإسلامي آنذاك كأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر (140 ـ 218هـ) ومحمد بن المبارك الصوري (ت215هـ) وعبد الرحمٰن بن إبراهيم (ت245هـ) وأبي نعيم الفضل بن دكين (ت219هـ) والإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ) وغيرهم كثير ممن تلمذ لهم البخاري ومسلم.

إن أعظم هؤلاء العلماء الذين درس أبو زرعة عليهم هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني (140 ـ 218هـ) الذي كان عالم الشام الكبير، وكان محط أنظار طلبة العلم وإليه تشد الرحال للأخذ عنه، وممن رحل إليه أحمد بن حنبل الشيباني، ويحيى بن معين المري.

كان أبو مسهر هذا ـ كما وصف المترجمون له ـ عالماً بالمغازي والسير، ومتخصصاً بمعرفة محدثي بلده الشام ومن نزلها من الصحابة والتابعين.

ولقد وصف أبو بكر الخلال أبا زرعة أبلغ وصف حين ترجم له في كتابه عن أصحاب الإمام أحمد، بعد أن زار دمشق ودرس على أبي زرعة، وأخذ عنه كتابه «التاريخ» ومسائله عن الإمام أحمد ومصنفاته الأخرى في

الحديث[1] فقال: «إمام في زمانه، رفيع القدر، حافظ، عالم بالحديث والرجال، وصنف من حديث الشام ما لم يصنفه أحد...»[2] وهذه الكلمات لا تحتاج إلى بيان وقد صدرت من عالم كبير، قالها عن معرفة. كما ذكر أبو يعلى الخليلي في ترجمته قوله: «من الحفاظ الأثبات»[3] وقد تتابع المترجمون لأبي زرعة يصفونه بهذه الأوصاف، ولم يشذ منهم أحد، فقال السمعاني فيه: «... أحد أئمة الحديث، ومن له العناية التامة في طلبه»[4]. وقال ابن عساكر: «... الحافظ، شيخ الشام في وقته»[5]. وقال الذهبي في تاريخه: «محدث الشام»[6] وعده من الحفاظ الكبار في الحديث النبوي فترجم له في تذكرته للحفاظ وقال: «الحافظ الثقة، محدث الشام»[7] وقال اليافعي: «... وكان محدث الشام في زمانه»[8] وقال ابن حجر: «شيخ الشام في وقته»[9] وقال في كتابه الآخر «التقريب»: «ثقة، حافظ، مصنف»[10]. وقال ابن تغري بردي في ترجمته في وفيات سنة 282هـ: «كان من أئمة الحفاظ، رحل إلى البلاد، وكتب الكثير، حتى صار شيخ الشام، وإمام وقته، وكتب عنه خلايق...»[11] وقال ابن ناصر الدين[12] فيما نقله عنه ابن العماد الحنبلي: «عَلَم، حافظ ثَبْت»[13] وقال صفي الدين الخزرجي في ترجمته: «الحافظ

---

(1) طبقات الحنابلة: 1/ 206؛ طبقات النابلسي: 148؛ المنهج الأحمد: 1/ 188.
(2) المصادر السابقة.
(3) تهذيب التهذيب: 6/ 236.
(4) الأنساب: 562.
(5) تاريخ دمشق: 10/ 33.
(6) تاريخ الإسلام: 4/ 117.
(7) تذكرة الحفاظ: 2/ 624.
(8) مرآة الجنان: 2/ 194.
(9) تهذيب التهذيب: 6/ 236.
(10) تقريب التهذيب: 1/ 493.
(11) النجوم الزاهرة: 3/ 87.
(12) هو: ابن ناصر الدين الدمشقي (ت842هـ).
(13) شذرات الذهب: 2/ 177.

الكبير»[1] وقال ابن العماد الحنبلي: «الحافظ... وكان محدث الشام في زمانه...»[2].

وهكذا كما ترى من الأقوال السالفة ـ الواضحة البيان والدلالة، والتي نقلناها من علماء كبار لا يطلقون القول جزافاً ـ التوثيق الكبير والمنزلة العالية التي تبوأها أبو زرعة بين الألوف المؤلفة من علماء هذه الأمة.

وقد اعتبر الخطيب البغدادي أبا زرعة أحد من يؤخذ قوله في علم الحديث فقال: «... وممن سمي لنا أنه يصحح العمل بأحاديث الإجازة، ويرى بقولها من المتقدمين... وأبو زرعة الدمشقي»[3] كما اعتبر كتابه: «التاريخ أحد ما يجب على طالب الحديث العناية به وقراءته[4]، وقد ذكر السخاوي أبا زرعة فيمن مارس نقد الرجال، وعده في طبقة من يؤخذ قوله[5].

روى عنه من المغاربة:

محمد بن أحمد بن أبي زاهر (المتوفى 316هـ)

ترجم له القاضي عياض في «ترتيب المدارك»[6] فقال:

«سمع محمد بن عبد الحكم بمصر، وأبا زرعة الدمشقي، ونصر بن مرزوق وغيرهم، وأخذ عن محمد بن سحنون.

وذكره ابن حارث في أصحاب مالك من أهل القيروان توفي سنة ست عشرة وثلاثمئة، وذكره في الفقهاء ابن أبي دليم أيضاً. وقال: غلبت عليه الرواية وأخذ عنه».

---

(1) خلاصة تهذيب الكمال: 196.
(2) شذرات الذهب: 2/ 177.
(3) الكفاية في علم الرواية: 313.
(4) الإعلان بالتوبيخ: 603.
(5) المصدر السابق: 712.
(6) 5/ 137.




2

أبو الميمون ابن راشد الدمشقي (المتوفى: 346هـ)

قال عنه الإمام الذهبي[1]: «الشيخ الإمام الأديب، الثقة المأمون. . .

سمع بكار بن قتيبة، ويزيد بن عبد الصمد، وأبا زرعة، وخلقاً كثيراً.

حدث عنه: ابن منده، وتمام، وأبو علي بن مُهَنَّا، وعبد الرحمٰن بن أبي نصر التميمي».

حدث عنه عن المغاربة:

1 ـ أحمد بن عون الله بن حُدير أبو جعفر الأندلسي القرطبي (المتوفى 378هـ)

جاءت ترجمته في كتاب «تكملة مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر» (1/ 41 ـ 42).

سمع ببلده. ورحل فسمع بدمشق أبا الميمون بن راشد، وأبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الأذرَعي، وَأَبَا الحسَن أحْمَد بن سليمَان بن حَذْلَم، وأَبَا القاسم بن أبي العَقَب، وبأطرابلس خَيْثَمة بن سُليمَان، وبمَكة أبَا سَعيد بن الأعرَابي، ومحمّد بن نافع الخُزَاعي، وبمصر: عَبد الله بن جَعفر بن الورد، وَأَبَا العبَاس أحْمَد بن إبرَاهيم.

رَوىٰ عَنه أبُو عمر أحْمَد بن محمّد الطَّلَمَنْكي.

ذكَر أبُو عمَر أحْمَد بن محمّد بن عَبْد الله الأندلسي أنه أبُو جَعفر أحْمَد بن عَون الله بن حُدَير بن يحيى بن تبيع بن سُليمَان بن حدير، المعروف

(1) سير أعلام النبلاء: 15/ 533.

بالمذبوح بن عبد الله بن عمرو بن حدير المجبر، واسمه سليمان بن جَندل بن نَهْشَل بن دَارم التميمي.

كان رَجلاً صَالحاً شديد الانقباض عن أهل الدنيَا، لا يَمضي إلى أحَد، وَلا يُداخل أحداً، إنما كانَ من دَاره إلىٰ مَسجده، وَمن مَسجده إلىٰ دَاره، قاعداً للنَّاس لإسْماع الحَديث مِن غَدوة إلىٰ الليل، وكانت عدة شيوخه الذين رَوىٰ عنهم، علىٰ تفصيل البلاد التي لَقِيَهُمْ فيها علىٰ ما ثبت في دفتره اثنين وَسبعين رَجلاً وَامرَأتين.

وقالَ أبُو عبد الله محمّد بن أحْمَد بن مُفَرّج:

كان أبُو جَعفر أحْمَد بن عَون الله محتسباً علىٰ أهل البدع، غليظاً عليهم، مُذلاً لهُم، طالباً لمسَاوئهم، مُسَارِعاً في مَضَارّهم، شديد الوطأة عليهم، مشرّداً لهُم إذا تمكن منهم غير مُبقٍ عليهم، وَكان كل مَن كان منهم خائفاً منه علىٰ نفسه مُتوقياً، لا يُداهن أحداً منهم علىٰ حَال، وَلا يسَالمهُ، وَإن عَثَر لأحد منهم علىٰ مُنكر، وشهد عليه عنده بانحرافٍ عن السنّة نابذَه وفَضَحه وأعلن بذكره وَالبراءَة منه، وعَيَّره بذكر السُّوء في المحَافل، وَأغرىٰ به حتىٰ يُهلكه، أو ينزِع عن قبيح مذهبه وسوء مُعتقده، وَلَم يزل دَؤُوباً علىٰ هٰذا جاهداً فيه ابتغاء وَجه الله إلىٰ أن لقي الله ﷻ.

له في المُلحدين آثارٌ مشهورة ووقائع مَذكُورة.

قال أبو القاسم أحْمَد بن أبي الوليد سُليمان بن خلف بن سعد البَّاجي، قال أبي: أبُو جَعفر بن عون الله رجل معروف.

قال محمّد بن أبي نصر الحُمَيْدي: أبُو جعفر أحْمَد بن عون الله بن حُدَير قرطبي الدَار، يروى عن أبي بكر محمّد بن علي بن الحسين وغيره، ومن القادمين إليها: من أبي القاسم أحْمَد بن محمّد بن عثمان بن محمّد بن عبد الله بن عزيز بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان العُثماني. ومن أبي القاسم عبد الرحمٰن بن الحسن بن محمّد بن أحْمَد بن إبراهيم بن العباس بن عبد الله الشافعي، ومن أبي بكر أحْمَد بن محمّد بن أحْمَد البزار المكي.

رویٰ عنه أبو عمر أحْمَد بن محمّد الطَّلَمَنْكِي المقرئ.

وذكره القاضي أبو الوليد عبد الله بن محمّد بن يُوسُف بن الفرضي الأندلسي فيما قرأته من كتابه في تاريخ [علماء] الأندلس فقال: أحْمَد بن عون الله بن حُدَير البزار، من أهل قرطبة يكنىٰ أبا جعفر، سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمّد بن عبد الله بن أبي دُلَيم وغيرهما من أهل قرطبة.

ورَحَل فسمع بمكة: من ابن الأعرابي، وابن فراس، وأبي الحسن محمّد بن جبريل بن الليث العُجَيْفي، وأبي رَجَاء محمّد بن حامد البَغدادي المقرئ وغيرهم جماعة.

وسمع بأطرابلس الشام: من خَيْثَمة بن سُليمان بن حَيْدَرة الأطرابلسي.

وبدمشق: من الأذرعي أبي يعقوب، وأبي المَيْمون الدمشقي، وابن أبي العَقَب وغيرهم.

وسَمع بمصر: من أحْمَد بن سلمة الضحَّاك الهلالي، وعبد الله بن جعفر بن الورد البغدادي، وبكر بن العلاء القُشيري القاضي المالكي، وسعيد بن السَّكن في جماعة يكثر تعدادهم.

وكان شخصاً صَدُوقاً صَارماً في السنَّة، متشدداً علىٰ أهل البدع، وكان لهجاً بهذا النوع صبوراً علىٰ الأذىٰ فيه. كتب عنه الناس قديماً وحديثاً وكتبت عنه.

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ودُفن بمقبرة الرّبَض».

2 ـ محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج الأموي القرطبي (المتوفى 380هـ)[1]

ويعرف أيضاً بابن الفنتوري، نسبة إلى فنت أوريه قرية بقرطبة، سمع أبا سعيد ابن الأعرابي بمكة، وقاسم بن أصبغ بقرطبة، وخيثمة بن سليمان

(1) تذكرة الحفاظ: 3/ 1007.

بأطرابلس، ومحمد بن الصموت بمصر، وأبا الميمون بن راشد بدمشق. . . وطبقتهم.

روى عنه الحافظ أبو سعيد بن يونس وهو شيخه، وأبو الوليد بن الفرضي وإبراهيم بن شاكر، وعبد الله بن الربيع التميمي، وأبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي وخلق كثير، شيوخه مئتان وثلاثون نفساً.

ذكر ابن الفرضي في تاريخه أن ابن مفرج اتصل بصاحب الأندلس، وكان ذا مكانة عنده، صنف له عدة كتب فولاه القضاء، قال: وكان حافظاً بصيراً بالرجال وأحوالهم أكثر الناس عنه، قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف: كان أبو عبد الله بن مفرج من أعنى الناس بالعلم وأحفظهم للحديث ما رأيت مثله في هذا الفن، من أوثق المحدثين وأجودهم ضبطاً.

قال الحميدي: هو القاضي أبو عبد الله، وقيل أبو بكر، حافظ جليل مصنف له كتب في الفقه وفقه التابعين، فمما صنف كتاب فقه الحسن في سبع مجلدات، وفقه الزهري في عدة أجزاء، وجمع مسند قاسم بن أصبغ في مجلدات.

3 ـ خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس الأزدي (المتوفى 393هـ)[1]

الحافظ الإمام أبو القاسم الأندلسي ابن الدباغ.

ولد سنة 325هـ، سمع محمد بن معاوية الأموي، وأحمد بن الشامة، وبمصر أبا محمد بن الورد وسلمة بن الفضل والطبقة، وبمكة بكير الحداد، وأبا بكر الآجري وأبا الحسن الخزاعي وبدمشق على أبي الميمون بن راشد.

وكان من الحفاظ المحققين، صنف حديث مالك وحديث شعبة، وكتاباً في الزهد، وقرأ بالروايات على جماعة منهم: أحمد بن صالح صاحب ابن مجاهد.

حدث عنه جماعة من الأندلسيين منهم: أبو عمرو الداني، وأبو عمر بن عبد البر، وكان ابن عبد البر لا يقدم عليه أحداً من شيوخه.

---

(1) تذكرة الحفاظ: 3/ 1025.




3

أبو القاسم الحِنَّائي (المتوفى 459هـ)[1]

قال عنه الحافظ الذهبي: «الشيخ العالم، العدل، أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الدمشقي الحنائي، صاحب الأجزاء الحنائيات العشرة.

حدث عن عبد الوهاب الكلابي، والحسن بن دُرُستويه، وعبد الله بن محمد الحنائي، وتمام بن محمد الرازي، وأبي بكر بن أبي الحديد، ومحمد بن عبد الرحمٰن القطان، وأبي الحسن بن جهضم، وعدة. . .

حدث عنه: أبو سعد السمان، وأبو بكر الخطيب، ومكي الرملي. . . وآخرون.

وكان محدث البلد في وقته.

قال ابن ماكولا: كتبت عنه، وكان ثقة، وهو منسوب إلى بيع الحناء.

روى عنه من المغاربة:

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي (المتوفى 488هـ)

ترجم له الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»[2]:

الحافظ الثبت الإمام القدوة أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي

---

(1) الإكمال: 3/ 60؛ الأنساب: 4/ 244؛ السير: 18/ 130؛ العبر: 3/ 245؛ شذرات الذهب: 3/ 307؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر: 4/ 358.

(2) 4/ 1218 ـ 1221.

الظاهري، وميورقة جزيرة تجاه شرق الأندلس، سمع بالأندلس ومصر والشام والعراق والحرم وسكن بغداد وكان من كبار تلامذة ابن حزم، قال: ولدت قبل سنة عشرين وأربع مائة.

حدث عن ابن حزم فأكثر وعن أبي عبد الله القضاعي وأبي عمر ابن عبد البر وأبي زكريا عبد الرحيم البخاري وأبي القاسم الحنائي الدمشقي وعبد الصمد بن المأمون وأبي بكر الخطيب وأبي جعفر بن المسلمة وأبي غالب بن بشران الأموي، ولم يزل يسمع ويكثر ويجد حتى كتب عن أصحاب الجوهري وابن المذهب وسمع بإفريقية كثيراً ولقى بمكة كريمة المروزية أول رحلته، وأول رحلته كان في سنة ثمان وأربعين وأربع مائة. قال محمد بن طرخان سمعت الحميدي يقول: كنت أحمل للسماع على الكتف سنة خمس وعشرين وأربع مائة، فأول ما سمعت من الفقيه أصبغ بن راشد وكنت أفهم ما يقرأ عليه وكان تفقه على أبي محمد بن أبي زيد، أصل أبي من قرطبة من محلة تعرف بالرصافة فسكن جزيرة ميورقة فولدت فيها. وقال يحيى ابن البناء: كان الحميدي من اجتهاده ينسخ بالليل في الحر فكان يجلس في إجانة ماء يتبرد به. وقال الحسين بن محمد ابن خسرو: جاء أبو بكر بن ميمون فدق على الحميدي وظن أنه قد أذن له فدخل عليه فوجده مكشوف الفخذ فبكى الحميدي وقال: والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت.

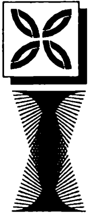
قال الأمير ابن ماكولا: لم أر مثل صديقنا الحميدي في نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم، صنف تاريخ الأندلس. وقال يحيى بن إبراهيم السلماسي قال أبي: لم ترى عيناي مثل الحميدي في فضله ونبله وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم؛ قال: وكان ورعاً، ثقة، إماماً في الحديث وعلله ورواته متحققاً في علم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة فصيح العبارة متبحراً في علم الأدب والعربية والترسل، وله كتاب الجمع بين الصحيحين، وتاريخ الأندلس، وجمل تاريخ الإسلام، وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك، وكتاب الترسل، وكتاب مخاطبات الأصدقاء، وكتاب حفظ الجار، وكتاب ذم النميمة. وله شعر رصين في

المواعظ والأمثال. قال السلفي: سألت أبا عامر العبدري عن الحميدي فقال: لا يرى قط مثله وعن مثله لا يسأل، جمع بين الفقه والحديث والأدب ورأى علماء الأندلس وكان حافظاً. وعن الحميدي قال: صيرني الشهاب شهاباً وهو كان يقصد في سماعه كثيراً. قال أبو على الصدفي: كان يدلني على الشيوخ وكان متقللاً من الدنيا يمونه ابن رئيس الرؤساء ثم جرت لي معه قصص أوجبت انقطاعي عنه وكان يبيت عند ابن رئيس الرؤساء كل ليلة، وحدثني أبو بكر ابن الخاضبة أنه ما سمع يذكر الدنيا قط.

وقال ابن طرخان: سمعت الحميدي يقول: ثلاثة كتب من علوم الحديث يجب الاهتمام بها، كتاب العلل وأحسن ما وضع فيها كتاب الدارقطني، وكتاب المؤتلف والمختلف وأحسن ما وضع فيه الإكمال للأمير ابن ماكولا، وكتاب وفيات المشايخ ـ وليس فيه كتاب ـ وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير: رتبه على حروف المعجم بعد أن ترتبه على السنين. قال ابن طرخان فاشتغل بالصحيحين إلى أن مات. قلت: وقد قبلنا إشارة الأمير وعملنا «تاريخ الإسلام» على ما رسم الأمير. قال الحميدي في تاريخه: أنا أبو عمر بن عبد البر أنا عبد الله بن محمد الجهني بمصنف النسائي قراءة عليه عن حمزة الكناني عنه. قال القاضي عياض: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي الأزدي سمع بميورقة من أبي محمد بن حزم قديماً وكان يتعصب له ويميل إلى قوله وكان قد أصابته فيه فتنة ولما شدد على ابن حزم خرج الحميدي إلى المشرق.

قلت: روى عنه يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد ومحمد بن طرخان وأبو عامر العبدري وإسماعيل بن محمد الطلحي ومحمد بن علي الجلابي والحسين بن الحسن المقدسي وأبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس والحافظ محمد بن ناصر وإسماعيل ابن السمرقندي وصديق بن عثمان التبريزي وأبو إسحاق بن نبهان الغنوي وأبو الفتح محمد ابن البطي وشيخه أبو بكر الخطيب وآخرون. وكان صاحب حديث كما ينبغي علماً وعملاً وكان ظاهرياً ويسرّ ذلك بعض الأسرار. مات في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان

وثمانين وأربع مائة وأمهم عليه الإمام أبو بكر الشاشي بجامع القصر ودفن بمقبرة باب أبرز بقرب قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب فدفن عند بشر الحافي. ونقل الحافظ ابن عساكر أن الحميدي كان أوصى إلى الأجل مظفر ابن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند بشر فخالف وصيته فلما كان بعد مدة رآه في النوم يعاتبه على ذلك فنقله في صفر سنة إحدى وتسعين وكان كفنه جديداً وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب رحمة الله عليه. ووقف كتبه.





ابن البن (المتوفى 625هـ)(1)

ترجم له الحافظ الذهبي: «الشيخ الجليل الثقة المسند الصالح بقية المشايخ نفيس الدين أبو محمد الحسن بن علي ابن الشيخ أبي القاسم الحسين بن الحسن بن البُن الأسدي الدمشقي الخشاب.

ولد في حدود سنة سبع وثلاثين.

وسمع الكثير من جده، وتفرد وعمر، وتأدب على الأمير محمود بن نعمة الشيزري وصحبه، وله أصول وأجزاء.

قال ابن الحاجب: كان دائم السكوت وإذا نفر من شيء لا يعود إليه، وكان ثقة ثبتاً، سألت العدل علي ابن الشيرجي عنه فقال: كان على خير، كثير الصدقة والإحسان.

وقال الضياء: شيخ حسن موصوف بالخير، قليل الكلام والفضول.

حدث عنه الضياء، والبرزالي، وابن خليل، والشرف ابن النابلسي، والجمال ابن الصابوني وعدة.

روى عنه من المغاربة:

عيسى بن سليمان بن عبد الله الرعيني (المتوفى: 632هـ)(2)

مالقي أبو محمد الرندي، روى بالأندلس عن أبي إسحاق الزوالي، وأبي

---

(1) تكملة المنذري: 3/ الترجمة: 2205؛ وذيل الروضتين: 154؛ السير: 22/ 278؛ العبر: 5/ 104؛ توضيح المشتبه: 117؛ النجوم الزاهرة: 6/ 271؛ شذرات الذهب: 5/ 117.

(2) التكملة: 4/ 15؛ الذيل والتكملة: 3/ 495؛ صلة الصلة: القسم الرابع: 55؛ الترجمة: 96؛ أعلام مالقة: 329، 330؛ تاريخ الإسلام: 12/ 820؛ سير أعلام النبلاء: 23/ 22؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 1457؛ وشذرات الذهب: 5/ 156؛ المستملح من كتاب التكملة: 344.

الحجاج ابن الشيخ، وأبي العباس الجيار وأبي محمد ابن القرطبي وغيرهم.

ورجل وحج وأقام في رحلته نحو ستة عشر عاماً. ولقب هناك برشيد الدين، واستكثر من لقاء مشايخ تلك البلاد ووالى الأخذ عنهم، فروى بدمشق عن أبوي عبد الله: خطيبها الدولعي، ونزيلها البرزالي، وأبي القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الربعي التغلبي، وأبي محمد ابن البن وغيرهم.

وقفل إلى الأندلس، ووصل إلى مالقة في أوائل 631هـ بروايات واسعة، وفوائد جمة وغرائب نافعة، على أنه امتحن بالأسر في صدره. فذهب عنه كثير مما جلب. فروى عنه بها أبو بكر بن خميس، وأبو عبد الله علي بن عسكر. وهو في عداد أصحابه، وحدَّث عنه بالإجازة أبو عبد الله ابن الأبار، وروى عنه بسبتة أبو العباس ابن فرتون.

قال عنه ابن عبد الملك المراكشي: «وكان محدثاً ضابطاً متقناً حسن الخط، كتب الكثير، قائماً على معرفة الرجال مميزاً صحيح الحديث من سقيمه، مبرزاً في علومه، ديناً فاضلاً، قدم للإمامة بجامع مالقة، فمرض قبل الصلاة فيه بالناس.

وقال عنه ابن الزبير في «صلة الصلة»: «أقام بالمشرق مدة، واستوطن دمشق، وأكثر من الأخذ عن الشيوخ، ودام مقامه بالبلاد نيفاً وعشرين سنة. ثم قفل من رحلته وقدم مالقة، وأخذ عنه جلة من كبار أصحابنا، وممن أخذنا عنه، وكان ضابطاً لما رواه، مقيداً متقناً، عارفاً بالرجال والأسانيد، نقاداً فاضلاً، بارع الخط، حسن التقييد».

وحلاه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» بالحافظ الإمام المتقن.




5

ابن تيمية

ترجم له تلميذه ورفيقه الذهبي في «ذيل تاريخ الإسلام»: الشيخ، الإمام، العالِم، المُفَسِّر، الفقيه، المجتهد، الحَافِظ، المُحَدِّث شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهِرَة، والذكاء المُفْرط، تقي الدِّين أبو العباس أحمد ابن العالِم المُفْتي شهاب الدِّين عبد الحليم ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدِّين أبي البركات عبد السلام مؤلف «الأحكام» ابن عبد الله بن أبي القاسم الحَرَّاني بن تَيْمِيَّة، وهو لقب لجده الأعلىٰ.

مولده في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين [وستمائة] بِحَرَّان.

وتَحوَّل به أبوه، وأقاربه إلى دمشق في سنة سبع وستين عند جور التتار منهزمين في الليل يجرون الذرية والكتب على عَجَلَة، فإن العدو ما تركوا في البلد دواب سوى بقر الحرث، وكَلَّت البقر من ثقل العجلة، ووقف الفران، وخافوا من أن يدركهم العدو، ولجأوا إلى الله تعالى فسارت البقر بالعجلة، ولَطَف الله تعالى، حتى انحازوا إلى حدِّ الإسلام، فَسَمِعَ من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليُسْر، والكمال بن عَبْد، وابن أبي الخير، وابن الصَّيْرَفي، والشيخ شمس الدِّين، والقاسم الإربلي، وابن عَلّان، وخلق كثير، وأَكْثَر، وبالَغَ، وقرأ بنفسِه على جماعة، وانتخب ونَسَخَ عدة أجزاء، و«سنن أبي داود»، ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر مع التَّدَيُّن، والنَّبَالة، والذِّكر والصِّيانَة، ثُمَّ أقبل على الفقه، ودقائقه، وقواعده، وحِججه، والإجماع، والاختلاف، حتى كان يُقضى منه العجب، إذا ذكر مسألة من مسائِل الخلاف، ثُمَّ يستدل، ويُرجح، ويَجتهد، وحُقَّ له ذلك، فإن شروط الإجتهاد كانت قد اجتمعت فيه، فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يورِدُها منه، ولا أشد استحضاراً لِمتون الأحاديث،

وعَزْوِها إلى «الصَّحيح» أو إلى «المسند» أو إلي «السُّنَن» منه، كَأَنَّ الكتاب والسُّنَن نَصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رَشِقَة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف، وكان آيةً من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، لعله يبقىٰ في تفسير الآية المجلس والمجلسين، وأما أصول الدِّيانة، ومعرفتها، ومعرفة أحوال الخوارج، والروافض، والمعتزلة، وأنواع المبتدعة، فكان لا يُشقُّ فيه غبارُهُ، ولا يُلْحَقُ شَأْوه، هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قَطُّ، والشجاعة المُفْرِطَة التي يُضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذّ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية، ولقد سارت بتصانيفه الرُّكبان في فنون من العلم، وألوان، لعل تواليفه، وفتاويه في الأصول والفروع، والزهد، واليقين، والتوكل، والإخلاص، وغير ذلك، تبلغ ثلاث مئة مجلد، لا بل أكثر، وكان قَوَّالاً بالحق، نَهَّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار، ومن خالطه وعَرَفَهُ قد ينسبني إلى التقصير في وصفه، ومَن نابذه وخالفه ينسبني إلى التغالي فيه، وليس الأمر كذلك، مع أنني لا أعتقد فيه العِصمة، كلا فإنه مع سعة علمه، وفرط شَجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لِحُرمات الدِّين، بَشَرٌ من البَشَر تعتريه حِدَّة في البحث، وغَضَب، وشَظَف للخصم، يزرع له عداوة في النفوس، ونفوراً عنه، وإلَّا والله فلو لاطف الخصوم، ورفق بِهم ولَزِمَ المُجاملة، وحَسَّن المُكالمة، لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم وأئمتهم خاضعون لعلومه وفقهه، معترفون بشفوفه وذكائِه، مُقِرُّون بِنُدُورِ خَطَئِه لست أعني بعض العلماء الذين شِعارهم وهُجَّيْراهم الاستخفافُ بهِ، والازدراءُ بِفَضلِه، والمقت له، حتى استجهلوه وكفروه، ونالوا منه من غير أن ينظروا في تصانيفه، ولا فهموا كلامه، ولا لهم حظ تام من التوسع في المعارِف، والعالِمُ منهم قد يُنصفه ويرد عليه بِعِلم، وطريق العقل السكوت عما شجر بين الأقران، رحم الله الجميع، وأنا أقل من أن ينبه على قدره كلمي، أو أن يوضح نبأه قلمي، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لِعِلْمِه، مقرون بسرعة فهمه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وأن جُودَه حاتمي، وشجاعته خالدية، ولكن قد يَنْقِمون

عليه أخلاقاً، وأفعالاً، منصفهم فيها مأجور، ومقتصدهم فيها معذور، وظالمهم فيها مأزور، وغاليهم مغرور، وإلى الله ترجع الأمور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسل، والحجة في الإجماع، فرحم الله امرءاً تكلَّم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بِتَؤُدة وفهم، ثُمَّ استغفر لهم، وَوَسَّع نِطَاق المعذرة، وإلَّا فهو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته، فقد أقررت على نفسك بالهوى، وعدم الإنصاف، وإن قلت لا أعذره لأنه كافر، عدو الله تعالى ورسوله، قال لك خَلْق من أهل العِلم والدِّين: ما علمناه والله إلَّا مؤمناً، محافظاً على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظماً للشريعة ظاهراً وباطناً، لا يؤتى مِن سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا مِن قِلة علم فإنَّه بحر زخَّار، بصير بالكتاب والسُّنَّة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدِّين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنةِ خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو يتفرد بمسائل بالتَشَهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائِله المفردة يحتج بها بالقرآن وبالحديث أو بالقياس، ويبرهنُها ويناظرُ عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث أسوة من تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبْدِ حُجةً، ورجل تكلم في مسألة بلا خَميرةٍ من علم ولا توسعٍ في نقل، فنعوذ بالله من الهوى والجهل، ولا ريب أنه لا اعتبار بذم أعداء العالِم، فإن الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف، والقيام عليه، ولا اعتبار بمدح خواصِّه، والغُلَاة فيه، فإن الحب يحملهم على تغطية هنَّاته، بل قد يعدّوها له محاسن، وإنما العِبرة بأهل الوَرَع والتقوى من الطرفين، الذين يتكلمون بالقسط ويقومون لله ولو على أنفسهم وآبائهم، فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دُنْياً ولا مالاً ولا جاهاً بوجه أصلاً، مع خبرتي التَّامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائِله، وأبرز ذنوباً له مغفورة في سعة كرم الله تعالى، وصفحة مغمورة في بحر علمه،

وجوده، فالله يغفر له، ويرضى عنه، ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه، مع أني مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، قد أبديت آنفاً أن خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حُسن قصده، وبذل وُسْعِه، والله الموعد، مع أني قد أوذيت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده، فحسبي الله.

وكان الشيخ أبيض، أسودَ الشعر واللحية، قليل الشيب، شَعره إلى شحمة أُذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَةٌ من الرِّجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه حِدَّةٌ، ثُمَّ يقهرها بحلم وصفح، وإليه كان المنتهىٰ في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء، ولم أرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه.

وقد تعبت بين الفريقين، فأنا عند مُحِبِّه مُقَصِّر، وعند عَدُوِّه مُسْرِف مُكْثِر، كلا والله.

توفي ابن تيمية إلى رحمة الله تعالى مُعْتَقَلاً بقلعة دمشق، بِقاعة بها بعد مرض جدَّ أياماً في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق عقب الظهر، وامتلأ الجامع بالمصلين كهيئة يوم الجمعة حتى طلع النّاس لتشييعه من أربعةِ أبوابِ البلد، وأقل ما قيل في عدد مَن شَهِدَه خمسون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وحُمِل على الرؤوس إلى مقابر الصوفية، ودُفِن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدِّين، ـ رحمهما الله تعالى ـ وإيانا والمسلمين.

[illegible]

نموذج من خط ابن تيمية من «منهاج السنة النبوية»

روى عنه من المغاربة:

يقول العلّامة محمد المنوني ـ رحمه الله تعالى ـ:

«هناك من المغاربة من تأثروا بابن تيمية واختصوا بالرواية عنه وهم خمسة: أربعة منهم سبتيون وواحد من مدينة أزمور. وقد اتصل اثنان من الأربعة بابن تيمية مباشرة بينما روى عنه ثلاثة بالمكاتبة وهذه أسماؤهم:

1 ـ أبو القاسم التجيبي: القاسم بن يوسف بن محمد السبتي (ت730هـ)

وهو يذكر في برنامجه أنه اتصل بابن تيمية في دمشق وسمع من فلق فيه ـ على حد تعبيره ـ جميع جزء فيه حديث أبي علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي وذلك بمدرسة القصاعين داخل هذه المدينة، كما سمع عليه بنفس المدرسة من فلق فيه أيضاً ـ ثلاثة من مؤلفاته ـ وهي: «بيان الدليل على بطلان التحليل»، «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». والظاهر أن التجيبي هذا هو الذي كتب ابنُ تيمية باسمه الرسالة المعنوية بـ: «وصية لأبي القاسم السبتي»، وقد ورد اسمها ضمن مجموعة مخطوطة بالخزانة التيمورية رقم 314.

2 ـ وبعد التجيبي يروي سبتي آخر عنه مكاتبة

وهذا لا يوضح المصدر المعني بالأمر اسمه، وإنما يخططه بصاحب سبتة الذي التمس من ابن تيمية ـ لما كان معتقلاً بالإسكندرية ـ أن يجيز له مروياته وينص على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه هكذا ورد في الكواكب الدرية[1] وقد كان اعتقال ابن تيمية بالإسكندرية مدة من ثمانية أشهر آخرها اليوم الثامن من شوال عام (709هـ) وفي هذا التاريخ كانت سبتة تابعة لغرناطة بعد التغلب عليها من طرف محمد بن الأحمر المعروف بالمخلوع، فعلى هذا قد يكون المراد بصاحب

---

(1) التيارات الفكرية في المغرب المريني: 27، 28.

سبتة هو أبو طالب العزفي الذي كان والياً على هذه المدينة قبل الاعتداء الأندلسي عليها.

3 ـ عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضري السبتي (ت749هـ)

روى عن ابن تيمية مكاتبة.

4 ـ عبد الله بن إبراهيم الزموري من أشياخ الأبلي

الذي روى عنه أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه بيتين في ذم «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي».

5 ـ محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني الأنصاري الأصل السوسي الدار (ت764هـ)

روى عن ابن تيمية مكاتبة.

«فهؤلاء خمسة مغاربة رووا عن الإمام ابن تيمية ـ ولم نزال لم نقف ـ بعد ـ ـ على مدى تأثرهم بأفكاره وهناك مغربيان ـ سوى الأربعة ـ لازما ابن تيمية كثيراً وقد ساق خبرهما ابن كثير في البداية والنهاية[1] في حوادث عام (749هـ) دون أن يحدد نوع مغربيتهما. وهو يسمي الأول: الشيخ عليّاً المغربي ويقول عنه: «وفي يوم السبت ثالث رجب عام (741هـ) وصلى على الشيخ علي المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بالجامع الأفرمي بسفح قاسيون ودفن بالسفح رَحِمَهُ اللَّهُ». أما المغربي الثاني فيسميه: «الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخا العلامة ابن تيمية كان أبصر بخط الشيخ منه إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا وكان سريع الكتابة لا بأس به»[2].

---

(1) 14/ 227.

(2) المصدر نفسه: 14/ 227.

ومن روى عنه أيضاً من المحدثين المغاربة:

الحافظ ابن سيد الناس

قال في كتابه «الأجوبة»[1]: «ألفيته ممن أدرك من العلم حظّاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه، وذو روايته».

(1) ص85.

الفصل الرابع

مغاربة أكثروا الرواية عن جماعة من مشيخة دمشق




1

الحافظ ابن رشيد السبتي (ت721هـ)[1]

ترجمته واسعة جداً، وسأقتصر على ذكر أقوال العلماء فيه وثنائهم عليه، وشهادتهم في تبريزه في الحديث الشريف.

وصفه صاحبه ورفيقه في رحلته المشرقية الوزير الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن بن الحكيم الرُّندي (ت708هـ) بقوله: «... أخي في الله الفقيه الفاضل، المحدِّث الكامل، الصالح العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري، رفيقي في الرحلة، وشقيقي بالحلة، أبقاه الله أجمل البقاء».

وأنشد صاحبه وصديقه الأديب النحويّ أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن مبارك في مدحه قائلاً:

وردتَ فأوردتَ المُنى ما تبجسا ... لديك من الفضل الذي جلَّ مؤنسا
أبَنْتَ لنا عن مغرب عاد مُشْرِقا ... بما عاد من شمس اعتلائك مشمسا
حَوَتْ سبتة في الفضل سبقاً لأن رمت ... بسهمك أغراض الكمال مُقَرْطَسا
وصارت رياضاً كلها لأن اغتدت ... لغصنِ المعالي منك والعلم مغرسا
فيا ابن رُشيد ذا الفخار محمَّداً ... وباسمك أضحى الوصف منك مجنَّساً
لقد طابق اسماً منك معنى حويته ... كما طابق الرَّوض الشَّذى المتنفَّسا
فلا زلتَ للآداب والعلم روضةً ... تسقى من الفهم الحيا المتبجّسا

وله قصيدة أخرى في مدح ابن رُشيد هذه بعض أبياتها:

(1) نقلت هذه الأقوال المتعلقة بابن رشيد السبتي، من الدراسة المفيدة والجادة التي قام بها زميلي الدكتور عبد اللطيف بن محمد الجيلاني بعنوان (الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية).

محمدُ بن رُشيدٍ من حَوَى كرماً … واسماً حميدَيْن طَابَا الخُبْرَ والخَبَرَا
روضٌ ومن يجتنِ أو يَجتَلِ ثَمرَ الـ … آداب والعلم يُؤتِ الزَّهرَ والثمرا
أضحت أماني منه في الأمان من أن … ترى بما قد صفا من وِردها كَدَرَا
يا سيِّداً شملَ الأفهام سؤدَدُه … بشملة العجز عن أن تدرك الأثرا
يكفي ذوي المجد، إذ لم يبلغوا أثراً … من شأوِ مجدك، إن مِنهُ اقتنوا أثرا

ويقول عنه معاصره عبد الواحد بن الطوَّاح (كان حيّاً سنة 717هـ)، بعد أن التقى بابن رُشيد حين عودته من رحلته المشرقية: «وله كتب ومشاركة في الحديث على طريق أهل الجرح والتعديل... وهو ممن يقول بالرواية، ويجنح إلى الدراية».

وأثنى عليه صاحبه أبو الفضل محمد بن علي بن إبراهيم التجاني (ت718هـ) فقال: «صاحبنا العالم العامل الفاضل الكامل أبو عبد الله بن رُشيد حفظه الله».

ويصفه في موضع آخر بقوله: «الفقيه الجليل الخليل الفاضل الكامل، نخبة الأصحاب، وشرف أرباب الآداب، محبّ الدِّين أبو عبد الله بن الشيخ الفاضل أبي علي عمر بن محمد بن رُشيد سلَّمه الله».

وينشد في مخاطبته قائلاً:

وزد يا مُحبَّ الدِّينِ مِنَّا مَحَبَّة … ويا ابنَ رُشَيد لا بَرِحتَ أخَا رُشدِ

ويقول عنه صاحبه وبلديُّه أبو القاسم القاسم بن عبد الله الأنصاري، المعروف بابن الشاط: «صاحبنا الفقيه الفاضل الأديب الكامل المحدِّث الحافل... وصَلَ الله تعالى حفظه، وأجزل من مواهبه قَسَمَهُ وحَظَّه».

ويحَلِّيه ناسخ كتابه السَّنن الأبين وتلميذه الشيخ إبراهيم بن أبي العاصي بقوله: «الإمام الناقد المتفنِّن النافذ أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن رُشيد الفهري، أمدَّه الله بمواد توفيقه، وأيَّده تأييد من ائتم لتحقيقه».

ويصفه الإمام الذهبي (ت748هـ) في «ذيل تاريخ الإسلام» بقوله: «الشيخ الإمام الحافظ الناقد الخطيب».

ويقول عنه في «العبر»: «عالم المغرب الحافظ العلامة».

ويقول عنه تلميذه خالد بن عيسى البلوي (كان حيّاً سنة 755هـ): «الشيخ الخطيب المحدِّث الحاجِّ الفاضل».

وأمّا تلميذه أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن الصفَّار التنملي المراكشي (ت761هـ) فيصفه بقوله: «شيخنا الأجلّ الرَّاوية المكثر الخطيب الحاجِّ المجاهد أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد الفهري السَّبتي نضَّر الله تعالى وجهه».

وأبرز من أثنى عليه من تلاميذه القاضي أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي (ت774هـ) فقال: «ابن رُشيد ثقة عدل، من أهل هذا الشأن المتحقِّقين به، وكان أيضاً من أهل المعرفة بعلم القراءات، وصناعة العربية وعلم البيان والآداب والعروض والقوافي، مشاركاً في غير ذلك من الفنون، من خدَّام الكتاب والسنة، حسن العهد، كريم العشرة، برّاً بأصدقائه، فاضلاً في جميع أنحائه، أديباً خطيباً بليغاً، ذاكراً متأدباً، يَقرض الشعر على تكلف، ويجوِّد النثر، ويُبصر مواقع حسنه، وأعظم عنايته بعلم الحديث متنه وسنده ومعرفة رجاله، ولذلك كان جُلَّ أشغاله، وفيه عُظم احتفاله، حتى حصل منه على غاية قصده ومنتهى آماله».

وأثنى عليه لسان الدِّين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب (ت776هـ) فقال: «بحر معارف لا يُسبَرُ غوره، وروضُ فنون تضوَّع مسراه وأينع نَوْرُه، وفريد زمانه الذي لا يأتي بمثله دوره».

وقال عنه في «الإحاطة في أخبار غرناطة»: «الخطيب المحدِّث المتبحِّر في علوم الرواية والإسناد، كان رحمه الله فريد دهره عدالة وجلالة وحفظاً وأدباً وسمتاً وهدياً، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيِّماً عليها بصيراً بها، محققاً فيها، ذاكراً للرجال، جمَّاعاً للكتب، محافظاً على الطريقة، مضطلعاً بغيرها من العربية والأدب والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريّاناً من الأدب، حافظاً للأخبار، والتواريخ، مشاركاً في الأصلين، عارفاً بالقراءات».

ولما ذكر ابن خلدون (ت808هـ) أحد تلاميذ ابن رُشيد وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الصفار التنملي قال: «أخذ عن جماعة من مشيخة المغرب، وكبيرهم شيخ المحدِّثين الرَّحَّالة أبو عبد الله محمد بن رُشيد الفهري سيد أهل المغرب».

ووصفه إمام القراءة في عصره شمس الدِّين محمد بن الجزري (ت833هـ) بقوله: «خطيب غرناطة ومقريها، وصاحب الرحلة».

وأثنى عليه تقي الدِّين المقريزي (ت845هـ) بقوله: «وكان إماماً عالماً، حافظاً متقناً، ثبتاً حجة، له معرفة تامة بالنحو والأدب، ويد طولى في علم الحديث والفقه على مذهب مالك...».

وأما الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) فيصفه بقوله: «المحقِّق الحافظ المدقِّق الرَّحَّال إلى المشرق والمغرب».

ويقول عنه الحافظ محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي (ت902هـ): «الحافظ المتقن الثقة المصنف».

ويقول عنه جلال الدِّين السيوطي (ت911هـ): «الإمام المحدِّث ذو الفنون».

أما عن ورعه وعبادته:

ومن مظاهر ورعه عدم ذكره لمخالفيه بأسمائهم، فهو يكتفي بالإشارة دون التصريح ورعاً فيه رَحِمَهُ اللهُ، فحينما ذكر الشخص الذي تسبَّب في عدم سماعه بتونس من الفقيه الجليل القاضي أبي محمد عبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي لم يصرِّح باسمه واكتفى بقوله: «فقصدت بعض الطلبة المشتغلين بالرواية هنالك ـ وكان له به اتصال ـ في رؤيته، وسرت معه إلى منزله فاستأذن وتركني في دكان إسطوانه، فمكث ساعة وخرج إلي وقال: إن الشيخ بحالة لا يدخل عليه فيها، وما نصح في ذلك، ولا أُراه صدق في استئذانه، فإنه بلغني أن الشيخ أبا محمد رَحِمَهُ اللهُ كان في تلك الأيام حريصاً على لقاء من وصل من المغرب في المركب الواصل راغباً فيمن يستجيزه أو يأخذ عنه أو يسمع منه، فلما كان في غد عدت لأنظر من أتوسَّل إليه ليدخلني عليه، فألفيت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد توفي ووُضع في مصلَّاه، فحضرت جنازته واشتد أسفي على فقده، فإنا لله

وإنا إليه راجعون»[1].

ثم قال: «وكان هذا الشخص الذي فعل معي هذه الفعلة في استئذان الشيخ لا ينكر عليه مثل ذلك، فقد فعلها معي مرة ثانية في عجوز كانت بتونس لها سماع عال في البلاد المشرقية مع أبيها، وهي آسية بنت عبد الرحيم بن طلحة لم أجد من يدلني على دارها، وكان هو يعرفها، فلم يزل يعدني بها إلى أن فاتت بالموت، والله يجازي كلّاً على نيته».

وكذلك نجده يعرض عن التصريح باسم أحد أصحابه أجابه عن تفسير ترجمة مشكلة من صحيح الإمام البخاري كان قد سأله عنها فلم ينصفه، كما أنه أوذي من طرف بعض الناس فكان يواجه ذلك بِحِلْمٍ وإِغْضَاءٍ، وفي هذا يقول:

إذا نال من عِرْضِي حَسُودٌ يغصُّ بي ... فأَجْزِيهِ إِعْرَاضاً يَزِيدُ شَجَاهُ
أَزِيدُ عَلَى الإِغْضَابِ حِلْماً كَعَنْبَرٍ ... يَزِيدُ عَلَى الإِحْرَاقِ طِيبُ شَذَاهُ

وهناك مظهر آخر من مظاهر الورع عند ابن رُشيد وهو ورعه في البحث، فهو عند ذكره لبعض الكتب التي لم يقف عليها يُصَرِّحُ بذلك دفعاً لما قد يتوهَّم من وقوفه عليها، ومن ذلك قوله: «وبلغني أنه ـ يعني ابن الصّلاح ـ علَّق طُرَراً مفيدة على صحيح مسلم؛ استعان بها محيي الدين النواوي في شرحه لصحيح مسلم، ولم أقف عليه».

ومن ذلك أيضاً تثبته واحتياطه في الرواية؛ فعندما ذكر قراءته لجزء أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم على شيخه أبي أحمد عبد الولي بن بحتر البعلبكي اكتفى بإيراد حديثين منه ثم قال: «لم يتفق لي استيفاء تعليق الجزء لعارض السفر، وقد علَّقتُ منه أحاديث غير هذين، وقع لي الشكّ في بعض أسانيدها، فتركت كتبها هنا حتى أكشف عن أمرها بحول الله تعالى».

وأهم ما يلفت الانتباه في هذا الموضوع اعتذاره عن الأئمة حينما يُبَيِّنُ

(1) تحسر كثير من العلماء الذين رحلوا للسماع على الشيوخ فماتوا قبل أن يسمعوا منهم راجع كتابي (الحسرات فيمن رحل للسماع على محدّث فوجده قد مات) ط ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

بعض أوهامهم وأخطائهم، فحينما ذكر عدم تنبه الإمام مسلم لسماع النعمان ابن أبي عياش الزرقي من أبي سعيد الخدري ـ مع كونه أخرج أحاديث النعمان منصوصاً فيها على السماع من أبي سعيد ـ جعل هذا من قبيل الخطأ الذي يقع لتعويذ كمال الإنسان، يقول: «فأثبت في كتابك ما نفيت في أوله، وأقررت بما أنكرت وشهدت من نفسك على نفسك، فما ذنبهم إن حفظوا ونسيت؟ ولا غَرْوَ فإنما ذلك تعويذ لكمالك.

شَخَصَ الأَنَامُ إلى كَمَالِكَ فاسْتَعِذْ مِن شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدِ»

ومن هذا القبيل أيضاً اعتذاره عن القاضي عياض في عدم استدراكه على مسلم بعض المواضع في صدر كتابه «إكمال المعلم»، وأهمّ من هذا تجويزه وقوع الخطأ منه، وتورّعه أن ينسب ذلك لأحد شيوخه.

وأما عن عبادة ابن رُشيد وحرصه على أداء الفرائض والسنن، فواضح من خلال حرصه الشديد أثناء قيامه بالحج على أداء المناسك وفق ما أداها رسول الله ﷺ وكذلك كثرة أدعيته وابتهالاته، ومما يذكر بهذا الصدد تصريحه بالمحافظة عن الوتر عند روايته للحديث المسلسل بالوتر بقوله: «والله ما تركت وتري منذ سمعته من أبي محمد ـ يعني شيخه الخلاسي ـ وقبل ذلك، والله يرزقنا الاتباع ويجنبنا الابتداع بمنِّه».

ومن مظاهر عبادته كثرة تواضعه وتَذَلُّلِه لله ﷻ من خلال كلامه عن نفسه في إجازاته وأشعاره وتوقيعاته، ومن ذلك قوله في نهاية إحدى إجازاته، وهي إجازة لستّ العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي مؤرَّخة بغرَّة محرَّم عام إحدى وعشرين الذي توفي فيه: ومن لم يكن يعرفني فإني:

أَنَا المُذْنِبُ الخَطَّاءُ والعَفْوُ وَاسِعٌ ولو لم يكن ذَنْبٌ لما عُرِفَ العَفْوُ

صورة توضح بداية الجزء السادس من مخطوطة ملء العيبة وهو بخطّ ابن رُشيد ويحمل رقم: 1737 بخزانة الإسكوريال بإسبانيا

صورة توضح نهاية مخطوطة الجزء السابع والأخير من ملء العيبة، وهي بخط ابن رُشيد أيضاً،
ويحمل رقم: 1735 بخزانة الإسكوريال

مشيخته بدمشق

1 ـ أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة، بدر الدين أبو العباس الشيباني الصالحي الخياط[1] (ت685هـ)

سمع على حنبل الرصافي مسند أحمد وعلى عمر بن محمد بن طبرزد الغيلانيات وسنن أبي داود وجزء الأنصاري.

قال الذهبي: «وكان شيخاً حسناً متواضعاً منقاداً، صحيح السماع، مطبوعاً، له شعر».

قال ابن كثير: «أحد مشايخ الحديث المسندين المعمرين بدمشق».

لقيه ابن رُشيد بدمشق وسمع منه، وهو أحد الشيوخ الذين كتبوا له بالإجازة ولمن ذكر معه في الاستدعاء.

وهذا الشيخ من ضمن الذين روى عنهم ابن رُشيد في كتابه «الإعلام بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام»، ووصفه عند ذكره له بالشيخ المسند المعمَّر... مسمع دار الحديث الأشرفية.

2 ـ أحمد بن عامر بن أبي بكر بن علي، نفيس الدين أبو العباس الغسولي الصالحي[2] (ت685هـ)

ثبتت إجازته لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء وأذن في الكتب عنه لعلي بن مسعود بن يونس الموصلي ثم الحلبي، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بسفح قاسيون ظاهر دمشق.

توفي في شوال سنة خمس وثمانين وستمائة بجبل قاسيون.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 685؛ الوافي بالوفيات: 6/ 417؛ البداية والنهاية: 13/ 326؛ ذيل التقييد للفاسي: 1/ 316.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 685.

3 ـ إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن علي، أبو إسحاق الرُّعَيْني اللَّوْرِي الأندلسي (ت687هـ)

ستأتي ترجمته في الباب الثاني ـ بعون الله تعالى ـ).

لقيه ابن رُشيد بدمشق وسمع عليه، وحصل منه على الإجازة في العاشر من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثمانين وستمائة.

وروى عنه في إفادة النصيح، والإعلام بأربعين حديثاً عن أربعين من الشيوخ الأعلام.

ووصفه بقوله: «صَدْرٌ في الفضلاء، ورأس في الصلحاء، شيخ المدرسة الظاهرية بدمشق. . .».

4 ـ محمد بن خالد بن حمدون، مجد الدين أبو عبد الله الحموي[1] (ت687هـ)

سمع ببغداد وبمكة وبحلب وبدمشق وبمصر، فسمع كثيراً، وجاور بمكة مدة.

قال المقريزي: «كان محدثاً صالحاً مشهوراً بالصلاح يقصده الناس للزيارة، ويتَّجر في الكتب، وكان أبو العباس ابن الظاهري يعظمه».

وصفه ابن رُشيد بالشيخ الزاهد الورع.

وقد لقيه في رحلته المشرقية وسمع عليه بالمسجد الأعظم من دمشق واستجازه فأجاز له، وثبت خطه بذلك سنة أربع وثمانين وستمائة.

5 ـ عبد الرحمٰن بن يوسف بن محمد بن نصر، فخر الدين أبو محمد البعلبكي الحنبلي[2] (ت688هـ)

سمع على أبي المنجَّى ابن اللّتي مسند الدارمي، وسمع من القزويني

---

(1) الوافي بالوفيات: 3/ 36؛ المقفى: 5/ 619؛ درة الحجال: 2/ 23.

(2) تاريخ الإسلام، وفيات: 688؛ المعجم المختص: 142؛ معجم شيوخ الذهبي: 1/ 385؛ العبر: 3/ 366؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 319؛ القلائد الجوهرية: 2/ 284؛ الشذرات: 5/ 404.

والبهاء عبد الرحمٰن، وعَرَضَ علوم الحديث من حفظه على مؤلفه ابن الصّلاح، وحضر بحوث السيف الآمدي، وقرأ النحو على ابن الحاجب، وأفتى ودرَّس، وكان شيخاً في المدرسة الصّدرية والنّورية، وتفقّه به جماعة.

أثنى عليه الذهبي فقال: «أحد العلماء العاملين، تخرّج عليه أئمة، وكان متواضعاً خيِّراً، يؤثر الخمول ويلازم التهجُّد وكثرة التلاوة، ويكثر الصوم، وتؤثر عنه كرامات وأحوال...».

لقيه ابن رُشيد بدمشق، وروى عنه في كتابه «الإعلام» فقال: «أخبرنا فيما قرئ عليه بالمسجد الجامع من دمشق ـ حماها الله ـ وأنا أسمع الشيخ الفقيه الزاهد الورع فخر الدين أبو محمد عبد الرحمٰن بن يوسف بن محمد البعلبكي...».

وثبت بخطه بالإجازة لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء بتاريخ العاشر من رمضان المعظم عام أربعة وثمانين وستمائة.

6 ـ محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد، المقدسي الحنبلي[1] (ت688هـ)

سمع ابن الحرستاني وأبا اليُمن الكندي والموفق ابن قدامة وأجازوا له.

أثنى عليه الذهبي فقال: «الإمام القدوة العابد المحدِّث، بقية السلف الأخيار».

وقال أيضاً: «قرأ الكثير، وكتب الأجزاء، وتمَّم أحكام عمِّه، على استقامة وصدق وتواضع وخشية ومراقبة، وصار شيخ الضيائية، وحدّث بالكثير».

لقيه ابن رُشيد في رحلته المشرقية بصالحية دمشق سنة أربع وثمانين وستمائة، وحصل منه على الإجازة.

---

(1) المعجم المختص: 239؛ معجم شيوخ الذهبي: 2/ 214؛ المعين في طبقات المحدثين: 220؛ الوافي بالوفيات: 3/ 247؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 320؛ شذرات الذهب: 5/ 405.

7 ـ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان، شمس الدين أبو الفرج المقدسي الحنبلي[1] (ت689هـ)

سمع من الكندي وابن الحرستاني والضياء وابن ملاعب والموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة والفتح بن عبد السلام وابن الجواليقي وغيرهم.

قال الذهبي: «وكان حميد الطريقة، صحيح الرواية، كبير القدر... نسخ بخطه وأثبت لنفسه».

لقيه ابن رُشيد بسفح جبل قاسيون بصالحية دمشق وسمع عليه بعض الكتب والأجزاء، منها كتاب اليقين لابن أبي الدنيا.

8 ـ إسماعيل بن نور بن قمر، أبو الفداء الهيتمي الصالحي[2] (ت690هـ)

سمع من الموفق بن قدامة والحسين بن المبارك الزبيدي وموسى بن عبد القادر الجيلي وجماعة.

ثبت إجازته لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء وأذن في الكتب عنه لعلي بن مسعود بن يونس الموصلي الحلبي، وكتبه في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بسفح جبل قاسيون.

9 ـ عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع بن عبد الخليل، أبو محمد الأبهري[3] (ت690هـ)

سمع ابن روزبة وإبراهيم بن الخشوعي، وسمع على أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل السلمي المقدسي ـ سنن البيهقي الكبرى وأجاز له ـ وابن طبرزد وأبي الحسن المقدسي وغيرهم.

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 355؛ المعجم المختص: 136؛ المعين في طبقات المحدثين: 220؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 323؛ الشذرات: 5/ 408.

(2) العبر: 3/ 372؛ ذيل التقييد: 1/ 475؛ الشذرات: 5/ 411.

(3) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 427؛ طبقات الشافعية للسبكي: 8/ 316؛ ذيل التقييد: 2/ 157؛ الشذرات: 5/ 414.

وصفه الذهبي بالقاضي الأوحد، وقد أجاز لابن رُشيد وثبت بذلك خطّه.

10 ـ عمر بن يحيى بن عمر فخر الدين أبو حفص الكرجي (690هـ)

ستأتي ترجمته في صفحة 258 من هذا الكتاب ـ بعون الله تعالى ـ.

11 ـ علي بن أحمد بن عبد الواحد، فخر الدين أبو الحسن المقدسي الشهير بابن البخاري[1] (ت690هـ)

سمع من أبي المحاسن محمد بن كامل التنوخي وأبي علي حنبل بن عبد الله بن الفرج البغدادي وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي وأبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد وأبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحَرَسْتاني وأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وغيرهم.

أثنى عليه الذهبي فقال: «مسند الدنيا... وطال عمره، ورحل الطلبة إليه من البلاد، وألحق الأسباط بالأجداد، في علوّ الإسناد».

وذكر الذهبي أنه سأل عنه المزي فقال: «أحد المشايخ الأكابر، والأعيان الأمثال، من بيت العلم والحديث، ولا يعلم أن أحداً حصل له من الحظوة في الرواية في هذه الأزمان مثل ما حصل له».

وقال عنه الذهبي أيضاً: «وهو آخر من كان في الدنيا بينه وبين النبيّ ﷺ ثمانية رجال».

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينشرح صدري إذا أدخلت ابن البخاري بيني وبين رسول الله ﷺ في حديث».

---

(1) مشيخة ابن جماعة: 1/ 388؛ معجم شيوخ الذهبي: 2/ 13؛ المعجم المختص: 159؛ العبر: 3/ 373؛ المعين في طبقات المحدثين: 220؛ البداية والنهاية: 13/ 343؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 325؛ ذيل التقييد: 2/ 178؛ غاية النهاية: 1/ 520؛ القلائد الجوهرية: 2/ 378؛ الشذرات: 5/ 414.

وقد حصل لابن البخاري من الحظوة في الرواية ما لم يحصل لأحد في زمانه، حيث تكاثر عليه الطلبة من نحو الخمسين والستمائة، وازدحموا عليه بعد الثمانين، ورحل إليه الحفاظ والطلاب من الأقطار وتكاثرت عليه الإجازات من أطراف البلاد، ولزمه المحدِّثون حتى لا يدرى كم قرئ عليه من الكتب والأجزاء، يقول البرزالي: «سمعت منه بقراءتي عليه وقراءة غيري ثلاثة وعشرين مجلداً من خمسمائة جزء».

وترجم له البرزالي ضمن شيوخ بدر الدين ابن جماعة فقال: «شيخ جليل وقور مهيب، معروف بالديانة والصيانة والورع، حسن الهيئة، وضيء الوجه، عاش في حسن طريقة، ومحمود ذكر، وروى الحديث مدة تقارب ستين سنة، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث النبوية والآثار والحكايات الزهدية، ويقول الشعر، ويعرف طرفاً من العربية ويجمع لنفسه منتخبات وفوائد مستحسنة»، وقال أيضاً: «وكان يحضر الغزوات ويحدث، وعمّره الله تعالى حتى انفرد بكثير من مسموعاته وإجازته، وقصده الناس وازدحم عليه الطلاب، وكان لا يرد أحداً، فكان يقرأ عليه في كل يوم معظم النهار، وحدّث بالكثير من الكتب الكبار والأجزاء وانتشرت الرواية عنه».

ولم تذكر المصادر لابن البخاري مؤلفات وإنما ذكروا مشيخته، وأنه خرجها له أكثر من واحد كأبي القاسم علي بن بلبان المقدسي والحافظ جمال الدين ابن الظاهري، وكان ابن الظاهري قد خرّج له المشيخة بمصر ثم أرسلها بالبريد فنودي لها بدمشق، وسارع الناس إلى سماعها، وجمع لها صبيان كثير فقرئت عليه في ثلاثة مجالس، وحضر المجلس الأخير ألف نفس أو أكثر، ولم يعهد في تلك الأزمان مثل ذلك، ثم حدَّث بها مراراً عديدة.

وقد حظي ابن رُشيد بلقاء ابن البخاري بدمشق وسمع عليه، وهو من ضمن من استجازه ابن رُشيد في الاستدعاء، وثبتت إجازته بخطه.

وورد في بعض روايات ابن رُشيد عنه تأريخ القراءة عليه في الرابع عشر من رمضان المعظم عام أربعة وثمانين بالمدرسة الضيائية من جبل الصالحية بظاهر دمشق.

12 ـ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب، أبو المجاهد الحلّاوي الدمشقي[1] (ت690هـ)

سمع على أبي حفص عمر بن محمد بن طَبَرْزَد الغيلانيَّات، وعلى أبي علي حنبل كثيراً من المسند وأجازا له.

قال الذهبي: «عمّر دهراً، وانتهى إليه علو الإسناد بمصر».

أجاز لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء بتاريخ ثاني عشر شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة.

قال ابن رُشيد: «لقيته بفطيا منزل من منازل السهل من آخر الديار المصرية وسمعت عليه بها».

روى عنه ابن رُشيد في بعض كتبه وحدث عنه بحديث «إنما الأعمال بالنيات» قراءة عليه.

13 ـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل، تقي الدين أبو إسحاق الواسطي[2] (ت692هـ)

أكثر من السماع فسمع بدمشق وببغداد من الشيخ أبي الفتح بن عبد السلام وابن الجواليقي وسمع بحلب وحران والموصل، وسمع كثيراً من الكتب الكبار والأجزاء، وَعُنِيَ بالحديث وقرأ بنفسه، وله إجازة من جماعة من الأصبهانيين والبغداديين، وتفقّه في المذهب الحنبلي وأفتى، ودرّس بالمدرسة الصاحبية بقاسيون نحواً من عشرين سنة، وولي في آخر عمره مشيخة دار الحديث الظاهرية وحدَّث بها مدة.

---

(1) المعجم للدمياطي: 2/ 129/ مخطوط؛ تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 690؛ العبر: 3/ 374؛ ذيل التقييد: 2/ 264؛ الشذرات: 5/ 417.

(2) تذكرة الحفاظ: 4/ 1477؛ المعجم المختص: 59؛ معجم شيوخ الذهبي: 1/ 143؛ الوافي بالوفيات: 6/ 66؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 329؛ ذيل التقييد: 1/ 433؛ المنهل الصافي: 1/ 103؛ النجوم الزاهرة: 8/ 40؛ الشذرات: 5/ 419.

أثنى عليه الذهبي فقال: «الإمام القدوة، شيخ الإسلام... وكان رأساً في التألُّه والتعبُّد والأمر بالمعروف والإخلاص».

وقال أيضاً: «كان مهيباً في ذات الله، داعياً إلى السنن، قَوَّالاً بالحقّ، له وَقْعٌ في القلوب ومهابة، وله أوراد وعبادات قلّ من نهض بمثلها... وكان انتهى إليه عُلُوُّ الإسناد».

ونقل عن ابن الزملكاني قوله: «كان كبير القدر، له وَقْعٌ في القلوب وجلالة، ملازم للتعبد ليلاً ونهاراً، قائم بما يعجز عنه غيره، يبالغ في إنكار المنكر، بايع نفسه في ذلك لا يبالي على من أنكر، يعود المرضى ويشيع الجنائز، ويُعَظِّمُ الحرمات والشعائر، وعنده علم جيد وفقه حسن، قال: وكان داعية إلى عقيدة أهل السنّة والسلف الصالح مثابراً على السعي في هداية من يرى فيه زيغاً عنها».

روى عنه ابن رُشيد في الإعلام فقال: «سمعته يقرأ بِسفح جبل قاسيون على الشيخ الزّاهد العابد التقي الفاضل - ثم سمَّاه - في يوم الأحد الحادي عشر لشهر رمضان المعظم عام أربعة وثمانين وستمائة».

14 - تمام بن محمد بن إسماعيل، كمال الدين أبو الخير الحنفي الدمشقي[1] (ت694هـ)

سمع سيف الدولة أبا عبد الله محمد بن غسان بن غافل الأنصاري وإبراهيم بن خليل.

ثبت إجازته لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء وكتب خطه بذلك.

15 - أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبدالمنعم بن نعمة، شهاب الدين أبو العباس المقدسي الحنبلي[2] (ت697هـ)

سمع من علي بن هبة الله بن الجميزي وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج وعبد الرحمٰن ابن مكي سبط الحافظ السِّلَفي وغيرهم.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 694؛ معجم شيوخ الذهبي: 1/ 197؛ درة الحجال: 1/ 230.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 60؛ المعجم المختص: 27؛ العبر: 3/ 389؛ برنامج الوادي آشي: 108؛ البداية والنهاية: 13/ 374؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 336؛ درة الحجال: 1/ 32؛ الشذرات: 5/ 437.

قال الذهبي: «الشيخ الإمام، شيخ التعبير».

وقال أيضاً: «مفسّر المنامات... وروى الكثير بدمشق والقاهرة، وكان إليه المنتهى في تعبير الأحلام، قد اشتهر عنه في ذلك عجائب وغرائب، ويخبر صاحب المنام بمغيبات لا يقتضيها المنام أصلاً، وبعض الناس يعتقدون فيه الكشف والكرامات، وبعضهم يقول ذلك مستنبط من المنام، وبعضم يقول ذلك كهانات أو إلهامات، ولكل منهم في دعواه شبه وعلامات حدثني الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن الشهاب العابر كان له رِئِيٌّ من الجنّ يخبره بالمغيّبات، والرّجل صاحب أوراد وصلوات ما بَرِحَ على ذلك حتى مات، وله الباع الطويل في التعبير، صنّف في ذلك مقدّمة سمَّاها البدر المنير... أجزاء، وكان عارفاً بالمذهب، وقد ذكر لتدريس الجوزية لما قدم علينا ونزل بها، وكان شيخاً حسن البشر وافر الحرمة معظماً في النفوس».

وقال ابن رجب: «ورحل إلى مصر ودمشق والإسكندرية... وتفقه في المذهب، وبرع في معرفة تعبير الرؤيا، وانفرد بذلك بحيث لم يشارك فيه، ولم يدرك شأوه، وكان الناس يتحيَّرون منه إذا عبَّر الرؤيا لما يخبر الرائي بأمور جرت له، وربما أخبره باسمه وبلده ومنزله ويكون من بلدٍ ناءٍ، وله في ذلك حكايات كثيرة غريبة مشهورة، وهي من أعجب العجب، وكان جماعة من العلماء يقولون إن له رئياً من الجنّ، وكان مع ذلك كثير العبادة والأوراد والصلاة، لكن يقال: إنه كان يتعبد على وجوه غير مشروعة كالصلاة في وقت النهي، وذكر عنه بعض أقاربه أنه رأى عنده شيئاً من آثار الجنّ».

وقد أورد الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيّم الجوزية طرفاً من حكايات هذا الشيخ في علم التعبير كان قد أخبره بها ثم قال: «وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله تعالى».

وقد ثبتت إجازة هذا الشيخ لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء في جُمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة.

وعلَّق ابن رُشيد على نصِّ الإجازة قائلاً: «الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمٰن الحنبلي أحد الأولياء، وله في علم الرؤيا قدم صدق وصنَّف في ذلك، وتَبْدُرُ عنه عجائب، والله يختص بفضله من يشاء، وله في ذلك مختصر نبيل سمَّاه: البدر المنير».

وقد أقام هذا الشيخ مدة بالقاهرة، ومدة بدمشق وبها مات، وولي بها مدة شهور دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون، وأسمع بها الحديث ثم صرف عنها، وذكر مدة لقضاء الحنابلة.

16 ـ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر، شرف الدين أبو الفضل الدمشقي[1] (ت699هـ)

سمع على المجد محمد بن الحسين القزويني وأبي القاسم بن صصرى وزين الأمناء الحسن بن عساكر وغيرهم.

قال عنه الذهبي: «المعمر الرئيس... من بيت الرواية والعدالة».

وقال أيضاً: «شيخنا المسند الجليل... سمع الكثير وأسمعه، وحدّث بالصّحيحين مرّات وبمسند أبي يعلى ومسند أبي عوانة ومسند أبي العباس السراج وتفسير البغوي بفوت وموطأ أبي مصعب والزهد للبيهقي ومشيخة أبي المظفر السمعاني وأجزاء كثيرة لا يمكن ضبطها... وانتهى إليه علو الإسناد بدمشق، وكان شيخاً مهيباً، تركي الأم، فيه خير وإيثار وعدالة».

وقد ثبتت إجازته لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء في الثالث والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة.

17 ـ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء، أبو المحاسن الأذرعي الصالحي الحنفي[2] (ت699هـ)

سمع على الحسين بن المبارك الزبيدي وغيره.

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 107؛ المعجم المختص: 45؛ البداية والنهاية: 14/ 14؛ ذيل التقييد: 1/ 406؛ درة الحجال: 1/ 43.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 2/ 387؛ ذيل التقييد: 2/ 322؛ درة الحجال: 3/ 344.

وصفه الذهبي بقوله: «الفقيه العدل الجليل».

أخذ عنه ابن رُشيد بدمشق، وحصل منه على الإجازة، وثبت خطّه بذلك.

18 ـ أحمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي، جمال الدين أبو العباس الشهرزوري[1] (ت701هـ)

سمع على أبي المنجى ابن اللّتي مسند عبد بن حميد، وعلى خاله الحافظ تقي الدين ابن الصلاح كتابه في علوم الحديث.

قال الذهبي: «شيخ مطبوع نظيف مليح الكتابة».

ثبت خطّه بالإجازة لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء، وذلك في يوم الاثنين من ذي الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة بالقاهرة.

19 ـ الحسن بن علي بن أبي بكر بن يونس بن يوسف، بدر الدين أبو علي الخلال الدمشقي[2] (ت702هـ)

سمع على أبي المنجى عبد الله بن عمر بن اللتي ومكرم القرشي وابن المقير وغيرهم، وأجاز له روزبة وابن القطيعي وخلائق.

قال الذهبي: «وتفرد في وقته وأكثرت عنه، وكان من خيار الشيوخ ديناً، وقوراً مسمتاً، طويل الروح».

وقال ابن حجر: «وأكثر جدّاً بحيث أنه حدث عشرين سنة، ولما مات كثر التأسف عليه لما فات من مسموعاته».

لقيه ابن رُشيد بدمشق وسمع عليه، وكتب له الإجازة بخطه ولمن ذكر معه في الاستدعاء.

وهذا الشيخ من الذين روى عنهم ابن رُشيد في كتابه الإعلام.

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 58؛ ذيل التقييد للفاسي: 1/ 328؛ الدرر الكامنة: 1/ 166.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 211؛ برنامج الوادي آشي: 123؛ ذيل التقييد: 1/ 506؛ الدرر الكامنة: 2/ 21؛ الشذرات: 6/ 4.

20 ـ سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقي الدين أبو أحمد المقدسي الحنبلي(1) (ت715هـ)

سمع الكثير على أبي المنجى بن اللّتي والحسين الزبيدي وجعفر الهمداني والضياء المقدسي وغيرهم.

قال الذهبي: «وروى عن الحافظ الضياء نحواً من خمسمائة جزء أو أكثر، وكان يقول: سمعت منه ألف جزء، وكان ملازماً له مدة عشر سنين، وقد طلب الحديث بنفسه وقرأ كثيراً على ابن عبد الدائم وغيره، وكان محبّاً للرواية، مهذَّب الأخلاق، كيِّساً متواضعاً، زكيّ النفس، خيِّراً متعبِّداً متهجِّداً، عديم الشرّ، له معاملة مع الله تعالى، ولولا القضاء لَعُدَّ كلمة إجماع، مع خبرته بالمذهب وشرحه، ومعرفته بتصانيف الشيخ موفق الدين، وأفتى أزيد من خمسين سنة».

قال ابن القاضي: «أخذ عنه ابن رُشيد وكتب له بخطه بصالحية دمشق سنة أربع وثمانين وستمائة».

21 ـ أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد المقدسي الحنبلي(2) (ت718هـ)

وصفه الذهبي بقوله: «الصالح الخاشع المعمّر، مسند الشام».

أجاز لابن رُشيد ولمن ذكر معه في الاستدعاء، وثبت خطّه بذلك.

وكتب ابن رُشيد إزاء نص إجازته ما يلي: «أبو بكر، سمع أبا عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي، سمع عليه البخاري ومسند الشافعي وأجاز له، وسمع أبا المنجّى ابن اللّتي، سمع عليه مسند الدارمي ومسند عبد بن حميد وأجاز له».

وروى عنه في كتابه الإعلام بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام.

---

(1) المعجم المختص: 104؛ معجم الشيوخ: 1/ 268؛ الوافي بالوفيات: 15/ 370؛ فوات الوفيات: 2/ 83؛ ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 364؛ الدرر الكامنة: 2/ 241؛ درة الحجال: 3/ 307؛ الشذرات: 6/ 35.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 2/ 402؛ الدرر الكامنة: 1/ 468؛ درة الحجال: 1/ 221؛ الشذرات: 6/ 48.

سليمان بن حمزة المقدسي (الاستدعاء الكبير: 46)

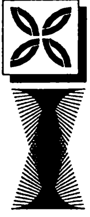
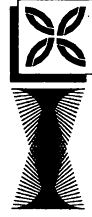
محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي (الاستدعاء الكبير: 36)

أحمد بن شيبان بن تغلب الشيباني الصالحي (الاستدعاء الكبير: 52)

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي (الاستدعاء الكبير: 9)

أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي (الاستدعاء الكبير: 50)

أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي
الشهير بابن البخاري (الاستدعاء الكبير: 33)

2

الحافظ ابن سيد الناس
أبو الفتح اليعمري (ت734هـ)

قال أبو الفتح في إجازته للصفدي:

«ثم في سنة خمس وسبعين، حضرت مجلس الحديث عند جماعة من الأعيان، منهم: الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله بن عبد الواحد المقدسي، وأثبت اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة».

ثم في سنة خمس وسبعين، حضر مجلس الحديث عند جماعة من الأعيان، خص بالذكر منهم: «الإمام شمس الدين أبا عبد الله، محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، ابن أخي الحافظ عبد الغني».

وأثبت اسمه في الطباق، وهو سجلات السماع التي يعتبر بها في المشيخة والسماع والطبقة، وقد روى أبو الفتح عن شيخه الشمس المقدسي بلفظ:

«قرئ على الشيخ»، أو «بقراءة والدي عليه» حضوراً في الرابعة

وفاة الشيخ كانت في المحرم سنة (676هـ) في الثالثة والسبعين من عمره، وقد حضر علي ابن طبرزد وسمع من أبي اليمن الكندي ومن الفتح ابن عبد السلام ببغداد ثم سكن بالقاهرة وفيها وفاته.

وهو لا ينظر في شيخه إلى علو السماع فحسب، بل عرفه كذلك بأنه «ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي تنويهاً بهذه القربى من إمام الحفاظ في وقته، صاحب كتاب (الكمال) العمدة في أسماء الرجال.

ومن الأعيان الذين حضر مجالس درسهم، في هذه المرحلة المبكرة وسمع عليهم بقراءة والده، وأجازوه حسبما يستفاد مما كتب في إجازته للصفدي بعد ذكر شيخه النجيب عبد اللطيف: «وأجاز لي بعده جماعة».

طه الأربلي المتوفَّى سنة 677هـ.

وهو أديب فقيه، انتقل إلى مصر بعد سماعه على طوائف من مسندي العصر بإربل مسقط رأسه، وبغداد، ودمشق، منهم العلم السخاوي، والكاشغري.

وقد سمع عليه أبو الفتح الخلعيات» بقراءة والده أبي عمرو سنة ست وسبعين كما صرح بذلك في أجوبته.

من عهد الدارسة والطلب، التفت إليه شيخه الإمام «التقي ابن دقيق العيد» فكان يحبه ويؤثره ويركن إليه. وشهد زميله في الدرس «العماد بن القيسراني» أن الشيخ التقي، كان إذا جاء في درسه ذكر أحد من الصحابة ﷺ والرجال، سأل فتح الدين عنه ترجمته «فيأخذ في الكلام ويسرد، والناس سكوت والشيخ مصغ إلى ما يقول».

والتفت إليه شيخه «التقي الأسعردي» فقال له ولما يتجاوز العشرين من عمره:

«أريد منك أن تخرج لنفسك «أربعين حديثاً موافقات» وإن شئت دللتك عليها ـ ما تحفظ ـ فأخذتها بلا تعب وكتبتها بلا نصب».

بعد وفاة شيخه الأسعردي في السبعين من عمره، خلفه على منصبه متصدراً لإفادة طلبة الكاملية ـ من جهة شيخها ابن دقيق العيد ـ وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره. وفوض إليه الشيخ «مشيخة دار الحديث المهذبية بظاهر القاهرة».

وفي نحو الخامسة والعشرين من عمره، تصدر لتدريس الحديث بالمدرسة الفخرية خلفاً لشيخه المعمر المسند «الضياء السبتي».

وغير بعيد من ذلك الوقت، قدمه شيخه الصديق العالم بالآثار (الأمير علم الدين سنجر الدواداري) إلى سلطان لاجين، وقال:

«أحضرت لك هذا، وهو كبير من أهل العلم».

وزكاه لدى السلطان، مما سمع من شعره ومن كلامه ورأى من خطه وكتابته فقال: «ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء».

وخصه شيخه الصدر الإمام فريد عصره، شرف الدين الدمياطي بفوائده وتعليقاته على (صحيح مسلم).

وقال له شيخه الكبير «السيد الشريف الإمام العالم المحدث تاج الدين الغرافي: «في رحلته الثالثة إلى الإسكندرية: «أريد أن أخصك برواية كتاب سمعته من مصنفه ولم يسمعه عليّ أحد غير الشيخ تقي الدين القشيري «فسأله: ما هو؟ فقال: تاريخ المدينة المنورة لابن النجار».

فلما لم يقدر له سماعه منه، أخذه بالإجازة.

كل هذا وغيره يشهد له بالمكانة الرفيعة التي أهلته لإحتلالها شخصيته ومواهبه.

ووصفه الذين صحبوه وعرفوه من قرب بجمال الشكل والهيئة، وإشراق الطلعة وكرم الأخلاق. والظرف والعشرة، وحلاوة النادرة ولطف الدعابة وأنس المحضر، وخفة الظل والروح: (ما رآه أحد إلا أحبه).

وقيل فيه: «لم تر العيون مثله، ولا رأى مثل نفسه».

ووصفوه بأنه كان كَيِّسا كثير الحياء والاحتمال، والتواضع ودماثة الطبع ولين الجانب وعذوبة الفطرة والتودد إلى الناس حتى عجب له صاحبه الصفدي: أن لم يزه تيهاً بنفسه، وأن أصحابه ليختالون به زهواً وعجباً.

ويبدو أن هذه السجايا هي التي جذبت إليه رواد ناديه ـ وفيهم عدد من الأمراء وأعيان الدولة ـ طاب لهم مجلسه الممتع.

وتبسطوا فيه، متحررين مما تأخذهم به مناصبهم في الدولة من تكلف واحتشام، وما تفرضه عليهم رقابة السلاطين وجماهير الشعب، من ضوابط السلوك في القول والفعل.

فكان أن مسه من صحبتهم ومعاشرتهم أذى وملام.

زجره قاضي القضاة الشافعية البدر ابن جماعة وصرفه عن إعادة الحديث بالجامع الطولوني لأنه كان يعاشر بعض الأكابر.

ويوم وفاة أبي الفتح، شيعه «الفخر ناظر الجيوش السلطانية» بقوله للملك الناصر:

«ولكنه كان يعاشر الأمراء والوزراء».

وبعد مماته، تعقبه نظار النقاد، يأخذون عليه هذه المخالطة للأمراء وأعيان الدولة، تلقي عليها ظلها الكريه، وقد تحمله من أوزارهم ما لا يليق بمثله، ولا ينبغي له.

ولعل أشد ما غاظهم منها، أن شغلته بقدر ما، عن التفرغ للعلم، درساً وتصنيفاً وكان المرجو لو أنه أخلص له وقته وجهده وباله، لأن يزيد في عطائه ويبلغ غاية ما تؤهله له مواهبه الفذة ورسوخه في العلم رواية ودراية.

والأقوال في شخصيته وفي نقده جرحاً وتعديلاً تؤول عند المتأخرين إلى أعيان الطبقة الأولى من مترجميه صحبه ومعاصريه. كشمس الدين الذهبي، والعلم البرزالي، والكمال جعفر الأدفوي، والصلاح الصفدي والشهاب ابن فضل الله العمري وابن كثير...

الذي قاله الذهبي فيما نقل أبو المحاسن الحسيني:

وكان أثرياً في المعتقد، يحب الله تعالى ورسوله».

وفيما نقل الصلاح الصفدي:

قال الشيخ شمس الدين الذهبي... «وكان طيب الأخلاق بساماً، صاحب دعابة ولعب، ومحاسنه جمة، ولو أكب على العلم كما ينبغي، لشدت إليه الرحال، ولكنه كان يتلهى بمعاشرة الكبار».

«... ونقلت من خط الذهبي رحمه الله تعالى: جالسته مرات، وبت معه ليلة وسمعت بقراءته على الرضي النحوي. وكان طيب الأخلاق بساماً صاحب دعابة ولعب، صدوقاً في الحديث حجة فيما ينقله... ومحاسنه جمة، انتهى».

ونقل ابن قاضي شهبة فيما انتقاه من «المعجم المختص» للذهبي في ترجمة الحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس. «أحد أئمة هذا الشأن... وكان

حلو النادرة جالسته مرات وسمعت قراءته وأجاز لي مروياته عليه مآخذ في دينه وهديه فالله يصلحه وإيانا».

وهو الذي نقله ابن العماد في الشذرات من «المعجم المختص».

وفي حاشية على ترجمة ابن سيد الناس في مخطوط (الكافي، للقطب البهنسي الخزرجي) بخط مغاير لخط النسخة، نصها:

«قال الذهبي في تاريخه، وفي ترجمته: «ومحاسنه جمة، لكنه كان صاحب دعابة ولعب وعشرة ولعله مات على توبة وإنابة. انتهى».

وأدع الذهبي إلى ما قال الحافظ، علم الدين البرزالي في الشيخ فتح الدين:

«كان صحيح العقيدة، حسن الأخلاق جميل الهيئة كثير التواضع طارحاً للتكلف طيب المجالسة حلو المعاشرة خفيف الروح ظريفاً كيساً متودداً إلى الناس محباً لطلبة الحديث. ولم يخلف في مجموعه مثله».

وقال الكمال جعفر الأدفوي بعد التويه بعمله وفضله:

«... وخالط أهل السفه وشراب المدام، فوقع في الملام، ورشق بسهام الكلام، والناس معادن، والقرين يكرم ويهان، باعتبار المقارن... ولم يخلف في القاهرة ومصر من يقوم مقامه ولا من يبلغ في ذلك مرامه. أعقبه الله السلامة في دار المقامة».

وقال عنه الصلاح الصفدي: «ما رأيت محظوظاً مثله. ما رآه أحد إلا أحبه، وعظمه. كان الأمير علم الدين الدواداري يحبه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور لاجين وقد امتدحه بقصيدة وذكر خبر اللقاء ووظيفة الموقع بديوان الإنشاء السلطاني، واستعفائه منها وتقرير راتبها له حتى مات ثم قال»:

«وكان الكمالي ينام معه في قرظية النوم، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه كثيراً ويوده، ويقضي الأشغال عنده، وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين. وسمع البخاري بقراءته على الحجار وتعصب له الأمير سيف الدين أرغون النائب وخلص له مشيخة الظاهرية».

ولم أعرف أحداً من أمراء الدولة إلا وهو يحبه ويصحبه ويميل إليه ويجتمع به وإنما كان الأمير سيف الدين ألجاي الدواداري، والقاضي فخر الدين ناظر الجيش منحرفين عنه. وكذلك القاضي شهاب الدين ابن فضل الله كان منحرفاً عنه.

مشيخة ابن سيد الناس بدمشق

ذهب أبو الفتح إلى الشام يافعاً في التاسعة عشرة من عمره، ناضجاً متأهلاً، قد لقي في صحبة والده أئمة الحفاظ ومسندي الوقت بالقاهرة، وتعلم العربية والقراءات والفقه، وطلب بنفسه، ورحل إل الإسكندرية، فسمع من التاج الغرافي وكتب عن رواة من أصحاب السلفي، وجماعة من أصحاب ابن رفاعة في عشرات غيرهم من المحدثين ومن شيوخ القراءات والفقه.

ومترجمو أبي الفتح قد نوهوا بهذه الرحلة الشامية، وذكروا أنه: «أكثر فيها عن الصوري وابن عساكر وابن المجاور»:

الصوري، شمس الدين محمد بن عبد المؤمن.

وابن المجاور، أبو الفتح الشيباني.

توفيا في سنة 690هـ وهي السنة التى أرخ بها أبو الفتح في الأجوبة دخوله دمشق، مما يقتضي أن نعرف في أي يوم من أي شهر كانت رحلته إلى الشام ودخوله دمشق سنة 690هـ.

بعض مؤرخيه اقتصر في الرحلة على ذكر السنة وربطها آخرون منهم، بوفاة الفخر ابن البخاري الذي رحل أبو الفتح ليلقاه ويسمع عنه.

قال الحسيني في ذيل التذكرة:

«وقدم دمشق ليالي وفاة الفخر ابن البخاري فلم يدركه، وسمع من ابن المجاور وابن مؤمن والتقي الواسطي وخلق».

وفي الدرر الكامنة:

«ورحل إلى دمشق فاتفق وصوله عند موت الفخر ابن البخاري فتألم لذلك. وأكثر عن الصوري وابن عساكر وابن المجاور».

وهو عند الصفدي أوْفى إيضاحاً قال:

أراد أن يلقى الفخر ابن البخاري ففاته بليلتين، توفي وأبو الفتح بالكسوة».

ونحوه في طبقات ابن رجب، في ترجمة الفخر ابن البخاري.

الحافظ الذهبي أرخ لوفاة «الفخر ابن البخاري، مسند الدنيا ورحلة الآفاق الذي ألحق الأسباط بالأجداد في علو الإسناد». في ثاني ربيع الآخر من سنة 690هـ.

أي: أن أبا الفتح دخل دمشق في اليوم الرابع لليلة وفاة الفخر ابن البخاري ففاته بليلتين، مات وأبو الفتح «بالكسوة» أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر، أو هو آخر المنازل من طريق مصر إلى الشام، وذلك ما يفيد أن أبا الفتح أخذ طريقه من مصر إلى دمشق مباشرة.

وصوله إلى دمشق في أوائل شهر ربيع الآخر من سنة 690هـ جعله يدرك شيوخها الكبار المتوفين في تلك السنة:

1 ـ الشمس المقدسي (ت676هـ)

محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي.

(تقدمت ترجمته)

سمع منه أبو الفتح ابن سيد الناس حضوراً بقراءة والده أبي عمرو: «القطعيات» و«فوائد أبي القاسم المهرواني».

وحضر عليه أيضاً سماع «مشيخة ابن حسنون» و«أمالي أبي بكر الوراق».

2 ـ أبو بكر بن الأنماطي (ت684هـ)[1]

محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأنصاري أبو بكر الدمشقي.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 684؛ ملء العيبة: 3/ 137؛ العبر: 5/ 349؛ ذيل التقييد للفاسي: 25؛ الشذرات: 5/ 389.

سمّعه أبوه الكثير من أبي اليمن الكندي، وأكثر من أبي القاسم ابن الحرستاني سمع عليه ابن سيد الناس قطعة من «صحيح مسلم» بسماعه من ابن الحرستاني وبإجازته من المؤيد الطوسي.

وسمع عليه بقراءة والده أبي عمرو وجزء ابن نجيد.

3 ـ ابن خطيب المزة (ت687هـ)(1)

عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي، شهاب الدين أبو الفضل الدمشقي نزيل القاهرة ومسندها.

سمع على ابن طبرزد «سنن أبي داود والغيلانيات» حضوراً في الخامسة، وعلى حنبل الرصافي الكثير من (مسند أحمد).

نوه مترجمو ابن سيد الناس بمشيخة ابن خطيب المزة، وأكثر عنه في كتبه، فمن طريقه يروي: «سنن أبي داود» قراءة عليه، بفوات معين فإجازة.

ويروي عنه (الغيلانيات) سماعاً بقراءة أبيه أبي عمرو.

وبقراءة والده أيضاً يروي عنه «مسند الإمام أحمد».

وبقراءة والده أيضاً سمع عليه «أحاديث نعيم بن حماد»

شرح الترمذي وكذلك «الأشربة» لأحمد بن حنبل سنة 676هـ. (المنح في ترجمة فيروز الديلمي) وحديث «أبي بكر بن الشخير» وحديث «عثمان السمرقندي» وأمالي «أبي بكر الوراق».

4 ـ ابن عبد المؤمن الصوري (ت690هـ)(2)

محمد بن عبد المؤمن، شمس الدين أبو عبد الله الصالحي، سمع من التاج الكندي، وابن الحرستاني، وابن ملاعب، وأجاز له ابن طبرزد، وأبو الفخر أسعد ابن روح، وأم حبيبة عائشة بنت معمر.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 687؛ ذيل التقييد للفاسي: 187؛ ملء العيبة: 3/ 159؛ الشذرات: 5/ 401.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 690؛ العبر 5/ 370؛ ذيل التذكرة للحسيني: 17؛ ذيل التقييد: 49؛ الشذرات: 5/ 417.

روى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس «المعجم الصغير للطبراني» بقراءته وبقراءة أبي الحجاج المزي، و«مسند أبي يعلى» بقراءته عليه، و«تاريخ أبي عروبة الحراني» سماعاً عليه، و«فوائد تمام الرازي»، و«مكارم الأخلاق للخرائطي»، و«أمالي أبي إسحاق الهاشمي»، و«الأربعين» لأبي بكر ابن المقرئ، «جزء القراءة خلف الإمام»، «حديث عمر بن زرارة»، «حديث أبي الحسن الحلبي»، «حديث علي بن حجر»، «فوائد أبي القاسم المهرواني»، «معجم شيوخ أبي عبد الله الخلال»، و«المنتقى من حديث أبي طاهر المخلص» و«معجم أبي بكر ابن المقرئ».

5 ـ أبو الفتح ابن المجاور (ت690هـ)(1)

يوسف بن يعفوب بن محمد بن علي، أبو الفتح نجم الدين الشيباني الدمشقي.

سمع من أبيه، والتاج الكندي، وعبد الجليل بن مندويه، وابن ملاعب، وابن البن، والموفق بن قدامة.

قرأ عليه أبو الفتح ابن سيد الناس «فضائل الصحابة» لخيثمة بن سليمان عن ابن البن قراءة عليه، بسنده.

وقرأ عليه أيضاً «مجالس ابن سمعون»، بسفح قاسيون، عن التاج الكندي، و«أمالي المخلص»، و«حديث أبي محمد الصريفيني».

6 ـ أبو الهيجاء الحلاوي (ت690هـ)(2)

غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي، أبو الهيجاء وأبو محمد وكناه الدمياطي «أبا مجاهد».

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة 690هـ؛ العبر: 5/ 370؛ ذيل التذكرة للحسيني: 17؛ ذيل التقييد: 271؛ الشذرات: 5/ 416.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 690؛ العبر: 5/ 369؛ ذيل التقييد: 249؛ الشذرات: 5/ 417.

سمع الغيلانيات من عمر ابن طبرزد، وقطعة كبيرة من المسند لأحمد بن حنبل من حنبل الرصافي، وانتهى إليه علو الإسناد.

روى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس، «الغيلانيات» بقراءة والده أبي عمرو، عن ابن طبرزد، ثم قرأها عليه أيضاً.

وقد أكثر من الغيلانيات عنه.

7 ـ الشمس الأبهري (ت690هـ)[1]

عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع أبو محمد الشافعي، نزيل دمشق.

فقيه جليل عالي الرواية، سمع بالموصل من أبي الحسن ابن روزبة، وسمع بدمشق من ابن اللتي وابن ماسويه، وابن الخشوعي وابن الزبيدي.

أجاز له أبو الفتح المندائي والمؤيد ابن الأخوة، وزاهر الثقفي.

روى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس سماعاً بدمشق قطعة من: «تاريخ أبي زرعة» بإجازته من أبي الفتح المندائي.

8 ـ العماد ابن ملهم (ت691هـ)[2]

محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم، الصدر عماد الدين القرشي الصائغ الدمشقي.

حضر «أجزاء» تفرد بسماعها من ابن البن، وسمع من ابن صباح والزبيدي وابن اللتي.

قال الذهبي في تاريخه: «سمع منه البرزالي والمزي وأبو الفتح اليعمري».

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 690، العبر: 5/ 368؛ الشذرات: 5/ 414.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 691؛ العبر: 5/ 373؛ الشذرات: 5/ 419.

9 ـ العلاء ابن صصري (ت691هـ)[1]

علي بن أبي بكر بن أبي الفتح بن محفوظ بن صصري أبو الحسن التغلبي الدمشقي الضرير من بيت تقدم وعدالة.

روى الصحيح عن عبد الجليل بن مندويه، وأحمد بن عبد الله السلمي.

وسمع من المجد القزويني.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: «سمع منه ابن الخباز والمزي والبرزالي وابن سيد الناس».

10 ـ التقي الواسطي (ت692هـ)[2]

إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل، أبو إسحاق الحنبلي.

سمع من ابن الحرستاني، وابن ملاعب، وابن الجلاجلي، وموسى بن عبد القادر وابن راجح وابن البن، وسواهم بدمشق.

وسمع (مسند عبد بن حميد الكشي) على سبعة مشايخ.

قرأ عليه ابن سيد الناس «مسند عبد بن حميد» عن مشايخه السبعة عن أبي الوقت.

وفي ترجمة ابن سيد الناس لشيخه العز الفاروثي في الأجوبة: «... سمعت بقراءته بدمشق على ابن مؤمن وابن الواسطي:

«قطعة من المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني»، وربما قرأت عليه وعلى ابن الواسطي شيئاً اشتركا فيه من المرويات العراقيات عن عمر بن كرم والسهروردي وأمثالهما».

روى عنه: «أمالي ابن الجراح الوزير»، ويروي عنه أيضاً «جزء لوين»

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 691؛ العبر: 5/ 418؛ الشذرات: 5/ 418.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 692؛ العبر: 5/ 375؛ ذيل التقييد: 133؛ ذيل التذكرة للحسيني: 17؛ وابن فهد: 87؛ النجوم الزاهرة: 8/ 40؛ المنهل الصافي: 1/ 103؛ الشذرات: 5/ 419.

قرأه عليه بالصالحية، وأمالي أبي إسحاق الهاشمي بسفح قاسيون.

ومشيخة أبي الحسين بن المهتدي، «وحديث البغوي»، «والسادس من حديث الملخص» انتقاء ابن أبي الفوارس، «وأمالي الملخص»، «والكبير من المخلصيات»، وفوائد أبي عبد الله الحاكم.

11 ـ الجمال الفاضلي (ت692هـ)[1]

إبراهيم بن داود بن ظافر العسقلاني الشافعي أبو إسحاق الدمشقي المقرئ.

حدث بالمجلدة الأولى من صحيح البخاري عن العَلَم السخاوي سماعاً وسمع من ابن الزبيدي وابن اللتي ومكرم.

قرأ عليه أبو الفتح ابن سيد الناس (المئة الشريحية) بسماعه من ابن اللتي.

12 ـ الشهاب ابن الخويي (ت693هـ)[2]

محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة، شهاب الدين أبو عبد الله الشافعي قاضي القضاة.

سمع من ابن اللتي، وابن المقير، والعلم السخاوي وابن الصلاح، خرج له التقي الأسعردي «معجماً» حافلاً، وخرج له أبو الحجاج المزي «أربعين متباينة الإسناد».

وحدث بمصر ودمشق. وأجاز له أبو حفص عمر بن كرم، وأبو حفص الشهرزوري ومحمود بن منده.

قرأ عليه أبو الفتح ابن سيد الناس «المئة الشريحية» عن ابن اللتي.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 692؛ معجم شيوخ الذهبي: 27؛ غاية النهاية: 1/ 14؛ ذيل التقييد: 30؛ المنهل الصافي: 1/ 47؛ الشذرات: 5/ 420.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 693؛ العبر: 5/ 379؛ البدر السافر: 76؛ الوافي: 2/ 137؛ ذيل التقييد: 6.

13 ـ علاء الدين بن صباح (ت694هـ)[1]

علي بن حسن بن يحيى، أبو الحسن علاء الدين المخزومي الدمشقي.
سمع على أبي القاسم أحمد بن عبد الله السلمي العطار، وابن الزبيدي «صحيح البخاري» وحدث به عنهما، وسمع على ابن اللتي قطعة من البخاري.

ومن مسموعات أبي الفتح عليه «المئة الشريحية»، عن ابن اللتي قرأها عليه و«الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي».

14 ـ أبو عبد الله ابن أبي عصرون (ت695هـ)[2]

محمد بن عبد السلام بن المطهر، أبو عبد الله تاج الدين التميمي الشافعي المسند الإمام.

سمع من أبيه، وابن روزبه، ومكرم بن أبي الصقر، والعز ابن رواحة. وأجاز له المؤيد الطوسي، وعبد المعز الهروي، وزينب الشعرية والقاسم ابن الصفار، وأبو المظفر ابن السمعاني، وإسماعيل القاري.

ـ روى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس «كتاب الكنى لأبي أحمد الحاكم» بدمشق قراءة عليه وهو يسمع.

و«الأربعين» لأبي القاسم القشيري.

15 ـ أبو حفص ابن القواس (ت698هـ)[3]

عمر بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير، ناصر الدين أبو حفص الطائي الدمشقي مسند الشام.

حدث «بمعجم ابن جميع» عن ابن الحرستاني حضوراً سنة 609هـ.

---

(1) ذيل التقييد: 224.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 695؛ ذيل التقييد: 45؛ الوافي بالوفيات: 3/ 256؛ الشذرات: 5/ 432.

(3) معجم شيوخ الذهبي: 107؛ العبر: 5/ 388؛ برنامج الوادي آشي: 153؛ ذيل التقييد: 245؛ الشذرات: 5/ 245.

وحدث عن أبي اليمن الكندي بكتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السن.

حدث عنه ابن سيد الناس «بمعجم ابن جميع» عن ابن الحرستاني.

و«أحاديث ابن عبد الصمد الدمشقي».

16 ـ العماد ابن بدران (ت698هـ)[1]

عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان المقدسي النابلسي الحنبلي الزاهد.

روى عن الموفق وابن راجح وموسى بن عبد القادر. وأجاز له ابن الحرستاني وابن ملاعب. وطال عمره وتفرد.

وفي ترجمة ابن سيد الناس بمعجم شيوخ التاج السبكي. أنه سمع منه بنابلس.

17 ـ أبو العباس الشرف ابن عساكر (ت699هـ)[2]

أحمد بن هبة الله بن أحمد محمد بن الحسن، شرف الدين أبو العباس وأبو الفضل الدمشقي.

سمع القزويني وابن مصري، وأجازه المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي، وأم المؤيد زينب الشعرية.

روى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس «عوالي أبي عمرو ابن حمدان» و«حديث يحيى بن يحيى التميمي».

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 70؛ العبر: 5/ 388؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 341؛ الشذرات: 5/ 442.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 699؛ معجم شيوخ الذهبي: 21؛ برنامج الوادي آشي: 107؛ البداية والنهاية: 14/ 13؛ ذيل التقييد: 126؛ الشذرات: 5/ 445.

18 ـ شمس الدين الواسطي (ت699هـ)[1]

محمد بن علي بن أحمد بن فضل الحنبلي الصالحي.

سمع على ابن اللتي «مسند عبد بن حميد» وسمع من الكاشغري، وابن البن، وابن غسان، وابن أبي لقمة، والمجد القزويني.

قال الذهبي: «سمع منه بشر كثير، منهم المزي وابن سيد الناس والبرزالي، وكان من بقايا الشيوخ المسندين».

19 ـ الصقلي الرقام (ت699هـ)[2]

محمد بن مكي بن أبي الذكر بن عبد الغني، شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الحرم القرشي الصقلي الرقام الدمشقي.

سمع من ابن صباح وابن المقبر وكريمة. وحدث بصحيح البخاري عن ابن الزبيدي ومما رواه عنه أبو الفتح «جزء ابن زنبور» قراءة عليه وهو يسمع، عن أبي الحسن ابن المقير، و«جزء أبي الفوارس طراد عن ابن المقير».

20 ـ ابن المنادي (ت700هـ)[3]

إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن موسى، عز الدين أبو الفداء الصالحي الحنبلي.

روى عن الموفق بن قدامة «فضائل القرآن لأبي عبيد»، وعن الحسين بن الزبيدي «صحيح البخاري»، وسمع على ابن البن.

قرأ عليه ابن سيد الناس، جزءاً من حديث خيثمة.

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 699؛ العبر: 5/ 409؛ برنامج الوادي آشي: 131؛ الوافي: 4/ 192؛ ذيل التقييد: 52؛ الشذرات: 5/ 453.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 699؛ العبر: 5/ 405؛ ذيل التقييد: 84؛ الشذرات: 5/ 453.

(3) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 700؛ العبر: 5/ 409؛ برنامج الوادي آشي: 115؛ ذيل التقييد: 143؛ النجوم الزاهرة: 8/ 198؛ الشذرات: 5/ 410.

21 ـ الشمس ابن عبدان (ت700هـ)[1]

الخضر بن عبد الرحمٰن بن الخضر بن الحسين، أبو القاسم شمس الدين الأزدي الدمشقي، بقية المسندين.

تفرد بعدة أجزاء، وروى عن النفيس ابن البن (مغازي ابن عائذ) سماعاً، قرأ عليه ابن سيد الناس بعض هذا الكتاب بدمشق وأجازه سائره وناوله جميعه.

22 ـ العماد المقدسي (ت700هـ)[2]

أحمد بن محمد بن سعد أبو العباس الصالحي الحنبلي.

سمع على المجد القزويني «شرح السنة للبغوي» وعلى ابن اللتي «مسند عَبْدِ بن حُمَيْد».

روى عنه ابن سيد الناس ولعل المروي «مشيخة الفسوي».

23 ـ التقي ابن أبي الفتح الصوري (ت701هـ)[3]

أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد المؤمن، ابن أبي الفتح أبو العباس تقي الدين الصوري الصالحي الحنبلي، البانياسي.

وصور التي ينسب إليها قريه من عمل بيت المقدس ليست هي المدينة حضر علي الموفق ابن قدامة، وهو خاتمة أصحابه.

وسمع من ابن أبي لقمة وابن صصري والقزويني وغيرهم، وحدث بالكثير، حدث عنه البرزالي والواني والمقاتلي وخرج له مشيخة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 118؛ تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 700؛ العمر: 5/ 411؛ ذيل التقييد: 159؛ الشذرات: 5/ 457.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات: 700؛ العبر: 5/ 409؛ برنامج الوادي آشي: 108؛ ذيل التقييد: 119.

(3) معجم شيوخ الذهبي: 10؛ الدرر الكامنة: 1/ 178؛ ذيل التقييد: 103؛ ذيل العبر: 17؛ الشذرات: 6/ 3.

روى عنه ابن سيد الناس «حديث أبي القاسم الفضل بن جعفر المؤذن».

24 ـ الشرف اليونيني (ت701هـ)[1]

علي بن محمد بن أحمد أبو الحسين البعلبكي الحنبلي.

قال عنه ابن سيد الناس: «وهو ممن حوى العلم والإسناد، وجمع بين الطارف والتالد. روى ببلاده عن ابن اللتي ابن الزبيدي والكاشغري وغيرهم، ورحل إلى مصر فكتب بها عن بعض أصحاب السلفي، ولقي المنذري، وكان يذكره ويشكره... اجتمعت به بدمشق فقرأ عليه مجلساً اشتمل على «المئة الشريحية» وغيرها من مروياته، واستجزته جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته ومجموعاته فأجاب وأجاز...».

يروي من طريقه «المئة الشريحية».

25 ـ الضياء المغاري (ت704هـ)[2]

عيسى بن أبي محمد بن عبد الرزاق بن هبة الله، أبو محمد العطار الحنبلي الصالحي الزاهد، شيخ مغارة الدم.

سمع «الصحيح» من ابن الزبيدي ورواه مرات، وسمع من ابن صباح حضوراً، والهمذاني والإربلي وابن المقير.

وسمع من ابن اللتي «مسندي الدارمي وعبد بن حميد».

ولعله أبو محمد الصالحي الذي روى عنه ابن سيد الناس «دلائل النبوة للبيهقي» عن لاحق بن عبد المنعم الأرتاحي بمسنده.

26 ـ النور الثعلبي (ت712هـ)[3]

علي بن محمد بن هارون، نور الدين أبو الحسن الحميدي الدمشقي

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 100؛ ذيل العبر: 18؛ ذيل التقييد: 230؛ الدرر الكامنة: 3/ 171؛ ذيل ابن رجب: 2/ 345.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 109؛ الرحلة لابن رشيد: 3/ 373؛ الشذرات: 5/ 436.

(3) معجم شيوخ الذهبي: 102؛ برنامج الوادي آشي: 158؛ الدرر الكامنة: 3/ 195؛ ذيل العبر: 69.

سمع على ابن الزبيدي «صحيح البخاري» وعلى ابن اللتي «مسندي الدارمي وعبد بن حميد» وعلى مكرم «الموطأ».

وسمع من ابن غسان ومحمد بن نصر القرشي حضوراً.

من مرويات أبي الفتح عنه «كتاب الخرائطي، قرأ عليه بسنده عن ابن غسان» و«المئة الشريحية» عن ابن اللتي.

27 ـ ابن الظاهري (ت713هـ)[1]

إبراهيم بن محمد بن عبد الله الظاهري، أخو جمال الدين أحمد ابن الظاهري.

أحضر على يوسف بن خليل وخلق كثير بحلب ودمشق ومصر، وأجاز له حفاظ العصر.

قال ابن حجر:

وحدث، أخذ عنه المزي والبرزالي والقطب، وابن سيد الناس، وكان منقطعاً بزواية أخيه بالمقس.

28 ـ العز الموسوي (ت715هـ)[2]

موسى بن علي بن أبي طالب بن محمد عز الدين، أبو علي الحسيني الدمشقي الحنفي.

سمع حضوراً من الفخر الإربلي، ومن مكرم «الموطأ» رواية ابن بكير، ومن ابن الصلاح «صحيح مسلم» وعلى غيره.

حدث وروى، وسمع عليه خلائق.

يروى عنه أبو الفتح ابن سيد الناس «الموطأ رواية ابن بكير»، قرأها عليه بسماعه من مكرم، قراءة عليه وهو يسمع، «شرح الترمذي».

---

(1) الدرر الكامنة: 1/ 63.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 171؛ ذيل العبر: 86؛ المعجم المختص: 27؛ برنامج الوادي آشي: 140؛ الجواهر المضيئة: 2/ 187.

وفي «معجم» ابن حجر في ترجمة شيخه محمد بن محمد عمر الصلاح الأنصاري نقل عن تاريخ البرزالي أن الشريف موسى قرأ عليه ابن سيد الناس «صحيح مسلم» ففرغ النصف في خمسة مجالس ثم مرض الشيخ خمسة أيام فمات.

29 ـ تقي الدين ابن تمام (ت718هـ)(1)

عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان، تقي الدين أبو محمد الصالحي الحنبلي.

سمع الحديث من ابن قميرة، والمرسي، وإبراهيم بن خليل، وخطيب مردا، وجماعة، وأقام بالحجاز مدة ثم سافر إلى مصر وأقام بها مدة.

روى عنه ابن سيد الناس «كتاب دلائل النبوة» للبيهقي عن لاحق بإسناده وكناه أبا محمد الصالحي ولم يسمع فأشكل أمره، وأرجح أنه المقصود.

30 ـ ابن تيمية (ت720هـ) (تقدمت ترجمته)

31 ـ الحجار (ت730هـ) (ستأتي ترجمته ـ بعون الله تعالى ـ)

32 ـ الواني (ت730هـ)(2)

أحمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن أحمد الفراء الدمشقي سمع على أحمد بن عبد الدائم، وحدث بمصر ودمشق.

قال التقي الفاسي: سمع منه أبو الفتح اليعمري والبرزالي والذهبي.

33 ـ الجمال الزرعي (ت734هـ)(3)

سليمان بن عمر بن سالم، أبو محمد وأبو الربيع وأبو داود الشافعي قاضي القضاة بمصر.

أصله من المغرب، وقدم دمشق وهو شاب، تفقه واشتغل بالعلم، وسمع من أحمد بن عبد الدائم «قطعة من صحيح مسلم»، قال التقي الفاسي: «حدث، سمع منه المزي والبرزالي وأبو الفتح ابن سيد الناس والذهبي».

---

(1) ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 371؛ الدرر الكامنة: 2/ 346؛ الشذرات: 6/ 48.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 11؛ الدرر الكامنة: 1/ 176؛ ذيل التقييد: 103.

(3) الدرر الكامنة: 2/ 255؛ ذيل التقييد: 165؛ ذيل التذكرة للحسيني: 18؛ الشذرات: 6/ 107.

34 ـ أبو محمد الأيوبي (ت737هـ)[1]

عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى الأيوبي الدمشقي أسد الدين.

سمع من خطيب مردا «السيرة الهشامية»، وأجاز له الصدر البكري وغيره. وفي «معجم السبكي»: أنه سمع على هذا الشيخ السيرة حضوراً بقراءة أبي الفتح ابن سيد الناس.

35 ـ محيي الدين ابن فضل الله العمري (ت738هـ)[2]

يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان أبو المعالي العدوي الدمشقي سمع من أحمد بن عبد الدائم، ومن النجيب الحراني، وأجاز له أحمد بن المفرج بن سلامة، وإسماعيل بن العراقي، ومكي بن علان وغيرهم.

وحدث بشيء كثير بالإجازة بدمشق والقاهرة.

وفي معجم السبكي: سمع منه الحفاظ فتح الدين ابن سيد الناس والبرزالي والشمس الذهبي.

36 ـ المزي (ت742هـ)

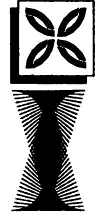
(ستأتي ترجمته بعون الله تعالى).

(نموذج من خط ابن سيد الناس)

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 1/ 199؛ معجم شيوخ الذهبي: 82؛ ذيل العبر: 199؛ الدرر الكامنة: 3/ 3.

(2) معجم شيوخ الذهبي: 176؛ معجم السبكي: 2/ 144؛ ذيل العبر: 201؛ الدرر الكامنة: 5/ 199.

3

الحافظ الوادي آشي (ت749هـ)

والوادي آشي بالهمزة بعدها شين معجمة، نسبة إلى وادي آش بالأندلس، من كورة ألبيرة وبينها وبين غرناطة أربعون فرسخاً واسمه الأعجمي Guadix وهي الآن مدينة صغيرة من ولاية غرناطة، بها أكثر من عشرين ألف ساكن.

وقد يقال: الواداشي بالياء بدل الهمزة تسهيلاً.

والوادي آشي هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي، ويلقب من الألقاب المشرقية شمس الدين ويعرف بابن جابر اختصاراً، وبصاحب الرحلتين، لرحلته مرتين إلى المشرق.

ولا نعلم شيئاً عن نشأته العلمية الأولى. ويستفاد مما ذكره تلميذه ابن فرحون أنه «قرأ القرآن على أبي جعفر بن الزيات بفاس، ثم رحل إلى المشرق».

ولما بلغ طور الطلب بتجاوز المرحلة الأولى من التعلم في الكتاب أخذ عن والده وروى عنه عدداً من الكتب الحديثية، وعن قاضي الجماعة ابن الغماز البلنسي نزيل تونس، وتلميذ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، وغالب أسانيده في الرواية تتصل به، ولازم الوادي آشي ابن الغماز طويلاً، وروى عنه كثيراً.

ورحل الوادي آشي مرتين إلى المشرق، ولذلك لقب بصاحب الرحلتين. المرة الأولى في حدود سنة 720هـ، والثانية في حدود سنة 734هـ. وفي المرتين اعتنى عناية فائقة بالسماع والرواية عن أعلام القرن الثامن في الإسكندرية والقاهرة، والخليل، والقدس، ودمشق، ومكة، والمدينة. ففي

القاهرة التقى بالمحدث المؤرخ قطب الدين عبد الكريم الحلبي، وتدبج معه، وبالمحدث المفسر المقرئ اللغوي الأديب أبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف، وبغيرهما مما يطول سرده.

وبعد رجوعه من المشرق في المرة الثانية دخل الجزائر، والمغرب الأقصى، والأندلس. وفي هذه الأقطار أخذ عنه جماعة من أهلها. قال الحافظ زين الدين العراقي في «ذيله على العبر»: «حدّث بمصر، والشام، والحجاز، وبلاد المغرب، وكان قد انفرد بالديار المصرية بعلو الموطأ من رواية يحيى بن يحيى».

ومما يدل على عنايته بالإسماع في أسفاره شرقاً وغرباً قول الخطيب ابن مرزوق التلمساني: «وعاشرته كثيراً سفراً وحضراً، وسمعت بقراءته وسمع بقراءتي، وقرأت عليه الكثير، وقيدت من فوائده وأنشدني الكثير، فأول ما قرأت عليه بالقاهرة، وقرأت عليه بمدينة فاس، وبظاهر قسنطينة، وبمدينة بجاية، وبظاهر المهدية، وبمنزلي من تلمسان وقرأت عليه أحاديث عوالي من تخريج الدمياطي، وفيها الحديث المسلسل بالأولية وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطي بشرطه ثم قرأت عليه أكثر كتاب الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وأعجله السفر فقرأته عليه في غير القاهرة ومعوّله على الشيخين قاضي القضاة أبي العباس ابن الغمّاز الخزرجي وهو أحمد بن محمد بن حسن، والشيخ أبي محمد بن هارون وهو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمّر الأديب...».

إلى أن قال: «ثم قرأت عليه كتاب الشفا لعياض».

وكان الوادي آشي محدثاً حافلاً ومقرئاً ضابطاً، والحديث والقراءات هما العلمان اللذان اشتهر بهما شرقاً وغرباً. وكان نحوياً لغوياً، راوية لأشعار مشايخه. وربما قرض هو الشعر وقال المقري: وله شعر.

ويبدو أن الوادي آشي لم يكن ضليعاً في الفقه. قال عنه تلميذه ابن فرحون: «وكان مقرئاً مجوّداً له معرفة بالنحو واللغة والحديث ورجاله وكان فقهه قليلاً».

وعلى كل فإن استكثاره من الرواية مع علو الإسناد، ومعرفته بتراجم الرجال، ونسخه بيده للكثير من تآليف المتأخرين، مع الثقة والضبط لما قيده ورواه، كل ذلك جعله من الأعلام البارزين في عصره المقصودين بالأخذ والتلقي وتقييد الفوائد والشوارد. قال ابن فرحون: «واستكثر من الرواية، ونقب عن المشايخ، وقيد الكثير، حتى أصبح جمّاعة المغرب، وراوية الوقت».

وقال ابن القاضي: «وكان واسع الرواية مكثراً ضابطاً لما رواه ثقة ثبتاً له عناية شديدة في الأخذ عن الشيوخ والسماع منهم، والتقييد عنهم، قيد بخطه أجزاء كثيرة من تواليف المتأخرين وتقييداتهم.

ولم يتول الوادي آشي أية خطة من الخطط العلمية، فكان يسمع الطلبة احتساباً، ويحترف التجارة مثل والده، ولم يكن مال تجارته بالكثير على أنه مباين لأخلاق التجار المقلّين.

ويتفق بعض المترجمين له على نعت أخلاقه وسمته بالنعوت الجميلة قال الحافظ ابن حجر: «وكان عظيم الوقار... وكان حسن الأخلاق لطيف الذّات».

وقال ابن القاضي: «وكان شيخاً فاضلاً ديناً عفيفاً ظريفاً».

الوادي آشي في دمشق:

أقام الوادي آشي بدمشق مدة طويلة لطيب مناخها، ودماثة أخلاق أهلها، فقد وصف دمشق وصفاً يدل على افتتانه بجمالها الطبيعي نقله تلميذه محمد بن محمد بن جزي الكلبي الأندلسي، مدون «رحلة ابن بطوطة»، ونصه: «وذكرها شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي آشي نزيل تونس، ونص كلام ابن جبير ثم قال: ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوّق الأنفس التطلع إلى صورتها بما أفاد، هذا وإن لم تكن له بها إقامة، فيعرب عنها بحقيقة علامة، ولا وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروبها، ولا أزمان جفولها

المنوعات، ولا أوقات شروقها المنبهات. وقد اختصر من قال: ألفيتها كما تصف الألسن، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين».

وقال عن دار الحديث الأشرفية لما رأى فيها تمثال نعل رسول الله ﷺ فقبَّله وقال:

دارُ الحديث الأشرفية لي الشِّفا ... فيها رَأتْ عيناي نَعْلَ المصطفى
ولثمته حتى قَنِعْتُ وقلتُ يا ... نفسي انعمي أكفاك؟ قالت لي كفى
لله أوقات وصلتُ بها المُنى ... منْ بَعْدِ طَيْبَة ما أجلَ وأشْرَفا
لك يا دِمَشْقُ على البلاد فَضيلَة ... أيّامُكِ الأعيادُ لَازمَها الصّفَا
وَلَكَمْ بِجَيْرُونٍ جَرَرْت ولم أقفْ ... ليلًا وبَرْحُ هوايَ فيها ما اختفى

وكانت دمشق في القرن الثامن من العواصم العلمية المرموقة، فيها طائفة من مشاهير الأعلام ذوي المنزلة الممتازة والشهرة الواسعة، وناهيك بالحفاظ والمؤرخين الثلاثة أبي القاسم محمد بن يوسف البرْزالي والذّهَبي، والمِزّي وأثنى على علمهما واطلاعهما. وقال الذهبي: «قرأت عليه التيسير، أفادني أشياء نفيسة».

ويبدو أنه في رحلته الثانية قد حاز شهرة، وأصبح معروفاً في الأوساط العلمية شرقاً وغرباً بسعة الرواية، وعلو الأسانيد، فتسابق الكثيرون لسماع القرآن والحديث منه، ثم استجازته فيما تلقوه عنه.

مشيخة الوادي آشي في دمشق

1 ـ شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله ابن الحافظ العلامة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي(1)

من أهل الصالحية، مولده سنة ست وأربعين وستمائة.

أخذ عن جماعة كبيرة منهم مكي بن المسلّم بن مكي بن خلف بن

(1) برنامج الوادي آشي: 49؛ البداية والنهاية: 14/ 159؛ الدارس: 2/ 40، 41؛ درة الحجال: 3/ 58؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 418؛ الشذرات: 6/ 100.

أحمد بن علّان القَيْسي آخر أصحاب ابن عساكر، وأبو عبد الله محمد بن عبد الهادي، ومحمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي خطيب مَرْدا.

وولي مشيخة الحديث بالصدرية، وبالدار الأشرفية بقاسيون. سمعت عليه يسيراً وأجازني إجازة عامة متلفظاً بها وكاتباً بها خطه.

2 ـ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفّر بن محمود بن أحمد بن هبة الله بن عساكر الشافعي الدمشقي(1)

مولده بها في الثامن والعشرين من صفر عام تسعة وعشرين وستمائة، أحد رؤساء بلده.

أخذ عن جماعة منهم أبو إسحاق إبراهيم بن خليل بن عبد الله الأَدَمي الدمشقي، وأبو العباس أحمد بن الحسن بن الخضر بن ريش القرشي، والقاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن راجح، وأبو الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد العراقي وأبو المنجا بن اللّتّي، وغيرهم.

وله إجازة من جماعة كالسُهْرَوَرْدِي شهاب الدين، وغيره.

وخرّجت له مشيختان صُغْرى خرّجها له علم الدين البِرْزالي، وكبرى خرّجها له ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن طُغْرِيل الصيرفي تحتوي على نحو ستمائة شيخ وشيخة.

قرأت عليه وسمعت واستفدت، وأنشدني من شعره، ومما أنشدنيه لغيره ولم يعينه يعتذر لي عن عدم زيارته وكونه مقعداً هو المانع له، شفاه الله تعالى:

إنّي وإن بَعُدَتْ داريَ لمُقْترِبٌ ... منكم بَمْحضِ مُوالاتي وإخلاصي
وربّ دانٍ وإنْ طالتْ مودتُه ... أشهى إلى القلبِ منه النازحُ القاصي

---

(1) برنامج الوادي آشي: 81؛ درة الحجال: 1/ 187؛ الدرر الكامنة: 1/ 56؛ ذيل العبر: 124؛ مستفاد الرحلة والاغتراب: 280.

وأنشدني بعد ذلك متمثلاً لغيره ولم يعينه على جهة الاعتذار المذكور:

إن قَصَّرتْ بي عن الإقْدام أقدامي فَليُعذر السهمُ إن أخْطَا بِه الرامي
لو أمكنَ الدَهْرُ ما قَضَيتُ لي نفساً إلّا بِخدْمَةِ هذا المجلس السامي

وحين وداعي له بكى وأنشدني ولم يعين قائلاً:

يا طالباً للفراقِ مَهْلاً فخَيْلُهُ سُبّقٌ عِتاقُ
اصْبِرْ فَطَبْعُ الزمان غَدْرٌ وآخِرُ الصّحْبَةِ الفِراقُ

وهذان البيتان أعرفهما مطلع موشحة كقول الآخر:

هل ينفع الوجد أو يفيد... لآخرها.

3 ـ شمس الدين أبو نصر محمد بن القاضي عماد الدين محمد ابن قاضي قضاة دمشق ومسندها وعالمها شمس الدين أبي نصر محمد ابن محمد بن هبة الله بن مَمِيل الشيرازي الدمشقي(1)

ومولده بها في أثناء تسع وعشرين وستمائة.

نزيل المِزّة، بكسر الميم وجمعها: مِزاز، قرية من دمشق، على نحو ثلثي فرسخ ويقال في جمعها مِزازات، وهي الجدول من الماء المقسوم، وفيها الخطبة والسوق وأربع حمّامات. ذكر ابن عساكر أنه نزلها من الصحابة أسامَة بن زيد رضي الله عنه.

أخذ عن جماعة منهم جده لأبيه القاضي أبو نصر، ورحل مع والده إلى مصر فأخذ بها عن علم الدين أبي الحسن علي بن محمود بن أحمد الصابوني المحمودي، وأبي القاسم محمد بن أبي السعود بن القُمَيْرَة التاجر، وبهاء الدين أبي الحسن علي بن الجُمّيْزي، وغيرهم، وسمع بحلب، وأجازه منها قاضي القضاة بهاء الدين بن شدّاد، وأجازه من العراق جماعة منهم شيخ الشيوخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السُهْرَوَرْدي، والحسين بن

---

(1) برنامج الوادي آشي: 82؛ البداية والنهاية: 14/ 108؛ الدارس: 2/ 127؛ درة الحجال: 3/ 273؛ الدرر الكامنة: 3/ 323؛ ذيل العبر: 130؛ الشذرات: 6/ 61.

علي بن الحسين ابن رئيس الرؤساء وعبد اللطيف ابن القُبَيْطي، وأمّ الحيا زهرة بنت محمد بن أحمد بن حاضر الأنباري.

أخذت عنه سماعاً ومناولة، وأجازني إجازة عامة متلفظاً، وكتب عنه لضعفه وكبر سنه.

4 ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي، الصالحي الدمشقي الحجّار

وأصله من قرية دَيْر مُقْرن، ويعرف بابن الشحنة[1].

سمع من أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزّبِيدي في حدود عام ثلاثين وستمائة فحرر من ذلك أن يكون مولده في حدود العشرين تقريباً.

وسمع ابن اللتّي وغيره، وأجازه من أهل بغداد نحو المائة كأبي عبد الله القَطِيعي، وابن رَوْزَبة، والكاشَغْري، والأنجب الحمّامي وابن بَهْرُوز، وغيرهم.

قرأت عليه وسمعت، وأجازني إجازة عامة مطلقة متلفظاً بها، وكُتب عنه لأنه لا يحسنه.

5 ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الإمام تاج الدين عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن سِباع الفَزاري الشافعي الدمشقي[2]

مدرس الباذَرائية[3] الكبيرة بعد والده، ويعرف بالفَرْكاح.

مولده سنة ستين وستمائة.

أخذ عن جماعة منهم والده، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن

---

(1) انظر: ترجمته بتفصيل في هذا الكتاب.

(2) برنامج الوادي آشي: 85؛ البداية والنهاية: 14/ 146؛ الدارس: 208؛ درة الحجال: 1/ 188؛ الدرر الكامنة: 1/ 35؛ ذيل العبر: 160؛ الشذرات: 6/ 88.

(3) المدرسة الباذرائية بدمشق تنسب إلى مؤسسها الشيخ العلامة نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن الباذرائي البغدادي الفرضي (655). انظر: الدارس: 1/ 205.

إسماعيل بن فارس التميمي، وأبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل المقدسي أخو شهاب الدين بن أبي شامة، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمي، وأبو العباس أحمد بن عبد السلام بن أبي عَصْرُون، وأبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد البكري الشَّرِيشي، وأبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن عساكر وجماعة سواهم. وأجازه خاصة أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن النحاس، وأبو العباس بن علي بن يوسف الدمشقي، وأبو محمد عبد اللطيف الحرّاني، وسواهم.

سمعت عليه وأجازني إجازة عامة، وكتب بها خطه، وهو أكبر من بدمشق اليوم علماً وديناً وتواضعاً.

6 ـ عفيف الدين أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن إبراهيم بن إسماعيل الآمِدي الحنفي(1)

شيخ دار الحديث التي في المدرسة الظاهرية(2) بدمشق.

مولده بآمِد في عام اثنين وأربعين وستمائة.

أحد المُكثرين في طلب الحديث، رحل به والده في أول عام ثمانية وأربعين من آمد، فأخذ عن جماعة، منهم من بلد حَرَّان عبد السلام بن تَيْمِيّةَ، والمعمر عيسى الخيّاط، ومن حلب سمع من يوسف بن خليل وأكثر عنه نحو ستين جزءاً، ومن دمشق جماعة منهم أبو العباس أحمد بن عبد الدائم، وغيره.

انتقى له شمس الدين ابن المهندس مشيختين صغرى وكبرى.

أخذت عنه في يوم سفري يسيراً بعدما عتبني على عدم زيارتي له، وأجازني إجازة عامة متلفظاً بها كاتباً خطه.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 86؛ البداية والنهاية: 14/ 120؛ الدارس: 1/ 357؛ درة الحجال: 1/ 206؛ الدرر الكامنة: 1/ 381؛ ذيل العبر: 141؛ الشذرات: 6/ 66.

(2) انظر التعريف بهذه المدرسة في القسم الثاني من هذا الكتاب.

7 ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الشافعي الدمشقي ابن العطار(1)

صاحب دار الحديث النورية التي بنيت للحافظ أبي القاسم بن عساكر ويقال: أنها أول مدرسة بنيت له وإلا قد بني قبلها مدارس كثيرة للعلم، ويعرف بالنواوي الصغير لملازمته الإمام محيي الدين النواوي.

مولده بها ليلة الفطر أو قبلها بليلة سنة أربع وخمسين وستمائة. وأصابه ألم تعطل به عن التصرف وبقي مقعداً ولكن قوّاه الله فكتب بشماله الدواوين وهو الآن يكتب بها الفتاوى، قال لي: ما كتبت بها قبل هذا الألم قط، فللّه الحمد أن متّعني بالكتب بها.

أخذ عن جماعة: أبي العباس أحمد بن عبد الدائم، وأبي الفتوح نصر بن محمد بن عيّاش الحنبلي، وأبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، وأبي محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسر التنوخي، هؤلاء سمع منهم وأجازوه، وله سواهم جماعة، ومن مسموعاته الكتب الستة، وجل اعتماده في الملازمة والنظر على الإمام محيي الدين النواوي، وأخذ عنه تواليفه، ويحكي عنه كثيراً، من ذلك أنه تركه ببلده نَوَى من عمل دمشق، وسافر إلى الحج فحمّله رسالة بالسلام عنه للإمام جار الله أبي اليُمْن ابن عساكر، قال: فلمّا بلّغته سلامه ردّ الجواب، وسألني عنه وأين تركته، فعرّفته أني تركته ببلده نَوَى، فأنشدني ارتجالاً:

أَمُخَيِّمِينَ على نوَى أشتاقُكُمْ شوقاً يُجَدّدُ لي الصّبابَةَ والجَوى
وأرُوْم قربَكُمُ وأنّى يُرْتَجى يا سادتي قُرْبُ المُقِيم على نَوَى

وأنشدني غير هذا.

قرأت عليه وتناولت منه، وأجازني متلفظاً خاصاً وعاماً، وكان قبل هذا أجازني إجازة عامة مع جماعة من الطلبة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 86؛ البداية والنهاية: 14/ 120؛ الدارس: 1/ 357؛ درة الحجال: 1/ 206؛ الدرر الكامنة: 1/ 381؛ ذيل العبر: 141؛ الشذرات: 6/ 66.

8 ـ صفي الدين محمود بن أبي بكر بن محمود الأرْمَوي[1] القَرافي

من كبار الصوفية، ساكن السُميساطِيّة الخانقة[2] الكبيرة التي بدمشق، ويقال: أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه.

مولده تقريباً في سنة سبع وأربعين وستمائة.

طلب الحديث بنفسه وسمع كثيراً الكتب المطولة من ذلك مسند أحمد، قرأه على المسلّم بن علّان بسنده، وسمع على النجيب عبد اللطيف الحراني، وناصر الدين بن المُنَير، وغيرهم.

يؤثر الانقطاع وملازمة الاشتغال ولا سيما في لغة الحديث، والفحص عنه حتى جمع في اللغة كتاباً حافلاً جمع فيه ما في الصِّحاح والتهذيب والمُحْكَم.

وله ذيل كبير على النهاية لابن الأثير.

سمعت عليه يسيراً وتناولت من يده وأجازني إجازة عامة في كل ما تصح فيه الإجازة.

9 ـ زين الدين أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر بن محمود بن عثمان بن عبيدة المزّي الشافعي الدمشقي[3]

مولده تقريباً في سنة ست وأربعين وستمائة.

أخذ عن جماعة يطول ذكرهم، منهم أبو إسحاق بن خليل، وأبو علي الواسطي، وأبو العباس أحمد بن أبي الخير ابن الحداد، وأحمد بن شيبان بن تغلب الصالحي، وأبو العباس أحمد بن عبد الله بن المسلّم الدمشقي،

---

(1) برنامج الوادي آشي: 88؛ البداية والنهاية: 14/ 108؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 276؛ الدرر الكامنة: 5/ 103.

(2) منسوبة إلى أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي السميساطي من أكابر الرؤساء بدمشق. انظر: الدارس: 1/ 151.

(3) برنامج الوادي آشي: 89؛ الدرر الكامنة: 1/ 501، 502؛ الدارس: 2/ 269؛ ذيل العبر: 146.

وأحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد النّابُلُسي المقدسي وأبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عَمْرُوك البَكْري التّيْمي من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي الفهم بن عبد الرحمٰن اليَلْداني وأبو محمد عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة الحنبلي، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإِرْبِلي، وغيرهم.

سمعت عليه وأجازني إجازة عامة وخاصة بشروطها.

10 ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي الزرّاد الحريري الدمشقي، من أهل الصالحية[1]

مولده سنة ست وأربعين وستمائة.

وابتدأ سماعاته من أحد وخمسين. أحد المكثرين سمع من الكتب والأجزاء ما لا يوصف. أخذ عن صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري التيمي، وعماد الدين أبي بكر بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن النحاس الأنصاري. وتقي الدين اليَلْداني، وأبي عبد الله محمد بن عبد الهادي، وخطيب مردا، وغيرهم، شيوخه يقاربون المائة، وخرّج له الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي مشيخة في جزئين كبيرين.

سمعت عليه وأجازني إجازة عامة متلفظاً بها.

11 ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل ابن علي المقدسي المعروف بابن غانم، منسوب إلى خاله[2]

كان كاتب السر ببلده دمشق، وهو الآن من كبار أهلها ثروة وجاهاً، كاتب بليغ، ناظم مفلق.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 90؛ درة الحجال: 2/ 256؛ الدرر الكامنة: 3/ 466؛ ذيل العبر: 148؛ الشذرات: 6/ 72.

(2) برنامج الوادي آشي: 91؛ البداية والنهاية: 14/ 178؛ الدرر الكامنة: 3/ 178؛ ذيل العبر: 195؛ فوات الوفيات: 3/ 78.

مولده سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

أخذ عن نظام الدين أبي محمد عبد الله يحيى بن يحيى بن الفضل بن سليمان ابن البانياسي، وأبي العباس أحمد بن عبد الدائم، وغيرهما، وأجازه جماعة كبيرة.

سمعت عليه وأجازني إجازة عامة متلفظاً بها وبماله من منظوم ومنثور.

12 ـ محب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد ابن أبي بكر بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن منصور المقدسي[1]

عم المحدث أبي محمد عبد الله.

من أهل الصالحية، يعرف بابن المحب.

مولده إمّا في سنة خمسين أو إحدى وخمسين وستمائة.

حنبلي المذهب، سمع على عماد الدين أبي بكر عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن النحاس الأنصاري حضوراً في الثالثة، وتقي الدين عبد الرحمٰن اليَلْداني كذلك، وصدر الدين أبي علي الحسن البكري كذلك، وسمع على النجيب عبد اللطيف الحَرّاني، وابن عبد الدائم، وخطيب مردا، وإبراهيم بن خليل، وغيرهم، وأجازه جماعة.

سمعت عليه يسيراً وأجازني إجازة عامة في ما تصح له روايته بشرطه.

13 ـ جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن الزكي عبد الرحمٰن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهراء المِزّي[2]

صاحب دار الحديث الأشرفية الدمشقية التي بنيت للحافظ عبد الغني وأخذها أبو عمرو بن الصلاح. تقدم أهل زمانه في معرفة علم الحديث وضبطه ومعرفة رجاله، وله فيه التصانيف المفيدة: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» و«الأطراف» وكل منهما في نحو خمسة عشر مجلداً.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 92.

(2) ستأتي ترجمته في هذا الكتاب.

ونقلت من خطه أن مولده في العاشر من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة بحلب.

وأشياخه جماعة كبيرة، منهم أبو العباس أحمد بن سلامة بن إبراهيم بن سلامة، وأبو الفرج عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قُدامة المقدسي، ومحيي الدين عمر بن محمد بن أبي عَصْرُون وفخر الدين أبو الحسن ابن البخاري، وأبو حامد محمد ابن الصابوني وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن الدجاجية، والقاسم بن أبي بكر بن القاسم بن غَنِيمَة الإِرْبِلي، وسواهم. ومن النساء جماعة؛ كفاطمة بنت الحافظ أبي القاسم علي بن أبي محمد بن أبي القاسم بن عساكر المؤرخ، وستّ العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندي تروي عن سيدها الكندي، وشامية بنت الحسن بن محمد البكري، وزينب بنت أحمد بن كامل بن عمر المقدسي، وسواهن.

قرأت عليه وسمعْت، وأجازني إجازة عامة بشروطها، واستجازني فأجزته وأخذ عني أحاديث في المرة الأولى والثانية.

14 ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إسماعيل الحرّاني يعرف بالمجوّد. نزيل دمشق(1)

مولده تقريباً في حدود سنة خمسين وستمائة.

ذو اعتناء بالقراءات وأقرائها. قرأ على زين الدين الزّواوي، والبرهان الوزيري، وسمع على أبي الفرج عبد الرحمٰن بن محمد بن قُدامة المقدسي، وعلى الفخر ابن البخاري، وسواهم.

سمعت عليه يسيراً وأجازني إجازة عامة بشروطها عند أهلها.

15 ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن محاسِن(2) الخرّاط الدمشقي

مولده في سنة بضع وخمسين وستمائة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 94؛ الدرر الكامنة: 1/ 271؛ درة الحجال: 2/ 29.

(2) برنامج الوادي آشي: 94؛ الدارس: 1/ 215؛ الدرر الكامنة: 3/ 154؛ ذيل العبر: 210.

لديه عقل وسكون. سمع على جماعة من أصحاب ابن طَبَرْزَد والكندي، والفخر ابن البخاري، وغيره.

قرأت عليه يسيراً وأجازني إجازة عامة بشروطها المعلومة.

16 ـ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن إسحاق بن خليل بن فارس ابن مسعود الشيباني الشافعي الدمشقي(1)

يعرف والده بقاضي زُرْع.

مولده تقريباً في حدود عام ثمانية وأربعين وستمائة.

أخذ عن شمس الدين عبد الرحمٰن بن محمد بن قُدامة، وفخر الدين عبد الرحمٰن بن يوسف البعلبكي، وفخر الدين علي بن أحمد ابن البخاري، وسواهم، وأجازه جماعة كبيرة.

قرأت عليه وسمعت وأجازني إجازة عامة في كل ما تصح له روايته متلفظاً.

والشيخان المحدثان:

17 ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن مكارم بن طاهر القيسي يعرف بابن البلُّوط

18 ـ وأبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن كامل الدمشقيان(2)

أخذ الأول منهما على ابن عبد الدائم قليلاً بالسماع، وقيل لي أنه يدخل في المكس، مولده بعد الستين، وأخذ عنه الثاني بالإجازة.

سمعت عليه يسيراً وأجازني إجازة عامة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 95؛ البداية والنهاية: 14/ 115؛ الدارس: 1/ 227؛ الدرر الكامنة: 5/ 189.

(2) برنامج الوادي آشي: 96؛ الدرر الكامنة: 4/ 217؛ ذيل العبر للحسيني: 243.

19 ـ علم الدين، أبو محمد، القاسم بن محمد بن يوسف البِرْزالي، الإشبيلي الأصل، الدمشقي[1]

سمي باسم جده لأمه علم الدين اللورقي.

ذكر لي أن شيوخه نحو الثلاثة آلاف منهم بالسماع والإجازة. رحل في طلب الحديث، واسمعه والده.

قرأت عليه يسيراً وسمعت بلفظه وأجازني إجازة عامة وانتفعت به مدة إقامتي بدمشق، وأخذ عني وسمع قصيدة لي وقيّد عني واستجازني فأجزته على المتعارف في ذلك.

20 ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي[2]

مولده عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

سمع سنة اثنتين وتسعين وستمائة مشيخة دمشق، وسنة ثلاث مشيخة بَعْلَبَكّ، وسنة خمس مشيخة مصر والثغر، وسمع بحلب، وطرابلس، والمساجد الثلاثة، وله نحو ستمائة شيخ.

وألَّف تاريخاً في نحو عشرين مجلداً، وله تأليف في الضعفاء، وتأليف في القراء.

أخذت عنه يسيراً وأجازني إجازة عامة، وأخذ هو عني كثيراً وأجزته كذلك.

ومما أنشدني قال: أنشدني أبو الحسن علي بن مظفّر الكندي لنفسه من ملحِ التورية:

مَنْ زارَ قبرَكَ لم تَبْرَحْ جوارحه ... تَرْوي أحاديث ما أوْلَيْتَ من منن
فالعَيْنُ عن قُرّةٍ والكف عن صِلَةٍ ... والقلبُ عن جابرٍ، والأذن عن حسنِ

---

(1) ستأتي ترجمته بتوسع.

(2) برنامج الوادي آشي: 97.

ثم قيدت من خطه في الرحلة الثانية بدمشق أن شيوخه أزيد من ألف نفس، ومن أعلاهم بالإجازة الإمام شمس الدين بن أبي عمر، وجمال الدين يحيى بن أبي منصور الحراني، والمعمر أحمد بن سلامة الحداد، وبالسماع، الأبرقوهي، والقواس، والدمياطي، وعبد الحافظ بن بدران، وسنقر الحلبي، وسواهم.

وإن تاريخه في الإسلام في أحد وعشرين مجلداً، ورأيت اختصاره في سفرين، ونقلت منه بالمدينة المشرفة.

21 ـ أحمد بن أبي الفتح بن محمود بن أبي الوحش[1] الشيباني الدمشقي

كمال الدين أبو العباس بن العطار، الكاتب بديوان الإنشاء.

سمع من أبي نصر بن الشيرازي، وابن المُقَيّر، وابن الصلاح والعلَم السَّخاوي، ومن سماعه عليه الأربعون البلدانية للسّلَفي بسماعه من مخرجها.

وكان شيخ الإنشاء أميناً في الدول، كثير التلاوة، محباً للحديث. خرّج له ابن المهندس مشيخة، وسمعها عليه أئمة فضلاء، وحدّث بالكَرك بصحيح البخاري عن أبي الحسن بن روزبة بالإجازة لمّا انجفل الناس من التتر سنة سبعمائة.

توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعمائة، وله نحو سبع وسبعين سنة.

22 ـ أحمد بن أبي العز بن صالح الحنفي الدمشقي، شهاب الدين

روى مسلماً والبخاري، والترمذي على أبي العباس أحمد بن عبد الدائم[2].

---

(1) برنامج الوادي آشي: 100؛ البداية والنهاية: 14/ 127؛ درة الحجال: 1/ 36.
(2) برنامج الوادي آشي: 100.

23 ـ أحمد بن الطُّبْنا الفوارسي الدمشقي، شهاب الدين ابن الحلبية

24 ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي، من أهل الصالحية، يعرف بابن المحب، وشمس الدين[1]

سمع على الرضي ابن البرهان مسلماً، وعلى أبي العباس بن عبد الدائم وغيرهما.

مولده سنة ثلاث وخمسين وستمائة في أوائلها.

25 ـ أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي الحنبلي، شهاب الدين[2]

مولده ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة بنابلس من الأرض المقدسة، نزيل القاهرة، ثم دمشق.

عجيب في تعبير المنام لم يدرك فيه أحد إدراكه، وألَّف فيه «البدر المنير في علم التعبير» مشهور بدين وفضل.

سمع أبا الحسن علي بن هبة الله بن الجمّيزي، وأبا محمد عبد الوهاب بن ظافر بن رواج، ويوسف الساوي، وأبا القاسم عبد الرحمٰن بن مكي سبط الحافظ السّلَفي، وغيرهم.

وتوفي بدمشق ليلة الجمعة لليلة خلت من ذي القعدة سنة سبع وتسعين وستمائة.

26 ـ أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد المؤمن بن أبي الفتح البانياسي[3] الصوري

من أهل حنابلة قاسِيُون جبل الصالحية الذي على دمشق، وصور قرية بيت المقدس، أبو العباس.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 100.

(2) برنامج الوادي آشي: 103؛ الدرر الكامنة: 1/ 191، 192.

(3) برنامج الوادي آشي: 104؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 226؛ فوات الوفيات: 1/ 86.

مولده عام ستة عشر وستمائة.

وكان صالحاً كثير التواضع، صدوقاً زاهداً.

سمع أبا عبد الله محمد ابن السيد بن أبي لقمة، وأبا القاسم بن صَصْرَى، وأبا عبد الله محمد بن الحسين القَزْويني، وأبا حمزة أحمد بن عمر، وحضر الموفق بن قُدامة، وهو آخر من روى عنه، والبهاء عبد الرحمٰن، وانفرد بكثير من مسموعاته، وسمع البخاري على ابن الزَّبَيْدِي.

وتوفي في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعمائة.

27 ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تَيْمِية(1)

مفتي الشام، ومحدثه وحافظه، ويركب شواذ الفتاوى، ويزعم أنه مجتهد مصيب.

سمع ابن عبد الدائم وابن أبي اليُسر، وابن أبي الخير، وابن عطاء، وفخر الدين بن عساكر، وفخر الدين السّنْجاري، وغيرهم وله تواليف.

ومولده بحران يوم الاثنين العاشر لربيع الأول عام أحد وستين وستمائة.

28 ـ أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي(2)

توفي بدمشق في المحرم سنة سبعمائة، وله ثمان وثمانون سنة.

29 ـ أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم بن أحمد بن محمد القَزْوِينِي المعروف بالطاوسي(3) نسبة إلى طاوس الحرمين، شيخ الخانقة بدمشق

مولده في سابع عشر شعبان عام أحد وستمائة، وقدم دمشق في أوائل

---

(1) برنامج الوادي آشي: 104؛ الأنساب: 2/ 67؛ اللباب: 1/ 92؛ الشذرات: 3/ 376.

(2) برنامج الوادي آشي: 105؛ ذيل العبر: 158؛ طبقات الحفاظ: 516.

(3) برنامج الوادي آشي: 105؛ درة الحجال: 1/ 38؛ الشذرات: 5/ 455.

سنة اثنتين وثلاثين، فأرسله السخاوي مع صَفيّ الدين بن مرزوق إلى بغداد ليؤم به، فسمع فيها سنة أربع وثلاثين من ابن الخازن، وذكر أنه سمع في صغره من أبي بكر الشحاذي «صحيح مسلم» وكان شيخاً معمرّاً، وأن والده أعطى على تسميعه جملة من الذهب. وممن سمع بحلب أبو الحجاج يوسف بن خليل، وبدمشق عَلَم الدين السخاوي وابن أبي جعفر، وشيخ الشيوخ عبد السلام الجُوَيْني، وبالمدينة المشرفة الحافظ أبا عبد الله المرسي. وحدّث بالإجازة العامة عن أبي جعفر الأصبهاني الصيدلاني. وأسعد بن رَوْح، وغير واحد.

وتوفي في عاشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعمائة، وهو حاضر الذهن.

30 ـ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي شرف الدين، أبو العباس وأبو الفضل[(1)]

مولده سنة أربع عشرة وستمائة.

وجده محمد هو أخو الحافظ أبي القاسم بن عساكر مؤرخ الشام، وكنيته أبو الفضل، عدل جليل من بيت حديث.

سمع أبا محمد القزويني، وأبا الحسن بن الأثير، وأبا بكر بن الشيرجي، وزين الأمناء أبا البركات السجاد أخا جده، وعبد الرزاق بن سُكَيْنَة، وابن الزّبيدي سمع عليه البخاري، وأبا عبد الله بن المجاور، وأبا القاسم بن صَصْرَى، وأبا عبد الله بن غسّان، وابن إيداش السّلار والمسلّم بن أحمد المازني، وأبا صادق بن صبّاح. وأجازه المؤيد الطوّسي، وأبو رَوْح الهَرَوي، والقاسم بن الصفّار، وزينب بنت عبد الرحمٰن الشعرية، وعبد الرحيم بن أبي سعد عبد الكريم السَّمْعاني، وابن اللّتّي سمع عليه جزء أبي الجَهْم وغيرهم.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 106؛ درة الحجال: 1/ 40؛ الدرر الكامنة: 1/ 206.

وتوفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام تسعة وتسعين وستمائة، وخرج بجنازته من نقب قرب باب النصر، ودفن بمقابر الصوفية، خيفة من فتنة التتر خذلهم الله تعالى.

31 ـ أحمد بن هبة الله بن حسين بن عطية بن المسلم بن رجاء التنوخي[1]

32 ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الفتح بن المجاهد، لقب لوالده، الدمشقي، أبو العباس الحدّاد[2]

سمع من أبي القاسم بن صَصْرَى، وأبي عبد الله الحسين بن المبارك الزَّبَيدِي، والإرْبِلي، وغيرهم. وأجازه أبو محمد بن قدامة، وابن أبي لقمة.

هلك سنة تسع وتسعين وستمائة بقاسيون أيام التتر.

33 ـ أحمد بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مسلم بن هبة الله الأنصاري المقدسي الحنبلي

من الصالحية، شيخ عالم زاهد يكنى أبا العباس[3].

مولده، عام سبعة عشر وستمائة.

سمع ابن الزَّبَيدي والقزويني، ومحمد بن إبراهيم الإرْبِلي، وأبا حمزة أحمد بن عمر الجمّال.

34 ـ أحمد بن محمد بن محمد الماكساني، ناصر الدين[4]

يروي عن أصحاب ابن عساكر الحافظ، وسمع من الشرف يعقوب بن محمد بن الحسنَ وخرّج له علم الدين القاسم بن يوسف البِرْزالي.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 107؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268؛ درة الحجال: 1/ 43.
(2) برنامج الوادي آشي: 107.
(3) برنامج الوادي آشي: 108؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268؛ الشذرات: 6/ 445.
(4) برنامج الوادي آشي: 108؛ العبر: 5/ 409؛ الشذرات: 5/ 455.

35 ـ أحمد بن محمد بن معالي بن جحا الزّبَداني، شهاب الدين الدمشقي، يعرف بزعتر[1]

يروي عن محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي خطيب مردا.

36 ـ أحمد بن علي بن مسعود الدمشقي، شهاب الدين، يعرف بعمّي[2]

37 ـ أحمد بن سليمان بن أحمد المقدسي الدمشقي، شهاب الدين[3]

مولده سنة خمس عشر وستمائة.

روى البخاري سماعاً على أبي الحسن بن رَوْزَبَة.

وتوفي قبل السبعمائة.

38 ـ أحمد بن زيد بن أبي الفضل الجمّال الدمشقي[4]

من أهل قاسُيُون، فقير صالح.

سمع ابن الزّبيدِي وغيره، والبخاري بفوت يسير، وحدث بقطعة منه. مات أيام التتر سنة تسع وتسعين وستمائة بالصالحية في عاشر الثمانين.

39 ـ إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن غدير القواس الطائي الدمشقي[5] زين الدين، أبو إسحاق، عدل نبيل

سمع سالم بن صَصْرَى، ومكي بن علان، وإسماعيل العراقي وخالة أمه كريمة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 108.

(2) برنامج الوادي آشي: 109.

(3) برنامج الوادي آشي: 110؛ الدارس: 2/ 272؛ الدرر الكامنة: 2/ 234؛ ذيل العبر: 129.

(4) برنامج الوادي آشي: 110؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 269؛ العبر: 5/ 293؛ الشذرات: 5/ 443.

(5) برنامج الوادي آشي: 110؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268؛ درة الحجال: 1/ 51؛ العبر: 5/ 392.

ومولده بدرب محرز في ربيع الأول عام ثلاثة وعشرين وستمائة.

وتوفي في المحرم من عام أحد وسبعمائة.

40 ـ إبراهيم بن أبي البركات بن أبي الفضل البعلبكّي الدمشقي[1] ابن القريشية الفقير شيخ الأسدية

سمع ابن عبد الدائم.

41 ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد بن بركات بن سعد بن عمر بن كامل بن عبد الله الأنصاري. ابن الخباز، أبو الفداء الحنبلي[2]

شيخ محدث فاضل مفيد.

مولده في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وستمائة.

سمع في صغره من الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد، وعبد الحق بن خلف، وعبد الله بن أبي عمر، ثم طلب الحديث بنفسه من عام أربعة وخمسين فسمع الكثير، وحصّل الأصول، وأخذ عمن دبّ ودرج، وكان مغفلاً سقيم الخط، وبلغت مشيخته مائة جزء، وحدَّث عن أكثر من ألفي رجل. وكان متواضعاً، وخرّج أكثر من ستمائة جزء، حدّث بها بجامع دمشق على كبر سنه أيام الجمع، وانتفع بأجزائه حياً وميتاً.

وتوفي في صفر سنة ثلاث وسبعمائة، ودفن بخارج دمشق.

42 ـ إسماعيل بن داود بن المجاهد بن سليمان الدمشقي[3] أبو الفداء

سمع ابن عبد الدائم.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 112؛ الدرر الكامنة: 1/ 12.

(2) برنامج الوادي آشي: 112؛ الدارس: 2/ 139؛ الدرر الكامنة: 1/ 20؛ ذيل العبر: 212؛ الشذرات: 6/ 124.

(3) برنامج الوادي آشي: 115؛ الدرر الكامنة: 1/ 386؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 350؛ ذيل العبر: 24.

43 ـ إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن موسى بن عميرة، عرف بابن الفراء، عز الدين، أبو الفداء، المرداوي الصالحي الأصل[1] الحنبلي، عرف بابن المندي، شيخ صالح عادل

مولده سنة عشر وستمائة.

سمع الكثير من الموفق عبد الله بن قُدامَة، والحسين الزَّبِيدي، ومن مسموعاته عليه البخاري، وابن أبي لقمة، وابن البُنّ، والقَزْويني، وابن راجح، والبهاء.

مات بدمشق في جمادى الآخرة عام سبعمائة بقَاسِيُون.

44 ـ إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله الأسدي الصفّار ابن النحاس، أبو الفضل[2]

سمع الكثير من يوسف بن خليل: «الحلية»، و«معجم الطبراني»، وأجزاء كثيرة، ومن يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ومن خطيب الموصل، وابن رواحة، وغيرهم.

وكتب بخطه الأجزاء، ورتب مسمّعاً بدار الحديث من بعد ابن مشرّف، وخرّج له جزء عن أربعين شيخاً، وكان يفهم مسائل الفقه.

ولد بحلب تقريباً سنة أربع وثلاثين وستمائة.

وتوفي في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة عشر وسبعمائة وانقطع بموته شيء كثير من العلو.

45 ـ الخضر بن أبي الحسن بن عبد الرحمٰن بن الخضر بن الحسين بن الخضر بن الحسين بن عبد الله بن عبدان الأزدي الدمشقي، أبو القاسم الكاتب[3]

سمع من ابن البُنّ، وزين الأمناء، ومحمد بن الحسين القَزْويني وأبا

---

(1) برنامج الوادي آشي: 115؛ درة الحجال: 1/ 212.

(2) برنامج الوادي آشي: 116؛ درة الحجال: 1/ 212.

(3) برنامج الوادي آشي: 117؛ الدرر الكامنة: 1/ 279؛ ذيل العبر: 55؛ الشذرات: 6/ 22.

القاسم هو الحسين بن صَصْرَى، وأبا القاسم الحسين بن لقمة، وأجازه الموفق.

وكان مولده في ربيع الأول سنة سبع عشر وستمائة.

وكان خالياً من العلم.

وتوفي في ذي الحجة سنة سبعمائة.

46 ـ الحسن بن علي بن أبي بكر بن يونس بن يوسف ابن الخَلّال الدمشقي، أبو علي، العدل الثقة(1)

وأُمه بنت أخت الحافظ أبي العباس بن الجوهري، فسمّعه الكثير على الجم الغفير.

مولده في صفر سنة تسع وعشرين وستمائة.

حدث اثنين وعشرين عاماً على سداد واستقامة وفهم بدمشق، ومصر، وحلب، وغيرها. أخذ عنه أئمة وحفّاظ، وتفرد بكثير من مسموعاته. سمع مسند الدارمي، ومسند عبد بن حُمَيْد، على ابن اللّتِي، وأكثر عنه، وسمع على ابن المُقَيّر، ومُكْرم، والهمذاني، وابن الشيرازي، وابن طَرْخان، والشاغوري والسخاوي وكريمة.

وتوفي في ربيع الأول سنة اثنتين وسبعمائة.

47 ـ محمد بن نصر الله بن علي بن سَنِيّ الدولة الدمشقي(2)

سمع مسلماً على ابن عبد الدائم، وغير ذلك.

48 ـ محمد بن أحمد بن منعة الدمشقي، شمس الدين(3)

يروي عن عبد الحق بن خلف وعبد الرحمٰن بن أبي الفهم اليَلْداني

---

(1) برنامج الوادي آشي: 118؛ درة الحجال: 1/ 262؛ العبر: 5/ 411؛ الشذرات: 5/ 457.

(2) برنامج الوادي آشي: 119؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 264؛ الدرر الكامنة: 2/ 104؛ الشذرات: 6/ 4.

(3) برنامج الوادي آشي: 124؛ الدرر الكامنة: 5/ 44.

وشمس الدين المرسي. وأجازه الخشوعي عام سبعة وعشرين وستمائة.
يروي عن اليَلْداني المذكور، وهو ساكن بالصالحية.

49 ـ محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عباس المقدسي الحنبلي شمس الدين الدّمشقي[1]

سمع على ابن عبد الدائم، وعلى تقي الدين ابن أبي اليُسر.

50 ـ محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غَدِير الطائي ابن القوّاس الدمشقي[2]

سمع بها من ابن عبد الدائم، وبديار مصر من الرشيد العطار، وجماعة.
مولده خامس رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة.

51 ـ محمد بن أبي بكر بن محمد بن طَرْخان[3]

مكثر دمشق، سمع ابن عبد الدائم وغيره.

52 ـ محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسي الدمشقي[4]

يروي عن جده الإمام، وعن غيره.

53 ـ محمد بن عثمان بن أسعد بن المُنَجّا الحنبلي[5] وجيه الدين

مولده عام ثلاثين وستمائة.
سمع ابن اللتّي حضوراً، وسمع على جعفر الهمذاني، وابن المُقَيّر، وجماعة.
ومن سماعاته على ابن اللّتي، «مسند الدّارِمي».
وله برّ ووقف وصدقة بدمشق.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 127؛ ذيل العبر: 151؛ الشذرات: 6/ 77.
(2) برنامج الوادي آشي: 128.
(3) برنامج الوادي آشي: 129؛ الدرر الكامنة: 4/ 315.
(4) برنامج الوادي آشي: 129؛ الدرر الكامنة: 4/ 28.
(5) برنامج الوادي آشي: 129؛ الدرر الكامنة: 4/ 20.

54 ـ محمد بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي[1]، شمس الدين، أخو تقي الدين

مولده عام خمسة عشر أو ستة عشر وستمائة.

من أهل قاسِيُون، من بيت حديث. سمع حضوراً موسى ابن الشيخ عبد القادر، وأبا عبد الله بن راجح، وأبا محمد بن قُدامة، وسمع ابن البُنّ، وابن لقمة، والقَزْويني، وأبا القاسم بن صَصْرى والبهاء المقدسي، وابن اللتّي، والزبيدي، وشمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري، وأبا إسحاق إبراهيم الكاشَغْري، والناصح عبد الرحمٰن بن الحنبلي.

وتوفي بعد أن دخل البلد من أجل أذى التتر عام تسعة وتسعين وستمائة بالمارستان.

وكان قليل العلم.

55 ـ محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمٰن المقدسي البخاري الصالحي، شمس الدين[2]

سمع مسلماً على ابن البرهان، وابن عبد الدائم، وغيرهما.

56 ـ محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البِرْزالي، الأشبيلي الأصل، الدمشقي[3]

57 ـ محمد بن يونس بن حمزة الإرْبِلي الدمشقي[4]

سمع من ابن عبد الدائم يسيراً.

مولده في ثاني عشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 130؛ الدرر الكامنة: 4/ 157؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 347؛ الشذرات: 6/ 2.

(2) برنامج الوادي آشي: 132؛ الدرر الكامنة: 4/ 174.

(3) ستأتي ترجمته.

(4) برنامج الوادي آشي: 134؛ درة الحجال: 2/ 298.

يكنى أبا الفضل، أحد عدولها، فقيهاً في الشروط.

أحضره والده على السخاوي، وكريمة، ومَحاسِن الجَوْبَري وعبد الواحد بن هلال، وجماعة. واستجاز له سنة أربعين وقبلها شيوخ بغداد كابن القُبَّيْطي، وشيوخ مصر من أصحاب السِّلَفي.

وتوفي في شوال سنة تسع وتسعين وستمائة.

58 ـ محمد بن أبي العز بن مُشَرّف الأنصاري(1)

مولده سنة تسع عشرة وستمائة.

يروي البخاري عن ابن الزِبيدي، وروى عن ابن الصلاح.

مات سنة سبع وسبعمائة.

59 ـ محمد بن حسن بن يوسف الأُرْمَوي الدمشقي(2)

من أصحاب ابن الصلاح.

لزمه وسمع منه، ومن السخاوي، وكريمة بنت عبد الوهاب، وابن أبي جعفر.

مولده عام عشرة وستمائة.

60 ـ محمد بن حمزة بن أحمد المقدسي الصالحي(3)

سمع ابن اللتّي، وجعفر الهمذاني، والحافظ ضياء الدين وغيرهم.

وتوفي يوم الخميس العشرين لصفر عام سبعة وتسعين وستمائة ودفن بجبل قاسِيُون.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 134؛ درة الحجال: 2/ 298؛ الدرر الكامنة: 4/ 168؛ ذيل العبر: 40؛ الشذرات: 6/ 16.

(2) برنامج الوادي آشي: 135؛ العبر: 5/ 179؛ الشذرات: 5/ 226.

(3) برنامج الوادي آشي: 136؛ درة الحجال: 2/ 299.

61 ـ محمد بن مظفّر بن أبي مظفّر بن قايْماز[1] الدمشقي شمس الدين

سمع ابن المقيّر، والسخاوي، وغيرهما، ومن النساء كريمة القرشية، وغيرها.

مولده عام اثنين أو ثلاثة وعشرين وستمائة.

62 ـ عبد الله بن علي بن سونَدَك بن كِيار الشافعي الدمشقي[2]

يروي عن إبراهيم بن خليل بن عبد الله الدمشقي، وابن عبد الدائم، وجماعة.

63 ـ عبد الله بن مروان بن عبد الله الشافعي الفارقي، زين الدين[3]

أفقه من بالشام على مذهب الشافعية، شيخ دار الحديث.

سمع ابن الصلاح، والسخاوي، وكريمة بنت عبد الوهاب. وخرّجت له مشيخة.

64 ـ عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي عمر المقدسي

عم محمد بن حمزة[4] وعم داود.

سمع جعفر الهمذاني، وكريمة القرشية.

65 ـ عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق الدمشقي، عز الدين[5]

مولده عام خمسة وعشرين وستمائة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 138؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268.

(2) برنامج الوادي آشي: 142؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 269.

(3) برنامج الوادي آشي: 142؛ الدرر الكامنة: 2/ 411؛ ذيل العبر: 25؛ الشذرات: 6/ 8.

(4) برنامج الوادي آشي: 142.

(5) برنامج الوادي آشي: 143؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 269؛ العبر: 5/ 400.

مدرس الشافعية.

سمع من ابن الزّبِيدي، وابن اللتّي، ومنه «مسند الدارِمي»، وله مشيخة.

66 ـ عبد الرحمٰن بن عمر بن صومع الدّيْر قانوني الدمشقي من أهل قاسِيُون[1]

سمع من أبي المنجا بن اللتّي، والضياء الحافظ، وجعفر الهمذاني، وحضر على ابن الزّبِيدي مواعد من البخاري وجزء أبي الجَهْم.

عدم أيام التتر سنة تسع وتسعين وستمائة.

67 ـ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمر بن أبي بكر بن يَشْكُر المقدسي الدمشقي. جمال الدين[2]

من أصحاب ابن أبي الفضل المرسي أخذ عنه، وعن محمد بن أبي بكر البَلْخي، وغيرهما.

68 ـ عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن البَجَدي الفامي الدمشقي[3]

سمع ابن عبد الدائم. وأجازه ابن القبّيطي، وغيره.

69 ـ عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الدمشقي، عز الدين أبو الفرج[4]

سمع مسلماً والترغيب والترهيب على ابن عبد الدائم.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 144؛ تذكرة الحفاظ 4/ 268؛ درة الحجال: 3/ 78.

(2) برنامج الوادي آشي: 145؛ الدرر الكامنة: 2/ 431؛ ذيل العبر: 158.

(3) برنامج الوادي آشي: 145؛ الدرر الكامنة: 2/ 449.

(4) برنامج الوادي آشي: 146؛ الدرر الكامنة: 2/ 428؛ تذييل ابن الوردي على المختصر في أخبار البشر: 7/ 123؛ ذيل طبقات الحنابلة: 2/ 419؛ الشذرات: 6/ 100.

70 ـ عبد الأحد بن أبي القاسم بن عبد الغني بن محمد بن تَيْمِيّة الحراني، أبو البركات[1]

مولده بحران سنة ثلاثين وستمائة.

نزل دمشق، وحدث بها عن علوان بن جميع، والمُرَجّى بن شقيرة، وصدقة الطراجهيلي، وجماعة بحران، وحضر ابن اللتّي وابن رواحة، بحلب.

توفي ثالث شعبان اثنتي عشرة وسبعمائة، ودفن في مقابر الصوفية.

ومما يروي عن ابن اللتّي حضوراً «مسند الدارمي» أبي محمد.

71 ـ عبد الدائم بن أحمد بن رِبْح المَحَجّى الحنبلي القبّاني الوزّان[2]

من أهل قاسِيُون أبو محمد، وربح بالباء الموحدة، منسوب لمحجة قرية من عمل دمشق.

مولده سنة إحدى وعشرين وستمائة.

سمع ابن الزبيدي، والإربلي، وجعفر الهمذاني، ومن ابن اللتّي «مسند الدارمي».

واستشهد بسبب أذى التتر بالجبل عام تسعة وتسعين وستمائة.

72 ـ عبد الحميد بن أحمد بن خَوْلان البعلبكّي، ابن كَثير البَنّاء الصالحي[3]، أبو محمد الحجّار

مولده سنة ثمان أو سبع عشرة وسبعمائة.

مسند ثقة. سمع ابن صَصْرى، وابن الزَبِيدي، ومن سماعاته عليه البخاري، وسمع الحسن بن صبّاح، والجمّال أبا حمزة، وابن اللتّي،

---

(1) برنامج الوادي آشي: 147؛ درة الحجال: 3/ 147؛ الدرر الكامنة: 2/ 422؛ الشذرات: 6/ 3.

(2) برنامج الوادي آشي: 150؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268؛ العبر: 5/ 399.

(3) برنامج الوادي آشي: 150؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 264؛ درة الحجال: 3/ 166؛ الشذرات: 6/ 76.

ومحمد بن إبراهيم الإربلي، وأجازه محمد بن الحسين القَزْوِيني وأبو عبد الله ويدعى أبا المحاسن محمد بن أبي لقمة وجماعة.

وله مشيخة.

وتوفي في سابع عشر من المحرم سنة اثنتين وسبعمائة بعدما سمع عليه بزَمَلْكا بثلاثة أيام.

73 ـ عبد العالي بن عبد الملك بن عبد الكافي بن عبد الكافي بن علي بن موسى بن حَجّاج الرَّبَعي الدمشقي[1] وأخو خطيب دمشق

مولده سنة أربع وعشرين وستمائة.

سمع الموطأ من مُكَرّم، وسمع من ابن اللتّي كتاب عبد بن حُمَيْد.

وتوفي يوم الاثنين تاسع المحرم عام اثنين وسبعمائة.

74 ـ عمر بن محمد بن عمر بن خواجا، شرف الدين، أبو حفص الفارسي الدمشقي[2]

كان صالحاً محسناً للفقراء، كتب كثيراً بخطه المليح من الكتب والهياكل، والعمر.

مولده في صفر سنة ثلاث عشرة وستمائة.

سمع البخاري على ابن الزّبيدي، وسمع أبا بكر محمد بن الشيْرَجي وابن اللتّي، وأبا عمرو بن الصلاح، وكريمة بنت عبد الوهاب.

وولي مشيخة دار الحديث الظاهرية إلى أن توفي في ربيع الأول سنة اثنتين وسبعمائة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 151؛ درة الحجال: 3/ 167؛ الدرر الكامنة: 2/ 477.

(2) برنامج الوادي آشي: 152؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 264؛ درة الحجال: 3/ 195؛ الدرر الكامنة: 3/ 226.

75 ـ عمر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسي الدمشقي، أبو حفص الفامي[1]

مولده سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً.

سمع من ابن الزّبيدي، والإرْبِلي، وأباه الإمام زين الدين، وحضر أبا موسى ابن الحافظ عبد الغني.

وتوفي في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة بعدما عذبه التتر أشد عذاب، وأُدخل البلد وبقي يتعلل أياماً، عفا الله عنه.

76 ـ عمر بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غَدِير الطائي القواس الدمشقي[2]

ولد سنة خمس وستمائة.

كان خيّراً صالحاً ثقة أميناً محباً للحديث وأهله، صبوراً، حسن الأخلاق.

وسمع أبا القاسم بن الحَرَسْتاني، وأبا يعلى حمزة بن أبي لقمة حضوراً، وهو أحد من حدث عنهما، وابن نصر ابن الشيرازي، وكريمة بنت عبد الوهاب، وغيرهم. وأجازه جماعة كبيرة من أجلّهم أبو اليُمْن، زيد بن الحسن الكِنْدي وداود بن أحمد بن محمد بن مُلاعِب، وعبد الجليل بن مندويه. وخرّجت له مشيخة، وحدث بالكثير.

وتوفي في ثاني ذي قعدة سنة ثمان وتسعين وستمائة.

ولم يتزوج، وكان يأكل من بستان له يقوم به.

77 ـ علي بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الدمشقي الصالحي، أبو الحسن[3]

مولده سنة سبع عشرة وستمائة.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 153؛ درة الحجال: 3/ 194.

(2) برنامج الوادي آشي: 153، درة الحجال: 3/ 196؛ العبر: 5/ 388؛ الشذرات: 5/ 442.

(3) برنامج الوادي آشي: 157؛ درة الحجال: 3/ 229؛ العبر: 5/ 401؛ الشذرات: 5/ 451.

سمع البهاء عبد الرحمٰن، وابن الزّبِيدي، وابن اللّتي، وابن غسّان، وجعفر الهمذاني، وابن الصيّاح، ومكرّماً، وابن الجمّيزي وسمع ببغداد الكاشَغْرى، وابن القميرة.

وبقي مدة قيم جامع قاسيون، وقيل أن التتر عذبوه بالجامع، وأخذوا سيخاً وهو السفود وحموه بالنار ووضعوه على فرجه في سنة تسع وتسعين وستمائة.

78 ـ علي بن محمد بن هارون بن محمد بن علي الثعلبي الدمشقي[1] الحُمَيْدي

قارئ الحديث للناس بالقاهرة، ومن محدثي الظاهرية عند الدمياطي.

مولده سنة سبع وعشرين وستمائة.

سمع بدمشق البخاري حضوراً من ابن الزّبيدي، وسمع ابن اللتّي، ومكرّماً، وابن غسّان، ومحمد بن نصر القرشي حضوراً.

وكان مقتصداً في لباسه.

وتوفي في ربيع الآخر عام اثني عشر وسبعمائة.

79 ـ علي بن محمد بن علي بن بقاء البغدادي الدمشقي، أبو الحسن المؤذن

أصله من بغداد، وسكن قاسيون[2].

مولده سنة اثنتي عشرة وستمائة.

يلقّن بالجامع. سمع البخاري من ابن الزّبيدي، وسمع ابن اللتّي، وابن غسّان، والحسن بن صبّاح، والناصح عبد الرحمٰن، والجمّال أبا حمزة، والحافظ الضياء.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 158؛ درة الحجال: 2/ 231؛ الدرر الكامنة: 3/ 195؛ ذيل العبر: 69؛ مستفاد الرحلة والاغتراب: 108؛ الشذرات: 3/ 195.

(2) برنامج الوادي آشي: 159؛ درة الحجال: 3/ 230؛ الشذرات: 5/ 388.

وتوفي في شوال عام ثمانية وتسعين وستمائة.

80 ـ علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي الحنبلي[1] أبو الحسن الحلبي، ونزل دمشق

كان قرأ كثيراً ديناً محدثاً صدوقاً، حصّل ما لم يحصله غيره، وقرأ كتباً مطولة.

مولده سنة أربع وثلاثين وستمائة.

سمع ببلده ابن رواحة، وإبراهيم بن خليل، وبدمشق من ابن عبد الدائم، وأصحاب الخُشُوعي، وبمصر من أصحاب البُوصِيري.

وأوقف كتبه وأجزاءه، وما نقم عليه إلا زَعارة في أخلاقه، ولا يمكّن أحداً من النظر في أجزائه، وكان فيها كثير من المرويات.

وتوفي في صفر سنة أربع وسبعمائة بالمارستان الصغير، ودفن بقاسيون.

81 ـ علي بن مطر بن ربح بن حميد المَحَجّي البقالي[2] أبو الحسن، من أهل قاسيون

سمع ابن الزّبِيدي، وابن اللتّي.

وقتل في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة بالجبل.

82 ـ عيسى بن أبي محمد بن عبد الرزاق[3]، من شيوخ الصالحية

سمع من ابن الزّبِيدي «صحيح البخاري».

مات سنة أربع وسبعمائة بدمشق.

---

(1) برنامج الوادي آشي: 160؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 282؛ الدرر الكامنة: 3/ 203؛ الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 351.

(2) برنامج الوادي آشي: 160.

(3) برنامج الوادي آشي: 162؛ درة الحجال: 3/ 185؛ الدرر الكامنة: 3/ 289؛ لحظ الألحاظ: 95؛ الشذرات: 6/ 11.

83 ـ يوسف بن أبي نصر بن أبي الفرج بن أبي نصر بن الشُّقاري[1] الدمشقي، عماد الدين، أمير الحاج

سمع البخاري مرتين على ابن الزَّبِيدي.

مولده سنة ست وستمائة.

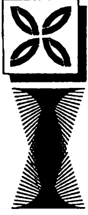
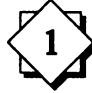
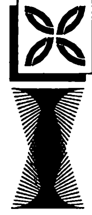
وابتنى تربة وخانقة بدمشق.

وتوفي بها في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة.

(1) برنامج الوادي آشي: 163؛ تذكرة الحفاظ: 4/ 268؛ درة الحجال: 3/ 348؛ الشذرات: 5/ 454.

الفصل الخامس

الأماكن التي تتلمذ فيها المغاربة على مشايخ الرواية والسماع بدمشق

رواية المغاربة عن تاج الدين الكندي بالمقصورة[1] التاجية في الجامع الأموي

يقول عن المقصورة التاجية مؤرخ دمشق محمد أحمد دهمان في كتابه «في رحاب دمشق»:

«إنشاؤها: لا تعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن أنشئت، ولكن النعيمي في «تنبيه الطالب» يفيد بأنها كانت تعرف بمقصورة ابن سنان، ثم بالتاجية، ثم بالسلارية، فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية لأن الغزالي الشهير نزلها ودرَّس فيها بعد الشيخ نصر المقدسي المتوفى سنة (490هـ)، ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قرى بصيدا.

فالظاهر أن المقصورة التاجية ـ وهي حنفية ـ أنشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب، فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي يدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي.

فتاج الدين الكندي أستاذ الملك، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي ـ صديق الملك ـ وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي

---

(1) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها. ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي من عدة مقاصير كانت فيه، وأنها تتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس، وهي من جملة مرافق الطلبة.

هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت، فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده، وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد التي عند باب المشهد، كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان. ومحمد بن عروة الموصلي ـ وهو من خواص الملك المعظم ـ أنشأ على مقربة من التاجية مقصورة أخرى اشتهرت بالعروية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب.

فهذه أمور كلها تشير إلى التكتل الحنفي الذي كان يغذيه الملك المعظم وينميه.

وكان لهذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس، فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه؛ قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية. وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي لجهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الغيدي ويرجع تاريخها إلى سنة (589هـ). وناصح الدين هذا لا نعرف عنه أكثر مما جاء في (الروضتين)، فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (583هـ) أن صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم إلى والي قلعة دمشق الناصح الغيدي. وهناك وثيقة ثانية عنها هي إجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (598هـ) وهي تفيد قائمة عظيمة بأسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من «شرح معاني الآثار» للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم، وبتاج الدين هذا عرفت هذه المقصورة، فترجم لها النعيمي في «تنبيه الطالب» باسم (الزاوية التاجية).

ترجمة تاج الدين الكندي:

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن، بن زيد، بن الحسن، بن

سعيد، بن عصمة، بن حمير، بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي، وهو الذي تنسب إليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق.

نشأته: ولد سنة (520هـ) ببغداد. وتوفي سنة (613هـ) بدمشق فتكون مدة حياته (93 سنة). اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط أبي منصور الخياط، وكان مقرئاً لغوياً نحوياً حنبلي المذهب، فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغوياً حنبلياً وكان أصغر تلامذته وأنبلهم وآخرهم قراءة عليه.

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك، فترك المذهب الحنبلي إلى المذهب الحنفي، ولا نعلم العامل له على ذلك، وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول.

ولكننا نعلم أنه في شبابه غادر بغداد ـ معقل الحنابلة ـ وأخذ عن علماء الشام، وأن آخر عهده ببغداد سنة (563هـ)، فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب، فيبتاعها ويسافر إلى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود إلى حلب. فمن الجائز أن يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية، وأن يكون تحوله إلى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ.

روى علم الحديث عن ابن ناصر، وابن السمرقندي، والأنماطي، وسعد الخير، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي منصور القزاز وغيرهم.

كان شديد الاعتداد بنفسه، والاعتماد على جَده، فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف، بل كان يشتغل بالتجارة، واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر، ولذلك لا نجد له ذكراً في أسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس.

اتصاله بالملوك الأيوبيين: دخل مترجمنا دمشق، فمصر واقتنى عدداً من الكتب القيمة التي بيعت من خزائن الفاطميين، واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره، وصدف أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب القاضي الفاضل في داره، فجرى ذكر بيت من شعر أبي الطيب المتنبي ـ وكان تاج الدين حاضراً ـ فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه، فسأل القاضي عنه، فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي، فنهض فرخشاه وقبض على يد

تاج الدين وخرج به إلى منزله ودام اتصاله به، ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين، فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأمجد صاحب بعلبك، والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين، وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة، فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي)، وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه، فينتظر إلى أن تأتي نوبته. وقد قرأ عليه المفصل للزمخشري، والإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه، وديوان الحماسة، وأمثال هذه الكتب.

مميزاته العلمية: امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى، فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق. والظاهر أن علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد إلا بوساطة الكندي. وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية إلى الشام. ويقول أبو الحسن السخاوي في «شرح المفصل»: لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره، وأخذت عنه كتاب سيبويه، وقرأت عليه كتاب «الإيضاح» لأبي علي مستشرحاً، وأخذت عنه كتاب «اللمع» لأبي الفتح. وكان واسع الرواية، ومن العجب أن سيبويه اسمه عمرو، والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك:

لم يكن في عصر عَمْرٍو مثله ... وكذا الكندي في آخر عصرْ
فهما زيد وعَمْرو، إنما ... بني النحو على زيد وعَمْرو

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث، قصده الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي لعلو إسناده فيهما. قال الحافظ الذهبي: كان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات. فإني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره... ثم إنه سمع الحديث على الكبار، وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث.

أخلاقه: لئن وصفه تلامذته وأصدقاؤه بدماثة الأخلاق وحسن العشرة، فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس. وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاظمين من أقرانه ومنافسيه. وبديهي أن من نال منزلة مثل منزلته، وحظوة عند الملوك مثل حظوته أن لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه، ويزهو في تعاظمه وكبريائه. فعبد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به، فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه: اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي، وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً، له جانب من السلطان، لكنه كان معجباً بنفسه، مؤذياً لجليسه. وجرى بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة. ثم إني أهملت جانبه فكان يتأذى بإهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه. ونرى التاج الكندي يحتقر عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجدي الملتحي.

ونجد القاضي جمال الدين القفطي ـ وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق، وعنده من الإعجاب بنفسه ما عند الكندي ـ حينما يترجم الكندي يقول عنه: كان ليناً في الرواية، معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله. وإذا نوظر جبه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة، ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره.

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (605هـ)، فقد جمعهما مجلس عند الوزير الصفي بن شكر، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى قول إبراهيم ﷺ «إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ» بفتح اللفظتين فقال الكندي: وراءُ وراءُ بضمهما، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر: من هذا؟ فقال: هذا أبو اليمن الكندي. فنال منه ابن دحية وكان جريئاً. فقال الكندي: هو من؟ كلب ينبح... أنت تكذب في نسبك إلى دحية الكلبي ودحية بإجماع المحدثين ما أعقب وقد قال فيك ابن عُنين:

دحية لم يعقب فلم تنتمي ... إليه بالبهتان والأفك
ما صح عند الناس فيه سوى ... أنك من كلب بلا شَكّ

ثم ألف ابن دحية كتاباً سماه «الصارم الهندي في الرد على الكندي» وألف الكندي كتاباً سماه «نتف اللحية من ابن دحية».

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي أنه قال: أُحلت على ديوان حماة برزق فسرت إليها لأجل ذلك، فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة، فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً، فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر: الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة. فقلت: الأول مسلَّم والثاني ممنوع وتفرقنا.

قال أحمد دهمان: قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس؛ لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس. والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعاد عن الناس، وشيخنا الكندي ـ وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمماليك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله ـ غير مدفوع عن التأليف والتصنيف، ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد أن كرس وقته للإفادة والتدريس، وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين. وقد ذكر ياقوت في معجمه أن مؤلفاته هي: تعليقات على ديوان المتنبي، وأُخرى على خطب ابن نباتة، وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي، وكتاب في الفرق بين قول القائل: طلقتك إن دخلت الدار، وبين إن دخلت الدار طلقتك، ألفه جواباً لسؤال ورد عليه، وله غير ذلك. ويتضح مما ذكر أن تآليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة.

مواليه: كان الكندي كثير الإحسان إلى الموالي والرقيق، فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم، منهم (النجيب أبو الدرياقوت) سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره. ويقول عنه ابن كثير: كان لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وتوفي ببغداد سنة (623هـ) وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية.

ومن مواليه وتلميذاته (ست العرب) روى عنها شيخ الإسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن أربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال: أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة (681هـ) وترجمها صاحب الشذرات بقوله: ست العرب بنت يحيى بن قايماز أم الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاهم التاج الكندي، وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات، توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (684هـ).

روى عنه من المغاربة:

1 ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خلف بن سليمان بن خالد بن بهلول بن عبد الرؤوف بن مخارق بن أحمد العبدري (ت610هـ)[1]

روى بالأندلس عن بعض شيوخها ورحل إلى المشرق، وأدى فريضة الحج، وأخذ بمكة شرفها الله عن أبي محمد يونس بن يحيى الهاشمي ابن القطان. وبدمشق عن أبي جعفر بن الفنكي، وأبي نصر هبة الله بن محمد بن مميل الشيرازي، وأبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي، وصحب هنالك أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير، ثم عاد إلى المغرب فاستوطن سلا وحدَّث بها، وروى عن المأمون بن الحسن بن علي، وكان محدثاً عدلاً، ديناً فاضلاً، كريم الأخلاق.

توفي بسلا في شعبان من سنة 610هـ.

2 ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عفير الأموي، مولاهم البلنسي (ت630هـ)[2]

سمع أبا محمد ابن حوط الله، وحج، فسمع يونسَ بن يحيى الهاشمي، وزاهر بن رستم، وعبد الوهاب ابن سكينة، وابن طبرزد، والمؤيد الطوسي،

---

(1) الذيل والتكملة: 3/ 376، 377.

(2) التكملة: 2/ 295؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 14/ 46؛ المستملح من كتاب التكملة: 223.

سمع منه «صحيح مسلم» و«الموطأ» وبدمشق من الكندي «تاريخ بغداد» وعني بهذا الشأن، ثم قفل إلى المغرب، وحدث بتونس.

3 ـ غالب بن محمد بن غالب اللخمي (ت630هـ)(1)

روى بالأندلس عن أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن حُبيش، ورحل مشرقاً، ونزل دمشق، وأخذ بها عن أبي حفص عمر بن طبرزد، وأبي علي خليل الرصافي البغداديين، وأبي اليمن الكندي وغيرهم.

حدث عنه أبو محمد عيسى الرندي، وحدث عنه بالإجازة أبو عبد الله بن عسكر.

4 ـ محمد بن أحمد بن داود بن علي بن ثابت بن منصور التونسي (ت643هـ)(2)

سمع بمصر من أبي القاسم هبة الله بن علي البوصيري، وبدمشق من أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد، وأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي، وأبي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني، وغيرهم. وحدث.

5 ـ أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر المغربي (ت651هـ)(3)

قدم مصر وهو صبي، وقرأ على أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ودخل دمشق، وقرأ بها على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي.

ورجع إلى بلاده وولي قضاء قفصة، ثم بعد ذلك رجع إلى مصر والشام وكان شيخاً حسناً فاضلاً، وله شعر حسن ونثر جيد، ومصنفات حسنة في عدة فنون.

---

(1) التكملة: 1960؛ الذيل والتكملة: 3/ 521.

(2) صلة التكملة لوفيات النقلة: 1/ 157؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 14/ 468؛ المقفى للمقريزي: 6/ 170.

(3) صلة التكملة لوفيات النقلة: 1/ 274؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 14/ 704؛ الوافي بالوفيات: 8/ 288؛ الديباج: 1/ 247؛ نفح الطيب: 2/ 332.

6 ـ محمد بن عبد الله بن محمد المرسي (ت655هـ)

ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[1].

«الإمام العلّامةُ البارعُ القدوةُ المُفَسِّرُ المحدّثُ النحويُّ ذو الفنون شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفضلِ السُّلميُّ المُرسيُّ الأندلسيُّ.

وُلد بمُرْسِيَةَ في أولِ سنةِ سبعينَ أو قبلُ بأيامٍ.

وسَمِعَ «الموطأ» من المحدِّثِ أبي محمدِ بنِ عبيدِ اللَّهِ الحجْريّ في سنةِ تسعين وخمسِ مئةٍ، وسَمِعَ من عبدِ المنعمِ بن الفَرَسِ، ونحوِه، وحجّ، ودخلَ إلى العراقِ وإلى خراسانَ والشام ومصرَ، وأكثرَ الأسفارَ قديماً وحديثاً، وسمعَ من منصورٍ الفُرَاويِّ، والمؤيّدِ الطُّوسيِّ، وزينبَ الشَّعريّةِ، وعبدِ المعزِّ بنِ محمدٍ الهَرَويّ، وعدّةٍ. وببغدادَ من أصحاب قاضي المَرستان، وكتبَ، وقرأ وجمعَ من الكتبِ النفيسةِ كثيراً، ومهما فتح به عليه صَرَفَهُ في ثمنِ الكتبِ، وكان متضلّعاً من العلمِ، جيّدَ الفهمِ، متينَ الديانةِ. حدّث «بالسُّننِ الكبيرِ» غيرَ مرةٍ عن منصور.

حدّث عنهُ ابنُ النجارِ، والمحبُّ الطَّبَريُّ، والدِّمياطيُّ، والقاضي الحنبليُّ، والقاضي كمالُ الدين المالكيُّ، وشرفُ الدين الفَزَاري الخطيبُ، وأبو الفضلِ الإِرْبَلِّيُّ، والعمادِ ابنُ البالسيّ، ومحمدُ بنُ المهتارِ، وبهاءُ الدينِ إبراهيمُ ابن المقدسيّ، والشرفُ عبدُ الله ابن الشيخِ، والشمسُ محمدُ ابنُ التاجِ، وابن سَعْدٍ، ومحمدُ بنُ نِعمةَ، ومحمودُ ابنُ المراتبيّ، وعلي القُصَيريّ، وخلقٌ كثيرٌ.

قال ابنُ النجارِ: قَدِمَ طالباً سنةَ خمسٍ وست مئةٍ، فسمِعَ الكثيرَ، وقرأ الفقهَ والأصولَ، ثم سافرَ إلى خراسانَ، وعاد مجتازاً إلى الشامِ، ثم حجَّ.

---

(1) 19/ 312؛ وترجم له: ابن الأبار في التكملة: 2/ 663؛ وذيل الروضتين: 195؛ صلة التكملة للحسيني؛ تاريخ الإسلام للذهبي: 20/ 142؛ الوافي بالوفيات: 3/ 354؛ العقد الثمين: 2/ 81.

قلت: وَسَمِعَ منهُ الإربِلِيُّ الذَّهبيُّ «السُّنن الكبير» كلّه في سنةِ اثنتينِ وثلاثينَ.

قالَ: وقدمَ بغدادَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ، ونزلَ بالنظاميّةِ، وحدثَ «بالسننِ الكبيرِ» و«بالغريبِ» للخَطّابيّ، وهو من الأئمةِ الفُضلاءِ في جميعِ فنونِ العلمِ، له فهمٌ ثاقبٌ، وتدقيق في المعاني، وله تصانيفُ عدّةٌ ونظمٌ ونثرٌ.

إلى أن قال: وهو زاهدٌ متورّعٌ كثيرُ العبادةِ، فقيرٌ مجرّدٌ، متعفّفٌ نَزِهٌ، قليلُ المخالطةِ، حافظٌ لأوقاتهِ، طيّب الأخلاقِ، كريمٌ متودّدٌ، ما رأيتُ في فَنِّه مثلَهُ، أنشدني لنفسه:

مَنْ كانَ يرغَبُ في النجاةِ فما لَهُ ... غيرُ اتِّبَاعِ المُصطفىٰ فيما أتَى
ذَاكَ السّبيلُ المستقيمُ وغيرُهُ ... سُبُلُ الضّلالةِ والغِوَايَةِ والرَّدَى
فاتْبَعْ كِتابَ الله والسُّنَنَ التي ... صَحَّتْ فذاكَ إن اتَّبَعْتَ هُوَ الهُدَى
وَدَعِ السُّؤالَ بِلِمْ وَكَيْفَ فإنَّهُ ... بابٌ يجرُّ ذوي البصيرةِ للعَمَى
الدِّينُ ما قالَ الرَّسُولُ وصحبُهُ ... والتابِعونَ ومَنْ مناهِجَهُمْ قَفَا

قال ابنُ الحاجبِ: سألتُ الضّياء عن المُرسيّ فقالَ: فقيهٌ مناظرٌ نحويٌّ من أهلِ السُّنّةِ صَحِبَنا في الرحلةِ، وما رأينا مِنْهُ إلَّا خيراً.

وقال أبو شامة: كان متفنّناً محققاً، كثيرَ الحجّ، مقتصداً في أمورهِ، كثيرَ الكتبِ محصّلاً لها، وكان قد أُعطي قبولاً في البلاد.

وقال ياقوت: هو أحد أدباءِ عصرنا، تَكَلَّم على «المُفَصّل» للزمخشريّ، وأخذ عليه سبعينَ موضعاً، وهو عذريُّ الهوىٰ، عامريُّ الجَوَىٰ، كلَّ وقتٍ له حبيبٌ، ومن كلّ حُسنٍ لَهُ نصيبٌ. رَحَلَ إلى خراسانَ، وقَدِمَ بغدادَ وأقامَ بدمشقَ وبحلب، ورأيتُه بالمَوْصل، ثم يتبع من يهواهُ إلى طيبهِ، وأخبرني أنّه وُلد بمرسيةَ سنةَ سبعين، وهو من بيتٍ كبيرٍ وحشمةٍ، وانتقلَ إلى مصرَ، وقد لزمَ النُّسكَ والانقطاعَ، وكان لهُ في العلوم نصيبٌ وافرٌ، يتكلَّم فيها بعقلٍ صائبٍ، وذهنٍ ثاقبٍ، وأخبرني في سنة 626 أنّه قرأ القرآنَ على غلبونَ بنِ محمدٍ المرسيِّ صاحبِ ابن هذيلٍ، وعليّ بن الشريكِ، وقرأ الفقه والنحوَ والأُصولَ، ثم ارتحل إلى مالقةَ سنةَ تسعينَ، فقرأ على أبي إسحاق بن

إبراهيمَ بنِ يوسفَ بن دهاقٍ، ويعرفُ بابن المرأةِ. قالَ: ولم يكن بالأندلسِ في فنّهِ مثلُهُ، يقومُ بعلمِ التفسيرِ وعلومِ الصوفيةِ، كانَ لو قال هذه الآيةُ تحتمِلُ ألفَ وجهٍ قامَ بها، قالَ: وما سمعتُ شيئاً إلا حفظتُهُ، قرأ على أبي عبدِ الله الشوذيّ التّلمسانيّ الصالحِ. قال ياقوتُ: فحدثني شرفُ الدّين قال: حدّثني ابن دهاق: حفظتُ وأنا شابٌّ القرآنَ، وكتباً منها «إحياء علوم الدين» للغزاليّ، فسافرتُ إلى تِلمسانَ فكنت أرى رجلاً زرّياً قصيراً طوله نحو ذراعٍ، وكانَ يأخذُ زنبيلَهُ ويحمل السّمكَ بالأجرةِ، وما رآه أحدٌ يصلّي، فاتّفق أني اجتزتُ يوماً وهو يصلي، فلما رآني قطع الصلاةَ، وأخذ يعبث، ثم جاءَ العيدُ فوجدته في المُصَلَّى فقلتُ: سآخذه معي أطعمه فسبقني، وقال: قد سبقتك، احضر عندي، فمضيتُ معه إلى المقابرِ فأحضر طعاماً حاراً يؤكل في الأعيادِ، فعجبتُ وأكلتُ، ثم شرع يُخبرني بأحوالي كأنه كان معي، وكنتُ إذا صلّيت يخيّل لي نور عند قدمي، فقال لي: أنت معجبٌ تظن نفسَك شيئاً، لا، حتى تقرأ العلومَ، قلت: إني أحفظُ القرآنَ بالرواياتِ، قال: لا حتى تعلَمَ تأويلَهُ بالحقيقةِ، فقلت: علّمني، فقال: من غدٍ مرّ بي في السمّاكين، فبكّرتُ فخلا بي في موضعٍ ثم جعل يفسِّر لي القرآن تفسيراً عجيباً مدهشاً، ويأتي بمعاني، فبهرني، وقلتُ: أحبّ أنْ أكتبَ ما تقول، فقال: كم تقول عمري؟ قلت: نحو سبعين سنة. قال: بل مئة وعشر سنين، وقد كنت أقرأ العلم أربعين سنةً ثم تركت الإقراءَ، فاسألِ الله أن يفقهَكَ في الدينِ، فجعل كلّما ألقَى عليّ شيئاً حفظتُه، قال: فجميع ما تَرَوْنَهُ مسّني من بركتِهِ، وسمعتُهُ يقول: قطبُ الأرضِ اليومُ ابنُ الأشقرِ، أو قال الأشقرُ، وإن ماتَ قبلي فأنا أصير القطبَ، ثم قال: المُرْسِيّ: أنشدني ابن دهاقٍ، أنشدني الشَّوْذي لنفسه:

إذا نطقَ الوجودُ أصاخَ قومٌ ... بآذَانٍ إلى نُطْقِ الوُجُودِ
وذَاكَ النُّطقُ لَيْسَ به انعجامٌ ... وَلَكِنْ جَلَّ عن فهمِ البليدِ
فَكُنْ فَطِناً تُنادى منِ قريبٍ ... ولا تكُ من يُنادى مِن بعيدِ

ولقي المرسي بفاس أبا عبد الله محمد ابن الكَتّاني، وكان إماماً في الأصول والزُّهد، قال: فكتبتُ إلى ابن المرأةِ:

يا أيُّها العَلَمُ المرفَّعُ قدرُهُ ... أنتَ الذي فوقَ السِّماك حُلولُهُ
أنتَ الصَّباحُ المستنيرُ لمبتغي ... علمِ الحقائقِ أنتَ أنتَ دليلُهُ
بك يا أبا إسحاقَ يتَّضحُ الهُدى ... بكَ تستبينُ فروعُهُ وأصولُهُ
مَنْ يَزْعُمُ التحقيقَ غيرَكَ إنه ... مثلُ المجوِّز ما العُقُولُ تُحيلُهُ

إلى أن قالَ: وقرأت «كتابَ سيبويهِ» على أبي عليٍّ الشَّلَوْبين جميعَه، فكتب لي بخطّه: تفقّهتُ مع فلانٍ في «كتابِ سيبويه» وقدمتُ إسكندريةَ في صفر سنة أربعٍ وست مئةٍ، ووصل مكةَ في رجبها، فسمع بها، وقدم بغدادَ، فأقام بها نحوَ عامين يشتغل بالعقليات، وسمع بواسط من ابن المَنْدائيّ «المُسندَ» فماتَ في أثناء القراءة، ثم رحل إلى همذانَ سنة سبعٍ، وإلى نيسابورَ وهراةَ وبحث مع العَمِيديّ في «الإرشاد» ومع القُطب المصريّ، وقرأ على المُعين الجاجرميّ تعاليقَه في الخلافِ، ودخلَ مروَ وأصبهانَ، وقرأ بدمشقَ على الكِنْديّ «كتابَ سيبويهِ» وحجَّ مراتٍ، وشرعَ في عمل تفسيرٍ، وله كتابُ «الضوابط» في النحو وبدأ بكتابٍ في الأصلين، وصنّف كتاباً في البلاغةِ والبديعِ، وأملى عليّ «ديوانَ المتنبي». إلى أنْ قال: وأنشدني لنفسِهِ وقد تَمَارَوْا عنده في الصفات:

من كانَ يرغَبُ في النجاةِ فما لَهُ ... غيرُ اتّباعِ المصطفى فيما أَتَى

وذكر الأبيات.

قال: وأنشدني لنفسِهِ:

أبُثك ما في القَلْبِ مِن لَوْعَةِ الحُبِّ ... وما قد جَنَتْ تلك اللّحاظُ على لِبيّ
أعارَتْني السُّقَمَ التي بُجُفونها ... ولكنْ غَدا سُقمي على سُقمِها يُربي

قلت:

وله أبياتٌ رقيقةٌ هكذا، وكان بحرَ معارفَ رَحِمَهُ اللهُ.

قرأتُ بخطّ الكِنْدِيّ في تذكرتِهِ أنّ كُتُبَ المرسيّ كانت مودعةً بدمشقَ، فَرَسَمَ السلطانُ ببيعِها، فكانوا في كلّ ثلاثاءَ يحملون منها جملَةً إلى دارِ السعادةِ، ويحضرُ العلماءُ، وبيعت في نحو من سنةٍ، وكان فيها نفائسُ،

وأحرزتْ ثمناً عظيماً، وصنّف تفسيراً كبيراً لم يتّمه. قال: واشترى الباذرائي منها جملةً كثيرةً.

وقال الشريفُ عزُّ الدين في الوفيات: توفّي المُرسي في ربيعِ الأولِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستٍّ مئةٍ، في منتصفهِ بالعَريشِ، وهو متوجّه إلى دمشقَ، فدُفِنَ بتل الزّعقةِ، وكانَ من أعيانِ العلماءِ، ذا معارفَ متعددةٍ، ولهُ مصنفاتٌ مفيدةٌ.

7 ـ محمد بن أحمد بن الموفق بن جعفر الأندلسي (ت661هـ)[1]

مولده في سنة 575هـ.

سمع ببغداد من الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن محمد الأخضر وغيره. وبدمشق من العلامة أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي، وغيره، وبحلب من الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي.

كان أحد الفضلاء المعروفين والعلماء المشهورين.

8 ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن داود الهواري التونسي (ت666هـ)[2]

مولده سنة 604هـ.

أحضره أبوه العلامة أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي، والقاضي أبا القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني، والشريف أبا الفتوح محمد بن محمد البكري، وأسمعه من الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وأبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وغيرهما، وحدَّث.

9 ـ علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن مسعود المحاربي[3]

روى عن أبيه، وأبي القاسم الملاحي، ورحل إلى العدوة طالباً العلم،

---

(1) صلة التكملة لوفيات النقلة: 1/ 488؛ تاريخ الإسلام: 15/ 44؛ الوافي بالوفيات: 2/ 102؛ البداية والنهاية: 13/ 241.

(2) صلة التكملة لوفيات النقلة: 2/ 572.

(3) الذيل والتكملة: 3/ 150.

فأخذ بفاس عن أبي ذر بن أبي ركب وغيره، ورحل إلى المشرق فحج، وأخذ بالشام عن التاج أبي اليمن الكندي، وعاد إلى بلده غرناطة، فأخذ عنه بها واستقضي فيها، وعرف بالعدل والنزاهة والفضل.

10 ـ البرزالي (ت739هـ)

(ستأتي ترجمته ـ بعون الله تعالى ـ).

المغاربة الذين أجازهم الكندي.

11 ـ محمد بن سعيد بن علي الأنصاري أبو عبد الله الغرناطي الطراز (645هـ)(1)

سمع أبا القاسم بن سمجون، وعلي بن جابر، وخلقاً بعدهما، وأجاز له الكندي من دمشق. وكان شديد العناية بالرواية، معروفاً بالإتقان، موصوفاً بالبلاغة والبيان.

12 ـ راجح بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد القرشي العبدري الميورقي (ت643هـ)(2)

حدث عن أبي زكريا يحيى بن علي المغيلي، وأجاز له أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي.

وكان أحد الصلحاء المشهورين. وجاور بالحرم الشريف مدة.

---

(1) التكملة: 2/ 149؛ الذيل والتكملة 6/ 210؛ تاريخ الإسلام: 14/ 532؛ الإحاطة: 3/ 41؛ جذوة الاقتباس: 1/ 283.

(2) التكملة: 1/ 262؛ صلة التكملة لوفيات النقلة: 1/ 152؛ تاريخ الإسلام: 14/ 440؛ العقد الثمين: 4/ 370.





حضور المغاربة مجالس سماع الحديث تحت قبة النسر بالجامع الأموي

1 ـ من سمع الحديث بقبة النسر بالجامع الأموي

منهم ابن رشد السبتي، كما ورد في ترجمة أبي حفص الكرجي المتوفى سنة 690هـ.

ـ عمر بن يحيى بن عمر، فخر الدين أبو حفص الكرجي.

سمع من ابن اللّتي «مسند الدارمي»، وقرأ كتاب «علوم الحديث» على ابن الصلاح مؤلفه، وسمع أيضاً من ابن الزبيدي وطائفة.

ذكره الذهبي ضمن شيوخه وقال: «فيه مقال ولا يعتمد على نقله».

أجاز لابن رُشيد جميع ما يجوز له روايته ولمن ذكر معه في الاستدعاء يوم السبت عاشر شهر رمضان المعظم من عام أربعة وثمانين وستمائة، وسمع عليه في التاريخ نفسه بقبة النسر من الجامع بدمشق.

ومنهم الحافظ البرزالي الذي قرأ «صحيح البخاري» على الإمام المزي تحت قبة النسر بالجامع الأموي (راجع ترجمة البرزالي).





حضور المغاربة لمجالس سماع الحديث بدار الحديث الأشرفية

ـ موقعها:

تقع دار الحديث الأشرفية في سوق العصرونية، جوار باب القلعة الشرقي.

ـ تاريخ بنائها:

بدئ ببنائها سنة (628هـ) وتم افتتاحها ليلة النصف من شعبان سنة (630هـ).

قال ابن كثير في تاريخه[1]: «كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي، واقف القايمازية، وله بها حمام فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل، وبناها دار حديث وخرب الحمام وبناه سكناً للشيخ المدرس، وأتم بناءها في سنتين، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، ووقف عليها الأوقاف. وكان بها نعل النبي ﷺ، واشترط في الشيخ أن تجتمع فيه الرواية والدراية».

وقال الإمام الذهبي[2]: «ومن شرطه في الشيخ أنه إذا اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قُدم من فيه الرواية».

ما قاله المغاربة في مدح دار الحديث الأشرفية:

قال صلاح الدين الصفدي في ترجمة محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت721هـ) وله أبيات كتبها على حذو نعل النبي ﷺ بدار الحديث الأشرفية:

---

(1) البداية والنهاية: 13/ 146.

(2) تاريخ الإسلام، حوادث: 635.

هنيئاً لعيني أن رأتْ نعل أحمدِ فيا سعد جدِّي قد ظفرتُ بمقصِدي
وقبلتُه أشفي الغليلَ فزادني فيا عجباً زاد الظما عند موردي
ولله ذاك اليوم عيد ومُعلما بمطلعه أرخت مولد أسعُدي
عليه صلاة نشرها طيب كما يحب ويرضى ربنا لمحمد[1]

وقال المقري في «فتح المتعال»[2] وفيه: «وقال الإمام الحافظ ابن رشيد الفهري في رحلته الحافلة الموسومة «بملء العيبة مما جمع بطول الغيبة»: لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل النبوية الكريمة بالمصطفى ﷺ ولشمها حضرتني هذه الأبيات نفع الله تعالى بها».

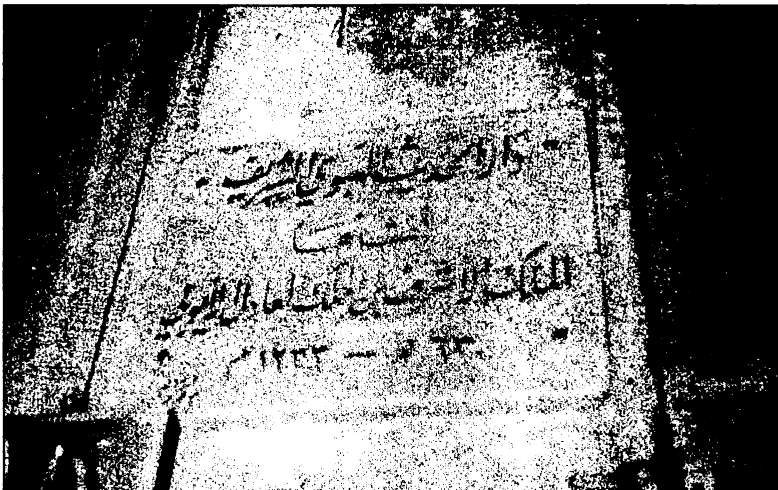
(1) الوافي بالوفيات: 4/ 284.
(2) أزهار الرياض: 3/ 272.



الباب الخارجي للدار



كتابات بدار الحديث الأشرفية



وقال محمد بن جابر الوادي آشي في مدح دار الحديث الأشرفية ونعل النبي ﷺ، ومدح الشام لما زار دمشق سنة (722هـ) وقرأ على الحافظ يوسف المزي بدار الحديث الأشرفية:

دار الحديث الأشرفية لي الشفا فيها رأت عيناي نعلَ المصطفى
ولثمتُه حتى قنعت وقلت: يا نفسي أنعمي أكفاك؟ قالت لي: كفى
لله أوقات وصلت بها المُنى من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة أيامك الأعياد لازمها الصفا
ولكم يجيرون جررت ولم أضف ذيلاً ولا برح هواي وما اختفى

ترجمة واقفها:

قال الذهبي[1] في ترجمة الملك الأشرف: مظفر الدين أبي الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب: ولد بالقاهرة سنة (576هـ)، وروى عن ابن طبرزد، وسمع «الصحيح» في ثمانية أيام من ابن الزبيدي، تملك القدس أولاً، ثم أعطاه أبوه حران، والرُّها وغير ذلك، ثم تملك خِلاط، ثم تملك دمشق، فعدل، وخفف الجور، وأحبته الرعية، وكان مليح الهيئة، حلو الشمائل، قيل: ما هُزمت له راية، ويبالغ في الخضوع للفقراء ويزورهم ويعطيهم، وله فهم وذكاء وسياسة، أخرب خان العقيبة وعمله جامعاً، قال سبط ابن الجوزي: فجلست فيه وحضر الأشرف وبكى وأعتق جماعة من المماليك، وعمل مسجد باب النصر، ودار السعادة ومسجد أبي الدرداء، وجامع جراح، ودارَي الحديث بالبلد، وبالسفح، والدهشة، وجامع بيت الأبار. وقال سبط ابن الجوزي أيضاً: كان الأشرف يحضر مجالسي بحرّان وبخلاط ودمشق، وكان ملكاً عفيفاً قال لي: ما مددت عيني إلى حريم أحد ولا ذكر ولا أنثى، جاءتني عجوز من عند بنت صاحب خلاط شاه أرمن بأن الحاجب علي أخذ لها ضيعة فكتب بإطلاقها، فقالت العجوز: تريد أن تحضر بين يديك، فقلت: باسم الله، فجاءت بها، فلم أرَ أحسن من قوامها،

---

(1) سير أعلام النبلاء: 22/ 122.

ولا أحسن من شكلها، فخدمَتْ فقمت لها، وقلت: أنت في هذا البلد وأنا لا أدري؟ فسفرت عن وجه أضاءت به الغرفة، فقلت: لا، استتري، فقالت: مات أبي واستولى على المدينة بكتمر، ثم أخذ الحاجب قريتي، وبقيت أعيش من عمل النقش وفي دار بالكراء، فبكيت لها، وأمرت لها بدار وقماش، فقالت العجوز: يا خوند (أي: يا سلطان) ألا تحظى الليلة بها؟ فوقع في قلبي تغير الزمان، وأن خِلاط يملكها غيري، وتحتاج بنتي أن تقعد هذه القعدة، فقلت: معاذ الله، ما هذا من شيمتي، فقامت الشابة باكية تقول: صان الله عواقبك.

مرِضَ مَرَض الموت فتاب وابتهل وأكثر الذكر والاستغفار، ولما احتضر قال لابن موسك: هات وديعتي، فجاء بمئزر صوف فيه خِرق من آثار المشايخ وإزار عتيق، فقال: يكون هذا على بدني أتقي به النار، وَهَبنيه إنسان حبشيٌّ من الأبدال كان بالرُّها.

مات في رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وست مئة، وكان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

سماع المغاربة على ابن الصلاح وهو أول من ولي مشيختها.

هو شيخ الاصطلاح تقي الدين ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي.

قال ابن كثير: «درس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية. وهو أول من وليها من شيوخ الحديث، وهو الذي صنف كتاب وقفها. ثم بالشامية الجوانية، وكان ديناً زاهداً ورعاً ناسكاً على طريقة السلف الصالح، كما هو طريقة متأخري أكثر المحدثين، مع الفضيلة التامة في فنون كثيرة، ولم يزل على طريقة جيدة، حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء 25 ربيع الآخر سنة 643هـ وصلي عليه بجامع دمشق وشيعه الناس إلى داخل باب الفرج».

وقد باشرها نحو ثلاث عشرة سنة.

ومن الكتب التي درسها ابن الصلاح بدار الحديث الأشرفية كتابه «علوم الحديث» جاء في النسخة المخطوطة التي قرئت على المؤلف:[1]

«فرغ مصنفه من تصنيفه وإملائه بين صلاتي يوم الجمعة آخر المحرم من سنة أربع وثلاثين وست مئة، سوى ما بعد الحمدلة من صفة الكتاب فإنه أملاه يوم الأحد ثاني صفر سنة أربع وثلاثين أملاه أجمع بدار الحديث الملكية الأشرفية، غفر الله لواقفها ولوالديه في مدة تخللتها فترات صادف أولها يوم الجمعة السابع من شهر رمضان سنة ثلاثين وست مئة وآخرها يوم الجمعة المذكور قبيل، وكان فتح الدار للتحديث وأول مجلس حدث فيه مصنفها أول شهر رمضان المذكور ولله الحمد كله، ومنه الخير كله، وله الكمال كله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

فيما يلي صورة لثلاثة سماعات على المؤلف:

الأول: 28 رمضان سنة (636هـ) بدار الحديث الأشرفية.

الثاني: 5 شوال سنة (640هـ) بدار الحديث الأشرفية أيضاً.

الثالث: 9 جمادى الأولى سنة (641هـ) بدار الحديث الأشرفية أيضاً.

وبآخره توثيق المؤلف بخطه لهذا السماع ونصه: صح ذلك نفعه الله وبلَّغه وإيانا وكتب مؤلف عثمان بن عبد الرحمٰن عفا الله عنه».

من المغاربة الذين سمعوا على ابن الصلاح كتابه «علوم الحديث».

محمد بن أحمد بن عبد الملك أبو مروان الباجي (ت635هـ)

قال عنه ابن عبد الملك المراكشي[2]: «... تلا بالسبع وغيرها على أبي عمر وعياش بن عظيمة، وسمع الحديث على الحافظين أبو بكر: ابن الجد، وأكثر عنه، وابن علي، وبقراءة أبيه على أبي عبد الله بن أحمد بن

---

(1) البداية والنهاية: 13/ 180.

(2) الذيل والتكملة 5/ 286 ـ وله ترجمة أيضاً في: التكملة في وفيات النقلة 3/ الترجمة: 2797 ـ ذيل الروضتين: 164 ـ تاريخ الإسلام 14/ 184. السير 23/ 29 ـ الوافي بالوفيات 2/ 118 ـ نفح الطيب 2/ 379.

المجاهد؛ وأخذ العربية واللغة والآداب على أبي إسحاق بن ملكو وأبي بكر بن طلحة، وأجازوا له إلا أبا إسحاق بن ملكون. وأجاز له أبوه وأبو حفص بن عمر وأبو زيد السهيلي وأبو عبد الله بن الفخار وأبو العباس بن مقدام وأبو القاسم بن بشكوال وأبو محمد بن عبيد الله. ورحل إلى المشرق حاجاً، وسمع بدمشق على نزيلها المحدث الشهير أبي عمرو عثمان ابن الصلاح تأليفه في «علوم الحديث».

وهذا الأصل الذي سمع فيه قد صار إليّ والحمد لله وفيه خطُّ ابن الصلاح بتصحيح التسميع وقد تضمن إذنَه في روايته عنه لكلٍّ من حصل منه نسخة، فانتسخ منه جماعة من جلة أهل العلم ونبلائهم منهم: أبو الحسن الشاري وأبو عمرو عثمان ابن الحاج وأبو القاسم أحمد بن نبيل وغيرهم ونسختُ منه نسخةً لبعض الأصحاب لأمر اقتضى ذلك لم يسعْ خلافه.

أخذ بدمشق أيضاً قراءة منه عن أبي نصر محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي. روى عنه حفيد أخيه أبي محمد وآباء عبد الله: أبو بكر بن أحمد بن سيد الناس ابن أحمد الرندي وابن أبي بكر ابن المواق وابن الحصار نزيل سبتة، وصحبه في وجهته المشرقية وحج معه ولزمه إلى أن فرّق الموت بينهما، وأبو عمرو عثمان بن أحمد بن العوام وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران وأبو محمد بن قاسم الحرار، وروى عنه بدمشق جماعة منهم: أبو عبد الله البرزالي وأبو الحسن القسطار وابن يريم الإشبيليون وأبو محمد بن محمد بن أحمد بن الحجام.

وكان من سادات بيته الأفاضل ببلدهم، ذا خَلْقٍ وسيم وخلق عظيم، دريّ اللون أسيل الوجه حسن الضرب والقد إلى الطول، قد علا بأخرة إحدى كريمتيه بياضٌ لم يشنْها، وكان كريم النفس حسن اللقاء براً بأصحابه ومنتابيه، متواضعاً جميل السعي في حوائج الناس عموماً وخصوصاً، مُبَخَّتاً في تيسير قضائها، متواضعاً صواماً قواماً سري الهمة كامل أدوات الفضل، خطيب زمانه، مثابراً على تلاوة القرآن، حافظاً للحديث، من أحسن الناس صوتاً بهما وأطيبهم نغمة في إيرادهما، جيد الحظ والضبط ذاكراً للفقه، استقضي ببلده أيام إمارة أبي العلاء إدريس بن المنصور من آل عبد المؤمن وبعدها، فعرف

بالعدل والنزاهة ووطأة الأكناف ولين الجانب حتى يقال إنه ما سجن مدة قضائه أحداً. وخطب بجامع بلده دهراً طويلاً وتردد على حضرة مراكش مراراً، موفداً مبروراً خطيباً عند الأُمراء بها مقضيَّ المآرب.

وبعد الطارئ على أبي مروان أحمد ابن شقيقه أبي عمر محمد ـ حسبما تقدمت الإشارة آنفاً إليه ـ عزم على الحج فباع جلّ أملاكه بداخل إشبيلية وخارجها، وفعل في سائرها ما اقتضاه نظره من تصيير وتحبيس وصدقة وغير ذلك من الوجوه، محصناً ذلك كله بالإشهاد عليه، وفصل من إشبيلية لثمان خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، قاصداً من بر العدوة، وأقلع منها في مركب رومي يوم الأربعاء، لسبع خلون من محرم أربع وثلاثين وستمائة سائراً مع العوالي من بر الأندلس إلى مالقة إلى المنكب إلى المرية إلى قرطاجنة إلى لقنت، وفارق برَّ الأندلس إلى جزيرة يابسة إلى جزيرة ميورقة، فدخل مرساها ليلة الخميس الثالثة والعشرين من محرم المذكور، وأقلع منه ليلة الخميس التالي لها إلى جزيرة قَبْرَيْرة فبات بها ليلة الجمعة، وأقلع منها صبح يوم الجمعة إلى مرسى سردانية، فدخله يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر، وأقلع منه يوم الخميس لست خلون من صفر إلى صقلية، فجاوزها ثم ردَّته الريح إلى مرسى سرقوسة إحدى مدن الجزيرة، فدخله ليلة الأربعاء الثانية عشرة من صفر، وأقام به إلى عشية يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأول ونزل إلى سرقوسة وأقام بها من ليلة الأحد الثامنة من ربيع الأول إلى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وانتقل إلى المركب وأقام به ريثما تساعده الريح على سيره، فأقلع منها يوم الأربعاء إلى جزيرة اقريطش في ثمانية أيام، ثم إلى جزيرة قبرص في خمسة أيام، ثم إلى عكا في ثلاثة أيام، وكان المركب يسير كلَّ يوم من سرقوسة إلى عكا مائة ميل، فدخل عكا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب، وقدم دمشق غدوة لسبع خلون من رمضان، وأقام بها إلى منتصف شوّال، فخرج منها مع الركب الشامي وكان له سبعة أعوام لم يتوجه إلى مكة ـ شرفها الله ـ، فصار إلى بصرى في أربعة أيام إلى الأزرق إلى تيماء إلى خيبر إلى مدينة النبي ﷺ

ـ كرمها الله ـ وزار قبر النبي ﷺ، وأقام بها يومين، وانفصل على طريق الركب إلى وادي العقيق وبير علي وذي الحليفة ومنها أحرم إلى شعب علي إلى بدر إلى رابغ إلى الجحفة إلى بطن مر إلى مكة ـ شرفها الله ـ فقدمها لأربع خلون من ذي الحجة فنزل بالأبطح.

ولما قضى فريضة الحج نزل بدار إمام المالكية عند باب العمرة، وكان من أمله التوجه إلى العراق فإذا الركب العراقي لم يصلْ إلى مكة تلك السنة خوفاً من عادية الكافر التركي، ثم خرج من مكة ـ زادها الله شرفاً ـ في محرم خمس وثلاثين متوجهاً إلى مصر، فسرى مدلجاً لشدة الحرّ بالنهار إلى حَدّة ومن حَدّة إلى جُدّة، ومنها ركب البحر فمالت به الريح إلى سُلَق في يوم وليلة، فسار منها مصعداً إلى دبادب وخرج في البر وسار منها ثمانية أيام إلى عيذاب في صحْراءِ البُجَاة، وهم نصارى سود، وأقام بها نحو ثمانية وعشرين يوماً، وقطع صحراءها في عشرين يوماً إلى قنا، وكان بهذه الرفقة في نحو سبعين رجلاً، فلقيهم في تلك الصحراء قوم من النوبة دخلوها للغارة، فسلبوا الرفقة، وسار من قنا إلى قوص في يوم.

وكان الملك الكامل قد توجه إلى دمشق وجهاتها ذلك العام يحاول ردَّ البلاد التي كانت لأخيه الأشرف إلى طاعته، فوافاه وهو بالورادة من طريق دمشق الخبر بأنه وصل إلى الحج وإلى دمشق رجل مغربي فاضل يعرف بالباجي، وأثنوا عليه خيراً عنده، وقد كان صاحبَ المدارس بمصر أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية، المذكور قبلُ بموضعه من هذا المجموع، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، حسبما ذكر هنالك، فتولى النظر فيها مَنْ لا يصلح لها. ولما أُثنيَ على أبي مروان الباجي عند الملك الكامل أراد صَرْفَ النظر في المدارس المصرية إليه، فسأل عنه فأخبر أنه قد نهض إلى الحج، فأمر بالبحث عنه في جميع بلاده وتلقي الركبان في شأنه والإحسان إليه وإفادِهِ عليه، فطيرتِ الحمامُ من بلد إلى بلد في الوَصَاة به.

فبينا أبو مروان قد قدم على قوص، كما ذكر آنفاً، خرج إلى الركب قومٌ من قبل والي المدينة يسألون عنه حسبما أمروا به، فأخبروا بأنه في تلك

القافلة، فاجتمعوا به وساروا معه إلى والي قوص، وكان يدعى بابن زغبوش، فألقى إليه أمر الملك الكامل في حقه وبالغ في إكرامه والحفَاية به، ودفع له خمسين ديناراً مصرية وأثواباً من لباس أهل تلك البلاد فيها حرير فأبى أبو مروان قبول شيء من ذلك، وبعد لأي ومراجعة طويلة قبل الدنانير على كراهة، وردَّ الأثواب وقبض تلك الدنانير بعضُ خدمته وكان يدعى بابن مَذْكور؛ وسمعه حينئذ بعض خواصه وهو أبو الحجاج الأُبدي، وكان ممن حجَّ معه، يدعو بدعاء قال فيه: اللهم اقبضني إليك قبل الاجتماع به.

ثم سار من قوص في النيل إلى أخميم إلى مُنية ابن خصيب، ولها مسجد جامع حسن على شاطئ النيل، فقال أبو مروان: قد كنتُ سمعت بهذا الجامع وأريد الصلاة به، فصار إليه فإذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم، فصلَّى به الظهر والعصر والمغرب، ولما همَّ بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين وقد سألوا عنه فأخبروا به فأقبلوا إليه مسلِّمين عليه وراغبين منه في مبيته عندهم، فبات معهم وانصرف من الغد إلى السفينة وبه شكاة، وسئل عن غذائه عند أولئك الذين أضافوه فقال: ما كان إلا يسير تمر وعسل.

وأقلع من منية ابن خصيب إلى مصر، وقطع تلك المسافة في سبعة أيام، والشكاة متزايدة؛ ولما ورد مصر أراد دخولها في خفية حتى لا يشعر به أحد، فدخلها وقت العشاء ونزل منها بخان الملاحين، ويعرف بخان ابن الرصاص، ولم يعلم أحد بوصوله، فأقام به ليلته تلك ويومها، وتوفي في ثلث الليلة القابلة، وهوَّن الله عليه الموت ويسَّره تيسيراً عجيباً؛ ولما أصبح ميتاً أقبل جماعة من الصلحاء والزهاد في طائفة كبيرة من لفيف الناس، مغلّسين يقرعون باب الخان، ويقولون لقيمه: افتحْ لنا نُصَلِّ على الفقيه أبي مروان الباجي المتوفَّى الليلة هنا، وكان ممن حضر ذلك الجمع رجلٌ صالح فاضل من أهل العلم والدين يدعى بعزِّ القضاة ويعرف بابن الجبَّاب، من بيت جلالة وعلم بمصر، فتوجه مع حفيد أخي أبي مروان وبعض خواصه إلى العادل ابن الملك الكامل الذي استنابه أبوه على مصر، فوافوه بقصره من القلعة بالجبل المقطم المطل على القاهرة ومصر، فأعلمه بوصول الفقيه أبي مروان فسرَّ به وسأله عنه

فقيل: وصل بارحة أمس وتوفي الليلة، فتأسف لذلك، وأمر بتجهيزه فقال له حفيد أخيه وأصحابه: عنده جهازه، فشرع في غسله وتكفينه، وأُلقي في النعش ورمي عليه كساء أخضر، ولُف بشريطتي غم طويلتين لفاً محكماً متقارباً، حتى كان بين الشريطتين غلظ إصبع، وصلى عليه جمهور الناس بالخان. ولما فرغ الغاسل منه وخرج بالرداء الذي غسله فيه تعلق الناس بذلك الرداء وغلبوه عليه حتى لم يبق بيده منه إلا قدر ما أمسك بأنامله، والسعيد منهم من صار إليه منه قدر فتيل لكثرة ترامي الناس عليه، وكان منهم من رغب من الغاسل في بيع ما بقي عنده من الرداء، فباعه منه ولم يكن بقي عنده منه إلا يسير.

وحمل الفقيه على تلك الحالة وقت صلاة العصر إلى المصلَّى بالشريعة وسير به سيراً حثيثاً، فاستبق الناس إليه، فمنهم من يرمي إليه عمامته فإذا وصلت إلى النعش وجذبها اشترك ناس معه فيها فلا يبقى له منها إلا قدر ما يمسك بيده، ومنهم من يرسل رداءه فيجري الحال فيه على ذلك، وصلي عليه هنالك مرةً ثانية في جمع عظيم ثم سير به كذلك إلى مدفنه بالقرافة حيث قبور الصالحين والفضلاء، وإذا جماعة كبيرة من كبراء الناس وأعلامهم ينتظرونه هنالك، لم يكونوا صلوا عليه فقالوا: لا بد أن نصلي عليه قبل دفنه، فصلوا عليه وهو بشفير القبر مرة ثالثة، ووري في قبره بمقبرة الشهداء المنسوبة إلى سارية، واختطف الناس تراب قبره مرة ثم ثانية ثم ثالثة، وأقبل عليهم الليل وانفصلوا عنه فلما كان من الغد أصبح قبره مبنياً كأحسن ما يبنى من القبور.

ومن المغاربة أيضاً الذين سمعوا على ابن الصلاح كتابه «علوم الحديث»:

ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مسعود الكتامي (ت697هـ)[1]

تلمسيني سكن سبتة؛ أبو عبد الله ابن الخضار ـ أخو الأستاذ المجود أبي الحسن ـ.

سمع بسبتة على الرئيس الفقيه أبي القاسم العزفي سيرة رسول الله ﷺ، والدُّر المنظم، من تأليفه مرات؛ وأجازهما له؛ وأجاز له بها أبو العباس بن

---

(1) صلة الصلة: 17 ـ برنامج الوادي آشي: 128 ـ درة الحجال 2/ 263 ـ برنامج التجيبي: 62 الذيل والتكملة 5/ 375.

محمد المورورى؛ وأبو عمرو عثمان بن محمد العبدري ابن الحاج، وسمع بها على أبي مروان محمد بن أحمد الباجي، وفي وجهته صحبه إلى المشرق.

وبدمشق على أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي، وأبي العباس أحمد بن يوسف ابن زيري التلمسيني، وأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن بن الصلاح وأبي نصر محمد بن هبة الله بن مميل؛ وناوله بها أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي القاسم بن عبد الرحمٰن بن عبد المنعم؛ وأجازوا له؛ وأجاز له بها أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن بن المقير، وأبو عبد الله بن يوسف البرزالي، وعبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الأربلي وعثمان بن عمر المالكي.

روى عنه غير واحد من أصحابنا.

قال ابن عبد الملك: ولقيته بسبتة وحاضرته كثيراً وبايته وشاهدت من ذكائه وحضور ذكره ما يقضي منه العجب. وكان تاريخياً حافظاً أكمه، يخترق أزقة سبتة وربضها دون اعتماد على أحد، وسايرته ببعض شوارعها فربما عطف بالترحم أو بالذكر على زقاق أو مقبرة عند محاذاته إياهما وأخبرت عنه بعجائب أغرب من هذا النوع.

صورة سماعات على الحافظ ابن الصلاح لكتاب علوم الحديث بدار الحديث الأشرفية وعليها خطه

سماع آخر على الحافظ ابن الصلاح

صورة سماع على الحافظ ابن الصلاح لكتاب علوم الحديث بدار الحديث الأشرفية وعليه خطه

سماع المغاربة لكتاب «السنن الكبرى» للبيهقي على ابن الصلاح بدار الحديث الأشرفية.

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ما مختصره[1]:

كتاب «السُّنن الكبرى» للحافظ أبي بكر البيهقي طبع في الهند في مدينة حيدر آباد من سنة (1344) حتى (1355) في عشرة مجلدات ضخام.

هذا الكتاب الفخم الضخم حظي بعناية الحافظ ابن الصلاح، وقراءته وسماعه منه من أوله إلى آخره في (757) مجلساً، وسمع المجلد الثامن منه عدد كبير (93) محدثاً في (90) مجلساً في دار الحديث الأشرفية بدمشق.

ومما تتميز هذه المجالس بذكر السماعات فنجد فيها:

1 ـ الضبط لعدد مجالس السماع التي بلغت في المجلد الثامن تسعين مجلساً كما تقدم، وأولها في هذا المجلد المجلس (527) وآخرها المجلس (617).

2 ـ تعيينها بخط الشيخ ابن الصلاح المقروءة عليه، كالشهادة منه بذلك.

3 ـ ذكر السامعين عليه بألقابهم وكناهم وأسمائهم وأنسابهم تعريفاً بهم.

4 ـ ضبط أحوال السامعين، منهم من سمع المجالس كلها من غير فوات، ومن سمعها وهو يتحدث خلال السماع، ومن سمعها وهو ينسخ خلال ذلك، ومن سمع وقد جمع كل ذلك، وتعيين حال كل واحد منهم.

5 ـ تاريخ الفراغ من إسماع الشيخ ابن الصلاح هذا المجلد.

6 ـ تعيين المكان الذي أسمع فيه هذا الكتاب.

7 ـ تعيين اسم كاتب الأسماء ومثبت السماع بخطه.

هذا السماع يتميز بالضبط والإتقان والإحصاء والتسجيل، يدل على ما كان عليه ابن الصلاح من عناية بالرواية ضبطاً وأداء، ومن عناية الرواة

---

(1) الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث: 102.

المتلقين عنهم سماعاً وتحملاً، في كتاب كبير مثل «كتاب السنن الكبرى».

هذه العناية في مثل هذا الكتاب الضخم لا ينشط لقراءته وإسماعه إلا مثل الإمام ابن الصلاح، ومن تأسى به وبعلو همته.

من المغاربة الذين حضروا مجالس سماع سنن البيهقي:

علم الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد العطار الإشبيلي

سماع المغاربة لصحيح الإمام البخاري على مسندي الوقت ابن الزبيدي والحجار بدار الحديث الأشرفية.

ابن الزَّبيدي(1)

الشَّيخُ الإِمامُ الفقيه الكبير مُسْنِدُ الشام سراجُ الدِّين أبو عبد الله الحُسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن مُسْلِم الرَّبَعِيُّ الزَّبيديُّ الأصل البَغْداديُّ البابْصريُّ الحنبليُّ مدرس مدرسة الوزير عون الدين ابن هُبيرة.

ولد سنة خمس أو سنة ست وأربعين وخمس مئة.

وسمع من جدِّه، وأبي الوَقْت السِّجْزِيّ، وأبي الفتوح الطائيّ، وأبي زُرْعَة المَقْدسيّ، وجعفر بن زيد الحَمَويّ، وأبي حامد الغَرناطيّ.

وأجازَ له أبو عليّ أحمد بن أحمد الخَرَّاز.

وروى ببغدادَ، ودمشق، وحلب. وكان إماماً، ديّناً، خَيّراً، متواضعاً، صادقاً.

حَدّث عنه ابنُ الدُّبيثيّ، والضّياءُ والبِرْزَاليُّ، وسالم بن ركاب، ونصر بن عُبيد، وابن أبي عُمر، والشهاب ابن الخرزيّ، والشيخ إبراهيم الأُرمَوِيّ، والملكُ الحافظ محمد الأيوبيُّ، وغيرهم.

قال الذهبي:

قرأت بخط ابن المجد، قال: بقي في نفسي عند سفري من بغداد

---

(1) تكملة المنذري: 3/ الترجمة 2512؛ سير أعلام النبلاء: 22/ 357؛ العبر: 5/ 124؛ المختصر المحتاج إليه: 2/ 44؛ دول الإسلام: 2/ 103؛ الوافي بالوفيات: 11/ 105؛ الجواهر المضية: 1/ 216؛ الذيل لابن رجب: 2/ 188؛ النجوم الزاهرة: 6/ 286؛ شذرات الذهب: 5/ 144.

سنة ثلاثين أنني أقدِم بلا شيخ يروي «صحيح البخاري»، ثم أنه ذكر قصة ابن روزبة، وأنّه سَفَّرَهُ سنة 626 وأعطوه خمسين ديناراً من عند الملك الصالح، فلما وصل إلى رأس عين أرغبوه فقعد وحدّثهم بالصحيح، ثم أرغبوه في حَرّان فرواه لهم، ثم بحلب كذلك، وخَوّفوه من حصار دمشق، فرجع إلى بغداد، قال: فأتيته وقد ذاق الكَسْبَ فاشتَطّ واشترطَ أُموراً، فَكَلَّمْنا ابنَ القَطِيعيّ فاشترط مثل ذلك، فمضيتُ إلى أبي عبد الله ابن الزَّبيدي، وأنا لا أطمع به، فقال: نستخير الله، ثم قال: لا تُعْلِمْ أحداً، وحَرَّضَهُ على التوجّه ابنه عُمر، وكان على الشيخ دين نحو سبعين ديناراً، فرافقناه فكان خفيف المؤونة كثير الاحتمال، حَسَن الصُّحبة، كثير الذكر، فنعم الصاحب كان.

قلت: فَرِحَ الأشرف صاحب دمشق بقدومه، وأخذه إلى عنده في أثناء رمضان من العام، وسمع منه «الصحيح» في أيام معدودة، وأنزله إلى دار الحديث وقد فُتحت من نحو شهر، فحشدَ النَّاس وازدحموا، وسمعوا الكتاب، ثم أخذه أهل الجبل، وسمعوا منه الكتاب و«مسند الشافعي» واشتهر اسمه، ورَدَّ إلى بلده، فَقَدِمَ مُتَعَلّلاً، وتوفِّي إلى رحمة الله في الثالث والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وست مئة[1].

روى عنه صحيح البخاري من المغاربة:

محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الشَّاغوري عفيف الدين أبو عبد الله المغربي (ت676هـ)[2]

سمع على الحسين بن المبارك الزبيدي «صحيح البخاري» وحدَّث به مع سبعة وعشرين شيخاً في سنة (666هـ) بجامع دمشق بقراءة شرف الدين ابن الفزاري.

---

(1) سير أعلام النبلاء 22/ 357.

(2) ذيل التقييد: 1/ 182؛ ذيول العبر: 4/ 193؛ الوفيات لابن رافع: 2/ 236؛ وذيل تذكرة الحفاظ: 132؛ الدرر الكامنة: 4/ 23.

2 ـ الحجار

هو: أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحجار المعروف بابن الشحنة (ت730هـ).

ولد سنة 624هـ تقريباً.

سمع من ابن الزبيدي وابن اللتي وأجازه العديد من الشيوخ المسندين الكبار.

يقول الحافظ ابن كثير: «وله إجازة من بغداد فيها 138 شيخاً من العوالي المسندين».

مكانة الحجار في رواية «صحيح البخاري» (من خلال كلام: الذهبي، وابن كثير):

1 ـ قول الذهبي:

يقول فيه تلميذه، الحافظ الذهبي: «المعمّر الكبير، رحلة الآفاق نادرة الوجود».

وقال أيضاً: «ظهر هذا الرجل للطلبة في سنة 706هـ فنبه عليه الشيخ أحمد ابن الحلبية المقرئ وقال: عند المعظمية شيخ حجار من أهل الصالحية، سلوه: هل سمع شيئاً؟ فإن هذا رجل مُسن وعمره بالجبل، فلعله قد سمع، فأتوه وسأله الشيخ محب الدين: أما سمعت شيئاً؟ فقال: كان شيء وراح، فسألوه عن اسمه وفتشوا الطباق، فظهر اسمه على ابن اللتي من أجزاء، ثم ظهر اسمه إلى أوراق الأسماء لسامعي البخاري، وقصد بالسماع وصار من أمره ما صار.

فأتيته وسمعت منه في سنة 706هـ وسألته عن سنه إذ ذاك فقال: أذكر موت المعظم، وموت المعظم في سنة أربع وعشرين فسألته عن حصار الناصر داود في سنة ست، فعرفه وقال: كنت أروح بين أخوتي إلى الكتاب حينئذ، ولكن سأله قبلي بأيام الشيخ علم الدين فقال: لي الآن اثنتان أو ثلاث وثمانون سنة فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث أو أربع وعشرين وستمئة، ولما

قرأت عليه الصحيح بكفربطنا في شعبان سنة عشرين كان يقول لهم: قد كملت المئة، ولي مئة سنة.

وهو شيخ كامل البنية له همة وجلادة وقوة نفس وعقل جيد، وسمعه وقد ذهب غالب أسنانه، وقد روى الصحيح إلى آخر سنة 726هـ أزيد من ستين مرة، وإليه المنتهى في الثبات وعدم النعاس، ربما أسمع في بعض الأيام من بكرة إلى المغرب، وقد حدث بمصر مرتين بالصحيح وبحماة وبحمص وبعلبك، ويعطى على تسميع الصحيح من خمسين درهماً إلى مئة، وحصل له في سفراته ذهب كثير وخلع وإكرام زائد، وقرر له جامكية، وكان في أواخر أمره يدخل إلى البلد ماشياً.

قال لي: تنزلت في قلعة دمشق حجاراً بعد رواح الخوارزمية، وله من ابن بهروز والقطيعي وياسمين البيطارية وطبقتهم وقال لي: كان لي في دير مقرن كروم وبستان فتحول إلى الصالحية وولي بها نحواً من سبعين سنة، وإن أخوته خليفة وناصر ومحمد كانوا حجارين بالقلعة فخلف خليفة بنتين ماتتا، ومحمد لم يتزوج وناصر خلف بنتاً، وذكر عن نفسه أنه تزوج بأربع نساء وجاءه أحد عشر ولداً، وله في حدود العشرين، بنتان يعيشان ثم ماتت الواحدة وخلف ابنة على ثلاث أولاد وخلف ابنه عبد الرحيم خمسة، ولبنته فاطمة من أحمد الحجازي أربعة أولاد.

وفيه دين وملازمة للصلاة لكن ربما أخرها في السفر ويقضيها على طريقة العوام، وكان أمياً لا يكتب ولا يقرأ إلا اليسير من القرآن. حدث في صفر سنة 730هـ. تحدثوا بموته وأفاق فقرؤوا عليه أجزاء ثم مات يوم الخامس والعشرين من الشهر[1].

2 ـ قول ابن كثير:

ويقول الحافظ ابن كثير: «وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحواً من 500 جزء بالإجازات والسماع، وسماعه من الزبيدي وابن

(1) معجم شيوخ الذهبي: 92، 93.

اللتي، وله إجازة من بغداد فيها 138 شيخاً من العوالي المسندين. وقد مكث مدة مقدم الحجارين نحواً من 25 سنة، ثم كان يخبط في آخر عمره، واستقرت عليه جامكيته لما اشتغل بإسماع الحديث، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر، وخلع عليه وألبسه الخلعة بيده، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة، وانتفع الناس بذلك، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر ممتعاً بحواسه وقواه، فإنه عاش مئة سنة محققاً، وزاد عليها؛ لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة 630هـ وأسمعه هو في سنة 730هـ في تاسع صفر بجامع دمشق، وسمعنا عليه يومئذ ولله الحمد»[1].

روى عنه صحيح البخاري من المغاربة:

محمد بن عبد الرحمٰن بن سعد الصنهاجي[2]

سمع من زينب بنت شكر «الثقفيات» ومن الحجار وست الوزراء «صحيح البخاري» ومن ابن الصواف مسموعه من النسائي وله ثبت، وخرج له ابن طغريل أربعين.

ـ محمد بن محمد سهل.

سماع المغاربة لمصنفات الحافظ المزي بدار الحديث الأشرفية.

هو أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمٰن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن علي بن أبي الزهر الكلبي القضاعي[3].

وُلد في ليلة العاشر من شهر ربيع الآخر (654هـ) بالمعقلية بظاهر حلب، ونشأ بالمزة، فهو حلبي الأصل مزي النشأة دمشقي الموطن والوفاة.

---

(1) البداية والنهاية: 14/ 157.
(2) الدرر الكامنة: 3/ 498.
(3) البداية والنهاية: 14/ 89.

طلبه العلم ورحلته في سبيله:

لقد اتجهت عناية المزي في أول الأمر إلى تحصيل كتاب الله العزيز، فحفظ القرآن في صغره وقرأ شيئاً من الفقه والعربية ثم دخل مدينة دمشق، وشرع في طلب الحديث بنفسه في أول سنة (675هـ) وله عشرون سنة، فسمع من علماء بلده، كابن أبي الخير، وعبد الرحمٰن بن أبي عمر الحنبلي، والقاسم بن غنيمة الإربلي والمسلم بن علان القيسي وطبقتهم من أصحاب ابن طبرزد وحنبل والكندي.

فلما استكمل المزي أعظم شيوخ عصره، تاقت نفسه إلى الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه، وتحصيل علو الإسناد ولقاء الحفاظ والاستفادة منهم، فزار عدة أمصار، فقد رحل سنة (683هـ) إلى مصر، فسمع من العز الحراني وأبي بكر ابن الأنماطي وابن خطيب المزة وغازي بن أبي الفضل وطبقتهم.

ورحل إلى الحرمين فحج سنة (723هـ)، وزار أيضاً حلب وحماة وبعلبك والقدس ونابلس وغيرها.

وهكذا قضى المزي حياته منهمكاً في طلب العلم والاستزادة منه، فاستوعب أعوامها واستغرق بالطلب لياليها وأيامها وسهر الدياجي في العلم إذا سهرها غيره في الشهوات أو نامها.

وقد رحل في سبيل العلم إلى جل المدن الشامية وغيرها حتى إذا استقامت له أسباب المعرفة وتهيأت له مؤهلات الرواية وأسلس العلم له قياده، جلس يلقي دروسه على طالبي العلم.

ولايته لدار الحديث الأشرفية:

وُلي المزي دار الحديث الأشرفية في يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة (718هـ) وليها بالرغم من معارضة الكثيرين بسبب صحبته لشيخ الإسلام ابن تيمية وتأييده لآرائه، لكن علمه وفضله وهما مما لا يستطيع أن ينكره الأشاعرة ولا غيرهم، جعلهم يضطرون إلى توليته هذه الدار التي كانت تعد من أكبر دور الحديث بدمشق.

بالرغم من أنه كتب بخطه حين وليها بأنه أشعري، فقد أبانوا عن سخطهم، فلم يحضروا حفل الافتتاح كما جرت العادة آنذاك، قال ابن كثير: «ولم يحضر عنده كبير أحد، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه، وما عليه منهم إذا لم يحضروا؟ فإنه لا يوحشه إلا حضورهم عنده، وبعدهم آنس، والله أعلم»[1].

وقد جرت محاولات عدة لإخراجه من مشيخة هذه الدار باءت كلها بالفشل لما كان يتمتع به المزي من المكانة الرفيعة بدمشق، تلك المكانة التي اعترف بها المخالف قبل الموافق، واستمرت المكائد تحاك ضده حتى وهو في آخر شيخوخته، ففي سنة (739هـ) ولي تقي الدين السبكي قضاء الشافعية بدمشق وما أن وصل دمشق حتى حضر عنده الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكيم المالكي بعد ليلة واحدة من دخوله وكان صدر الدين أشعرياً جلداً متعصباً على المخالفين[2] ولكن التقي السبكي كان يحبه، فروى التاج السبكي أن والده التقي قال: «دخل إليَّ وقت العشاء الآخرة، وقال أموراً يريد بها تعريفي بأهل دمشق، قال: فذكر لي البرزالي وملازمته لي.

ثم انتهى إلى المزي فقال: وينبغي لك عزله عن مشيخة دار الحديث الأشرفية، قال الشيخ الإمام (يعني: التقي): فاقشعر جلدي وغاب فكري وقلت في نفسي: هذا إمام المحدِّثين، والله لو عاش الدارقطني استحيَى أن يدرِّس مكانه، قال: وسكت، ثم منعت الناس من الدخول عليَّ ليلاً وقلت: هذه بلدة كثيرة الفتن، فقلت أنا للشيخ الإمام: إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث، ولكنه كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد أن يكون أشعري العقيدة، والمزي وإن كان حين وليَ كتب بخطه بأنه أشعري، إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك، فقال: أعرف أن هذا هو الذي لاحظه صدر الدين، ولكن من ذا الذي يتجاسر أن يقول: المزي ما يصلح

---

(1) الذيل على العبر: 276.
(2) طبقات الشافعية: 10/ 397.

لدار الحديث، والله ركني ما يحمل هذا الكلام»[1].

وقد استمر المزي متولياً لهذه الدار طيلة حياته، وكانت مسكنه، فكانت ولايته لها قرابة أربعة وعشرين عاماً، ومنها نشر علمه الجم، وفيها حدَّث بكتابه العظيم «تهذيب الكمال» وغيره، وسمعها عليه الجلة من شيوخ العصر.

وكان المزي، إضافةً إلى ذلك شيخاً لدار الحديث الحمصية المعروفة بحلقة صاحب حمص، ولكنه تنازل عنها لتلميذه الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي (ت761هـ) فدرس العلائي بها في محرم سنة (728هـ).

وحينما توفي رفيقه علم الدين البرزالي (739هـ) تولى المزي أقدم دار حديث بدمشق وأعرقها هي دار الحديث النورية إلى حين وفاته، فوليها بعده تلميذه ابن رافع السلامي، وكان بدء تدريس المزي في هذه الدار سنة (640هـ) وكتب له تلميذه الصلاح الصفدي التوقيع بمشيختها أورد نصه الكامل في كتابه: «أعيان العصر».

ثناء العلماء عليه:

نرى من المفيد أن نقتطف هنا آراء العلماء والنقاد المعاصرين له، لما لذلك من أهمية في توثيقه وبيان فضله ومنزلته.

فقد اتصل به فتح الدين ابن سيد الناس اليعمري بعد سنة (690هـ) فقال في حقه[2]. «ووجدت بدمشق من أهل العلم الإمام المقدم والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم أبا الحجاج المزي، بحر هذا العلم الزاخر وحبره القائل من رآه: كم ترك الأوائل للأواخر، أحفظ الناس للتراجم، وأعلم الناس بالرواة من أعارب وأعاجم، لا يخص بمعرفته مصراً دون مصر ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر... وهو في اللغة أيضاً إمام... فكنت أحرص على فائده لأحرز منها ما أحرز... وهو الذي حداني على رؤية شيخ الإسلام ابن تيمية».

---

(1) ذيل العبر للذهبي: 156.

(2) أجوبة ابن سيد الناس: 2/ 220.

وقال عنه الذهبي في معجم شيوخه الكبير: «العلامة الحافظ البارع أستاذ الجماعة جمال الدين أبو الحجاج، محدِّث الإسلام الكلبي القضاعي المزي الدمشقي الشافعي... طلب هذا الشأن سنة خمس وسبعين وهلمَّ جرّاً إلى اليوم، فما ونى ولا فتر ولا لها ولا قصر، وعني بهذا الشأن أتم عناية وقرأ العربية، وأفاد وأكثر من اللغة والتصريف، وصنف وأفاد... وكتب الكثير ورواه مع السمت الحسن والاقتصاد والتواضع والحلم وعدم الشر والله يصلحه وإيَّاي»[1].

وقال في تذكرة الحفاظ: «شيخنا الإمام العالم الحبر الحافظ الأوحد محدِّث الشام... وأما معرفة الرجال، فهو حامل لوائها والقائم بأعبائها، لم تر العيون مثله... وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله... وكان ثقة حجة كثير العلم حسن الأخلاق، كثير السكوت، قليل الكلام جدّاً، صادق اللهجة لم تعرف له صبوة وكان يطالع وينقل الطباق إذا حدَّث وهو في ذلك لا يكاد يخفى عليه شيء مما يقرأ، بل يرد في المتن والإسناد رداً مفيداً يتعجب منه فضلاء الجماعة»[2].

وقال في معجمه المختص بمحدِّثي العصر[3]: «كان خاتمة الحفاظ، وناقد الأسانيد والألفاظ، وهو صاحب معضلاتنا وموضح مشكلاتنا... ولو كان لي رأي للازمته أضعاف ما جالسته فإنني أخذت عنه هذا الشيء بحسبي لا بحسبه، وكان لا يكاد يعرف قدره إلا من أكثر مجالسته.

وقال أيضاً: «وقد كان مع حسن خطه ذا إتقان قلَّ أن توجد له غلطة، أو تؤخذ عليه لحنة»[4]. وقال أيضاً: «وكان مأمون الصحبة، حسن المذاكرة، خير الطوية، محبّاً للآثار، معظماً لطريقة السلف، جيد المعتقد، وكان اغتر في شبيبته وصحب العفيف التلمساني، فلما تبين له ضلاله هجره وتبرأ منه.

---

(1) معجم شيوخ الذهبي: 307.
(2) ج4/ 1498.
(3) ص: 197.
(4) المعجم المختص: 198.

وكان الإمام الذهبي يورد سلسلة أعاظم الحفاظ، وكتبها بخطه وعنه أخذها الصلاح الصفدي والتاج السبكي وقرأها عليه.

قال الذهبي: «ما رأيت أحداً في هذا الشأن أحفظ من الإمام أبي الحجاج المزي وسمعته يقول في شيخنا أبي محمد الدمياطي: أنه ما رأى أحفظ منه، وكان الدمياطي يقول: أنه ما رأى شيخا أحفظ من زكي الدين عبد العظيم... إلخ»[1].

ونقل الصفدي عن الذهبي قوله: «لم يسألني ابن دقيق العيد إلا عنه»[2].

وقال الذهبي نفسه في ترجمة الضياء المقدسي (ت643هـ): «سألت الحافظ أبا الحجاج المزي وما رأيت مثله».

وقال شمس الدين الحسيني (ت765هـ): «وكان مع تبحره في علم الحديث رأساً في اللغة العربية والتصريف، له مشاركة جيدة في الفقه وغيره، ذا حظ من زهد وتعفف ويقنع باليسير وقد شهد له بالإمامة جميع الطوائف، وأثنى عليه الموافق والمخالف»[3].

وقال الصلاح الصفدي[4]. «الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الفريد الرحلة إمام المحدِّثين... خاتمة الحفاظ، ناقد الأسانيد والألفاظ... وقال: كان شيخنا الحجة جمال الدين أبو الحجاج شيخ الزمان وحافظ العصر وناقد الأوان، لو عاصره ابن ماكولا، كان له مشروباً ومأكولاً، وجعل هذا الأمر إليه موكولا» ثم أطنب في تعداد فضائله ومحاسنه وزهده.

وقال التاج عبد الوهاب السبكي مع مخالفة المزي له في العقائد: «شيخنا وأستاذنا وقدوتنا الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي حافظ زماننا، حامل راية السنَّة والجماعة والقائم بأعباء هذه الصناعة، والمتدرع جلباب

(1) تاريخ الإسلام: (643).
(2) أعيان العصر 2/ 125.
(3) الذيل على ذيل العبر: 229.
(4) أعيان العصر: 2/ 125.

الطاعة، إمام الحفاظ، كلمة لا يجحدونها وشهادة على أنفسهم يؤدونها، ورتبة لو نشر أكابر الأعداء لكانوا يودونها، وحاد عصره بالإجماع، وشيخ زمانه الذي تصغى لما يقول الأسماع»[1].

وممن سمع على المزي من المحدثين المغاربة.

1 ـ الحافظ علم الدين البرزالي الإشبيلي

(ستأتي ترجمته بتفصيل في الباب الثاني من الكتاب ـ بعون الله تعالى ـ)

سماع بخط الإمام علم الدين القاسم البرزالي على الإمام المزّي لكتاب «تهذيب الكمال».

سمع جميع هذا الجزء السادس والجزء الخامس قبله بكمالهما على المؤلف الشيخ الإمام العالم العامل الحافظ البارع الأوحد الزاهد الورع، بقية السلف، شيخ المحدثين، عمدة الحفّاظ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمٰن بن يوسف المزّي ـ نفع الله به ـ بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ـ وهذا خطّه ـ الجماعة السادة: «زين الدين عبد الرحمٰن بن علي بن حمدان الصالحي الشافعي، وناصر الدين محمد بن أحمد بن منصور بن إبراهيم الجوهري، وشمس الدين محمد بن حمزة بن عمر بن أبي بكر المجدلي، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن رُشَيِّق وابنته عائشة وأمها خاتون بنت عبد العزيز بن سليمان التاجر، وناصر الدين محمد بن طغريل بن عبد الله الصيرفي، وسراج الدين عمر بن العباس بن عبد الرحمٰن بن سليمان بن سوير الزواوي المالكي، وزين الدين عمر بن عبد العزيز ابن الشيخ العلامة زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي، وشرف الدين محمد بن أحمد ابن الشيخ زين الدين أبي بكر بن يوسف بن أبي بكر المزّي، وزين الدين عبد الرحمٰن ابن الْمُسمع، ونفيسة بنت عبد العزيز بن الفارقي أخت عمر المذكور، وعبد الله الهندي المراواتي من

---

(1) طبقات الشافعية: 10/ 395.

أصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية. وسمع الجزء السادس فقط ناصر الدين محمد ابن الشيخ شرف الدين عيسى بن علي بن عيسى المحدث المؤذن. وصح ذلك وثبت في يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة بدار الحديث الأشرفية بدمشق المحروسة، وأجاز لهم ما يرويه وما يجوز له تسميعه. والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه».

2 ـ محمد بن إبراهيم المراكشي

ذكر السبكي[1] في ترجمة الشيخ تاج الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشي الشافعي، ولد بعد السبع مئة، ونشأ بالقاهرة، ولازم الشيخ ركن الدين بن القويع، وكان فقيهاً نحوياً متفنناً مواظباً على طلب العلم، أعاد بالقاهرة بقبة الإمام الشافعي، ثم دخل دمشق، ودرَّس بالمسرورية، وسمع من الشيخ الحافظ المزي وجماعة. ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الأشرفية على طلب العلم إلى أن توفي فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين.

(1) طبقات الشافعية: 9/ 147.

صورة سماع على المزي بدار الحديث لكتاب «تهذيب الكمال» سنة (739هـ)

سمع جميع هذا الجزء الأول من كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال على مصنفه الشيخ
الإمام الحافظ العلامة العمدة الحجة المجتهد البارع الأوحد الكامل شيخ الإسلام رحلة الإمام
قدوة أهل الدراية والرواية محيي السنة جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن
يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر القضاعي ثم الكلبي المزي الشافعي نفع الله
في حياته وأمتع المسلمين بفضله وبركته بقراءة صاحبه الشيخ الإمام السيد الجليل العالم الصدر

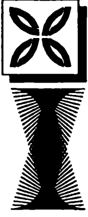
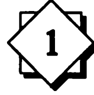
[illegible]

صحح ذلك وكتب يوسف المزي

سماع على المزي بدار الحديث لكتاب «تهذيب الكمال» بدار الحديث سنة (741هـ)

الفصل السادس

رواية المغاربة عن محدثات دمشق


القاسم بن يوسف التجيبي (ت730هـ)
حدّث عن هدية بنت علي بن عسكر

القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي السبتي (730هـ)

ولد في حدود 670هـ، وسمع ببلده، وحج وسمع من العراقي وابن عساكر وابن القواس وغيرهم.

قال الذهبي: خرجت له مئة حديث عن مئة شيخ، وحصل أصولاً وكتباً وله فضيلة جيدة.

قال ابن حجر: وقفت على رحلته وهي ثلاث مجلدات ضخمة وقد حذا فيها حذو ابن رشيد، وكان رحل قبله بنحو عشر سنين وزاد هو على رحلة ابن رشيد بتضمين الرحلة مشيخة له مستوعبة يذكر ترجمة الشيخ وما يمكن من مروياته، ويبين ما سمعه منه بأسانيده ويخرج عنه بعد ذلك شيئاً من حديثه وفوائده وإنشاداته ويفعل ذلك في كل بلد دخلها[1].

وقد حدث عن هدية بنت علي ابن عسكر[2]، وذكرها في برنامجه[3].

وكان خروجه للحج والطلب حوالي سنة 695هـ، إذ نجده وقتها ببجاية يروي بعض كتب ابن الأبار البلنسي الذي تَعرف على أعماله منذ كان بسبتة، وفي السنة نفسها تحول إلى تونس وروى عن شيوخها، وفي 9 ربيع الثاني سنة

---

(1) الدرر الكامنة: 3/ 240.

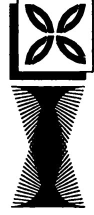
(2) راجع ترجمتها بتوسع في كتابي: (جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث) ط. دار الفكر، دمشق.

(3) برنامجه: 197.

696هـ. كان بالإسكندرية ثم نجده بالقاهرة في 9 جمادى الأولى من السنة نفسها يروي الحديث بالمدرسة الظاهرية.

وقد استأثر الجزء الموجود من رحلته بتفاصيل عن مشاهداته ولقاءاته ومروياته مفصلة عن مصر ومن لقي بها، ثم خروجه من ميناء عيذاب إلى جدة حيث بدأ حجه، وبقي في مكة من شهر رمضان إلى منتصف ذي القعدة من سنة 696هـ.

ثم انصرف من حجه إلى دمشق التي كان بها في محرم وصفر سنة 697هـ ولقي بها الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية وروى عنه، وكانت وفاته سنة 730هـ، عن عمر بلغ حوالي (60) عاماً.

2

الوادي آشي أجازته محدثات دمشق[1]

أجازه نسوة عالمات مشهورات بالرواية في دمشق، وعددهن ثلاث عشرة امرأة ذكرهن في برنامجه تحت عنوان: (ومن النساء المجيزات):

1 ـ خديجة بنت عبد الرحمٰن بن عبد الجبار المقدسية (ت701هـ).

2 ـ خديجة بنت محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد المقدسية (ت701هـ).

3 ـ خديجة بنت محمد بن محمود بن عبد المنعم المراتبي (ت699هـ).

4 ـ خديجة بنت يوسف بن غنيمة بن حسين البغدادي (ت699هـ).

5 ـ عائشة بنت عيسى بن عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسية (ت697هـ).

6 ـ صفية بنت عبد الرحمٰن بن عمرو الفراء (ت699هـ).

7 ـ فاطمة بنت حسين بن عبد الله بن عبد الرحمٰن الآمدي (ت689هـ).

8 ـ هدبة بنت عبد المجيد بن سعد المقدسي (ت699هـ).

9 ـ هدية بنت علي بن عسكر البغدادي (ت712هـ).

10 ـ وزيرة بنت يحيى بن محمد بن أحمد الحبوبي التغلبي (ت715هـ).

11 ـ وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا ست الوزراء (ت722هـ).

12 ـ زينب بنت القاضي عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي.

13 ـ زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن منصور المقدسي[2].

(1) برنامج الوادي آشي: 132.

(2) المصدر نفسه: 172؛ (راجع تراجمهن في كتابي «جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث»).





سماع ابن سيد الناس من محدثات دمشق

أم محمد السلمية (600 ـ 691هـ)[1].

حرمية بنت تمام بن إسماعيل الدمشقية، المعمرة.

روت بالإجازة عن عين الشمس الثقفية.

قال الذهبي: «سمع منها البرزالي وابن سيد الناس».

أم محمد المقدسية (621 ـ 722هـ)[2].

زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر.

سمعت على ابن اللتي (مسندي الدارمي، وعبد بن حميد، وجزء أبي الجهم) وسمعت على جعفر الهمداني (الثقفيات، بتمامها، وعشرة أجزاء، منها: منتقى من حديث أبي الهيثم).

وهي آخر من سمع على جعفر.

قرأ أبو الفتح عليها «حديث حماد بن زيد» عن جعفر الهمداني ومسند «عبد بن حميد» عن ابن اللتي.

---

(1) الأجوبة: 2/ 67.

(2) الأجوبة: 2/ 69.




4

رواية ابن رشيد السبتي
عن أم الخير فاطمة بنت البطائحي[1]

نموذج من خط أم الخير فاطمة بنت البطائحي

اجزت لهم وفقهم الله تعالى ما سالوه بشرطه
كتبته فاطمة بنت ابراهيم ابن محمود ابن جوهر
البعلبكي المعروف بالبطائحي قدس الله روحه
اجزت لهم وفقهم الله تعالى ما سالوه بشرطه
وكتب ابرهيم بن ابي البركات بن ابي الفضل الحنبلي
البعلبكي شاكر الله تعالى

الاستدعاء الكبير (الإجازة 56)

(1) راجع ترجمتها بتوسع في كتابي (جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف) ـ ط ـ دار الفكر ـ دمشق.



القسم الثاني

مرحلة العطاء

الفصل الأول

رواية كبار حفاظ دمشق
عن المغاربة

لم يكن المغاربة الذين رحلوا إلى دمشق طلاب علم فحسب، بل كانوا أساتذة أيضاً روى عنهم كبار حفاظ دمشق. وتصدر بعضهم لكبار حلقات إقراء الحديث بمساجد دمشق ومدارسها. وإليك نماذج من العلماء المغاربة الذين أخذ عنهم كبار حفاظ دمشق.

رواية كبار أعلام بيت ابن عساكر عن المغاربة

من المغاربة الذين روى عنهم كبار أعلام بيت ابن عساكر في الحديث:

1 ـ محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الأنصاري الخزرجي (ت519هـ)(1)

داني أبو عبد الله، سمع ببلده أبا داود الهشامي وأبا الحسن الحصري، ثم رحل حاجاً وقدم دمشق سنة (504هـ). ودرَّس بها مدة. فروى عنه بها جماعة منهم: أبو الحسن هبة الله بن الحسن بن عساكر أخو الحافظ أبي القاسم.

وقال أبو القاسم بن عساكر: رأيته بدمشق وأنا صغير ولم أسمع منه شيئاً. وخرج إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي سنة (519هـ). ويذكر أنه كان شديد الوسوسة في الوضوء.

2 ـ يوسف بن عبد العزيز بن علي اللخمي أبو الحجاج الميورقي (ت523هـ)(2)

يعرف بابن نادر.

حج وأدى الفريضة. وسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري «صحيح مسلم» ومن أبي الحسن علي بن سلمان البغدادي «صحيح البخاري» بروايته عن أبي ذر. وسمع ببغداد من أبي الحسين ابن الطُّيُوري وجماعة..

---

(1) «التكملة» ص419، «الذيل والتكملة» (4/ 233)، «الوافي» (3/ 168)، «نفح الطيب» (2/ 142)، «بغية الوعاة» ص49.

(2) «التكملة» (4/ 203)، «صلة الصلة» (5/)، «الترجمة» ص572، المستملح من كتاب التكملة ص414 ـ 415، «تاريخ الإسلام» للذهبي (11/ 391).

سمع منه جِلَّة. وقد حدث بدمشق.

روى عنه أبو طالب أحمد بن مسلم بن رجاء التنوخي، وأبو محمد العثماني، وأبو بكر بن أسود القاضي، وأبو القاسم ابن عساكر، وأبو عبد الله ابن الحضرمي، وآخرون.

وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة: كان أفضل من لقيته في رحلتي علماً وعملاً وزهداً وورعاً، توفي في آخر سنة (523هـ).

3 ـ محمد بن سعدون العبدري (ت524هـ)(1)

قال عنه الحافظ الذهبي: «الشيخ الإمام، الحافظ الناقد الأوحد، أبو عامر محمد بن سعدون ابن مُرجَّى بن سعدون القرشي العبدري الميورقي المغربي الظاهري.

مولده بقرطبة، وكان من بحور العلم، لولا تجسيم فيه، نسأل الله السلامة، سمع من مالك البانياسي، ورزق الله التميمي ويحيى السيبي، وطراد الزينبي، ونصر بن البَطِر، والحميدي، وابن خيرون، وطبقتهم.

حدث عنه أبو المعمَّر، وابن عساكر...

قال القاضي أبو بكر بن العربي في «معجمه»: أبو عامر العبدري هو أنبل من لقيتُه.

وقال ابن ناصر: كان فهماً عالماً، متعففاً مع فقره، ويذهب إلى أن المناولة كالسماع.

وقال السلفي: هو من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام، متصرف في

---

(1) «مشيخة ابن عساكر» (1/ 188)، «الصلة» (2/ 564)، «المنتظم» (10/ 19)، «معجم البلدان» (5/ 246)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (4/ 258)، «تذكرة الحفاظ» (4/ 1272)، «العبر» (4/ 57)، «سير أعلام النبلاء» (19/ 579)، «الوافي بالوفيات» (3/ 93)، «البداية والنهاية» (12/ 201)، «طبقات الحفاظ» ص461، «نفح الطيب» (2/ 138)، «شذرات الذهب» (4/ 70).

فنون من العلم أدباً ونحواً، ومعرفة بالأنساب، وكان داوودي المذهب، قرشي النسب. كتب عني، وكتبت عنه.

قال الحافظ ابن عساكر: كان العبدري أحفظ شيخ لقيتُه، وكان فقيهاً داوودياً، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعتُه وقد ذكر مالك، فقال: جِلْفٌ جاف. ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه «الأموال» لأبي عبيد. فقال: ـ وقد مر قول لأبي عبيد ـ ما كان إلا حماراً مغفلاً لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يوماً عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب «الكامل» فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له: فهو السعدي، فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب. تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟! فغضب وأخذته الرِّعدة، وقال: كان ابن الخاضبة والبَرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر إلى أن تقول فيَّ هذا؟! فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك. فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة. فقال: والله لقد علمت من علم الحديث ما لم يعلمه غيري ممن تقدم، وإني لأعلم من «صحيح البخاري» و«مسلم» ما لم يعلماه، فقلت مستهزئاً: فعلمك إلهام إذاً، وهاجرته، وكان سيئ الاعتقاد. يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها...».

وقال السمعاني: هو حافظ مبرز في صنعة الحديث، سمع الكثير، ونسخ بخطه وإلى آخر عمره، وكان ينسخ وقت السماع.

وقال ابن ناصر: فيه تساهل في السماع، يتحدث ولا يُصغي، ويقول: يكفيني حضور المجلس...».

قال الذهبي: «ما ثبت عنه ما قيل من التشبيه، وإن صحَّ، فبُعداً له وسُحقاً».

4 ـ علي بن سليمان بن أحمد المرادي (ت544هـ)[1]

قال عنه الحافظ الذهبي: العلامة الفقيه المحدث، أبو الحسن، علي بن سليمان بن أحمد المرادي القرطبي الشَّقُّوري[2] الشافعي.

ارتحل إلى خراسان، فتفقه بمحمد بن يحيى، وسمع «صحيح مسلم» وتواليف البيهقي من أبي عبد الله الفَراوي، وعبد المنعم بن القشيري، وهبة الله السَّيِّدي، وأقام هناك مدة، ثم قدم بغداد، وكتب الكثير، ثم قدم دمشق في حدود سنة (540هـ) بكتبه، فنزل على الحافظ ابن عساكر، فسُرَّ بقدومه؛ لأنه كان اتكل عليه في كثير مما سمعا، فحدث في دمشق بـ «الصحيحين».

قال السمعاني: كنت آنس به كثيراً، وكان أحد العباد، خرجنا معاً إلى نوقان لسماع «تفسير» الثعلبي، فلمحت منه أخلاقاً وأحوالاً قلما تجتمع في وَرِع، وعلَّقت عنه.

وقال ابن عساكر: نُدب للتدريس بحماة، فمضى إليها، ثم ندب إلى التدريس بحلب، فدرّس بمدرسة ابن العجمي، وكان ثبتاً صلباً في السُّنة.

قال الحافظ الذهبي: روى عنه القاسم ابن عساكر، وأبو القاسم بن الحرستاني، ويحيى بن منصور اليُخلُفي، وآخرون.

---

(1) «التكملة» (3/ 193)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (41/ 516)، «الذيل والتكملة» (3/ 217)، «الأنساب» (7/ 367)، «معجم البلدان» (4/ 254)، «اللباب» (2/ 303)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (11/ 859)، «سير أعلام النبلاء» (20/ 187)، «طبقات السبكي» (7/ 224)، «طبقات الإسنوي» (2/ 433).

(2) ناحية بقرطبة.

رواية الحافظ الذهبي عن المغاربة

- من المغاربة الذين روى عنهم الحافظ الذهبي:

1 - أحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي (ستأتي ترجمته بعون الله تعالى)[1]

2 - إبراهيم بن محمد بن أبي الفتح أبو إسحاق الأنصاري الأندلسي[2]

سمع من زينب بنت مكي وغيرها، فأكثر في كبره عن البهاء ابن عساكر وابن الشيرازي ونسخ بعض مسموعاته. قال الذهبي: «الرجل الصالح روى لنا أحاديث عن زينب بنت مكي وقد سمع الكثير ودار على الشيوخ في كبره. مولده سنة (ت675هـ)[3].

3 - أحمد بن أبي العافية، أبو العباس الأندلسي الرندي (ت716هـ)

قال الذهبي: «المحدِّث الفقيه أبو العباس الأندلسي الرندي رجل فاضل ديِّن قدم علينا سنة (ت704هـ) للسماع فأخذ عن الموازيني وابن مشرف والموجودين وسمع بالثغر من أبي الحسن الغرافي. مات في الكهولة كتبت عنه حديثاً واحداً سقته في المعجم الكبير[4] عن شيخنا الغرافي[5].

4 - عبد الله بن محمد بن عبد الله المراكشي (ت712هـ)

ذكره الذهبي في معجم شيوخه[6]. سمع من محمد بن سعد وعبد الله بن

---

(1) انظر ترجمته في صفحة: 323.

(2) «الدرر الكامنة» (1/ 66).

(3) «المعجم المختص» ص51.

(4) «معجم شيوخ الذهبي» ص94.

(5) «المعجم المختص» ص41.

(6) «معجم شيوخ الذهبي» ص267.

الخشوعي والرشيد العراقي والسديد ابن علان والبلخي، وغيرهم، وحدَّث[1].

5 ـ أبو بكر بن محمد بن القاسم المرسي ثم التونسي (ت718هـ)

نزيل دمشق، ولد بتونس سنة (ت656هـ)، وقدم مصر مع أبيه سنة بضع وسبعين، وقرأ القراءات على الشيخ الإمام حسن بن عبد الله الراشدي، وشرح عليه «الشاطبية» والنحو.

ثم قدم دمشق سنة (681هـ) فأدرك الشيخ زين الدين الزواوي، فحضر عنده وهو يقرئ، وسمع الحديث من الفخر ابن البخاري، وغيره.

كان من أذكياء وقته، مع الديانة والنزاهة والوقار، والسكون والسمت الحسن والانقباض عن الناس.

تخرج به جماعة كبيرة منهم الحافظ الذهبي.

6 ـ علي بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر التجيبي الشاطبي (ت721هـ)

ذكره الذهبي في معجم شيوخه فقال: «حدَّث بالكثير وتفرد في وقته»[2] وسمع من الرشيد بن مسلمة والمجد الإسفرائيني والرشيد العراقي والنور البلخي وغيرهم وأجاز له ابن الجميزي وغيره وخرجت له مشيخة وطال عمره وتفرد وكان طويل الروح صبوراً»[3].

7 ـ عيسى بن علي أبو الفضل الأندلسي (ت734هـ)

صحب الشيخ إبراهيم الرقي وتخرَّج به وقرأ الحديث على العامة وحدَّث عن التقي الواسطي[4]. قال الذهبي: «المحدِّث العالم الفاضل قارئ الحديث للناس... سمعنا بقراءته صحيح البخاري على شيخنا المزي أيما قراءة وقد

---

(1) «الدرر الكامنة» (2/ 297).

(2) «معجم شيوخ الذهبي» ص394.

(3) «الدرر الكامنة» (3/ 137).

(4) المصدر نفسه (3/ 206).

سمع من ابن الواسطي وأنشدنا من شعره، وكان لا تمل مجالسته وهو على هناته صويحبي والله يسماحه آمين»[1].

8 ـ محمد بن أبي بكر بن محمد، أبو حامد الأنصاري الأندلسي (ت741هـ)

قال الذهبي: «وسمع وعني بالرواية في الكهولة سمع بمكة ومصر ودمشق وجماعة والقدس والثغر. وحصل أجزاء والصنعة شأنه كتبت عنه فوائد»[2].

9 ـ محمد بن أحمد بن محمد بن عمران بن موسى السبتي

ترجم له الذهبي فقال: «الإمام الفقيه المقرئ المحدِّث النحوي مجموع الفضائل أبو القاسم الحضرمي السبتي، شاب من علماء المغرب حج ودخل اليمن وأقرأ به الروايات وقدم علينا للسماع في سنة (719هـ) وأخذت عنه. سمع بمصر والشام والمغرب ولحق عيسى المطعم وطبقته ورجع إلى سبتة سنة (721هـ)[3]. وقال الذهبي أيضاً: «علقت عنه أشياء من التواريخ وسافر عن مصر سنة (721هـ) على بلاد التكرور إلى المغرب»[4].

10 ـ محمد بن جابر الوادي آشي

يقول في برنامجه: أخذت عنه يسيراً وأجازني إجازة عامة وأخذ هو عني[5].

---

(1) «المعجم المختص» ص131.
(2) المصدر نفسه ص181.
(3) المصدر نفسه ص150.
(4) «معجم شيوخ الذهبي» ص467.
(5) «برنامج الوادي آشي» ص97.

رواية الحافظ المزي عن المغاربة

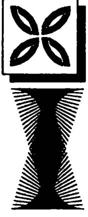
لم أقف إلا على راوٍ واحد منهم وهو محمد بن عثمان بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن ظاهر بن إبراهيم بن أمية الغرناطي (ت752هـ) نزل الربوة ثم دمشق سمع منه الحفاظ المزي ورفقته وأثنى عليه الحسيني[1].

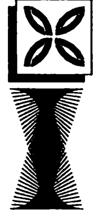
(1) «الدرر الكامنة» (4/ 45).

الفصل الثاني

تصدر المغاربة لمجالس إقراء الحديث بدمشق من القرن السادس الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

تصدر المغاربة لمجالس إقراء الحديث وعلومه بمساجد دمشق ومدارسها العتيقة، ودور الحديث التي تولى بعض المغاربة المشيخة بها، وإليك تراجم موجزة عن هؤلاء المحدثين المغاربة مرتبين حسب تقدم سن الوفيات.





1

عيسى بن هارون بن يوسف

أبو موسى المغربي الأغماتي (553هـ)

تولى تدريس الحلقة المالكية بدمشق مرتين

جاءت ترجمته في «تاريخ مدينة دمشق»[1] لابن عساكر:

«تولى تدريس الحلقة المالكية بدمشق مرتين، وكان عالماً بمذهب مالك والفرائض.

وسمع الحديث من شيخنا الفقيه نصر الله بن محمد، ولزم الحضور عنده مدة طويلة، وكان في لسانه قصور، وفيه صلابة وتضييق على نفسه في المعيشة، يسكن في بيت في سفل المنارة الشرقية.

مات ودفن يوم الاثنين الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة قبلي مسجد فلوس»[2].

---

(1) (48/ 24). وأيضاً: «تكملة مختصر تاريخ دمشق» (4/ 224).

(2) مسجد فلوس من مساجد دمشق، ذكره النعيمي في «الدارس» (2/ 361). وقال: يقع قبلي الميدان على طريق حوران.




2

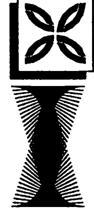
أحمد بن علي بن أبي بكر عتيق
أبو جعفر بن الفنكي (ت596هـ)
تصدر للإقراء وإسماع الحديث بدمشق وكان يؤم بمسجد الكلاّسة

ترجم له ابن عبد الملك المراكشي(1):

أحمد بن علي بن أبي بكر عتيق بن أبي محمد إسماعيل: قرطبي نزل دمشق أبو جعفر بن الفنكي؛ تلا بقرطبة عن أبي بكر بن جعفر بن صاف الجياني وسمع بها الحديث بقراءة أبيه علي أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ إذ قدمها صحبة الأمير أبي زكريا بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية المسوفي ورحل صحبة أبيه إلى المشرق سنة ست وخمسين قاله أبو جعفر ابن الزبير وذكر أنه وقف عليه بخطه، وذكر أبو عبد الله بن الأبار أنه سمع بمكة سنة أربع وخمسين على الميانشي وأراه وهم في ذلك وحجّ وجاور بمكة ست سنين وأخذ بها عن أبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي وأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن صدقة الحراني وأبي المعالي عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل بن أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الصاعدي الفراوي بفتح الفاء والراء والواو منسوباً، ثم تجوّل في طلب العلم إلى العراق وغيرهما فتلا بالموصل على أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي ولم يزل متردداً في البلاد إلى سنة سبعين فاستوطن دمشق وأخذ بها عن أبي الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي وشرف الدين أبي سعد عبد الله السري بن أبي عصرون وعماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني

(1) «الذيل والتكملة» (1/ 311 ـ 312).

ابن الُهْ الكاتب وشهاب الدين أبي الفضل منصور ابن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حفص الطبري ومحدث الشام أبي القاسم علي ابن هبة الله بن عساكر وأكثر عنه وأبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن علي بن عمر بن صابر بصاد غفل وباء بواحدة وراء السلمي بن سيَدة بفتح السين الغفل وكسر الياء المسفولة المشددة، روى عنه ابنه وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن البجدي جُوبَكار بضم الجيم المعقودة وواو وباء بواحدة مفتوحة وكاف وألف وراء، وأجاز لكل من أدرك حياته في محرم خمس وتسعين وحدّث عنه بالإجازة على التعيين جماعة منهم أبو الحسن بن سهل بن مالك وأبو سليمان وأبو محمد ابنا سليمان بن حوط الله في آخرين أكثرهم مذكور في موضعه من هذا المجموع، وكان من المقرئين المجوّدين والمُحدّثين المسندين فقيهاً شافعي المذهب عاقلاً فاضلاً دمثاً حسن الأخلاق ديناً وكان يؤم بمسجد الكلّاسة المتصل بجامع دمشق الأعظم فكان الناس يتزاحمون على الصلاة خلفه التماساً لبركته واستماعاً لحسن صوته وحين مجاورته بمكة شرفها الله كان أحد المتناوبين في قراءة التراويح برمضان في المقام المكرم قاله أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير قال وقراءته تُرقّ الجمادات خشوعاً.

3

فاطمة بنت أبي الحسن سعد الخير البلنسية (ت600هـ) حدَّث عنها حفاظ دمشق[1]

مولدها في سنة (522هـ):

شيوخها:

والدُها: المحدث الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري البلنسي، ترجم له ابن عبد الملك المراكشي في كتابه «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»[2] فقال: «مغربي أندلسي في قول ابن الجوزي بلنسي في قول ابن نقطة، أبو الحسن.

سافر الكثير براً وبحراً، واخترق من الأندلس إلى بلاد الصين، واستوطن مكة زادها الله تشريفاً مدة طويلة، سمع بها من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي، وببغداد من أبي بكر بن طرخان. وأبوي الحسن: ابن أيوب البزاز وأحمد بن عبد القادر وأبي الحسين المبارك بن عبد الجبار، والشريفين: النقيب أبي الفوارس طراد وأبي طالب الحسين الزينبيين، وأبي الخطاب بن البطر، وأبي محمد جعفر بن السراج، وأبي المعالي ثابت بن بندار... وتفقه عند الإمام أبي حامد الغزالي، وتأدب بأبي زكرياء التبريزي، وبأصبهان من جماعة كأبي سعد محمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سِنْدَه المطرز، وأبي علي وأبي الفتح الحدادين، وأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل، والشيخة الصالحة أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم بن عقيل

---

(1) «جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف» ص177.

(2) «السفر الرابع» ص16 ـ 17.

الجوزدانية، وبخراسان من أبي الحسن علي بن عبد الله النيسابوري، وبها أو بغيرها من أبي الحسن بن مفرج اللخمي، وأبي محمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد الدوني، وأبي نصر أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله الدينوري الكسار وغيرهم، وله برنامج ضمنه معظمهم، وجلّ ما أخذ عنهم وقفت عليه ونقلت منه ما احتجت إليه، ونزل الإسكندرية بآخرة وحدّث بها.

روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن بدر البِنَاريّ، وأبو الثنا حماد بن هبة الله الحراني، وآباء الحسن: ابن عبد الله بن حمود المكناسي، وابن عبد الرحيم العصار مهذب الدين، وابن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الواعظ ابن نُجيَّة، وابن منذر الطرطوشي، وأبو حفص عمر بن أبي السعادات بن أبي الحسن محمد بن أحمد بن صرما وأبو طالب عبد الجبار بن محمد المعافري، وأبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة بن محفوظ الدَّبيقي، وأبو علي بن العرجا، وأبو القاسم بن عساكر الإمام الحافظ، وأبوا محمد؛ إسماعيل بن سعد الله بن محمد بن علي بن حمدي، وابن أبي إلياس، وأبو المظفر محمد بن علي بن الحسين الشيباني الطبري، وأبو منصور محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي البركات المبارك بن البندنيجي، وإسماعيل وعثمان ابنا إبراهيم بن فارس بن مقلد البغدادي، وجعفر بن محمد بن المنمنم، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، وممن روى عنه ابنته الحرة الفاضلة الصالحة أم عبد الكريم فاطمة.

وكان محدثاً حافظاً مكثراً صحيح السماع ثقة صالحاً زاهداً فاضلاً خيراً ديناً، حدّث بغير بلد، ثم عاد إلى بغداد فتوفي بها يوم السبت لأربع خلون من محرم أحد وأربعين وخمس مئة، وصلى عليه ابنه بجامع القصر، وشهد جنازته خلق كثير، وحضر قاضي القضاة الزينبي، ودفن إلى جانب عبد الله بن أحمد بن حنبل بوصية منه بذلك نفعه الله».

قال فيه أبو جعفر بن الزبير الغرناطي: «وكان حافظاً زاهداً فاضلاً، روى عنه جلة منهم بنته فاطمة»[1].

---

(1) «المنتظم» (10/ 121).

ومن شيوخها أيضاً: يحيى بن حبيش الفارقي، ويحيى بن البناء، وأبي منصور القزاز، وإسماعيل السمرقندي وعدة.

وسمعت حضوراً في الثالثة من فاطمة الجوزدانية جملة من المعجم الكبير، وحضرت ببغداد في سنة خمس وعشرين على هبة الله بن الحصين، وزاهر بن طاهر، وأبي غالب بن البناء.

وحدثت بدمشق وبمصر.

تزوج بها الرئيس زين الدين ابنُ نجيّة الواعظ، وكان صدراً محتشماً نبيلاً، ذا جاه ورياسة، وسؤدد وأموال، وتجمل وافر، واتصال بالدولة[1].

قال ابن النجار: كان مليح الوعظ، لطيف الطبع، حلوَ الإيراد، كثير المعاني، متديناً، حميد السيرة، ذا منزلة رفيعة، وهو سبط الشيخ أبي الفرج[2].

وقال أبو شامة: كان كبير القدر، معظماً عند صلاح الدين[3] وقال أبو المظفر السبط[4] اقتنى ابن نُجيّة أموالاً عظيمة وتنعم تنعماً زائداً، بحيث أنه كان في داره عشرون جارية للفراش، تساوي كل واحدة ألف دينار، وكان يُعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك، أعطاه الخلفاء والملوك أموالاً جزيلة، قال: ومع هذا مات فقيراً كفنه بعض أصحابه. مات سنة (599هـ).

ورأت فاطمة بنت سعد الخير مع زوجها ابن نجية بدمشق عزاً وجاهاً.

حدّث عنها: أبو موسى ابن الحافظ، وعبد الرحمٰن بن مقرب، ومحمد بن محمد بن الوزان الحنفي، ومحمد ابن الشيخ الشاطبي، والحافظ الضياء، وخطيب مردا، وعبد الله بن علّان، وخلق سواهم[5].

---

(1) «صِلة الصِّلة»، القسم الرابع ص216.

(2) «سير أعلام النبلاء» (21/ 412).

(3) «التاريخ المجدد» ص147.

(4) «الذيل على الروضتين» ص34.

(5) «مرآة الزمان» (2/ 515).

وروى عنها بالإجازة: الحافظ زكي الدين عبد العظيم، وقال: توفيت في ثامن ربيع الأول سنة (600هـ).

قال الذهبي: عاشت 78 سنة.

صورة سماع فاطمة بنت سعد الخير لكتاب (الجامع لأخلاق الراوي)(1)

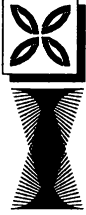
تحتفظ لنا مكتبة البلدية بالإسكندرية بصورة سماع فاطمة بنت سعد الخير لكتاب «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي، مثبتاً بخط والدها الحافظ، وكان تاريخ السماع سنة (529هـ) وهي محفوظة برقم (ن ـ 3711ج).

وهذه صورة السماع الذي في نهاية الجزء الأول من كتاب «الجامع لأخلاق الراوي»:

«سمع الجزء جميعَه على الشيخ الجليل أبي القاسم المبارك بن محمد بن الحسن المعروف بابن البُزوري أبقاه الله، بحق إجازته عن أبي بكر الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ الإمام العالم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، وبناتُه فاطمة وزينب، وحضرت ليلى ورابعة، وفتاهُ نافع بن عبد الله بقراءة حامد بن أبي الفتح بن أبي بكر المديني الأصبهاني، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وخمس مئة».

(1) وقد حققه الدكتور محمود الطحان.

آخر الكتاب بخط والد فاطمة بنت سعد الخير ويظهر صورة سماعها في آخر الورقة مخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية (ن3711 ج).



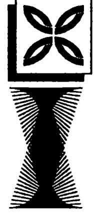


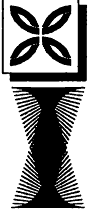
عماد الدين محمد بن محمد بن علي ابن أحمد بن العربي الأندلسي (ت667هـ) ولي مشيخه الحديث بمقصورة الخضر بجامع دمشق

ترجم له الحافظ ابن أيبك الدمياطي فقال[1]:

«وفي بكرة الخميس خامس عشر ربيع الأول توفي عماد الدين محمد بن محيي الدين محمد بن علي بن أحمد ابن العربي الأندلسي، ودفن بقاسيون، وروى عن ابن الزبيدي وغيره. ومات وهو في عشر الستين، وولي مشيخة الحديث بمقصورة الخضر بجامع دمشق».

(1) انظر الهامش من كتاب «صلة التكملة لوفيات النقلة» (2/ 573) من تحقيق الدكتور بشار عواد معروف.





5

أبو إسحاق الرعيني اللَّوري الأندلسي (ت687هـ)
ولي مشيخة الحديث بالظاهرية

هو: إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن علي، أبو إسحاق الرعيني اللَّوري الأندلسي[1].

أخذ عن ابن رواج، وابن الجميزي، وسبط السلفي وجماعة.

قال الذهبي[2]: «حج في شبيبته، وسمع وتفقه وعرف المذهب، ولزم السنة، وكتب الكثير بخطه المتقن.

وكان إماماً عالماً محدثاً متقناً زاهداً عابداً قانتاً لله كثير المحاسن، مؤثراً على نفسه ولو كان به خصاصة، ولم يزل لوناً واحداً في السماحة والكرم والسعي في حوائج الفقراء ومصالحهم وخدمتهم وإيجاد الراحة، والتلذذ بذلك مع الإعراض عن الدنيا وعن الرئاسة، قيل إن قضاء المالكية عُرض عليه بدمشق فامتنع، فولي مشيخة الحديث بالظاهرية».

وقال في «المعجم المختص»[3]: «ولي مشيخة الظاهرية، وكان حسن الكلام على معاني الأحاديث».

التعريف بدار الحديث الظاهرية:

تعتبر دار الحديث الظاهرية من دور الحديث الكبرى بدمشق وكانت في

---

(1) المعين في «طبقات المحدثين» ص219، «العبر» (3/ 364)، «درة الرجال» (1/ 196)، «شذرات الذهب» (5/ 400).

(2) «تاريخ الإسلام» للذهبي، «وفيات» (687).

(3) ص57.

الأصل دار العقيقي، ثم اشتراها منه أبو أيوب والد صلاح الدين الأيوبي، فاتخذها داره.

وفي حدود سنة (670هـ) اشتراها الملك الظاهر (بيبرس) وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وهي للحنفية والشافعية.

وتوجد هذه الدار، داخل باب الفرج والفراديس، جوار الجامع، شمالي باب البريد، وقبلي الإقباليتين، والجاروخية، وشرقي العادلية الكبرى، كتب على واجهة بنائها، جريدة وقفها بحروف غليظة...»[1].

يقول مؤرخ دمشق محمد أحمد دهمان: «... وإلى هذه الدار التجأ الخطيب البغدادي فاستجار بالقاضي المذكور خوفاً من بطش الأمير بدر الجمالي المذكور فأنجاه من أذاه.

وكأن هذه الدار أصبحت من الشهرة والعظمة ما يجعلها مرشحة لنزول العظماء والكبراء فيها، فمذ حلت الأسرة الأيوبية مدينة دمشق سكن هذه الدار كبير الأسرة (نجم الدين أيوب) والد السلطان صلاح الدين وأخيه الملك العادل.

ولما دخل صلاح الدين الأيوبي دمشق فاتحاً لها سنة (569هـ) بعد وفاة السلطان نور الدين نزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقي، كما أن الملك العادل نزلها حينما دخل دمشق سنة (589هـ).

وقد يكون حبه الشديد لهذه الدار دفعه لأن يبني تجاهها ـ من جهة الغرب على بعد خمسة أمتار منها ـ مدرسة وقبة لدفنه، فلما توفي سنة (597هـ) حفظت جثته بالقلعة حتى تم بناء مدرسته وقبة قبره. فنقل إليها سنة (619هـ) لتطل روحه على الدار التي أحبها كثيراً، وعاش فيها أمداً طويلاً، كما أن السلطان صلاح الدين دفن تحت قبة لا تبعد عن هذه الدار أكثر من ثلاثين متراً، ومثله الملك الأشرف ابن الملك العادل الذي دفن على مقربة من عمه صلاح الدين، ولما مات مظفر الدين صاحب إربل زوج ربيعة خاتون

---

(1) «الدارس» (1/ 349).

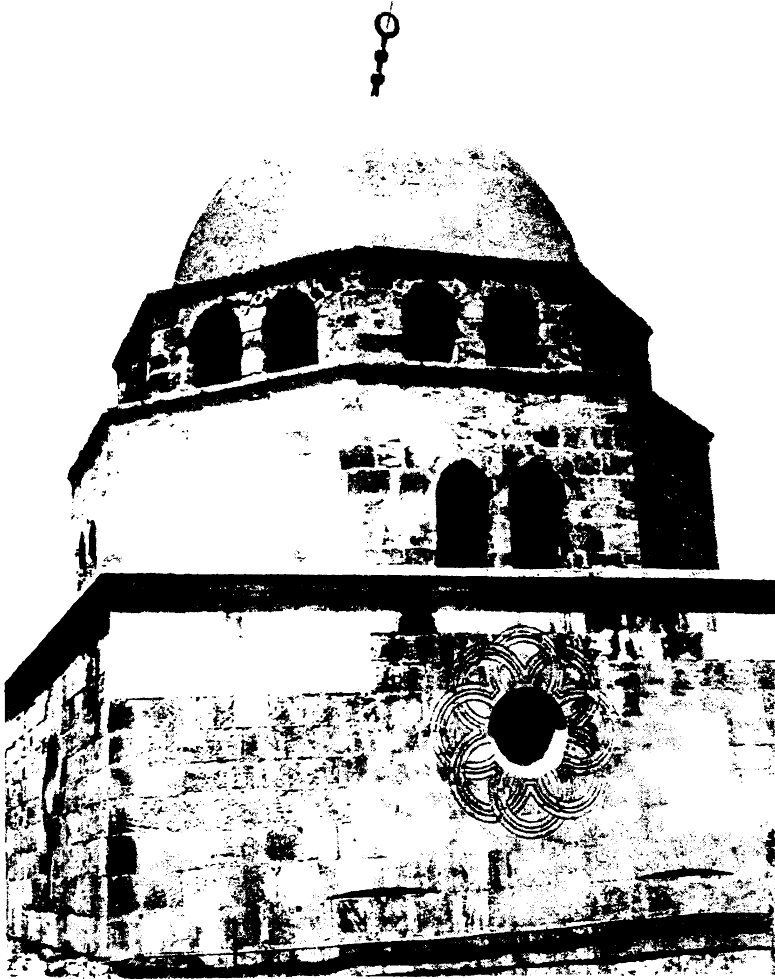
أخت صلاح الدين والعادل رجعت إلى دمشق وسكنت في دار العقيقي ـ دار أبيها أيوب ـ حتى توفيت سنة (643هـ)، وهي صاحبة المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون. وبعد انقراض الدولة الأيوبية انتقلت هذه الدار إلى ملك (الأمير فارس الدين أقطاي) المستعرب الأتابك، ومن ورثته اشتريت هذه الدار لجعلها مدرسة ومدفناً للملك الظاهر بيبرس»[1].

(1) في «رحاب دمشق» ص112:



محراب قبة «الظاهرية»

(نقلاً عن كتاب في «رحاب دمشق»: 129)



قبّة «الظاهرية»

(نقلاً عن كتاب «في رحاب دمشق»: 113





ابن فرح الإشبيلي (ت699هـ)

كانت له حلقة إقراء للحديث وفنونه بدمشق

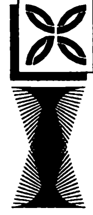
قال عنه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»[1]:

«شيخنا الإمام العالم الحافظ الزاهد شيخ المحدثين شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن فرح بن أحمد اللخمي الإشبيلي الشافعي نزيل دمشق، ولد سنة (624هـ)، وأسرته الفرنج ثم نجاه الله، وحج وسمع بمصر من شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري، والإمام عز الدين بن عبد السلام وطبقتهما، وبدمشق من ابن عبد الدائم والكرماني، وفراس العسقلاني وابن أبي اليسر وخلق سواهم.

وعني بهذا الشأن ثم أقبل على تقييد الألفاظ، وفهم المتون، ومذاهب العلماء، وكانت له حلقة إقراء للحديث وفنونه وحضرت مجالسه، ونعم الشيخ كان علماً وفضلاً ووقاراً وديانة واستحضاراً، واستبحاراً، وثقة وصدقاً وتعففاً وقصداً.

تخرج به جماعة، وكتب الكثير من الفقه والحديث، وانتقل إلى رحمة الله تعالى حميداً مفيداً بمنزله في تربة أم الصالح مبطوناً في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين الملقبة سنة قازان إذ أخذ الشام.

(1) (4/ 1486).

7

أحمد بن أبي بكر الشريشي الأندلسي (ت718هـ)
ولي مشيخة المدرسة الناصرية ودار الحديث الأشرفية (8) سنوات
وباشر مشيخة الحديث بتربة أم الصالح (33) سنة

ترجم له الذهبي في «المعجم المختص»[1]:

«أحمد بن أبي بكر محمد بن أحمد الإمام العالم المفتي المحدث النحوي كمال الدين أبو العباس ولد العلامة الكبير جمال الدين البكري الوائلي الأندلسي الشريشي ثم الدمشقي الشافعي.

مولده بسنجار سنة (653هـ).

وتفقه بوالده وبجماعة، وسمع بمصر من النجيب عبد اللطيف، وبدمشق من ابن أبي الخير وابن الصيرفي الفخر علي، وجماعة.

وطلب الحديث وقتاً، وقرأ على الشيوخ وحصل منه شيئاً، وولي المناصب الكبار كالمدرسة الناصرية ودار الحديث ووكالة بيت المال وذكر للقضاء».

وقال ابن قاضي شهبة في ترجمته[2]:

«الشيخ الإمام العلامة كمال الدين أبو العباس، مولده بسنجار في رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمئة، سمع ورحل وطلب مدة، وقرأ بنفسه الكتب الكبار، وكان أبوه مالكياً، فاشتغل هو في مذهب الشافعي وأفتى ودرس وناظر، وناب في القضاء عن ابن جماعة، ثم ترك ذلك وولي وكالة

---

(1) ص31.

(2) «طبقات الشافعية» (2/ 209)، وراجع في ترجمته أيضاً: «الدرر الكامنة» (1/ 246)، و«العبر» (4/ 50)، و«النجوم الزاهرة» (9/ 242).

بيت المال، وقضاء العسكر، ونظر الجامع، ودرس بالشامية البرانية والناصرية، ودرس بها عشرين سنة، وباشر مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ثلاثاً وثلاثين سنة، ومشيخة الرباط الناصري أكثر من خمس عشر سنة، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين.

قال ابن كثير: اشتغل في مذهب الشافعي فبرع، وحصل علوماً كثيرة. وكان خبيراً بالنظم والنثر مع ذلك، وكان مشكور السيرة فيما يتولاه من الجهات كلها.

توفي في سلخ شوال سنة ثمان عشرة وسبع مئة متوجهاً إلى الحج بالحسا فدفن هناك».

التعريف بالمدرسة الناصرية(1):

في سنة (654هـ) أنشأ الملك الناصر دار الحديث الناصرية ورتب لها مرتبات وبها رباط بمحلة الفواخير قبلي جامع الأفرح وتسمى الناصرية البرانية.

ومن شيوخها: ـ والد أبي بكر الشريشي كمال الدين (ت779هـ).

ـ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع بن الضياء الفزاري (ت705هـ).

ـ الحسن بن رمضان بن الحسن بن حسام الدين القرمي (سنة 746هـ).

ـ نجم الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن قوام الدمشقي (ت746هـ).

وتحدث ابن بدران عن نهاية دار الحديث الناصرية فقال(2):

«إن تلك المدارس والربط التي كانت بالسفح من لدن الجسر الأبيض إلى الجبل من الغرب الشمالي لم تبق منها بقية تذكر، فقد تناولتها يد الزمان فقضت بناءها وقوضته ثم سويت الأرض وجعلت حواكير وبساتين».

---

(1) «الدارس» (1/ 115).

(2) «منادمة الأطلال» (ص61).




8

علم الدين البرزالي الإشبيلي (ت739هـ) ولي مشيخة أربع دور للحديث بدمشق (النورية والظاهرية والنفيسية والقوصية)

ترجمته بقلم تلميذه ورفيقه الذهبي في كتابه «ذيل تاريخ الإسلام»[1]:

هو الشيخ المحدث، الإمام، العالم، الحافظ، مفيد الشام، مؤرخ الإسلام علم الدين أبو محمد القاسم بن العدل الكبير بهاء الدين محمد بن يوسف ابن الحافظ زكي الدين البرزالي الإشبيلي الدمشقي الشافعي، شيخ الحديث.

ولد في جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمئة، وحفظ القرآن، و«التنبيه» ومقدمة في صغره، وسمع سنة ثلاث وسبعين من أبيه، ومن القاضي عز الدين بن الصائغ، فلما سمعوا «صحيح مسلم» من الإربلي بعثه والده فسمع الكتاب في سنة سبع، فأحب الحديث، ونسخ أجزاءً ودار على الشيوخ، فسمع من أبي الخير، وابن أبي عمر، وابن عَلَّان، والمقداد، وابن الدَّرجي، وابن شيبان، والفخر، وجدَّ في الطلب، وذهب إلى بعلبك، ثم ارتحل إلى حلب سنة خمس وثمانين، وفيها ارتحل إلى مصر، وأكثر عن العز الحراني وطبقته، وكتب بخطه الصحيح المليح كثيراً، وخرَّج لنفسه وللشيوخ شيئاً كثيراً، وجلس في شبيبته مدة مع أعيان الشهود، وتقدم في الشروط، ثم اقتصر على جهات تقوم به.

---

(1) نشر هذه الترجمة الشيخ محمد بن ناصر العجمي ضمن كتاب «ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام» ـ شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ علم الدين البرزالي والحافظ جمال الدين المزي من كتاب ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ـ ط ـ دار ابن الأثير ـ الكويت.

وورث من أبيه جملة، وحصَّل كتباً جيدة وأجزاء في أربع خزائن، وبلغ ثبته بضعة وعشرين مجلداً، وأثبت فيه من كان سمع معه[1].

وله تاريخ بدأ فيه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبو شامة فجعله صلة لتاريخ أبي شامة في خمس مجلدات أو أكثر.

وله مجاميع مفيدة كثيرة وتعليق، وعمل في فن الرواية قَلَّ من بلغ إليه.

وبلغ عدد مشايخه بالسماع أزيد من ألفين، وبالإجازة أكثر من ألف، رتب ذلك كله وترجمهم في مسوَّدات متقنة.

وكان رأساً في صدق اللهجة والأمانة، صاحب سُنَّة واتباع، ولزوم للفرائض، خيِّراً متواضعاً، حسن البِشر عديم الشر، فصيح القراءة، قوي الدربة، عالماً بالأسماء والألفاظ، سريع السرد مع عدم اللحن والدَّمج، قرأ ما لا يوصف كثرة، وروى من ذلك جملة وافرة، وكان حليماً صبوراً متودداً، لا يتكثر بفضائله، ولا ينتقص بفاضل بل يوفيه فوق حقه، ويلاطف الناس، وله ود في القلوب وحبٌّ في الصدور، احتسب عدة أولاد دَرَجُوا منهم:

محمد تلا بالسبع وحفظ كتباً وعاش ثماني عشرة سنة، ومنهم: فاطمة عاشت نيفاً وعشرين سنة وكتبت «صحيح البخاري» و«أحكام المجد» وأشياء.

وله إجازات عالية عام مولده من ابن عبد الدائم، وإسماعيل بن عَزُّون، والنجيب، وابن عَلَّان، وحدَّث في أيام شيخه ابن البخاري.

وكان حلو المحاضرة، قوي المذاكرة، عارفاً بالرجال والكبار لا سيما أهل زمانه وشيوخهم، يتقن ما يقوله، ولم يخلف في معناه مثله ولا عمل أحد في الطلب عمله.

حج سنة ثمان وثمانين، وأخذ عن مشيخة الحرمين. وخرَّج أربعين بلدانية، ثم حج أربعاً بعد ذلك.

---

(1) يقول الذهبي عن معجم شيوخه:

إن رمت تفتيش الخزائن كلها ... وظهور أجزاء بدت وعوالي
ونعوت أشياخ الوجود وما رووا ... طالع أو اسمع معجم البرزالي

وفي عام وفاته توفي بين الحرمين محرماً وغبطه الناس بذلك، كان باذِلاً لكتبه وأجزائه سمحاً في أموره مؤثراً متصدقاً رحوماً، مشهوراً في الآفاق مقصداً لمن يلتمس سماعه.

وكان هو الذي حبَّب إليَّ طلب الحديث فإنه رأى خطي فقال: خطك يشبه خط المحدثين، فأثَّر قوله في وسمعت وتخرجت به في أشياء.

ولي قراءة دار الحديث[1] سنة عشرين وسبع مئة، وقراءة الظاهرية، وحضر المدارس وتفقه مدة بالشيخ تاج الدين عبد الرحمٰن، وصحبه وأكثر عنه وسافر معه، وجوَّد القرآن على الرَّضى بن دبُّوقا، وتفرد ببعض مروياته، وتخرج به الطلبة. وما أظن الزمان يسمح بوجود مثله، فعند ذلك نحتسب مصابنا بمثله، ولقد حزن الجماعة خصوصاً رفيقه أبو الحجاج شيخنا وبكى عليه غير مرة. وكان كل منهما يعظم الآخر ويعرف له فضله، وكان رحمه الله وعفا عنه قد أقبل على الخير في آخر عمره، وضعف وحصل له فَتق، وخُتم له بخير ولله الحمد، وانتقل إلى رضوان الله تعالى بخُلَيص في بكرة يوم الأحد الرابع من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة عن أربع وسبعين سنة ونصف، وولي بعده مشيخة النورية شيخنا المزي ومشيخة القوصية ابن رافع، ومشيخة النفيسية العبد، وباقي وظائفه جماعة، وقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقة.

التعريف بدور الحديث التي درس بها البرزالي:

1 ـ التعريف بدار الحديث النورية[2]:

في حي العصرونية بمكان يسمى حجر الذهب، تجاه العادلية الصغرى، وشرقي دار الحدث الأشرفية، توجد دار الحديث النورية، وهي أول دار بنيت للحديث في الشام أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي.

---

(1) يعني: دار الحديث النورية.

(2) «الدارس» (2/ 99)، «منادمة الأطلال» ص59، «خطط الشام» (6/ 73).

وهناك من المؤرخين من ينسب بناءها إلى السيدة عصمة الدين خاتون زوج صلاح الدين. وهذا خلاف ما هو معروف عن جل المؤرخين، يقول ابن الأثير: «وبنى نور الدين محمود دار الحديث بدمشق وهو أول من بنى داراً للحديث وقيل واقفها عصمة التي قيل إنها كانت زوج صلاح الدين وهو خلاف المعروف».

ويقول كرد علي: «هي من دور الحديث الباقية وأول دار أنشأها لهذا الغرض أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، وهي الآن مسجد جامع وبها قبره يزار ويتبرك به».

وقيل: إن نور الدين محمود بناها لمحدِّث دمشق العظيم ومؤرخها الحافظ ابن عساكر.

وكانت تسمى دار السنة في السماعات القديمة التي قرئت فيها. ولقد زارها الرحالة الأندلسي ابن جبير عام (580هـ) ونزل بها مدة شهرين ولكنه لم يصفها. وهي كما وصفها الشيخ عبد القادر بن بدران: تشمل على دهليز لطيف فيه عن يمين الداخل حجرة، وعن يساره باب مسدود ويظهر أنه باب حجرة أيضاً ولكنها صارت حانوتاً للبضائع والتجارة ولها مساحة لطيفة، وفي وسطها بركة ماء على نمط قديم وهندسة لطيفة، وبها مسجد طوله إحدى وعشرون خطوة وعرضه خمس خطوات وسقفه معقود بالحجارة والآجر المتين، بالجانب الشرقي من الساحة حجرتان جديدتان، وفوقهما غرفتان مثلهما، وهما من بناء أهل الخير بواسطة الشيخ عبد القادر بن أبي الفرج بن عبد القادر الخطيب وفق دهليزها غرفة أيضاً».

ولقد وقف عليها نور الدين محمود زنكي على من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كثيرة. إلا أن النعيمي ذكر أن وقفها كان قليلاً والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن نور الدين محمود وقف عليها ما يكفيها من الوقوف لأداء رسالتها، وهذا ما ذهب إليه جل المؤرخين، إلا أن المشرفين على الأوقاف على عاداتهم هم الذين يجعلونها كثيرة أو قليلة، فمنهم من يعرف كيف ينمي مال الوقف فيصبح كافياً، ومنهم من لا يعرف شيئاً فيصبح غير

كافٍ، ويؤكد هذا ما ورد في ترجمة حسن باشا الأمين الكبير المعروف بشوربزة حسن الذي رأى التلاعب ضارباً أطنابه في ريع حمام البزورية وقف دار الحديث النورية فعمره ونمَّاه بأمر الوزير أحمد باشا الحافظ الذي أظهر الاهتمام بشؤون هذه المؤسسة الحديثية ما هو معروف ومشكور.

ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره ابن كثير في أحداث سنة (611هـ): «وفيها وسع الخندق مما يلي القيمازية، فأخرجت دور كثيرة، وحمام قايماز وفرن كان هناك وقفاً على دار الحديث النورية، فلما بنى الأشرف دار الحديث غربها شرط أن يؤخذ من وقفها ألف درهم.

2 ـ دار الحديث الظاهرية (تقدم التعريف بها):

3 ـ دار الحديث النفيسية[1]:

أنشأها النفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني الدمشقي، ناظر الأيتام وكانت في الأصل دار سكناه، ثم وقفها دار حديث.

وتقع بالرصيف قبلي المارستان الدقاقي، وباب الزيادة عن يمين الخارج منه شمالي غربي المدرسة الأمينية.

لمَّا تولى الذهبي تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية كتب له الصفدي توقيعاً بذلك:

يقول الصفدي[2]: «ولما توفي الشيخ علم الدين البرزالي تولى الشيخ شمس الدين تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية وإمامتها عوضاً عنه وكتبت له توقيعاً بذلك وهو: «رسم بالأمر العالي لا زالت أوامره المطاعة تطلع في آفاق المدارس شمساً، وتزيل بمن توليه عن المشكلات لبساً، أن يرتب المجلس السامي الشيخي الشمسي في كذا وكذا علماً بأنه علامة، وحافظ متى أطلق هذا الوصف كان علماً عليه وعلامة، ومتبحر أشبه البحر اطلاعه والدر كلامه،

---

(1) «الدارس» (1/ 115).

(2) «الوافي بالوفيات» ص166 ـ 167.

ومترجم رفع لمن ذكره في تاريخ الإسلام أعلامه، فالبخاري طاب أرج ثنايه عليه، ومسلم أول مؤمن بأن هذا الفن انتهى إليه، وأبو داود يحمد آثاره في سلوك سنن السنن، والترمذي يخال أنه فداه بنور ناظره من آفات دار الفتن، والنسائي لو نسأ الله في أجله لرأى منه عجباً، وابن ماجه لو عاين ما جاء به ماج له طرباً، فليباشر ما فوض إليه مباشرة تليق بمحاسنه وتدل طالبي الصواب الصواب على مظانه وأماكنه، ويبين لهم طرق الرواية فالفقه حلة وعلم الحديث علمها وطرازها، والرواية حقيقة ومعرفة الرجال مجازها، ويتكلم على الأسانيد ففي بعض الطرق ظلم وظلام ويورد ما عده من الجرح والتعديل أن بعض الكلام فيه كلام، ويوضح أحوال الرواة الذين سلفوا فليس ذاك بعيب وما لجرح بميت إيلام، وينم بما أطلع عليه من تدليسهم، فما أحسن روضة هو فيها نمام، ويسرد تراجم من مضى من القرون التي انقضت فكأنها وكأنهم أحلام، ويحرص على اتصال السند بالسماع ليكون له من الورق والمداد رصدان ضوء الصبح والإظلام، ولا يدع لفظة توهم إشكالاً فالشمس تمحو حندس الأوهام، حتى يقول الناس إن شعبة منك شعبة، وأبا زرعة لم تترك عنده من الفضل حبة، وابن حزم ترك الحزم وما تنبه، وابن عساكر توجس منك رعبه، وابن الجوزي عدم لبه، وأكل الحسد قلبه، ولا تغفل عن إلزام الطلبة بالتكرار على المتون الصحيحة دون السقيمة فما يستوي الطيب والخبيث، وذكرهم بقوله ﷺ: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثاً»** وإن كان الحفظ بمعنى الجمع فالعمل بظاهر الحديث.

فأنت ذو الصفات التي اشتهرت، والفضائل التي بهرت، والدربة التي اقتدرت على هذا الفن ومهرت، والفوائد التي ملأت الأمصار وظهرت، والحجج التي غلبت الخصوم وقهرت.

لم تضع وقتاً من زمانك إما أن تسمع أو تلقي أو تنتقي وإما أن تجتهد في نصرة مذهب الشافعي ﷺ حتى كأنك البيهقي، وإما أن تصنف ما ينتمي بقي بن مخلد لو عاش له وبقي، وأنت أدرى بشروط الواقف رحمه الله فارعها واتبع أصلها وفرعها، واهد الدعاء له عقيب كل ميعاد، وأشركه مع المسلمين

في ذلك فأنوار الرحمة تلمع على هذا السواد، واذكر من تقدمك فيها خير، ففضله كان مشهوراً، وأسأل له الجنة من الله ليسرك يوم القيامة إذا أصبح علماً منشوراً، والوصايا كثيرة ومثلك لا ينبه، ولا يقاس بغيره ولا يشبه، وملاك الأمور تقوى الله تعالى وقد سلكت منها المحجة، وملكت بها الحجة، فلا تعطل منها جيدك الحالي وارو ما عندك فيها فسندك فيها عالي، والله يمدك بالإعانة ويوفقك للإنابة والإبانة بمنِّه وكرمه».

4 ـ دار الحديث القوصية[1]:

أنشأها أبو المحامد إسماعيل بن حامد، وكيل بيت المال، وكانت في الأصل دار سكناه، فوقفها دار حديث.

وهي بالقرب من الرحبة داخل شرقي أحد أبواب دمشق.

(1) «الدارس» (1/ 438).

نموذج من خط الحافظ البِرْزَالي وهو سماعه بخطه لكتاب طرق حديث «من كذب عليَّ متعمداً» للطبراني، نسخة الظاهرية (مجموع 81).





9

أبو الخطاب السبتي (ت745هـ)
كان شيخ دويرة حمد بدمشق
وولي دروس الحديث عند باب البريد

قال ابن رافع[1] في وفيات (ت745هـ): «وفي العشر الوُسَط أو الأُخر من جمادى الآخرة منها توفي الشيخ الخطيب مجد الدين أبو الخطاب محمد بن عيسى بن يحيى بن أحمد السبتي..

سمع من أبي عبد الله محمد بن ترجم «جامع» الترمذي بقراءة والده في سنة تسع وثمانين وست مئة.

ومولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة.

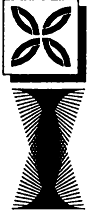
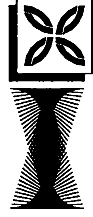
وكان شيخ دويرة حمد بدمشق.

وقال ابن حجر: وولي دروس جمة عند باب البريد»[2].

---

(1) «وفيات ابن رافع» (1/ 491)، «الترجمة» ص408.

(2) «الدرر الكامنة» (4/ 249).

10

أبو العباس الأندرشي الأندلسي (ت750هـ)

تصدَّر بالجامع الأموي

هو: أحمد بن سعد بن عبد الله العَسكرِي[1] الأندرشي[2] ولد بعد التسعين. وقدم المشرق فحج واستوطن دمشق، وأقرأ العربية وتخرج به جماعة وشرح «التسهيل»، ونسخ بخطه «تهذيب الكمال» ثم اختصره، وتلا بالسبع على التقي الصائغ، وشرع في تفسير كبير مع الدين والأمانة والانجماع عن الناس قال الصلاح الصفدي: كنا عند القاضي تقي الدين السبكي فجرى إمساك تنكز نائب الشام، فقال الأندرشي: علمت بوقوع ذلك، قال: وكان ذلك بعد إمساك تنكز بخمس سنين، قد ولي فيها أربع نواب فتعجبنا من إعراضه عن أحوال الناس، وكان له بيت في الجامع تحت المئذنة.

وذكره الذهبي في «المعجم المختص» فقال: تخرج به علماء وكان ديناً منقبضاً عن الناس، شارك في الفضائل، ونسخ «تهذيب الكمال» واختصره وقال ابن رافع: «وكان خيراً صالحاً، وتصدَّر بالجامع الأموي وشغل الناس».

---

(1) العكري: ضبطه الذهبي في المشتبه في الرجال (2/ 468) بفتح العين وتثقيل الكاف وكسر الراء. وكذا ضبطه ابن رافع بالقلم وابن قاضي شهبة بالحروف.
أما في أعيان العصر، والدرر الكامنة، وذيل طبقات الأعيان، وشذرات الذهب، وهدية العارفين، «العسكري» وهو تحريف.

(2) نسبة إلى أندرش أو أندراش، بلدة بالأندلس من كورة البيرة ينسب إليها الكتان الفائق ـ «معجم البلدان» (1/ 373)، و«تقويم البلدان» ص177.
وانظر ترجمته في: «عيون التواريخ» (1/ 116)، و«أعيان العصر» (1/ 75)، و«غاية النهاية» (1/ 55)، و«الدرر الكامنة» (1/ 135)، و«ذيل وفيات الأعيان» (1/ 75)، «الوفيات» لابن رافع (2/ 127)، «الترجمة» 617، «شذرات الذهب» (6/ 166)، «هدية العارفين» (1/ 111).




11

شهاب الدين أحمد بن المريني (ت896هـ)

أول من درس للمالكية بالمدرسة العمرية بدمشق

قال ابن طولون[1]:

ثم رتَّب المالكية درس.

وأول من درس به الشيخ شهاب الدين المريني، ثم انقطع.

وكان هذا الدرس أيضاً في يومي السبت والثلاثاء بين درس الشافعية والحنابلة في الإيوان القبلي.

شهاب الدين أحمد بن المريني المغربي المالكي (ت896هـ)

قال ابن طولون[2]: مِرين: بكسر الميم والراء المهملة المخففة بعدها ياء آخر الحروف. أتى إلى دمشق بعد الستين وثمان مئة فقيراً، له بعض اشتغال في العلم، فاستعان به قاضي القضاة جمال الدين الباعوني في المارستان النوري، فظهرت له أمانة وديانة، فكان السبب في ترقيه، فاشتغل في غضون ذلك بدمشق على جماعة منهم ملا حجي العجمي المقيم يومئذٍ بالمدرسة الشامية الجوانية مدة يسيرة، وهو إذ ذاك نائب الحكم لقاضي القضاة محيي الدين عبد الوارث، وفي سنة خمس وتسعين صودر بولده، ثم في أواخر سنة ست وتسعين وثمان مئة سافر إلى قسم الصرفند وقف المالكية، فتمرض ببلد القرعون، وتوفي بعد ظهر يوم عرفة، وحمل منها إلى دمشق، ودخل به ليلة العيد من باب المدينة إلى منزله، وكانت جنازته مشهودة، ومشى فيها النائب

(1) «القلائد الجوهرية» (1/ 262).

(2) «قضاة دمشق» (262 ـ 264).

إلى مقبرة باب الصغير، ودفن غربي جامع جراح بقربه، وهو في عشر الثمانين ظنّاً.

وذكر ابن طولون أيضاً[1] أن المترجم تولى قضاء المالكية سنة ثمانين وثمان مئة عوضاً عن كمال الدين العباسي.

التعريف بالمدرسة العمرية

قال محمد[2] بن عيسى بن كنان:

ولا تخلو هذه المدرسة من الصالحين والمتزهدين والمترددين من الأفاضل لكن من غير قيد، وهي مكان مبارك لا يدخله أحد إلا وجد فيه روحانية من عند الله وخشية، وقيل: إن الدعاء بها مجاب وإلى الآن يقصد هذا المكان للتبرك.

وقال يوسف بن عبد الهادي[3]: سمعت بعض أصحابنا حكى أن رجلاً رأى الشيخ أبا عمر رحمه الله تعالى في النوم فقال له: أيما أفضل الجامع (أي جامع الحنابة) أم المدرسة (العمرية)؟ فقال: الجامع أفضل، والدعاء في المدرسة مستجاب.

وقال ابن كنان[4] في بيان خصائص جامع الحنابلة والمدرسة العمرية:

لقد خصصهما ابن عبد الهادي بالذكر لما هو مشاهد من بركتهما لكل أحد؛ ولأنه كثر فيهما اشتغال الدروس، وهما محل الحفاظ والمحدثين، واجتمع فيهما ما لا يحتج في غيرهما، ولا يخلوان من ورود الأولياء والعبّاد.

---

(1) «قضاة دمشق» (263).

(2) «المروج السندسية» ص112، وابن كنان، عالم ومؤرخ، توفي سنة (1153هـ).

(3) «المروج السندسية» ص84، «القلائد الجوهرية» (1/ 273).

(4) «المروج السندسية» (81).

وقال ابن طولون[1]:

ومما ينقل في ترجمتها من الفضل: أنها تنفي الخبث فلا تدع فيها مفسداً إلا نفته وأخرجته، وأنه لا يدخلها أحد إلا بشفاعة، ولا يخرج منها أحد إلا بذنب، وأنها لا تخلو من الصالحين، ثم قال ابن طولون: قال الجمال [يوسف بن عبد الهادي] ابن المبرد: وقد أخبرني الشيخ زيد الجراعي[2] قال: جاء رجل مرة إلى عندي بهذه المدرسة، فذهبنا به إلى الناظر ليصرف له خبزاً، فأبى، وكان بها في تلك الأيام شرور، قال: ثم إن الناظر صرف له خبزاً فأبى أن يقبله، وأقام مدة حتى حفظ القرآن. قال: فقال لي في بعض الأيام: يا شيخ، تدري ما قصتي؟ قلت له: لا، قال: أنا من البلاد الفلانية، وذكر بلاداً بعيدة، حدثتني نفسي أنه لم يبق في الدنيا أحد من الصالحين، قال: ونحن نسمع بهذه المدرسة، فقلت: إن كان بقي في الدنيا أحد من الصالحين فهو بها، قال: فلما أتيت إليها، ووجدت هذه الشرور، قلت لنفسي: أنت رحلت لأجل الصالحين، فلم تجد أحداً منهم، فوالله لا أطعم من المدرسة شيئاً، قال: فأقمت مدة، ثم نزلت يوم الجمعة إلى الجامع الأموي لأصلي الجمعة، قال: فلما فرغت من الصلاة وظهرت إلى صحن الجامع وإذا رجل يقول: يا فلان، باسمي، فقلت لنفسي: وكم بهذا الصحن اسمه باسمك، فقال: يا فلان ابن فلان، باسم أبي، فقلت: يمكن أن يكون رجل باسمي واسم أبيه باسم أبي، فقال: يا فلان ابن الفلان الفلاني لشهرة أعرف بها، فجئت وإذا رجل واقف فقبض كتفي أو قال: أخذ بطوقي وهزني، وقال: يا مسكين، لو خلت من الصالحين لخسف بها، عندك منهم في الصالحية ستة، وفي المدرسة ثلاثة، وفي ضواحي الصالحية ثلاثة، وأرسلني فأغمي علي وسقطت إلى الأرض، فلما أفقت لم أره، فأقام مدة ثم ذهب.

---

(1) «القلائد الجوهرية» (1/ 280).

(2) هو والد أبي بكر بن زيد الجراعي المتوفى سنة (883).

ثم قال ابن طولون: ومما يلغز في المدرسة أن يقال لنا: مدرسة بركتها طول يوم، وهي هذه، فإن نهر يزيد بها طوله يوم فأكثر.

وقال ابن طولون[1]: وكانت لها حرمة قائمة بحيث أنه إذا دخلها غريم لا يدخل أحد من ذوي الشوكة يأخذه ولو كان النائب، وإذا جاء في نهرها قتيل غُسل ودفن من غير مشاورة.

وقال الشيخ علي الطنطاوي[2]: أما المدرسة العمرية فلا بد من أن أقف عليها وقفة، فإنها تستحق الوقوف، فلقد كانت تسمى (المدرسة الشيخة) ـ أي الجامعة، وكانت جامعة حقاً ـ وكان فيها ـ على الرغم من أنها مدرسة حنبلية، ورغم العصبية المذهبية، التي كانت للعوام ـ كان فيها أقسام مستقلة ـ كليات ـ للمذاهب الأربعة يتولاها جلة علمائها، وكان فيها كلية للقرآن وقراءاته وعلومه، وقسم خاص ـ وهذا من أعجب ما رأيت من عبقرية هذه الأسرة (بني قدامة) وسبق زمانها ـ قسم للمكفوفين (مدرسة للعميان) وقسم للأطفال (روضة أطفال)، وأعجب من هذا أن الدروس والتلاوات كانت تستمر فيها طيلة الليل والنهار، حتى إن الأمير منجك بعث من يراقبها، فلم يرها فترت من درس أو ذكر أو تلاوة ولا ساعة من الأربع وعشرين ساعة، وكان فيها عدة خزائن فيها نفائس الكتب.

وكل هذا الجيش من الطلاب يأكل وينام في المدرسة، فكان يوزع كل يوم ألف رغيف، ويطبخ للجميع، تقدم لهم الفواكه والحلوى، ومعهم جيش من الموظفين لهم رواتب وسجلات، وللطلاب سجلات وتفقد، وكان لشيخها رتبة عالية تعدل برتبة مدير الجامعة في هذه الأيام.

وقال ابن طولون في مدح المدرسة العمرية وواقفها أبي عمر المقدسي:

باسمك اللهم أبدأ مقصدي ... وأختمه أنت الرحيم ورحمانُ
وبعد صلاتي والسلام على الذي ... عليه من الوهاب أُنزل قرآنُ

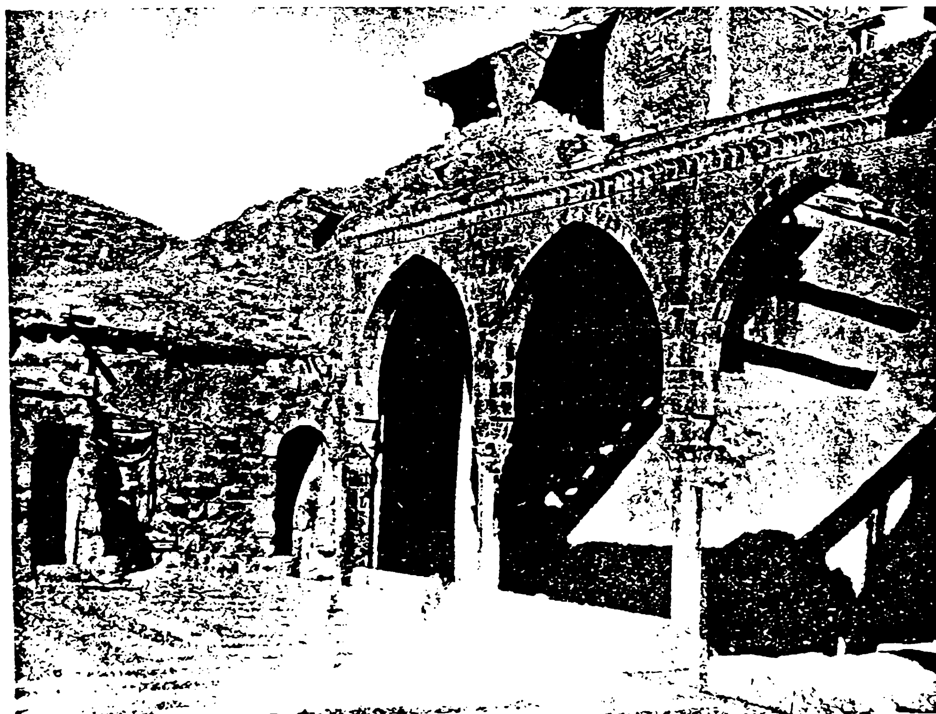
---

(1) «القلائد الجوهرية» (269).

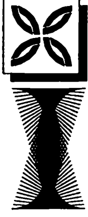
(2) في كتابه «دمشق» المطبوع سنة (1959م).

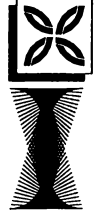
أقول قصيداً بدؤه ابن قدامة / وليّ كبير مقدسي له شانُ
أبو عمر الشيخ الإمام يعمه / من الله خلاق الخلائق رضوانُ
ويسقي ضريحاً ضمه كل رحمة / يعم لمن والاه فالله رحمٰنُ
وينشر مسكاً ذافراً من ترابه / عليهم إلى أن يشمل الكل غفرانُ
كما شمل الأحياء من فيض فضله / بمعروف هذا الشيخ إذ هو ددانُ
فكم واقف مذ مات ماتت وقوفه / وذا حاله ماش وكم باد أزمانُ
وإن يك زاد الوقف فالشيخ أصلُه / ولم يسم إلا الشيخ والشيخ عنوانُ
ففي أي مصر يا مسافر أبصرت / عيونك جمعاً في المدارس إخوانُ
على مذهب فرد جميعاً تجمعوا / على العلم والقرآن بصرٌ وعميانُ
نهارَهم والليل يُتلى كتابه / تعالى دواماً ليس يشغلهم شانُ
يصلوا صلاة الصبح ليلاً ويجلسوا / فيتلوا إلى أن ينظر الشمسَ من كانوا
ويجلس طلاب العلوم عقيبهم / بحضرة أشياخ كبار لهم شانُ
جلالتهم مشهورة ولفضلهم / أقرَّ رؤوس الشام خاص وأعيانُ
دواماً على مرِّ السنين التي مضت / إلى يومنا هذا وربك منانُ
وما ذاك من أجل الرغيفين إنما / لرب السما سرٌّ ولله إحسانُ
فكم موضع فيه ألوف كثيرة / لطلابه ما فيه يسمع قرآن
وإن كان ذاك الجامع الأزهر الذي / بمصر محل العلم محضاً وإن كانوا
به يقرؤوا القرآن لكن جمعنا / بمدرسة الشيخ الموفق دادانُ
نعم عصبة الإسلام تتلو كتابه / ولكن فرادى أو لجمعهم شانُ
ولا شك أن الشيخ كان موفقاً / مقاصده خير ودين وإيمانُ
ومن أجل هذا دام في الخير وقفُه / ومن أسس التقوى له دام تبيانُ
وأما قصيدي هذه فتأسست / لمدرسة الشيخ الذي فيه عرفانُ
أبي عمر المشهور والقارئين في / محلتها إذ كلهم فيه أعوانُ
وأصحاب تدريس بها في علومهم / ونظارها والكتابين لمن كانوا
وهذي كرامات الذي تمَّ فتحه / أبي عمر القطب الذي فيه إحسانُ
دعا الله للأشياخ في وقفه بأن / يكونوا ولاة عارفين كذا كانوا

وغاية ما في الباب أن مرادنا أبو عمر في المدح إذ هو عنوانُ
لتأسيس هذا الخير والجمع جمعه ومن أسس التقوى له دام بنيانُ
فأسألك اللهم يا واسع العطا أغثنا فأنت الله برٌّ ورحمٰنُ
وحقق رضانا فيك وانظر لجمعنا بإحسانك الوافي فكم لك إحسانُ
ورجح لنا يوم الحساب أجورنا ولا تفضحنا يوم ينصب ميزانُ



رواق المدرسة العمرية بدمشق





12

أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)
درّس «صحيح البخاري» تحت قبة النسر بالجامع الأموي

حافظ العصر والأوان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمٰن بن أبي العيش بن محمد المقري القرشي، أصل سلفه من قرية بزاب أفريقية تُدعى مقرة بفتح الميم وسكون القاف، أو فتح الميم وفتح القاف المشدد لغتان فيها، والأولى أفصح وأشهر، والنسبة إليها مقرى بسكون القاف، وهو الجاري على ألسنة أهل تلمسان وفاس مستقرى أسرته في القديم والحديث، ومن قرية مقرة انتقل جده عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن علي في القرن السادس إلى تلمسان صحبة مخدومة الشيخ شعيب بن الحسين الأشبيلي المعروف بأبي مدين الغوث، فاستقر بها وأنجب الذرية، وتأثل أولاده الأموال ونالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بينها وبين الصحراء والسودان، وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجار، ومن أشهر رجال هذه الأسرة في القرن الثامن الهجري القاضي الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري قاضي الجماعة بفاس والمتوفى بها سنة (759هـ) صاحب كتاب «القواعد» و«الطرف والتحف» و«عمل من طب لمن حب» و«الإفادات والإنشادات» وسواها.

ولد بتلمسان سنة (986هـ) وقد كان مضى على احتلال الأتراك العثمانيين لهذه الحاضرة الكبرى ثلاثون سنة، فبدأت تفقد أهميتها العلمية والسياسية، وأخذ الكثير من علمائها وأدبائها وشرفائها وسراتها يهاجرون منها إلى المغرب الأقصى وخاصة إلى فاس التي كانت وإياها فرسي رهان منذ

أشرقت شمس الإسلام والعروبة على هذه البلاد يتسابقان في حلبات الثقافة ويتنافسان في ميادين المدنية، ويتباريان في الحكم والسياسة والتعمير.

وبتلمسان طلب أبو العباس المقري العلم وتلقاه من أفواه من بقي بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيماً لم يهاجر، وكان عمدته في التعلم والتأدب عمه أبا عثمان سعيد المقري مفتي تلمسان وكبير مشيختها الذي قرأ عليه ـ في جملة ما قرأ ـ «صحيح البخاري» سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبي عبد الله التنسي عن أبي عبد الله ابن مرزوق، عن أبي حيان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن ابن أبي الربيع، عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتابه «الشفا، في التعريف بحق المصطفى»، وقد كان سعيد هذا شيخاً مسناً وقوراً بادي الفضل والصلاح، غزير العلم مبرزاً في فنونه، ولا سيما الفقه والحديث، وقد استمر مفتياً بتلمسان أزيد من ستين سنة، وكانت صلته بفاس وشيوخ العلم بها وثيقة، والمراسلات بينه وبينهم في الشؤون العلمية غادية رائحة، وما منهم إلا رفيق له وصديق، عرفه أثناء انتقاله إلى فاس في صغره لطلب العلم، أو أثناء زيارة من الزيارات التي كان يقوم بها النابهون من طلبة إحدى الحاضرتين وعلمائها إلى الأخرى.

ولا ريب في أن سعيد المقري هذا هو الذي كان يزين لابن أخيه الرحلة إلى فاس ويحببها إليه ويرغبه في أن يكمل بها المعارف والعلوم التي حصل عليها ببلده، ويروم بالإضافة إلى ذلك أن يبوئه مقعداً بديوان السلطان الجليل أبي العباس أحمد المنصور الذهبي الذي كانت شهرته طبقت يومئذٍ آفاق المغارب والمشارق وأوروبا، ويحله منه مكاناً يضمن له راحة النفس وتفتح المواهب وبسطة الكف مثلما حصل لجده القاضي محمد مع السلطان أبي عنان الذي صحبه معه عندما بويع بتلمسان إلى فاس، وولاه قضاء حضرته، وأشركه في أموره، وبنى له المدرسة المتوكلية الشهيرة بالطالعة الكبرى، وفعلاً فصل أبو العباس المقري عن تلمسان إلى فاس فوصلها يوم 4 صفر عام 1009 غض الإهاب رطب العود، لم يعد الثالثة والعشرين من عمره، فنزل بدار قاضي فاس الجديد أبي محمد عبد الوهاب ابن القاضي أبي مالك عبد الواحد

الحميدي، ويوم وصوله قصد جامع القرويين وحضر مجلساً للشيخ علي بن عمران السلاسي وناقشه في بعض المسائل الفقهية التي أشكلت عليه، وهو من هو يومئذٍ رسوخاً في الفقه وتضلعاً فيه ـ فاعترف له السلاسي وأنصفه، ومن يومها طار صيته كل مطار، وسار ذكره كل مسير، فأقبل على الناس وأقبلوا عليه، وامتزج بالطلبة والأدباء وامتزجوا به، واستجاز لنفسه العلماء واستجازوا لأنفسهم من عمه بواسطته، وكان يبهرهم بقوة عارضته، وشدة ذاكرته، وحضور حجته، وكثرة حفظه، حتى كتب بعضهم إلى عمه بتلمسان يشكره على اتحاف فاس بهذه الدرة الفريدة والياقوتة الوهاجة، ومنهم الفقيه المؤرخ أبو العباس ابن القاضي الذي كتب إلى عمه رسالة ضمنها قصيدة جاء فيها مخاطباً له:

أرسلت للغرب القصى بدرة ... قد أبهرت وغلت له الأسوام
جمع العلوم على حداثة سنه ... قد بارك الله به العلام
أكرم به من عالم علامة ... جمع العلا وزكت به الأفهام
فجزيت خيراً يا سعيد عن الورا ... بابن الأخ العلامة الصمصام
أدبته هذبته علمته ... ما أن يقاس بعلمه بهرام
ضاءت بكم يا مقرى سما العلا ... وعلت بكم بين الورا أقوام
دامت كرامتكم ودام المجد في ... أكنافكم ما جلت الأقلام

ومن حسن حظ المقري أن ورد على فاس بعيد وصوله إليها الفقيه الماجد إبراهيم بن محمد الآيسي أحد قواد المنصور الذهبي مبعوثاً من مخدومه لبناء سد وادي بوطوبة، وهو المعروف إلى الآن بالسد خارج الباب الجديد، وخلال مقامه بفاس لفت الشاب نظره وكان الرجل من بيت علم وسراوة، فعزم على أن يتحف به السلطان مخدومه ويزين به مجلسه، فلما أتم بناء السد ذهب به في صحبته إلى مراكش، وأدخله على السلطان وعرفه به، وكان السلطان أيضاً رجلاً عالماً أديباً، أبدأ في تقريب العلماء والأدباء وإكرامهم وأعاد، وأنفد بضاعة قرائحهم وانتاج أقلامهم بعد كساد، كان لا ينتقى وزراءه وقواد جيشه وبطانته إلا منهم، فسر بمقدم هذا الشاب العبقري

الذي لم يكن يجهل مكانة أسرته في العلم والسراوة وصلاتها المكينة بملوك المغرب.

ولا يحدثنا المقري عن تاريخ دخوله لمراكش وإن كان حدثنا عن نزوله بدار الآيسي وما غمره به أهلها من بر وإكرام، ولكنه يذكر لنا بعض التواريخ لنشاطه بها، فهو يشير إلى زيارته للمسرة في رمضان عام 1009، وإلى إجازة أبي العباس أبي القاضي له يوم عرفة من نفس العام بالمحلة المنصورة، وإجازة الفقيه المؤرخ سيدي أحمد بابا السوداني التنبكتي له بها في منتصف محرم من عام 1010، وشهوده حفلات المولد النبوي بمحضر المنصور بعد ذلك بشهرين.

وبمراكش تعرف المقري أيضاً على طائفة من العلماء والأدباء الذين كانت تعج بهم تلك الحاضرة وتزدان، وروى عنهم الأشعار والنثار، واستجازهم وأدلى بدلوه بين دلائهم فيما كان يروج بينهم من مساجلات ومداعبات وقضايا علمية، وملأ عيبته بمجموعة نفيسة من الكتب اقتناها أو أهديت إليه ونقل بعضها فيما بعد إلى مسقط رأسه فكان أول من أدخلها إليه.

وغادر مراكش يوم السبت 15 ربيع الثاني عام 1010 عائداً إلى فاس، فأقام بها إلى يوم الخميس 17 ذي القعدة، فكر راجعاً إلى بلده تلمسان مبهوراً بما رأى من عز الإسلام ومجد العروبة وأبهة الملك وانتشار العلم ورخاء الحياة، عازماً على هجرة بلده الذي ذهب بما له من مجد ورواء توالى الفتن وتلاحق الحروب واحتلال الأتراك ليستقر نهائياً بجوار من أنس بهم وأنسوا به تحت رعاية الخليفة المنصور.

ولم يمكث المقري بتلمسان إلا مقدار ما دبر أموره، وصفى علاقاته، وكان الشوق إلى المغرب وحضرة إمامها أبي العباس المنصور يلعب بنهاه ويستبد بحجاه، وإننا لنلمس آثار هذا الشوق المبرح في كتابه «روضة الآس» الذي شرع في تأليفه غب رجوعه من فاس، والذي لا يكاد باب من أبوابه بل ترجمة من تراجمه يخلو من دعاء وتوسل إلى الله أن ييسر رحيله إلى المغرب، ويحقق ما عزم عليه من الانتقال إلى الحضرة المنصورية والاستظلال بظلال

دوحتها الخضراء، ورغم أن خبر وفاة هذا السلطان الجليل بلغته وهو لا يزال في بلده فإنها لم تصرف وجهه عما عزم عليه ونواه من الاستقرار النهائي بفاس، إن لم يكن في ظل أبي العباس المنصور وتحت رعايته ففي ظل ورعاية أحد الأمراء من أبنائه الذين كان تعرف عليهم بالمغرب وتعرفوا عليه، وأورد في الكتاب الذي كان أخذ نفسه بتأليفه وهو «روضة الآس» كثيراً من الأشعار التي قيلت في مدحهم والثناء عليهم، وهكذا لا تكاد سنة 1013 تدخل حتى يرد على فاس بقصد الاستقرار النهائي ونفسه يتنازعها في آن واحد عاملان: عامل الارتياح إلى موطنه الجديد، وعامل الحسرة على فراق بلده الحبيب، موطن آبائه وأجداده، ومستودع طارفه وتلاده، وإنك لواجد في مقدمة كتابه «أزهار الرياض» ألواناً من التعبير عن هذا الارتياح المريح والتحسر الأليم.

ويستقر المقري في فاس فيجد فيها ضالته المنشودة، وأمله المرغوب، من مجالس العلم، وخزائن الكتب، وكثرة المثقفين، فيأخذ ويعطى، ويتعلم ويعلم، ويشارك فيما يشارك فيه أمثاله من شؤون العلم والأدب والسياسة، ويتألق نجمه، ويعرف فضله، ويصير مجلسه بجامع القرويين مجلساً مقصوداً يؤمه طلاب العلم ورواد الأدب، ويقبل الفقهاء والعلماء والمثقفون على قراءة كتبه الدينية والأدبية والعلمية ويتنافسون في انتساخها، ويلتمسون منه الإجازة ويستبيحون منه الرواية، ويقف مواقف مشرفة دفاعاً عن قدسية الدين ووحدة البلاد لما أراد محمد الشيخ السعدي تبرير تسليمه مرسى العرائش للنصارى بفتوى من العلماء فتقدر حميته وغيرته، وبلغ من علو شأنه وارتفاع مكانته أن ولى الخطابة والإمامة والفتوى بجامع القرويين إثر وفاة شيخه محمد الهواري عام 1022.

وتسير الأحوال بالمغرب من سيئ إلى أسوأ، ويشتد التطاحن على الملك بين أبناء أبي العباس المنصور، وتعاون بعضهم مع نصارى الأسبان والبرتغال ضد استقلال وطنه ووحدة ترابه، ويبدأ ذلك الصرح الشامخ الذي شيده والدهم في التضعضع والانهيار، وتصاب الخاصة بما أصيبت به العامة من تصدع وحدة واختلاف رأي وافتراق كلمة، ويميل بعضهم لهذا الأمير

وبعضهم يضلع مع واحد من إخوانه، وينعدم الأمن، ويكثر الغلاء، وتنهب المساكن، وتنهك الحرمات، ويؤخذ العلماء بالظنة، ويحملون على الفتون لصالح المتغلب، ويقف المقري مشدوهاً إزاء هذا التدهور، ويتهم بالميل إلى شراكة، فيبحث لنفسه عن مفر من خضم السوء الذي أصبحت أمواجه مصطخبة بالمغرب، فلا يراه إلا في أرض النبوءة بجوار قبر الرسول ﷺ، وإذ ذاك يصرح للناس بعزمه على الذهاب إلى الحجاز، مستعملاً إلى الحقيقة المجاز، ويتأثر تلاميذه وأصدقاؤه من هذه العزيمة، ويعز عليهم فراقه، ويكتب إليه صديقه أبو الحسن علي الشامي الخزرجي متمثلاً بما كتب به أبو جعفر ابن خاتمة إلى بعض شيوخه:

أشمس الغرب حقاً ما سمعنا؟ بأنك قد سئمت من الاقامه
وأنك قد عزمت على طلوع إلى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب بحق الله لا تقم القيامه

ولكن التوسلات والتضرعات لم تكن لتثنى عزمه أو تصرفه عن وجهته، ويذهب إلى السلطان عبد الله ابن الشيخ مستأذناً في أداء شعيرة من شعائر الإسلام ليس إلى منعه من أدائها من سبيل، وينشده متمثلاً بقول علي بن عبد العزيز الحضرمي:

محبتي تقتضي مقامي وحالتي تقتضي الرحيلا
هذان خصمان لست أقضي بينهما خوف أن أميلا
فلا يزالان في خصام حتى أرى رأيك الجميلا

فيجيبه السلطان:

لا أوحش الله منك قوماً تعودوا صنعك الجميلا

فينعم المقري بالاً، ويتوجه من فاس قاصداً بيت الله الحرام في أواخر رمضان عام 1027 خارجاً كمائها بعد أن دخل إليها كمائها، تاركاً المنصب والأهل، والوطن والألف، وبين جوانحه نيران مضطرمة على فراق المغرب الأقصى.

وبعد أدائه فريضة الحج انقلب إلى مصر سنة 1028 فسكنها وتزوج بها سيدة من أسرة الوفائيين إحدى أسرها الشريفة، ولكنه ألفى في طباع أهلها غلظة ومن علمائها سوء معاملة، وكانت تقع بينه وبينهم مشاحنات تبعث عليها غيرتهم منه وحسدهم له، من ذلك أنه حضر يوماً بسوق الكتب، وهو إذ ذاك غير معروف، فوقع في يده جزء من تفسير غريب ففتح على سورة النور، فإذا مؤلفه قد تعرض لمسألة فقهية غريبة، وذكر فيها اختلافاً وتفصيلاً وتحقيقاً، فاستوعب ما أورد فيها وحفظه على الفور، وكانت سرعة حفظه وقوة ذاكرته من أهم ما يمتاز به، واتفق أنه اجتمع علماء البلد بعد ذلك في دعوة حضرها معهم، فلما استقر بهم المجلس إذا سائل بيده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها، فدفعت إلى الأول من أكابر أهل ذلك المجلس فتأملها ولم يستحضر عنها جواباً، فدفعها لمن يليه فدفعها بدوره إلى الآخر، وهكذا حتى بلغت إليه، فلما تناولها طلب دواة وقلماً وكتب عليها جواباً مطابقاً لما حفظ فجعلوا ينظرون إليه متعجبين، فلما فرع تعاطوها وسألوه عمن ذكرها، فقال ذكرها فلان في تفسيره لسورة النور. فأحضروا الكتاب فإذا الأمر كما ذكر، فدخلهم الحسد منه بسبب ذلك، قال أبو علي اليوسي في «المحاضرات» معلقاً على موقف علماء مصر من المقري: وليس هذا ببدع، فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم، أو مزاحمة في رتبة أو حظ إلا من عصمه الله وقليل ما هم:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً إنه لدميم

ويقال أن المقري سئل عن حظه بمصر فأجاب: دخلها قبلنا ابن الحاجب، وأنشد فيها قوله:

يا أهل مصر وجدت أيديكم ... في بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرا بأرضكم ... أكلت كتبي كأنني أرضه

وأنشد هو لنفسه:

تركت رسوم عزي في بلادي ... وصرت بمصر منسي الرسوم
ونفسي عفتها بالذل فيها ... وقلت لها عن العلياء صومي

ولي عزم كحد السيف ماض ولكن الليالي من خصومي

ثم زار بيت المقدس في شهر ربيع الأول من عام 1029 ورجع إلى القاهرة، وأخذ يكرر منها الحج فدخل مكة سنة 1037 خمس مرات، وفي كل مرة كان يعقد مجالس للعلم ويملي دروساً في الفقه والحديث والسيرة وغيرها، وأملا دروس الحديث بجوار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى مرأى منه ومسمع، وألف بالروضة النبوية بعض كتبه أو نقحها ونسخها، ك «فتح المتعال في مدح النعال» الذي أعاد كتابته عند قدمي الرسول، و«أزهار الكمامة في العمامة» الذي ألفه تجاه رأسه، و«إضاءة الدجنة، بعقائد أهل السنة» التي كتب منها بالحرمين واليمن ومصر والشام أزيد من ألفي نسخة كتب خطه على أكثرها، ثم رجع إلى مصر سنة 1039 ودخل القدس في رجب من تلك السنة، وأقام به خمساً وعشرين يوماً.

أحمد بن محمد المقري في دمشق

جاء في وصفه وانطباعاته عن مدينة دمشق:

ثمَّ حَدَثَ لي منتصفَ شعبان، عزمٌ على الرحلة إلى المدينة التي ظهر فضلها وبان، دِمَشْق الشام، ذاتِ الحسن والبهاء والحياء والاحتشام، والأدواح المتنوّعة، والأرواح المتضوّعة، حيث المشاهدُ المكرّمة، والمعاهدُ المحترمة، والغُوطةُ الغَنّاء والحديقة، والمكارمُ التي يُبَاري فيها المرء شانئه وصديقه، والأظلالُ الوَرِيفة والأفنان الوريقة، والزهر الذي تخاله مَبْسِماً والندي ريقه، والقُضْبانُ المُلْدُ، التي تشوق رائيها لجنّة الخلد:

بحيثُ الروضُ وَضَّاحُ الثنايا أنِيقُ الحسنِ مَصْقولُ الأديمِ

وهي المدينة المستولية على الطباع، المعمورة البقاع، بالفضل والرباع:

تَزِيدُ على مرّ الزمانِ طُلاوَةً دِمَشْقُ التي راقت بحُلْو المشاربِ

لها في أقاليم البلادِ مشارقٌ مُنَزَّهَةٌ أقمارُهَا عن مغارِبِ

ودخلتها أواخرَ شعبان المذكور، وحُمِدَتِ الرحلةُ إليها وجعلها اللهُ من السعي المشكور:

وجدتُ بها ما يملأ العينَ قُرَّةً ويُسْلي عن الأوطانِ كلَّ غريبِ

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة، ومبانيها المستحسَنة:

نزلنا بها نَنْوي المقامَ ثلاثةً فطابت لنا حتى أقمنا بِها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنّقَ في الخطاب، وأطال في الوصف وأطاب، وإن ملأ من البلاغة الوِطاب، كما قلت[1]:

محاسنُ الشام أجْلى من أن تسام بحدٍّ
لولا حمى الشرع قلنا ولم نقفْ عِنْدَ حَدٍّ:
كأنّهَا معجزاتٌ مقرونةٌ بالتحدّي

فالجامعُ الجامع للبدائع يبهر الفِكَر، والغُوطة المنوطة بالحسن تسحر الألباب لا سيما إذا حيّاها النسيم وابتكر:

أُحبُّ الحِمى من أجل مَنْ سكن الحِمى حَدِيثٌ حديثٌ في الهوَى وقَدِيمُ

فللَّه مرآها الجميلُ الجليل، وبيوتُها التي لم تخرجْ عن عَروضِ الخليل، ومخبرها الذي هو على فضلها وفضلِ أهلها أدلُّ دليل، ومنظرها الذي ينقلب البصرُ عن بهجته وهو كَليل[2]:

والروضُ قد راق العيونَ بحُلّة قَدْ حاكَها بسَحابِهِ آذارُ
وعلى غصونِ الدَّوْح خُضْرُ غلائلٍ والزهْرُ في أكْمامِهِ أزرارُ

فكم لها من حسن ظاهر وكامن، كما قلت موطِّناً للبيت الثامن:

أمّا دِمَشْقُ فخضرةٌ لعبتْ بألبابِ الخلائقْ
هِيَ بهجةُ الدُّنيا التي مِنْها بديعُ الحسنِ فائقْ
لله مِنْها الصالحيّـ ـةُ فاخَرَتْ بذوي الحقائقْ
والغُوطَةُ الغنّاء حَيّـ ـتْ بالورود وبالشقائقْ
والنهرُ صافٍ والنسيـ ـمُ اللَّدْنُ للأشواقِ سائقْ
والطيرُ بالعيدانِ أبـ ـدتْ في الغنا أحلى الطرائقْ

---

(1) نفح الطيب (1/ 58) وما بعدها.

(2) «خلاصة الأثر» (1/ 306).

ولآلــئ الأزهـــارِ حَــلّــ ـــتْ جيدَ غُصْنٍ فهو رائقْ
ومَــرَاوِدُ الأمــطــارِ قــد كُحِلَتْ بها حدقُ الحدائقْ
لا زال مــغــنــاهــا مــصــو نــاً آمــنــاً كــلَّ الــبــوائــقْ

وكما قلت مرتجلاً أيضاً مضمِّناً الرابع والخامس:

دمــشــقُ راقــتْ رُوَاءً وبــهــجــةً وغَــضَــارهْ
فــيــهــا نــســيــمٌ عَــلــيــلٌ صــحّ فــوافــتْ بــشــارهْ
وغُــوطَــةٌ كــعــروسٍ تُــزْهــى بــأعــجــبِ شَــارَهْ
يــا حُــســنــهــا مــن ريــاضٍ مــثــل الــنّــضــار نَــضَــارهْ
كــالــزهــرِ زهــراً وعــنــهــا عَــرْفُ الــعــبــيــرِ عِــبَــارَهْ
والــجــامــعُ الــفــردُ مــنــهــا أعْــلــى الإلَــهُ مَــنَــارهْ
وحــاصــلُ الــقــول فِــيــهــا لــمَــن أرادَ اخــتــصــارَهْ
تــذكــيــرُهــا مــن رآهــا عَــذْنــاً وحَــسْــبــي إشــارهْ
دامــتْ تــفــوقُ ســواهــا إنَــالَــةً وإنــارهْ

وكما ارتجلت فيها أيضاً[1]:

قال لي ما تقولُ في الشام حَبْرٌ كلّما لاحَ بارقُ الحسنِ شامَهْ
قلتُ ماذا أقول في وَصْفِ قُطْرٍ هُوَ في وَجْنةِ المحاسنِ شامَهْ

وقلت أيضاً:

قال لي صِفْ دمشقَ مَوْلًى رئيسٌ جَمّلَ الله خَلْقَهُ واحتشامَهْ
قُلتُ كَلَّ اللسانُ في وصفِ قُطرٍ هُوَ في وجنة البسيطةِ شامَهْ

وقلت أيضاً:

وإذا وصفْتَ محاسنَ الدُّنيا فلا تبْدأ بِغَير دمشقَ فِيها أوّلا
بلدٌ إذا أرسلتَ طَرْفَكَ نحوه لم تلقَ إلّا جَنّةً أو جَدْولا
ذا وصفُ بعضِ صفاته وهي التي تُعيِي البليغَ وإن أجادَ وطوّلا

(1) أبيات المقري هذه في خلاصة الأثر (1/ 306).

والغاية في هذا الباب، من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الألباب، قولُ أبي الوَحْش سَبُعِ بن خلف الأسدي يصف أرضَها المشرقة، ورياضها المورقة، ونسيمَها العليل، وزهرها النديّ البَليل[1]:

سقى دمشقَ الشام غيثٌ مُمْرِعٌ ... من مُستهلّ ديمةٍ دَفّاقِها
مدينةٌ ليس يُضاهى حُسْنُها ... في سائرِ الدُّنيا ولا آفاقِها
تودُّ زوراءُ العراقِ أنّها ... تُعْزَى إليها لا إلى عِرَاقِها
فأرضُه مثلُ السماء بهجةً ... وزهرُها كالزُّهْرِ في إشراقِها
نسيمُ رَيّا روضِها مَتى سَرَى ... فكَّ أخا الهمومِ منْ وَثاقِها
قَدْ رَبَعَ الربيعُ في ربوعها ... وسيقتِ الدُّنيا إلى أسواقِها
لا تسأمُ العيونُ والأنوفُ مِنْ ... رؤيتها يوماً ولا انتشاقِها

وقول شمس الدين الأسدي الطيبي:

إذا ذُكِرَتْ بقاعُ الأرض يوماً ... فقُلْ سَقْياً لِجِلّقَ ثم رَعْيا
وقلْ في وصفها لا في سواها: ... بها ما شئتَ من دينٍ ودُنيا

وكأن لسان الدين ذا الوزارتين بنَ الخطيب، عَناها بقوله المصيب:

بلدٌ تحفُّ بهِ الرياضُ كأنّه ... وجهٌ جميلٌ والرياضُ عِذَارُهُ
وكأنّما واديهِ مِعْصَمُ غادةٍ ... ومن الجُسُورِ المحكماتِ سوارُهُ

وكنت قبل رحلتي إليها، والوفادة عليها، كثيراً ما أسمع عن أهلها زاد الله في ارتقائهم، ما يشوّقني إلى رؤيتها ولقائهم، ويُنْشقني على البعد أريجَ الأدب الفائق من تلقائهم، حتى لقيتُ بمكةَ المعظَّمة، أوحدَ كبرائها الذين فرائدهم بِلَبّة الدهر منظَّمة؛ عينُ الأعيان، وصدرُ أرباب التفسير بها والبيان؛ صاحبُ القلم الذي طبّقَ الكلى والمفاصل، والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل، والتآليف التي وَصْفُها بالإجادة من باب تحصيل الحاصل؛ وارثُ العلم

---

(1) هذه الأبيات من قصيدة في الخريدة (قسم الشام 1/ 248) منسوبة لفتيان بن علي الشاغوري ووردت في رحلة ابن بطوطة 1/ 86 لسبع بن خلف وهو الأديب أبو الوحش أحد شعراء الخريدة (قسم الشام 1/ 242).

عن غير كَلالة؛ ذو الحسب المُشرق بدرُهُ في سماء الجلالة؛ صاحب المعارف التي زانت خلاله، وساحب أذيال العَوَارف التي أبانت على فضله دَلالة، مفتي السلطان في تلك الأوطان، على مذهب الإمام النُّعمان، مولانا الشيخ عبد الرحمٰن ابن شيخ الإسلام عماد الدين، لا زالَ سالكاً سبيل المهتدين؛ فكان جَمّلَ الله به عصراً وأواناً، لقضية هذا القياس عنواناً، فلمّا حَلَلْتُ بدارهم، ورأيت ما أذهلني من سَبْقهم للفضل وَبِدَارهم، صَدَّقَ الخُبْرُ الخَبَرَ، وتمثّلت فيهم بقول بعض من غَبَرَ:

ألمّتْ بِنا أوصافُهم فامتلا الفضا عَبِيراً وأضْحى نُورُهُ متألّقا
وقد كانَ هذا مِنْ سماع حديثهم بلاغاً فصحَّ النقْلُ إذ حصل اللّقا

وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء، وعرَّفني بديعُ بِرّهم فنَّ الاكتفاء:

غمرتني المكارمُ الغُرُّ منهمْ وتوالَتْ عليّ مِنْها فنونُ
شَرْطُ إحسانِهِمْ تحقّقَ عِندي لَيْتَ شِعري الجزاء كيف يكونُ

وقابلوني بالقَبول مُغْضين عن جهلي:

وما زال بي إحسانُهُمْ وجميلهُمْ وبِرّهُمُ حتى حَسبتهمُ أهلي

بل الأولى أن أتمثّل فيهم بما هو أبلغُ من هذا المقول في آل المهلّب، وهو قول بعض مَنْ نزل بقومٍ بَرْقُ قَصْدهم غير خُلَّب، في زمن به تقلَّب:

ولمّا نَزَلْنا في ظِلال بُيُوتهم أمِنّا ونلنا الخِصْبَ في زمن محلِ
ولو لَمْ يَزِدْ إحسانُهم وجميلُهم على البر من أهلي حسبتهمُ أهْلي

لا سيّما المولى الذي أمداحه تُحلّي أجيادَ الطّروسِ العاطلة، وسَماحُهُ يُخجِلُ أنواء الغيوثِ الهاطلة، صدرُ الأكابِرِ الأعاظم، الحائز قَصَبِ السّبْق في مَيْدان الإجادة بشهادة كل ناثر وناظم، الصديقُ الذي بودّه اغتبط، والصَّدُوقُ الذي بأسباب عَهْده أرتبط، الأوحدُ الذي ضربتِ البراعةُ رِوَاقَها بناديه، والماجدُ الذي لم يزل بديعُ البلاغة من كَثَبٍ يناديه، السريُّ الحائز من الخلال ما أبان تفضيله، اللّوْذعيُّ الذي لم تزل أوصافُه تحكم له بالسؤدد وتقضي له،

والحقُّ أبلج لا يحتاج إلى زيادة بَرَاهين، الأجلُّ المولى أحمد أفندي بن شاهين، لا زالت العزةُ مُقيمةً بِوَاديه، ولا برحَتْ حضرتُه جامعةً لبواطن الفخر وبَوَاديه، والسّعدُ يراوحُ مقامه ويُغاديه، والمجدُ يترنّم بذكره حاديه، فكم له أسماه الله ولغيره من أعيان دمشق لديَّ من أياد، يعجز عن الإبانة عنها لو أراد وصفَها قُسّ إياد، ولو تعرضتُ لأسمائهم وحُلاهم، أدام الله تعالى سعودهم وعُلاهم، لضاق عن ذلك هذا النّطاق، وكان من شِبْهِ التكليف بما لا يطاق، فليتَ شعري بأيّ أسلوب، أؤدي بعضَ حقهم المطلوب؟ أم بأيّ لسان، أُثني على مَزَاياهم الحسان؟ وما عسى أن أقول في قوم نَسَقُوا الفضائلَ وِلاء، وتعاطَوْا أكوابَ المحامد وَلاء؟ وسحبوا من المجد مَطارف ومُلاء، وحازوا المكارمَ، وبَذُّوا المُوادِدَ والمُصارِمَ، سؤدداً وعلاء:

فَمَا رِياضُ زَهَرِ الرَّبيعِ ... إذا بَدَتْ في وَشْيِها البديعِ
ضاحكةً عن شَنَبِ الأقاحِ ... عِندَ سُفورِ طَلْعَةِ الصَّبَاحِ
غَنّى بِها مُطَوَّقُ الحَمامِ ... وصافَحَتْها راحَةُ الغمامِ
وباكَرَتْها نَسْمَةٌ مِنَ الصَّبَا ... فأصْبَحَتْ كأنّها عَهْدُ الصِّبَا
نَضَارةً ورَوْنقاً وبَهْجَهْ ... تُفْدَى بكلّ ناظرٍ ومُهْجَهْ
أطْيَبُ من ثنائهم عَبيرا ... بينَ الوَرَى، واسألْ به خَبيرَا
دامَتْ مَعَالِيهم على طولِ الزَّمَنْ ... يُرْوَى حديثُ الفضلِ عنها عَنْ حسَنْ
وثَابِتٍ وَقُرَّةٍ وسَعْدِ ... وأُسْعِفُوا بنيلِ كلّ وَعْدِ

فهم الذين نَوَّهوا بقدري الخامل، وظنّوا مع نقصي أن بحرَ معرفتي وافرٌ كامل، حسبما اقتضاهُ طبعهم العالي:

فلو شَرَيْتُ بعُمْري ساعةً ذهبَتْ ... من عيشتي معهم ما كان بالغالي

فمتعيِّنٌ حقُّهم لا يُتْرَك، وحُبّهم لا يخالَطُ بغيره ولا يُشْرَك، وإن أطلتُ الوصفَ فالغاية في ذلك لا تُدْرَك:

يَزدَادُ في مَسْمَعي تَردَادُ ذكرهِمُ ... طيباً ويحسُنُ في عيني مُكَرَّرُهُ

وإذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر، فهم كما قال الأعرابي

الذي ضَلّتْ ناقته في مدح البدر[1]، والبليغ وذو الحَصَر في ذلك سِيّان، والحق أبلجُ، والباطل لَجْلَج، وليس الخبر كالعِيَان:

هَبِ الرَّوْضَ لا يُثني على الغيثِ نَشرُهُ أتحسِبُهُ تخفى مآثُره الحُسْنى

وقد تذكرتُ بلادي النائيه، بذلك المرأى الشاميّ الذي يَبْهَرُ رائيه، فما شئتَ من أنهارٍ ذاتِ انسجام، أُتْرِعَ بها من جِرْيال الأنس جام، وأزهارٍ متوِّجة للأدواح، مُرَوّحةٍ للنفوس بعاطرِ الأرواح، وحدائق تُغْشي أنوارُها الأحداق، وعيانها للخبر عنها مِصْداق وأيّ مصداق:

فهيَ التي ضَحِكَ البهارُ صباحَها وَبَكَتْ عشيّتَها عيونُ النرجِسِ
واخضَرَّ جانبُ نهرها فكأنّهُ سَيفٌ يُسلُّ وغمدُه من سُندُسِ

وجنان، أفْنانُها في الحُسن ذوات افتنان:

صافَحَتْها الرياحُ فاعتنق السّرْ وُ ومَالَتْ طِوالُه للقِصارِ
لائذٌ بعضُهُ ببعضٍ كقومٍ في عتابٍ مُكَرَّرٍ واعتذارِ

وبِطاح راقَ سناها، وكَمُل حُسنها وتناهى، كما قلت مضمّناً في ذلك المنحى، لقول بعض من نال في البلاغة منّاً ومنحا:

دِمَشْقٌ لا يُقاسُ بها سواها ويمتنعُ القياسُ مع النّصُوصِ
حُلاها راقتِ الأبصارَ حُسْناً على حكم العُموم أو الخُصوصِ
بِساطُ زمرّدٍ نُشرَتْ عَلَيْه من الياقوت ألوانُ الفُصُوصِ

ولله درُّ القائل، في وصفِ تلك الفضائل[2]:

إن تَكُنْ جنّةُ الخلود بأرضٍ فدمَشْقٌ، ولا يكون سِوَاها
أو تكنْ في السماء فَهْيَ عليها قد أمدَّت هَواءها وهواها
بَلَدٌ طيّبٌ وربٌّ غَفورٌ فاغْتَنِمْها عشيّةً أو ضُحاها

---

(1) يشير إلى قول الأعرابي للقمر:

ماذا أقول قولي فيك ذو حصر وقد كفيتني التفصيل والجملا
إن قلت لا زلت مرفوعاً فأنت كذا أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

(2) انظر: رحلة ابن بطوطة ص84.

وعند رؤيتي لتلك الأقطار، الجليلةِ الأوصافِ العظيمةِ الأخطار، تفاءلتُ بالعَوْد إلى أوطان لي بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريبٌ في الأنهار والأزهار، ذاتِ العَرْف المِعْطار، وزادتْ هذه بالتقديس الذي هَمَعَت عليها منه الأمطار، وتمثلتُ بقول الأصفهاني، وإن غيرتُ يسيراً منه لما أسفرت وجوه التهاني[1]:

لـمّـا وَرَدْتُ الـصَّـالـحـيّـ ـةَ حيـثُ مُـجْـتَـمَـعُ الـرّفـاقِ
وشـمِـمْـتُ مـن أرض الـشـآ م نـسـيـمَ أنـفـاس الـعِـرَاقِ
أيـقَـنْـتُ لـي ولـمـن أحـ ـبُّ بـجَـمْـع شـمـلٍ واتّـفـاقِ
وضـحـكـتُ مِـنْ فَـرَح الـلِّـقـا ءِ كـمـا بـكـيـتُ مِـنَ الـفِـراقِ
لَـمْ يَـبْـقَ لـي إلّا تـجـ ـشُّـمُ أزمُـنِ الـسّـفـر الـبـواقـي
حـتـى يَـطـولَ حـدِيـثُـنـا بـصـفـاتِ مـا كـنّـا نـلاقـي

وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مُولَعاً بالوطنِ لا سواه، فصار القلب بعد ذلك مُقَسَّماً بهواه:

ولي بالحِمى أهلٌ وبالشِّعْبِ جيرةٌ وفي حاجرٍ خِلٌّ وفي المنحنى صَحْبُ
تَقَسَّمَ ذا القلبُ المتيَّمُ بينَهُمْ سألتكمُ بالله هل يُقْسَمُ القلبُ

فيا لك من صَبّ مُراعٍ للذمام، منقادٍ لشوقه بزمام، يخيّلُ له أنه سمع صَوْت قيان، بقول الأول:

إلى اللهِ أشكو بالمدينة حاجَةً وبالشامِ أُخرَى كيف يلتقيانِ

وفردٍ تعدّدت جموعُهُ، وَوَشَتْ، بما أكنّتْ ضلوعُه، دموعُه، فأنشد وقد تحير، ما بدّل فيه من عظم ما به وغيَّر:

كتمتُ شأن الهوَى يوم النوى فوَشَى بسرِّه من جُفوني أيُّ نَمّامِ
كانت لَياليَّ بِيضاً في دنوّهِمُ فلا تسَلْ بَعْدهم عن حال أيّامي
ضَنيتُ وَجداً بهِم والناسُ تحسب بي سُقْماً فأُبْهِمَ حالي عندَ لُوّامي
وليس أصْلُ ضَنى جسمي النحيل سِوَى فَرْطِ اشتياقي لأهل الغَرْب والشامِ

(1) بعض هذا الشعر ورد في قصة رواها الحميدي في الجذوة ص68.

وحصل التحير، حيث لم يمكن الجمع ولا الخلوّ عند التخير، كما قال ابن دقيق العيد، في مثل هذا الغرض البعيد:

إذا كنتُ في نَجْدٍ وطيبِ نَعيمه تذكّرْتُ أهلي باللّوى فمُحَسَّرِ
وإنْ كنتُ فيهم زِدْتُ شوقاً وَلَوْعَةً إلى ساكني نَجْدٍ وعِيلَ تَصبُّري
فقد طال ما بين الفريقَيْنِ مَوْقفي فمن لي بنَجْدٍ بين أهلي ومعشري

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة، ومحاسنُ الشام وأهله طويلةٌ عريضة، ورياضُه بالمفاخر والكمالات أريضة، وهو مقرّ الأولياء والأنبياء، ولا يجهَل فضله إلّا الأغمار الأغبياء، الذين قلوبهم مريضة:

أنّى يرَى الشّمْسَ خُفّاشٌ يلاحِظُها والشمسُ تَبْهَرُ أبصارَ الخَفافِيشِ

ولله درُّ من قال في مثل هذا من الأرضياء:

وَهَبْني قلتُ إنَّ الصبحَ ليلٌ أيَعْمَى العالمون عنِ الضيّاء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر:

إذا لم يكنْ للمرء عَيْنٌ بصيرةٌ فلا غَرْوَ أن يرتابَ والصُّبْحُ مسفرُ

وحَسْب الفاضل اللبيبِ، أن يروي قول البدر بن حبيب:

عَرّجْ إذا ما شِمْتَ برقَ الشآمْ وحَيّ أهْلَ الحيّ وَاقْرَ السلامْ
وانزلْ بإقليمٍ جزيلِ الحَيا بارَكَ فيه اللهُ رَبُّ الأنام
العزُّ والنصرُ لديه، وَما لعُرْوَة الإسلام عنه انْفِصام
من أولياء الله كم قد حَوَى رُكْناً بمرآهُ يطيبُ المُقام
وَهْو مَقَرُّ الأنبياء الأُلى والأصْفِياء الأتقياء الكرام
كم من شهيدٍ في حِماهُ وكم من عالمٍ فَرْدٍ وكم من إمام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره في الدواوين، وابتنت الأساتذة بيوتَ افتخاره المنيفة الأواوين، وتناقلت أنباءه البديعة ألْسُنُ الراوين، وهامت بأماكنه المَرِيعة هُداةُ الشريعة فضلاً عن الشعراء الغاوين، ومع ذلك فهم في التعبير عن عجائبه غيرُ متساوين، أوَ لا يرى أنهم يأتون من مَقُولهم، على قدر رأيهم وعقولهم، ولم يبلغ جمعٌ منهم ما كانوا له ناوين:

على قدرِكَ الصّهباءُ توليكَ نشوةً بها سيء أعداءٌ وسُرَّ صِحابُ
ولو أنها تُعْطيكَ منها بقدرها لضاقَتْ بك الأكوانُ وَهيَ رحابُ

وكنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة، وأثناء التأمّل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغُوطَة، كثيراً ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، ونتفيأ من ظلالِ التبيان مع أولئك الأعيانِ في مجالسَ مَغْبوطة، نتجاذبُ فيها أهدابَ الآداب، ونشربُ من سَلْسال الاسترسال ونتهادى لُباب الألباب، ونمدّ بساطَ الانبساط ونسدلُ أطنابَ الإطناب، ونقْضي أوطار الأقطار، ونستدعي أعلام الأعلام، فينجرُّ بنا الكلام والحديث شجون، وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون، إلى ذكرِ البلاد الأندلسية، ووصفِ رياضها السندسية، التي هي بالحسن مَنُوطة، وقضاياها الموجَّهة التي لا يستوفيها المنطق مع أنها ضرورية وممكنة ومشروطة، والفِطَر السليمة، والأفهام فصِرْت أُورد من بدائع بُلَغائها ما يجري على لساني، من الفيض الرحماني، وأسْرُدُ من كلام وزيرها لسانِ الدين بن الخطيب السّلْماني، صبَّ الله عليه شآبيبَ رحماهُ وبلّغهُ من رضوانه الأماني، ما تُثيره المناسبة وتقتضيه، وتميل إليه الطباعُ السليمة وترتضيه، من النظم الجَزْل، في الجدّ والهزل، والإنشاء، الذي يُدْهِشُ به ذاكِرُهُ الألبابَ إن شاء، وتصرُّفِهِ في فنونِ البلاغة حالَي الولايةِ والعزل، إذ هو ـ أعني لسان الدين ـ فارسُ النظم والنثر في ذلك العصر، والمنفردُ بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر، وكيف لا ونظمه لم تستولِ على مثله أيدي الهَصْرِ، ونثره تزري صورته بالخريدةِ ودُمْيَة القصر.

فلمّا تكرر ذلك غَيْرَ مرَّةٍ على أسماعهم، لهِجُوا به دون غيره حتى صار كأنّه كلمةُ إجماعهم، وعَلِق بقلوبهم، وأضحى منتهى مطلوبهم، ومُنْية آمالهم وأطماعهم، وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه، ويعترفون ببراعته ويستحسنونه، ويستنشقون من أزهاره كلَّ ذاكٍ، فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك، وهو الماجد المذكور، ذو السعي المشكور، أن أتَصَدَّى للتعريف بلسان الدين في مُصَنَّف يُعرب عن بعض أحواله وأنبائه، وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك

عصره وعلمائه وأدبائه، ومَفاخره التي قُلّد بها جِيدُ الزمان ولَبّتُه، ومآثره التي أرِجَ بها مَسْرى الشّمال وهَبَّتُه، وبعض ما له من النّثار والنظام، والمؤلفات الكبار العظام، الرائقة للأبصار، الفائقة على كلام كثير من أهل الأمصار، السائرة مسير القمر والشمس، المعقودة عليها الخَناصر بل الخمس، كيما يكون ذلك لهذه الأغراض مُشِيعاً، ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من أغراضِهِ البديعة ومنازعه وَشِيعا.

نماذج مما أورده أحمد بن محمد المقري من أشعار في وصف دمشق

وقد عنَّ لي أن أذكر جملة ممّا قيل فيها من الأمداح الرائقة، وأسرد ما خاطبني به أهلها من القصائد الفائقة، فأقول:

قال البدر بن حبيب:

يَمّمْ دمشقَ ومِلْ إلى غربيّها ... والمحْ محاسنَ حُسْنِ جامع يِلْبُغا
من قالَ من حسدٍ رأيت نظيرَهُ ... بينَ الجوامع في البلادِ فقد لغا

وقال رَحِمَهُ الله:

للهِ ما أحْلى محاسِنَ جِلّقٍ ... وجهاتها اللّاتي تروقُ وتعذُبُ
بيزيد ربوتِها الفراتِ وَجَنْكِها ... يا صاحِ كم كنّا نخوضُ ونلعبُ

وقال في كتاب «شنف السامع بوصف الجامع»:

للهِ ما أجملَ وَصْفَ جِلّقٍ ... وما حوى جامِعُها المنفردُ
قد أطربَ الناسَ بصوْتِ صيتهِ ... وكيف لا يُطْرِبُ وهو مَعْبدُ

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة:

يا راغباً في غيرِ جامعِ جِلّقٍ ... هل يستوي الممنوعُ والممنوحُ
أقصر عَنَاكَ وفي غلوّك لا تزدْ ... إنَّ الزيادةَ بابُها مَفْتوحُ

وقال في مَنارَته المعروفة بالعَروس:

معبدُ الشام يجمعُ الناسَ طُرّاً ... وإليه شوقاً تميلُ النفوسُ
كيف لا يجمعُ الورى وهو بيتٌ ... فيه تُجْلى على الدوامِ العروسُ

ومنه في ذكر بانيه الوليد:

تـالله مـا كـانَ الـولـيـدُ عـابـثـاً   في صَرْفِهِ المالَ وبذلِ جُهْدِهِ
لـكـنّـهُ أحـرزَ مُـلـكَ مَـعْـبَـدٍ   لا يـنـبـغـي لأحـدٍ مـنْ بـعـدِهِ

ولم أقفْ على كل هذا الكتاب المذكور، بل على بعضه فقط.

ومن قصيدة القاضي المهذّب بن الزبير:

بـالله يـا ريـح الـشّـمـا   ل إذا اشتملتِ الرَّنْدَ بُرْدا
وحـمـلـتِ مـن عَـرْفَ الـخـزا   مـى مـا اغـتـدى لـلـنَّـدّ نِـدّا
ونـسـجـتِ مـا بـيـنَ الـغـصـو   نِ إذا اعـتـنـقـنَ هـوًى وودّا
وهـززتِ عـنـدَ الـصـبـحِ مـن   أعْـطـافِـهـا قَـدّاً فَـقَـدّا
ونـثـرتِ فـوقَ الـمـاء مِـنْ   أجـيـادِهـا لـلـزهـرِ عِـقْـدا
فـمـلأتِ صـفـحـةَ وجْـهِـهِ   حـتّـى اكْـتَـسـى آسـاً ووَرْدا
وكـأنّـمـا ألْـقَـيْـتِ فِـيـ   هِ مـنـهـمـا صُـدْغـاً وخـدّا
مُـرّي عـلـى بَـرَدَى عَـسـا   هُ يـزيـد فـي مَـسْـرَاكِ بـردا
نـهـرٌ كـنـصـلِ الـسـيـفِ تـكـ   ـسرُ مَـتْـنَـه الأزهـارُ عَـمْـدا
صَـقَـلَـتْـهُ أنـفـاسُ الـنّـسـيـ   ـم بـمـرّهـنَّ فـلـيـس يَـصْـدا

ومنها:

أحـبـابَـنـا مـا بـالُـكُـمْ   فـيـنـا مِـنَ الأعـداء أعـدى
وحـيـاةِ حُـبّـكُـمُ وحُـرْ   مَةِ وصلكمْ ما خنتُ عهدا

ومن أبيات في آخره:

بـجـامـعِ جـلّـقٍ ربُّ الـزعـامَـهْ   أقمْ تلقَ العِنايةَ والكرامَهْ
ويـمـمْ نـحـوهُ فـي كـلّ وقـتٍ   وصَـلّ بـه تَـصِـلْ دارَ الإقـامـه
مُـصَـلّـى فـيـهِ لـلـرحـمٰـن سـرٌّ   ومَـثْـوًى لـلـقـبـولِ بـهِ عـلامَـه
مـحـلٌّ كَـمّـلَ الـبـاري حُـلاه   وبـيـتٌ أبـدعَ الـبـانـي نـظـامـه
دمشقٌ لم تزلْ للشام وجهاً   ومسجدها لوجهِ الشام شامه
وبـيـنَ مـعـابـدِ الآفـاقِ طُـرّاً   لـهُ أمـرُ الإمـارة والإمـامَـه
أدام الله بَـهْـجَـتَـهُ وأبـقـى   مـحـاسـنَـهُ إلـى يـومِ الـقـيـامـه

وقال الكمال الشَّريشي:

يا جيرةَ الشام هل من نحوكم خبرُ ... فإنّ قلبي بنار الشوق يَسْتعِرُ
بعدتُ عنكم فلا واللهِ بعدكمُ ... ما لَذَّ للعينِ لا نومٌ ولا سهرُ
إذا تذكرتُ أوقاتاً نأتْ ومضتْ ... بقربكمْ كادتِ الأحشاء تنفطرُ
كأنّني لم أكنْ بالنير بين ضُحى ... والغَيم يبكي ومنه يضحك الزهَرُ
والوُرْقُ تنشدُ والأغصانُ راقصةٌ ... والدَّوْحُ يَطْرَبُ بالتصفيقِ والنهَرُ
والسفحُ أين عشيّاتي التي ذهبَتْ ... لي فيه فهي لعمري عنديَ العُمُرُ
سقاكَ بالسفحِ سفحُ الدمع منهمراً ... وقَلَّ ذاك لهُ إن أعْوَزَ المطرُ

وحكى ابن سعيد وغيره أن غَرْناطة تسمى «دمشق الأندلس» لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الأندلس، وقد شبهوها بها لمّا رأوها كثيرة المياه والأشجار، وقد أطلّ عليها جبلُ الثلج، وفي ذلك يقول ابن جُبير صاحب الرحلة:

يا دمشقَ الغربِ هاتِيـ ... ـكَ لقد زدْتِ عليها
تحتكِ الأنهارُ تجري ... وهي تنصبُّ إليها

قال ابن سعيد: أشار ابن جبير إلى أن غَرْناطة في مكانٍ مشرف وغُوطَتها تحتها تجري فيها الأنهار، ودمشق في وَهْدَة تنصبُّ إليها الأنهار، وقد قال الله تعالى في وصف الجنّة: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ انتهى.

وقال الشيخ الصفدي في تذكرته: أنشدني المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه في شعبان المكرم سنة (732هـ):

قصدتَ مصراً من رُبى جلّقٍ ... بهمّةٍ تجري بتجريبي
فلم أر الطُّرَّةَ حتى جرَتْ ... دموع عيني بالمريزيب

وأنشدني لنفسه أيضاً:

خَلّفْتُ بالشامِ حبيبي وقد ... يَمّمْتُ مصراً لِعَناً طارِقِ
والأرضُ قد طالتْ فلا تَبْعَدي ... باللهِ يا مصرُ على العاشقِ

وأنشدني لنفسه أيضاً:

يا أهلَ مصرٍ أنتُمُ للعُلا ... كواكبُ الإحْسانِ والفضلِ
لوْ لم تكونوا لي سعوداً لما ... وافيتُكُم أضربُ في الرملِ

وذكرته برمّته لحسن مغزاه.

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظّهير الحنفي الإرْبلي:

لعلَّ سَنَا بَرْق الحمى يتألّقُ ... على النأي أو طيفاً لأسماء يَطْرقُ
فلا نارُها تبدو لمرتقب ولا ... وعودُ الأمانيّ الكواذبِ تَصْدقُ
لعلَّ الرياحَ الهُوجَ تُدني لنازحٍ ... من الشام عَرْفاً كاللطيمةِ يعبقُ
ديارٌ قضينا العيشَ فيها منعمَّاً ... وأيامُنا تحنُو علَيْنا وتُشفقُ
سَحَبْنا بها بُرْدَ الشبابِ وشُربنا ... لدَيْنا كما شِئْنا لذيذٌ مُروَّقُ
مواطنُ منها السهمُ سهمي وظِلّه ... تَخُبُّ مطايا اللهوِ فيهِ وتُعْنِقُ
كلا جانِبَيْه معلمٌ متجعدٌ ... من الماء في أطلالهِ يتدفّقُ
إذا الشمسُ حلّتْ متْنَهُ فهو مُذْهبٌ ... وإن حجَبَتْها دَوْحُهُ فهو أزرقُ
وإن فُرَجُ الأوراقِ جادت بنُورِها ... فَرَقْمٌ أجادته الأكفُّ منمَّقُ
يُطلُّ علَيْهِ قاسيونُ كأنّه ... غمامٌ مُعلّى أو نعامٌ معلَّقُ
تسافرُ عنه الشمسُ قبلَ غُروبها ... وترجفُ إجلالاً له حين تشرقُ
وتصفَرُّ من قبلِ الأصيلِ كأنّها ... محبٌّ من البين المشتّتِ مُشْفِقُ
وفي النّيرَبِ الميمون للُّبّ سالبٌ ... من المنظر الزاهي وللطرفِ مومقُ
بدائع من صنع القديم ومحدَثٌ ... تأنّقَ فيها المحدِثُ المتأنّقُ
رياض كموْشِيّ البرودِ يَشُقّها ... جداولها، فالنَّورُ بالماء يَشْرقُ
فمِنْ نرجسٍ يخشى فراقَ فريقهِ ... ترى الدمعَ في أجفانهِ يترقرقُ
ومِنْ كلّ ريحانٍ مُقيمٍ وزائرٍ ... يصافحُ ريّاه الرياضَ فتعبقُ
كأن قدودَ السّرو فِيهِ مَوائساً ... قدودُ عَذارى مَيْلُها مترفقُ
إذا ما تدلّتْ للشّقائق صَدَّها ... عيونٌ من النَّورِ المفتّحِ ترمقُ
وقصرٌ يَكِلُّ الطرفُ عنهُ كأنّهُ ... إلى النّسر نسرٌ في السّماء معلّقُ
وكَمْ جَدْولٍ جارٍ يُطاردُ جدولاً ... وكَمْ جَوْسقٍ عالٍ يوازيه جوسقُ

وكم بركةٍ فيها تُضاحِكُ بركةً وكم قَسْطلٍ للماء فِيهِ تدفُّقُ
وكم منزلٍ يُغْشي العيونَ كأنّما تـألّـقَ فِـيـهـا بـارقٌ يـتـألّـقُ
وفي الربوة الفيحاء للقلب جاذبٌ ولـلـهـمّ مَسْلاةٌ ولـلعين مَرْمَقُ
عروسٌ جلاها الدهرُ فوقَ منصّةٍ من الدهر والأبصارُ ترمي وترمَقُ
فهام بها الوادي ففاضتْ عيونُهُ فكلُّ قرارٍ مِنْهُ بالدمعِ يَشْرَقُ
تكفّلَ من دونِ الجداولِ شُربَها يـزيـدُ يُـصَـفّـيـه لـهـا ويُـرَوِّقُ

وقال أبو تمام في دمشق:

لـولا حـدائـقُـهـا وأنّـي لا أرى عَرْشاً هناك ظننتُها بَلْقِيسا
وأرى الزّمانَ غدا عليك بوجهه جـذلانَ بسّاماً وكـان عَـبـوسـا
قد بورِكَتْ تلك البطونُ وقد سمَتْ تلكَ الظهورُ وقُدّسَتْ تقديسا

وقال البحتري:

أمّا دمشقُ فقد أبدتْ محاسنَها وقد وَفى لك مُطْرِيها بما وعدا
إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ مستحسَنٍ وزمانٍ يُشبهُ البَلدا
تمشي السَّحابُ على أجبالها فِرَقاً ويصبحُ النَّوْرُ في صحرائها بَدَدا
فلستَ تبصرُ إلّا واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِراً أو طائراً غَرِدا
كأنّما القيظُ ولّى بعدَ جَيْئَته أو الربيعُ دنا من بَعد ما بعدا

وفي دمشق يقول بعضهم:

بَرَزَتْ دمشقُ لزائري أوطانِها مـن كـلّ نـاحـيـةٍ بـوجـهٍ أزْهَـرِ
لـو أن إنسـانـاً تـعـمّـدَ أن يـرى مَغْنًى خلا من نزهةٍ لم يقدرِ

وقال القيراطي في قصيدته التي أولها:

لـلـصَّـبِّ بـعـدك حـالـة لا تـعـجـبُ

للهِ لـيـلٌ كـالـنّـهـارِ قـطَـعْـتُـه بالوصلِ لا أخْشَى به ما يُرهَبُ
وركبتُ منهُ إلى التصابي أدهماً من قبل أنْ يبدُو لصبح أشهبُ
أيـام لا مـاء الـخـدودِ يَـشُـوبُـهُ كدَرُ العِذار ولا عِذاريَ أشيبُ
كم في مَجالِ اللهو لي من جولةٍ أضحتْ تُرقِّصُ بالسماع وتطربُ

وأقمتُ للندماء سُوقَ خلاعةٍ　　تُجبى المجونُ إليَّ فيه وتُجلَبُ
وذكرتُ في مَغْنَى دمشقٍ معشراً　　أُمُّ الزمانِ بمثلهم لا تُنْجِبُ
لا يسألُ القُصّادُ عن ناديهمُ　　لكنْ يدلُّهُمُ الثناء الطيِّبُ
قومٌ بحسنِ صفاتهمْ وفعالهم　　قد جاء يعتذرُ الزمانُ المذنبُ
يا من لحرَّانِ الفؤادِ وطرفُهُ　　بدمشق أدمعُهُ غَدَتْ تَتَحلّبُ
أشتاقُ في وادي دمشقٍ معهداً　　كلُّ الجمالِ إلى حماهُ يُنْسبُ
ما فيهِ إلا روضةٌ أو جَوْسَقٌ　　أو جدولٌ أو بلبلٌ أو رَبْرَبُ
وكأنَّ ذاك النهرَ فيه معصمٌ　　بِيَدِ النسيم مُنَقَّشٌ ومكتَّبُ
وإذا تكسّر ماؤهُ أبصرتَهُ　　في الحالِ بينَ رياضِهِ يتشعّبُ
وشدتْ على العيدان وُرْقٌ أطربتْ　　بغنائها مَنْ غابَ عنه المُطْرِبُ
فالوُرْقُ تنشدُ والنسيمُ مشبِّبٌ　　والنهرُ يسقي والحدائقُ تَشربُ
وضياعُها ضاعَ النسيمُ بها فكم　　أضحى له من بينِ روضٍ مَطْلبُ
وحلت بقلبي من عساكر جنّةٍ　　فيها لأربابِ الخلاعة ملعبُ
ولكَم رقصتُ على السماع بجُنكها　　وغدًا بربوتها اللسانُ يشبِّبُ
فمتى أزورُ مَعالماً أبوابُها　　بسماحها كُتْبُ السّماح تُبَوَّبُ

إقامة المقري بالمدرسة الجقمقية:

ولمّا حللتُ دمشق المحروسة، وطلبت موضعاً للسكنى يكون قريباً من الجامع الأموي الذي يُعجز البليغ وصفه وإن ملأ طُروسه، أرسل إليَّ أديبُ الشام فرد الموالي المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهيني حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجَقْمقية، وكتب لي معَهُ ما نصّه:

كنَفُ المَقّرِيّ شيخي مَقَرّي　　وإليهِ من الزمان مَفَرّي
كنَفٌ مثلُ صَدْرِهِ في اتّساعٍ　　وعلوم كالدرِّ في ضِمْنِ بحر
أيُّ بدرٍ قد أطلع الغربُ مِنْهُ　　ملأ الشرقَ نورُهُ أيُّ بدر؟
أحمدٌ سيدي وشيخي وذُخري　　وسَميِّي وفوق ذاك وفخري
لو بغيرِ الأقدام يسعى مَشُوقٌ　　جئتُهُ زائراً على وجه شكري

العبد الحقير المستعين، المخلص أحمد بن شاهين، انتهى.

فأجبته بقولي:

أيُّ نظمٍ في حُسْنِهِ حار فِكْري ... وتـحـلّـى بـدُرّه صـدرُ ذكـري
طائرُ الصّيتِ لابنِ شاهينَ يُنْمى ... مَنْ بروضِ الندى لهُ خيرُ وَكرِ
أحـمدُ الـمـمـتطين ذروةَ مـجدٍ ... لِـعَـوَانٍ مِـنَ الـمـعـالـي وبِـكْـرِ
حلَّ مِفْتاحُ فَضْلِهِ بابَ وصلٍ ... مِنْ مَعاني تَعْريفه دون نُكرِ
يـا بـديعَ الـزمـانِ دُمْ فـي ازديـانٍ ... بـالـعُـلا وازْدِيـادِ تـجـنيس شـكـرِ

التعريف بالمدرسة الجقمقية

يقول أحمد محمد دهمان في وصف هذه المدرسة وتاريخها[1]:

«..هي قاعة مربعة الشكل يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب نحو 19 متراً، ومن الشمال إلى الجنوب 16 متراً تقريباً من الجهة الخارجية. وارتفاع جدرانها لا يقل عن عشرة أمتار.

أما صفتها من الداخل فهي على هيئة مستطيلة حيث اقتطع نحو ثلثها من جهة الشمال فبني على هيئة جناحين وقلب. فمن الجهة الشرقية بني طربال[2] لقبر بانيها (جقمق)، ومن جهة الغرب اقتطع مثل مساحة الطربال فكان دهليزاً ومدخلاً للمدرسة.

وقد سقفت الساحة بسقف يرتفع عن سقف الساحة العام نحو مترين وبذلك استفادت النور والهواء من النوافذ التي تحيط بأعلى الساحة من جهاتها الأربع. وشمال هذه الساحة إيوان لطيف جدرانه محلاة بالرخام الملون المزخرف وهو يتجه نحو محراب القاعة، وشمال هذا الإيوان نافذة تطل على الطريق، والطربال الذي على قبر الواقف، جدرانه مزخرفة أيضاً كالإيوان، وله نافذتان، إحداهما شمالية والأخرى شرقية، ويقابل كل نافذة باب يدخل منه إلى المدرسة.

أما القاعة فأرضها مرتفعة عن أرض ساحة الجناحين بنحو متر واحد

---

(1) في «رحاب دمشق» ص125.

(2) الطربال هو القبة المرتفعة التي تبنى فوق قبور العظماء.

فيصعد إليها على درجتين أو ثلاث. ولها نافذتان من جهة الشرق، تقابلهما أخريان من جهة الغرب كانتا مسدودتين على هيئة الخزائن (خرستانات) وفوقهما آيات قرآنية بالخط الكوفي المزخرف.

وفيها أربعة نوافذ أيضاً في الجهة القبلية مسدودة على هيئة الخرستانات.

وجدران القاعة مكسوة بالرخام والمرمر الملون مع فسيفساء مؤلفة من فصوص ورخام وصدف مختلفة الألوان.

وبالإجمال هي أكبر قاعة في دمشق، وأكمل وأجمل مجموعة فنية سالمة من النقص رغم احتياجها إلى الإصلاح والترميم. وسوف يزورها الناس بعد ترميمها فيعلمون مبلغ الخسارة بهدمها».

تاريخها:

إن أول من خططها وأسس جدرانها هو علم الدين سنجر الهلالي. ولم يكتب له أن يتمها، وفي العام (761هـ) أمر السلطان حسن بعمارتها، فبنوا فوق أساساتها الأولى جدراناً بحجارة سود وبيض، وجعلوا لها نوافذ في شرقها. وجعلها السلطان حسن ميتماً للأطفال، ثم حُوّلت إلى خانقاه. وقد احترقت حينما احتل تيمورلنك دمشق سنة (803هـ)، في سنة (824هـ) جدد بناءها الأمير سيف الدين جقمق بالهيئة التي بقيت عليها إلى اليوم، وأنشأ في شمالها (خانقاه) يفصل بينهما الطريق.

ويطوق جدار المدرسة من أول الجدار الشمالي إلى آخر الجدار الشرقي سطر يبتدئ بالمعوذة ثم بالبسملة ثم آيات من القرآن الكريم، ثم ما يلي:

أنشأ هذه الخانقاه والتربة المباركتين المقر الأشرفي العالي المولوي الكبيري العالمي العادلي الممهدي العابدي الخاشعي الناسكي الزعيمي المقدمي الذخري الظهيري السيفي، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء في العالمين، سيف أمير المؤمنين، جقمق الدوا دار المؤيدي، كافل الممالك الشامية المحروسة، ضاعف الله له الثواب وغفر له ولوالديه ولأحبابه يوم الحساب بمباشرة الحساب السيفي قفري وَرْمش، وذلك في شهور سنة أربع وعشرين وثمان مئة.



المدرسة الجقمقية

تدريس أحمد المقري لصحيح البخاري تحت قبة النسر بالجامع الأموي:

لم يمكث المقري إلا مقدار ما استراح من عناء السفر حتى شرع يلقي دروساً علمية بمساجد دمشق ومدارسها على عادته كلما حل ببلد، ومن جملة ما درسه «صحيح البخاري»، كان يمليه تحت قبة النسر بالجامع الأموي بعد صلاة الصبح، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تحت القبة المعروفة بالباعونية، ولم يكن يتخلف عن هذا الدرس أحد من الطلبة كما كان يحضره جل أعيان العلماء، وكان يوم ختمه من الأيام الخالدة بالشام، حضره الألوف من الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن، ثم إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في أيام الجمع من شهور رجب وشعبان ورمضان، وجيء له بكرسي الوعظ فارتقاه، وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع له نظير من قبل، وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر، وختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى ﷺ، وهي قوله:

يا شفيع العصاة أنت رجائي ... كيف يخشى الرجاة عندك خيبه
وإذا كنت حاضراً بفؤادي ... غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انقطاع ... أطيب العيش ما يكون بطيبه

ولما نزل عن الكرسي ازدحم الناس عليه يقبلون يده ويلتمسون بركته، ويطلبون دعاءه، ولم يتفق لأحد من العلماء الذين زاروا دمشق من قبل ما اتفق له من الإقبال والقبول في ذلك اليوم، ونستطيع أن نقول أن المقري لم يجد عزاء ولا سلوى منذ غادر فاس إلا في دمشق كما يدل على ذلك ما أورد في «نفح الطيب» عنها من الإطراء والمديح، ونقل من المساجلات والاستجازات التي جرت بينه وبين علمائها الأعلام، وسراتها الكرام، فقد أحسنوا مثواه وأكرموا لقاه، مما جعله ينجذب نحوهم، ويقرر الاستيطان ببلدهم والإقامة بجانبهم، فعاد إلى مصر وطلق زوجته الوفائية، وشرع يعد العدة للرحيل إلى الشام، ولكن الحمام فاجأه قبل بلوغ المرام، في شهر جمادى الأخرى سنة 1041 فدفن بمقبرة المجاورين، وأفل بموته نجم لامع بل بدر ساطع من بدور الدين والعلم والأدب والفن في العالم الإسلامي كله لا في المغرب العربي وحده.



الجامع الأموي

ثناء علماء دمشق على أحمد المقري[1]:

يقول أحمد المقري: وذكري لكلام أعيان دمشق ـ حفظهم الله تعالى ـ ومديحهم لي، ليس ـ علم الله ـ لاعتقادي في نفسي فضلاً، بل أتيت به دلالة على فضلهم الباهر، حيثُ عاملوا مثلي من القاصرين بهذه المعاملة، وكَسَوْهُ حلل تلك المجاملة، معَ كوني لستُ في الحقيقة له بأهل، لما أنا عليه من الخطإ والخطل والجهل.

قال عنه عبد الرحمٰن العمادي:

شمسُ الهُدى أطْلَعَها المغربُ ... وطار عَنْقاءُ بها مُغْرِبُ
فأشرَقَتْ في الشامِ أنوارُها ... وليتها في الدهرِ لا تغرُبُ
أعني الإمامَ العالم المَقَّري ... أحمَدَ من يكتبُ أو يخطبُ
شهابُ علْمٍ ثاقبٌ فَضْلُهُ ... ينظمُ عقداً وهو لا يَثْقُبُ
فرعُ علومٍ بالهُدى مثمرٌ ... ورَوْضُ فَضْلٍ بالندى مُعْشِبُ
قد اِرتَدى ثوبَ عُلا وامتطى ... غاربَ مجدٍ فزَها المركبُ
درسٌ غريبٌ كلَّ يوم لَهُ ... يُملى ولكنْ حِفْظُهُ أغربُ
محاضَراتٌ مسكرٌ لَفْظُها ... بكأسِ سمعٍ راحُها تُشْرَبُ
رياضُ آدابٍ سقاها الحيا ... ففاح مسكاً نَشْرُها الأطيبُ
فضائلٌ عمّتْ وطَمّتْ فقد ... قَصّرَ فيها كلُّ مَنْ يُطنبُ
قلوبُنا قد جُذِبَتْ نحوهُ ... والحبُّ من عادته يجذبُ
إن بَعُدَتْ عن غربه شرقُنا ... فالفضلُ فينا نَسَبٌ أقربُ
كَمْ طلبَتْ تشريفَهُ شامُنا ... بُشْرى لها فليهنها المطلبُ
قد سَبَقَتْ لي مَعَهُ صحبةٌ ... في حَرَمٍ يؤمِنُ مَنْ يَرْهَبُ
أخوةٌ في الله من زمزمٍ ... رَضَاعُها طابَ لها المشربُ
أنهلني ثَمَّ وداداً فلي ... بالشام مِنهُ عَلَلٌ أعذبُ

---

(1) نفح الطيب (1/ 62).

أهديتُ ذا النظم امتثالاً لَهُ وقد هجرْتُ الشعرَ مذ أحْقُبُ
نَشّطَ قلبي لطفُهُ فانثنى والقلبُ في أهلِ الهوى قُلَّبُ
ضاءَ دُجى العلمِ به للورى ما نار في جُنْحِ الدجى كوكبُ

وقال عنه الشيخ الأكرمي إبراهيم الدمشقي[1]:

فكرتُ في فضلِ الإما مِ المقّرِيِّ الحبرِ حينا
فوجدته بكرَ الزما نِ وواحدَ الدنيا يقينا
ما إن رأيتُ ولا سمعـ ـتُ بمثله في العالمينا
وافى دمشقاً زائراً لو أنَّه أضحى قطينا
وأتى عجيبُ الاتفا ق بفطرِ شهرِ الصائمينا
فكأنَّ غُرَّتَه الهلا لُ ونحن كنا ناذرينا
والعلمُ قالَ مؤرخاً أدّى بها فضلاً مبينا

وقال عنه مصطفى بن محب الدين[2]:

فضائلُ قطبِ الغربِ في العلمِ والفضلِ هو المقّرِيُّ الأصلِ حائزةُ الخصلِ
حوى كلَّ علمٍ كلَّ عن بعضه السِّوى فلا غرو أن أضحى فريداً بِلا مثلِ
وحازَ فنوناً من ضروبِ معارفٍ ومن فضلِ تحقيقٍ ومن منطقٍ فَصْلِ
توخّى دمشقَ الشامِ فافْتَرَّ ثغرها سروراً به وازَّيَّنَتْ من حلى الفضلِ
وشرَّفَ مصراً قبلها فاكتسَتْ بهِ ملابسَ فخرٍ زانها كرمُ الأصلِ
لقَدْ أشرقَتْ من أفقِ غربٍ شموسُه وناهيكَ أُفقاً نورُهُ قَدْرَه مُغلي
نَفاسَتُهُ فيها تنافَسَتِ الورى بما قَد غدا من درِّ ألفاظه يملي
مليٌّ من التحقيقِ إنْ عَنَّ مشكلٌ تكفَّل بالتبيانِ والشرحِ والحلِّ
إذا ما أدار الدرَّ مِن كأسِ لفظِهِ سقانا عُقارَ الفضلِ عَلاً على نَهْلِ

---

(1) هو: إبراهيم بن محمد الدمشقي الصالحي المعروف بالأكرمي (ت1047هـ)، «خلاصة الأثر» (1/ 39).

(2) هو: مصطفى بن أحمد بن منصور بن إبراهيم بن محمد بن سلامة أبو الجود ابن محب الدين الدمشقي سافر مرتين إلى مصر، ودرس في الجامع الأزهر ثم تولى التدريس بجامع بني أمية بدمشق (ت1061هـ) «خلاصة الأثر» (4/ 365).

نظامٌ لَهُ يحكي قلائدَ عسجدِ ... وثغرٌ مليحٌ فائقُ الحسنِ والدلِّ
وأسْجاعُهُ إن حاكَ وشيَ نسيجها ... حكت حِيراً حيكَتْ نمارقَ من غزلِ
لَهُ القَلَمُ الأعْلى بشرقٍ ومَغْربِ ... لهُ الموضعُ الأسمى على الكلِّ في الكلِّ
فيا سيّداً حازَ المَفاخرَ والعُلا ... وفاقَتْ حلى الآدابِ مِنهُ على الحلّي
إليكَ من العبدِ الحقيرِ تحيّةً ... لقد نشأَتْ عن خالص الودِّ من خلّ
مُوالٍ يوالي الحبَّ والقربَ منكمُ ... بظاهر غَيْبٍ لا يحيدُ عَنِ الوصلِ
فَلا زلتَ محبوّاً بسابغ نعمةٍ ... وفضلِ نعيمٍ وافرٍ وارفِ الظلِّ
ودمتَ لدى الأسفارِ في نُجْحِ أوبةٍ ... وجَمْعٍ لشملٍ بالمَواطنِ والأهلِ

وأثنى عليه محمد بن سعد الكلشني(1):

شهرُ شعبانَ جاءنا ليهنّا ... بِقُدومِ الأستاذ كنزِ الفضائلْ
بَهْجَةِ الكون روضِ علم وحلم ... وهو مُغْني اللبيبِ إن جاء سائلْ
بمصابيحِ فضلهِ قد أضاءتْ ... ساحةُ الجامعِ الكبيرِ لآملْ
وبمُختارِ لَفْظِهِ صارَ يحوي ... لحَديثٍ مُسَلسلٍ عَنْ أفاضلْ
ومن الغربِ حِينَ وافى لشرقٍ ... فاقَ بدرَ التّمام وسطَ المَنازلْ
حلَّ مني في القلبِ والطرف لمّا ... لاحَ سعدُ السعودِ لي غيرَ آفلْ
وغدا بالأمانِ والسّعدِ أرّخ ... أحمَدُ المقّريُّ بالشامِ قائلْ

وقال أيضاً:

أتاكِ دمشقَ الشامِ أكرمُ واردِ ... فقرّي به عيناً وللحسنِ شاهدي
وهُزّي دلالاً في أزاهِر روضهِ ... معاطفَ لينٍ كالغصونِ الأمالد
لكِ البِشْرُ يا عيني ظفرتِ بأمجدٍ ... رفيعِ الذرى من فوقِ فَرْقِ الفراقد
لقد شاعَ بينَ الناسِ واسعُ فضله ... فكَمْ قاصدٍ يسعى لنيلِ الفوائد
من العالمِ الفردِ المفيدِ الذي لَهُ ... أيادٍ سَمَتْ بالجودِ تولى لقاصد

---

(1) محمد بن سعد الكلشني، كان من أدباء الصوفية، وكان من فضلاء دمشق يعاشرون منه رجلاً سهلاً خلوقاً متودداً، «صاحب نوادر وآداب» (ت1037هـ)، «خلاصة الأثر» (3/ 468).

وذاك أبو العبّاس أحمد من صَفَتْ مـنـاهـلُـهُ دَوْمـاً إلـى كـلِّ وارد
تـراه إذا وافـيـتَـه مـتـهـلّـلاً ويبسمُ حُبّاً في وجوهِ الأماجد
إمامٌ سما قدراً على النجمِ رفعةً أرى وصفه في بيتٍ نظم مشاهد
لديهِ ارتفاعُ المشتري وسعودُهُ وسطوةُ بَهْرامٍ وظَرْفُ عُطارد
شـهـدتُ بـأن الله أولاهُ مـنـحـةً بنقلِ حديثٍ في جميع المساجد
ومذ حلّ في وادي دمشقَ ركابُه وسـؤددهُ وافـى بـأعْـدلِ شـاهـد
حوى كلَّ إفضالٍ وكلَّ فضيلةٍ بها يُهْتدى حقّاً لنَيْلِ المَقاصد
وماذا عسى في مَدْحه أنا قائلٌ لو جئتُ فيه مطنباً بالقصائد
إذا رمتَ أن تلقى نظيراً لمثله عجزتَ وربِّ الناس عن عدِّ واحد
فكم من معانٍ حازها ببيانه وفـكـرتـه قـد قَـيّـدَتْ لـلـشـوارد
ومنطقهُ حاوي الشِّفا بجواهر صحاحٍ بها يزدانُ عقدُ القَلائد
من الغرب وافى نحو شرقٍ فأشرقت شموسُ علومٍ أسفرتْ عن محامد
فناديتُهُ يا سيّدي مَنْ بفضله تواترتِ الأخبارُ عن غيرِ واحد
عسى عطفةٌ منكم عليّ بنظرةٍ فأنتَ لموصولِ الجَدا خيرُ عائد
وأنتَ على ريبِ الزمانِ مُساعدي وأنتَ يميني للحسودِ وساعدي
فلا زلتَ تولي كلَّ من هو آملٌ لـبـغـيـتـه مـن صـادرٍ ثـمَّ وارد
وتبقى مدى الأيام في المجدِ رافلاً بثوبِ الهنا تُكْفى شرورَ الحواسد
وهاك عروساً تجتلي في حُلِيّها إليك أتتْ في زيّ عذراءَ ناهد
تُهَنّي بعيدِ الفطرِ من بعد صومكم بخيرٍ جزيلٍ من لذيذ الموائد
وترجو جميلَ السترِ إن هي مُثِّلَتْ بحضرتك العلياءِ يا خيرَ ماجد
وعشْ في أمانِ الله بالعزّ دائماً مدى الدهرِ ما سَحَّ الحيا في الفدافد
وما دارتِ الأفلاكُ من نحو قطبها وما بزغَتْ شمسُ الضحى للمشاهد

وقال أيضاً:

ظـبـيٌ بـوسـطِ الـفُـؤادِ قـائـلْ أعـجـز بـالـوصـفِ كـلَّ قـائـلْ
ظـبـيٌ بـأجـفـانـهِ سَـبـانـي وسـحْـرهـا يَـنْـتـمـي لـبَـابِـلْ
يـرمـي بـسـهـمِ الـلـحـاظِ لـمّـا يـرنـو فـيُـصْـمـي الـفـؤادَ عـاجـلْ

قد فتنَ العَقْلَ مذ تَجَنّى عليّ حتى غدوتُ ذاهلْ
لَهُ قَوامٌ كخُوطِ بانٍ أو كالقنا السّمْهرِيِّ عادلْ
بدرٌ بدا كاملَ المعاني في القلبِ والطرفِ عاد نازلْ
قد أسَرَ القلبَ في هواه بقيدِ حُسنٍ وفرعٍ سابلْ
وما بقي منهُ لي خلاصٌ سوى مديحي رضى الأفاضلْ
أعني به المقّريَّ مَنْ قد سما على البدرِ في المنازلْ
أحمدُ مولى لَهُ أيادٍ كالغيثِ يغني لكلِّ سائلْ
علَّامةٌ حاز كلَّ فضلٍ سبقاً ومن بالعلومِ عاملْ
من قد نشا في العلوم طُرّاً وحازَ علمَ البيانِ كاملْ
طويلُ باعٍ بسيطُ فضلٍ مديدُ جودٍ لكلّ آملْ
ووافرُ العقلِ راح يهدي سريعَ فضلٍ لكلِّ فاضلْ
وجامعُ العلم في ابتهاجٍ بمنطقٍ في الأصولِ حافلْ
وهكذا في الكلامِ مهما أفاده في الدروسِ شاملْ
يروي صحيحَ الحديثِ دأباً بالسَّنَدِ الواصلِ الدلائلْ
وكم علومٍ أفاد مَنْ قد أتاهُ في مشكلِ المسائلْ
وحلَّ إبهامَ كلِّ شكلٍ من فنٍّ وَفْقٍ إلى الوسائلْ[1]
وغاص في لجَّةِ المعاني واستخرج الدُّرَّ في المحافلْ
وفي فنونِ البديعِ أضْحى جِناسُهُ قد حوى رسائلْ
وكَمْ دليلٍ أقام لمَّا برهانُهُ أبْهَتَ المعازلْ
إن كانَ وافى لنا أخيراً فهو الذي فاخَرَ الأوائلْ
بحرٌ محيطٌ يفيضُ مِنْهُ على رياضٍ بكلِّ ساحلْ
وافى من الغربِ نحو شرقٍ يجوبُ من فوقِ متنِ بازلْ
في مهمه صحصحٍ مَهُولٍ وحَزْنُهُ كم به غوائلْ
وحَثَّ فيهِ المسيرَ حتى خلّفَهُ من وراءِ كاهلْ

(1) يشير إلى عنوان مؤلف للمقري وهو: في الوفق المخمس الخالي الوسط.

وجـاء بـالـيُـمْـنِ فـي أمـانِ ... وصـحَّـةِ الـجسـمِ والـشـمـائـلْ
وحـلَّ فـي الـشـام عـنـد قـومٍ ... مـن أكـرم الـنـاس فـي الـقـبـائـلْ
ذاك ابـنُ شـاهـيـنَ ذو الـمـعـالـي ... ربُّ الـنـدى لـلألـوف بـاذِلْ
كـأنّـهُ الـشـمـسُ جـاء يـهـدي ... لـلـبـدرِ نـوراً ولـيـس آفـلْ
بـل كـان غـيـثـاً لـهـم وكـانـوا ... روضـاً أريـضـاً لـشـكـر وابـلْ
فَـبَـجَّـلُـوه وعـظَّـمـوه ... وادخـروا عـاجـلاً لآجـلْ
جـزاهـمُ اللهُ كـلَّ خـيـرٍ ... وصـانـهـم مـن جـدالِ جـاهـلْ
وأحـمـدٌ دامَ فـي أمـانِ ... الـمَـقّـرِيُّ الـرضـى الـمـعـامـلْ
لـربّـه فـي دُجـى الـلّـيـالـي ... ويـرشـدُ الـنـاسَ فـي الأصـائـلْ
لا زال فـي نـعـمـةٍ وخـيـرٍ ... وفـي أمـانٍ يـعـودُ عـاجـلْ

وقال الشيخ أبو بكر العمري(1):

تاهتْ تِلِمْسانُ على مُدْنِ الدنى ... بعالمٍ في العالمينَ يحمدُ
المقّرِيُّ أحمدٌ ربُّ الحجى ... الكاملُ البحرُ الخضمُّ المزبدُ
مالكُ هذا العصر شافعيُّهُ ... أحمدُهُ نُعمانُه المسدَّدُ
مذ حلَّ مصرَ أذعنت أعلامُها ... لفَضْله وبَجَّلُوا ومجَّدوا
وفي دمشقِ الشامِ دام سعدها ... كان لَهُ بها المَقامُ الأسْعدُ
العُلماءُ أجْمعوا جميعُهُم ... على معاليه التي لا تُجحَدُ
أقامَ شهراً أو يزيد وانثنى ... وفي الحشا مِنْهُ المُقِيمُ المُقْعِدُ
سالَتْ على فراقه دموعُنا ... وفي القلوبِ زَفْرةٌ لا تخمدُ
لو قيل من يُحمدُ في تاريخهِ ... ما قلتُ إلا المقّرِيُّ أحمدُ
لا برحَتْ أوقاتُهُ مفيدةً ... ما صاحَ فوق عُودِهِ مُغَرِّدُ

---

(1) أبو بكر ابن منصور بن بركات بن حسن بن علي العمري الدمشقي، كان كثير الرحلة والتنقل (ت1048هـ)، «خلاصة الأثر» (1/ 99).

نماذج من إجازات أحمد المقري لعلماء دمشق

إجازة أحمد المقري لأحمد بن شاهين[1]

يقول أحمد المقري: ولما قرأ علي ـ أدام الله تعالى عزته، وحرس حوزته ـ. عقيدتي المسماة: «إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها، فكتبت له بما نصه:

أحمدُ من أطار في جوّ العُلا ... صيتَ ابن شاهينَ الذي زان الحلى
وراشَ منْهُ للمعالي أجنحَهْ ... نالَ بها فضلاً غدا مستمنِحَهْ
وأسكنَ البيانَ من أوكارِ ... أفهامِه بقُنّةِ الأفْكارِ
فاصطادَ كلَّ شاردٍ بمخْلبِ ... أبحاثُهُ ومن يُعارضْ يُغْلَبِ
والصقرُ لا يُقاس بالبُغاثِ ... والحقُّ ممتازٌ عن الأضغاثِ
نشكرُ مَنْ بَلّغَهُ مُناهُ ... على نوالهِ الذي سَنّاهُ
وننتحي نَهْجَ صلاةٍ باديا ... لخيرِ مَن جاء الأنامَ هاديا
مبيِّناً دلائلَ التوحيدِ ... ومُوضِحاً طرائقَ التسديدِ
محمدٍ خيرِ البرايا المنتقى ... أجلِّ من خافَ الإلَهَ واتّقى
صلّى علَيْه اللهُ مع أصحابهِ ... وآلهِ الراوينَ عن سَحابهِ
ما اعترفَ العبدُ الفقيرُ ذو العدَمْ ... للربّ باستغنائِهِ بالقِدَمْ
وبعدُ، فالعلومُ والعوارفْ ... مَنْ أمّها يأوي لظلّ وارفْ
وروضةٍ أزهارها تَضوَّعَتْ ... لأنّها أفْنانُها تنوَّعَتْ
وليس يحتاطُ بها نبيلُ ... إذ ذاكَ أمرٌ ما لهُ سبيلُ
فلْيصرفِ القولَ إلى ما ينفعُهْ ... دنياً وفي أوجِ الأجورِ يرفَعُهْ
وإنَّ في علمِ أُصولِ الدينِ ... هدًى وخيراً جَلَّ عن تبيينِ
لأنَّهُ أصلٌ يعمُّ النفعُ ... بهِ وكلُّ ما سواهُ فرعُ
كيف يَعْبُدُ الإلهَ مَنْ لا ... يعرفُهُ وعن رشادٍ ضلّا

---

(1) «نفح الطيب» (2/ 424).

فهو الذي لا تُقْبَلُ الأعمالُ ... إلّا بهِ وتُنْجِحُ الآمالُ
وإنّني كنتُ نظمتُ فيهِ ... لطالبٍ عقيدةً تَكْفيهِ
سمَّيتها «إضاءةَ الدُّجُنَّهْ» ... وقد رجوتُ أن تكون جُنَّهْ
وبعدَ أن أقرأتُها بمصرِ ... ومكَّةٍ بعضاً منَ أهلِ العصرِ
درَّستها لمّا دخلتُ الشاما ... بجامعٍ في الحُسْنِ لا يُسامى
وكان في المجلسِ جمعٌ وافرُ ... من جِلَّةٍ بُدورُهم سوافرُ
منهم فريدُ الدهرِ ذُو المعالي ... فخرُ دمشقَ الطيّبُ الفعالِ
أحمدُ مَنْ راحَ لعلمٍ واغتدى ... وشامَ أنواراً لفهمٍ فاهتدى
العالمُ الصدرُ الأجلُّ المولى ... مَن وصفُهُ الممدوحُ يُعيي القولا
وهو ابنُ شاهينَ وما أدراكا ... من بذَّ جنسَ العُرْبِ والأتراكا
ورام مِن مثلي بحسنِ الظنِّ ... إجازةً فيما رواهُ عنّي
فحرتُ في أمرينِ قد تناقضا ... بالنفي والإثباتِ إذ تَعارضا
تركُ الإجابةِ لوصفي بالخَطلْ ... وبالخطا، والجيدُ مني ذو عطَلْ
وكَمْ فرائضٍ بعجزٍ تسقطُ ... فكيفَ غيرُها وهذا أحْوطُ
أوْ فعْلها بحسبِ الإمكانِ ... رَعْياً لودٍّ محكمِ الأركانِ
منهُ وما له مِن الحقوقِ ... ولا يُجازي البرَّ بالعقوقِ
وبَعْد ما مرَّ منَ الترداذِ ... أسعفتُهُ بمقتضى الودادِ
وسرتُ في طُرْقٍ من التساهُلِ ... معترفاً بالجهلِ لا التجاهلِ
مع أنّهُ أهلٌ لأن يجيزا ... لا أن يُجازَ إذ حوى التبريزا
ومن رَأى عيبي بعينٍ للرّضا ... لم يَقْفُ نَهْجَ من غدا معترضا
فليروِ عنّي كلَّ ما أسمعتُه ... إياهُ بالشرطِ وما جمعتُه
مع القصور راجياً للأجرِ ... مِنَ الفنونِ نَظْمِها والنثرِ
كهذهِ القصيدةِ السّديدهْ ... والنعلِ ذاتِ المِدَحِ العديدهْ
كذاك ما ألفتُ في عِمامَهْ ... من خُصَّ بالإسراء والإمامهْ
والفقهِ والحديثِ والنحوِ وفي ... أسرارِ وَفْقٍ هو بالقصدِ وفي
وغيرها ممّا به الوهّابُ مَنّ ... على فقيرٍ عاجزٍ في غير فنّ

وما أخذتُ في بلادِ المَغربِ عن كلّ فَذّ في العلوم مُغْرِبِ
ولي أسانيدٌ إذا سردتها طالَتْ وفي كتبيَ قد أوردتها
وقد أخذتُ الجامِعَ الصحيحا وغيرَهُ عمّنْ حوى الترجيحا
عمّي سعيدٌ عن سُقين وهو عن القَلْقَشَنْدِي عن الواعي السنن
العسقلاني الشهابِ ابن حَجَرْ بما لَهُ من الرواياتِ اشتهرْ
وقَدْ أجزتُهُ بكلِّ ما لي يصحُّ من ذاك بلا احتمالِ
على شروطٍ قرّروها كافيَهْ ليست على أفكاره بخافيَهْ
وقال هذا المقَّرِيُّ الخطّا والعِيُّ عَمَّ لَفْظَهُ والخَطّا
عامَ ثلاثين وألفٍ بعدَها سبعٌ أتمَتْ في السنينَ عدّها
وكانَ ذا في رمضانَ السامي بحضرةِ السَّعدِ دمشق الشّام
واللهَ نرجو أن يتيحَ الختما بالخيرِ كي نُعْطى القبولَ حتما
بجاهِ خيرِ العالمينَ أحمدا صلّى عليه الله ما طال المَدى
وآلهِ وصحْبهِ ومَنْ زكا فنالَ مِنْ حُسنِ الختامِ مَدْركا

إجازة أحمد المقري لأولاد عبد الرحمٰن العمادي

نص استدعاء أصغر أولاده سناً - إبراهيم العمادي -

فازَتْ دمشقُ الشام بالمقَّري الألمعيِّ اللوذعيِّ العبقري
علّامةِ العصرِ بلا مفترّى وواحدِ الدهرِ بلا مُمتري
كم سمِعَتْ أخبارَ أوصافهِ فقصّرَ المخبرُ عن منظرِ
جامع علم بثَّ إملاَءه بالشام ملءَ الجامعِ الأكبر
يقري فتقري السمعَ أنفاسُهُ أنفسَ ما يقري وما قد قري
مولاي يا من دُرُّ ألفاظه صحاحُها تزري على الجوهري
إجازة نَرْفلُ من فضلها في ثوبِ عزٍّ وردا مَفْخَرِ
مسبلةُ الذيلِ على أكبرِ وأوسطِ الإخوة والأصغرِ
أطلَّ لنا إنشاءها بل أطِبْ وانظمْ لنا من دُرّها وانْثُرِ
لا زلتَ في نفعِ الورى دائباً تجودُ جَوْدَ العارضِ الممطرِ

العبد الداعي إبراهيم العمادي

نص الإجازة:

أحـمَـدُ مـن شَـيّـدَ بـالإسْـنـادِ بيتَ العلوم الساميَ العمادِ
وعـمَّ مـن خَـصَّـصَ بـالـروايـهْ بنورِها النافي دُجَى الغوايَهْ
وزانَ صَـدْرَ الـنُّـبَـهـا كـلَّ زمـن بجوهرِ الإجازة الغالي الثَّمن
نـحـمـدُه سُـبـحـانَـهُ أن عـرَّفـا من الحديثِ ما بِهِ قد شرَّفا
ونـسـألُ الـمـزيـدَ مـن صَلاتـه لمن أُتيح القصدُ من صِلاته
ملجؤنا المعصومُ أعلى سندِ لـنـا بـرغـمِ جـاحـدٍ مُـفَـنِّـدِ
كهفُ الضعيفِ والقويِّ المرتجى بابُ الهداياتِ وليس مُرْتَجا
مَنْ جاءنا بالجامعِ الصحيحِ مَنْ كلامُهُ الهادي إلى نَهْجٍ أمن
مَنْ فضلُه ما شكَّ فِيهِ مسلمُ من حبِّهِ بكلِّ خيرِ معلمُ
نبيّا المرسَلُ ذو الخُلق الحسنْ والمعجزُ المفحمُ أربابَ اللَّسَنْ
محمدُ المرفوعُ قَدْرُهُ على سائرِ خلقِ الله جلَّ وعلا
صلَّى عليه ربُّنا وسلّما أزكى صلاةٍ ننتَحيها معلما
مع آله وصحبه ومن روى آثارَهُ عَنْ صحَّةٍ وما غوى
وبعدُ فالعلمُ عظيمُ القَدْرِ وليس مَنْ يدري كمنْ لا يدري
ولم تزلْ همَّةُ أهلِ المجدِ مَنُوطَةً بنيلِ علمِ مُجْدي
ومنهُ علمُ السُّنَّةِ الشريفَهْ لأنَّهُ ظلالُهُ وَرِيفَهْ
فمَنْ درى الأخبارَ والشَّمائلْ لم يكُ عن صَوْب الهدى بمائلْ
وكم سَمَيْدَعٍ لأجْلهِ رَفَضْ أوطانَهُ وثوبَ ترحال نفضْ
ويف لا وهو أجلُّ ما طَلَبْ موفَّقٌ يرومُ حُسْنَ المنقلبْ
لأنّهُ وسيلةُ السَّعادهْ والعزِّ في الإبداءِ والإعادهْ
وإنّني لمّا انتحيتُ المَشرقا ميمّماً بَدْرَ اهتداءٍ مشرقا
ألقيت في مصرَ عصا التسيار بعدَ بُلُوغي أشرفَ الدّيارِ
وبعد ذا جئتُ دمَشْقَ الشامِ مَسْكَنَ مَنْ يزدانُ باحتشامِ
فشاهدتْ عيناي فيها ما ملا قلبي سروراً إذ بلغتُ المأملا
مَدينةٌ فيّاضةُ الأنهارِ فضفاضةُ الأثوابِ بالأزهارِ

أرجاؤه زاكيةُ العَبير ... ومدحُها يجلُّ عَن تعبير
وجُلُّ أهْليها بحبي دانُوا ... مَعْ أن مثلي منهمُ يزدانُ
فلاحظوا بالأعينِ الكليله ... عبداً غدا تقصيرُهُ دليله
وقابلها عَيْبي بما اقتضاهُ ... فضلٌ لهم رَبُّ الورى ارتضاهُ
خصوصاً المولى الكبير المعتبرْ ... قُرَّةُ عينِ مَنْ رآهُ واختبرْ
مفتي الورى في مذهبِ النعمان ... بها الوجيهُ عابدُ الرحمٰن
ابنُ عماد الدينِ مَنْ تُعيي القلمْ ... أوصافُهُ اللاتي كنورٍ في علمْ
حاوي طرافِ المجدِ والتِّلادِ ... نالَ المُنى في النفسِ والأولادِ
وكنتُ في مكّةَ قد أبصرتُ ... منهُ عَلاً عن مدحهِ قصرْتُ
جلالَةً ومحتداً وعلما ... ورفعةً وسؤدداً وحلما
معَ التواضع الذي قد زانَهْ ... حسنُ اعتقادٍ مُثْقِلٍ ميزانَهْ
فحثَّ مَنْ في الشام مِنْ أخيارِ ... لم يسلكوا مناهجَ الأغيارِ
أن يأخذوا بعضَ الفنون عني ... بما اقتضاهُ منه حُسْنُ الظنِّ
مع أنّني والله لستُ أهلا ... لذاك، والتصديرُ ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤُهْ ... عمادُ دينٍ قد عَلا بناؤهْ
وصِنْوه الشهابُ مَنْ تَوقَّدا ... فهماً وإبراهيمُ سبّاقُ المدى
وهو الذي قَصدَ ابْتغى الإجازهْ ... لهم بوَعْدٍ طالباً إنجازهْ
وكتَبَ القصيدةَ الطنانه ... في ذاك لي مهتصراً أفنانه
وإنّهم كحلقةٍ قد أُفْرِغَتْ ... دامَتْ لهم آلاءُ فيضٍ سُوِّغَتْ
فلَمْ أجدْ بُدّاً من الإجابهْ ... مع كونِ جهلي سادلاً حجابه
فقد أجزتهمْ بما رويتُهُ ... طُرّاً، وما ارتجلتُ أوْ روَّيتُهُ
وكلُّ ما صنفتُ في الفنونِ ... مؤمَّلُ التحقيق للظنونِ
وما أخذتُ عن شيوخِ المغربِ ... وغيرهم من كلِّ حَبْرٍ مُغْرِبِ
ولي أسانيد يطولُ شرحُها ... شِيدَ على تقوى الإله صَرْحُها
ولوْ سرَدْتُ كلَّ مروياتي ... هنا لطال القولُ في الأبياتِ
وكلُّ طُولٍ غالباً مملولُ ... وحَدُّ من يُعْنى به مفلولُ

فلنقتصرْ إذنْ على القليلِ تبركاً بالمطلبِ الجليلِ
وقد أخذتُ جامعَ البخاري عن عمّيَ الحائزِ للفخارِ
المقّري سعيد الإمام عن محمد يُدعى خروفاً حين عَنّ
التونسيُّ الطيِّبُ الأنفاسِ نزيلُ حضرةِ الملوك فاسِ
عن الكمالِ القادريِّ المرتضَى عن الحجازيِّ عن الحبرِ الرضى
نجل أبي المجدِ عن الحجاري عن الزبيديِّ بنقلٍ جاري
عن مُسْنِدِ الإسلام عبدِ الأوّلِ عن الشهير الداوديِّ المعتلي
عَنِ السَّرَخْسِيِّ عن الفِرَبري عن البخاريِّ الإمامِ الحبرِ
وفضله أظهرُ من أن يُذْكرْ وعلمه المعروف غير المنكرْ
ومسلم بِهِ إلى الكمالِ عن عَلَم الدين أخي الجلالِ
منسوبِ بُلْقينَ عن التَّنُخي عن ابنِ حمزةٍ عن الشيوخِ
كابنِ المقير عن ابن ناصرْ عن ابن منده وهو القاصرْ
عن جَوْزَقيٍّ قد روى عن مكّي عن مُسْلم نافي دياجي الشكِّ
فليخبروا عنّي بذا والباقي من سِتّةٍ حائزة السباقِ
كذا موطّأ الإمام مالكِ إمامنا مُنير كلِّ حالكِ
ومسند الفذِّ الرضى ابن حنبل والدارميِّ ذي الثناءِ الأجملِ
والطبرانيِّ وما أرويهِ من المعاجيمِ بما تحويهِ
وكلّها تشمَلُهُ الإجازهْ بشرطها عند الذي أجادهْ
فلتقبلوه فهي من جَهْد المُقِلّ إذ لستُ بالمطلوبِ مني أستقلّ
ومن أسانيدي عن القَصَّارِ مفتي الأنام بهجة الأعصارِ
عن شيخهِ خروفٍ الراقي الدرج عن الشريفِ الطحطحائي فرج
قال: سمعت المصطفى في النومِ صلّى عَلَيْه الله كلّ يوم
يقول: مَنْ أصبحَ، يعني آمناَ في سربه، الحديثَ فاعرِفْ كامنا
ولنمسكِ العنانَ في هذا الأرب مصلياً على الذي زان العرب
وآلهِ وصحبِهِ الأعلامِ ومَنْ تَلا من أنجمِ الإسلامِ
وخطَّ هذا المقّرِيُّ العاصي أجيرُ يوم الأخذ بالنواصي

سنةَ سبعٍ وثلاثين تلَتْ ألفاً لهجرة بياسين عَلَتْ
عليه أزكى صلوات تستتمّ نَرْجُو بها الزُّلفى وحسن المختَتم

إجازة أحمد المقري ليحيى المحاسني[1]

أحمدُ مَنْ زَيَّنَ بالمحاسنِ دمشقَ ذاتَ الماءِ غيرِ الآسنِ
وأطلعَ النُّجومَ من أعيانِ بأُفْقها السامي مَدى الأحيانِ
فَكُلُّ أيّامِهِمُ مواسمُ مِنَ الصّفا ثُغورها بوَاسِمُ
وذكرُهُمْ قَدْ شاعَ بينَ الأحْيا إذ قَطْرُهُمْ بهِ الكمالُ يَحْيا
وَبِشْرُهُمْ حديثُهُ لا يُنكرُ ومُسْنَدُ الجامعِ عنهمْ يُذكرُ
وقد حكتْ جوارحُ الذي ارتحل إليهمُ صحيحَ ما لَهُ انتحل
فسمعه عن جابرٍ، والعينُ عَنْ قُرَّةَ تُروى، واللسانُ عَنْ حسن
فحلَّ من أتاحهم آلاءْ حتّى أبانَ نُورُهُمْ لألاءْ
نحمدُهُ سبحانَهُ أنْ أسْدَى مِنَ الأمان ما أنالَ القَصْدا
ونَنتحي صوبَ صلاةٍ باهرهْ إلى الرَّسولِ ذي السَّجايا الطاهرَهْ
أجلُّ مَنْ خافَ الإلَهَ واتَّقى محمدُ الهادي الرّسولُ المنتقى
صلّى علَيْه الله طولَ الأبدِ مَع آلهِ وصحبهِ والمقتَدي
وبعْدُ، فالعلمُ أساسُ الخيرِ وكيفَ لا وهو مُزِيحُ الضيرِ
وَهُوْ مُوَصِّلٌ إلى منهاجِ هُدًى ورشدٍ ما له من هاجي
وما بغيرِ العلمِ يبدو العَلَمُ وليس من يدري كمن لا يَعْلمُ
خصوصاً الحديثَ عن خيرِ البشرْ فإنّ فضلَه على الكلِّ انْتشرْ
ولَمْ يزَلْ يُعْنى بهِ كلَّ زَمَنْ من الرواة كلُّ صدرٍ مُؤتَمَنْ
وإنّني عِندَ دخولِ الشامِ لَقِيتُ مَنْ بها مِنَ الأعلامِ

---

(1) هو: يحيى بن أبي الصفا ابن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي الحنفي، درس على العمادي وغيره من شيوخ دمشق، ولما وردها المقري لزمه لزوم الظل للشبح وجمع من أماليه مجموعاً، ودرس العلم في «الغزالية» (ت1053)، «خلاصة الأثر» (4/ 463).

وشاهدَتْ عينايَ مِن إنصافهمْ ... ما حقّقَ المحكيَّ عن أوصافهم
وإنّ من جملتهمْ أوجَ الذكا ... والنيّر المزري سناهُ بذُكا
ابنُ المحاسنِ الذي قَدْ طابَقا ... مِنهُ مُسَمّى الإسمِ إذ تَسابَقا
اللوذعيّ الألمعِيُّ يحيى ... لا زالَ رسمُ المَجْدِ مِنهُ يحيا
وهو الذي أغْراهُ حُسْنُ الظنِّ ... عَلى انْتمائِهِ لأخذِ عني
وكانَ قارئَ الحَديثِ النّبوي ... لدَيَّ في الجامع، أعْني الأموي
بمَحْضَرِ الجَمْعِ الغَزيرِ الوافرْ ... ممّنْ وجوهُ فضلِهِمْ سوافرْ
وبَعْد ذاك استمطرَ الإجازهْ ... مِنْ نَوْءِ وعدي واقتضى انْتجازهْ
فلَمْ أجدْ بُدّاً مِنَ الإجابهْ ... مع أنّني لستُ بذي النجابهْ
وإنْ أكنْ أجَبْتُ أمراً يمتثَلْ ... مِنْهُ ففي ذلك تصديقُ المثلْ
فيمن دَرَى شيئاً وغابَتْ أشيا ... عنهُ ومَنْ أهْدى بِصَنْعا وَشْيا
فليرِو عَنْي كلَّ ما يصحُّ لي ... بِشَرْطِهِ الذي يزينُ كالحلي
وقَدْ أخَذْتُ جامعَ البُخاري ... عَنْ عمِّيَ الإمامِ ذي الفخارِ
سعيد الذي نأى عن دَنَسِ ... عن شيخهِ الحبرِ الشهيرِ التَّنَسي
أعني أبا عبد الإله وهو عَنْ ... والدِه محمّدٍ راوي السّنَنْ
عَنِ ابن مرزوقٍ محمّدِ الرضا ... عن جدّه الخطيبِ عن بدرٍ أضا
الفارقيِّ عَن إمامٍ يُدْعَى ... بابنِ عَساكرَ الجَميلِ المَسعى
بما لَهُ مِنَ الرّواياتِ التي ... على علوِّ قدرِهِ قَد دَلَّتِ
وليروِ عنّي ما انتمى للنَّووي ... بِذا إلى السابقِ ذي النّهجِ السوي
أعْني ابنَ مرزوقِ الخطيبَ الراوي ... عَنْ شيْخِهِ يحيى الرضي المغراوي
وهو رَوَى عَن صاحبِ التمكينِ ... النوويِّ الشيخِ مُحيي الدينِ
وخَطَّ هذا أحمدُ الباد الوَجَلْ ... المقّريُّ المالكيْ الذي ارتجَلْ
في عامِ ألفٍ وثلاثين خَلَتْ ... من هجرةِ الهادي وسبعةٍ تَلَتْ
ألْبَسَهُ اللهُ البرودَ الصافِيَهْ ... مِنْ مَنّهِ وعَفْوهِ والعافيهْ
بجاهِ سَيّدِ البَرايا طُرّا ... ملجإ مَنْ إلى الكروبِ اضطُرّا
عليهِ أسنى صلواتٍ تُسْدِي ... حُسْنَ الختام ببلوغِ القصْدِ

إجازة أحمد المقري لمحمد بن يوسف الكريمي[1]

نص الاستدعاء:

شمسَ المحاسن شَرّقي أو غرِّبي ... سعدَتْ منازلنا بشمسِ المغربِ
شمسٌ لنا منها شموسُ فضائلٍ ... وسنا هدًى قد راح غيرَ مُحَجَّبِ
المقّرِيُّ العالمُ النَّدْبُ الذي ... لسوى اسمه دَرْجُ الحجى لم يُكتبِ
بدرٌ ولم تبدُ البدورُ بمَشْرقٍ ... إلا بَدَتْ منْ قبلِ ذاك بمغربِ
لسوى اكتسابِ سناه لم تغربْ ذُكا ... فَلَوَ أنها شعرَتْ بهِ لم تَغْرُبِ
عَلّامةٌ ملأ البِلادَ بِفَضْلِهِ ... وأفاده لمشرِّقٍ ومغرِّبِ
عَمْري هو البحرُ المحيطُ فضائلاً ... إن قيس بالعذبِ الذي لم يَعْذُبِ
مولًى لَهُ سَنَدٌ قويٌّ في العُلا ... فعن الجدودِ روى العُلا وعنِ الأبِ
نسبٌ لهُ المجدُ المؤثَّلُ في الورى ... والمجدُ لم يكسبْ إذا لم يوهبِ
هو في جبينِ الفضلِ أضحى غرةً ... يُجْلى بها للجهلِ ظلمةُ غَيْهَبِ
آمالنا قَطَعَتْ ببشر جبينه ... أن لا ترى للدهر وَجْهَ مُقَطِّبِ
بدرٌ به زُهِيَتْ دمشقُ وأهلها ... أحْبِبْ ببدرٍ حيثُ حلَّ مُحَبَّبِ
طَوْدُ الفضائلِ باكرَتْ أرجاءَهُ ... دِيَمُ الحجى فغدا كروضٍ مُخصِبِ
بحرُ الهُدى والعلم إلّا أنّه ... صفوٌ من الأكدارِ عذبُ المشربِ
هو قطبُ دائرةِ الفضائل في الورى ... فيَكادُ يُخبرنا بكلِّ مُغيَّب
في الفضلِ ما جاريتُ يوماً مثله ... كلّا، ولا قستُ البدورَ بكَوكبِ
أنّى يُجارى في الفضائلِ مَنْ له انـ ... ـقاد الزّمانُ بأدهمٍ وبأشهبِ
سُنَنٌ لمدحِ الغير تسقطُ عِندنا ... فلَهُ العُلا تَقْضي بفرضٍ أوجبِ
ما روضةٌ حَلّى أزاهرَها الحيا ... فافْترّ فيها كلُّ ثغرٍ أشْنَبِ
ومَشَتْ بها خود الصّبا فتعطّرَتْ ... أذيالها من كلِّ عَرْفٍ طيّبِ
للنّور فيها جدولٌ أخذت بهِ ... شُهبَ المجرّةِ حَيرةُ المتعجِّبِ

---

(1) تتلمذ للمقري والعمادي وغيرهما، وكان متقناً للفارسية والتركية.. تردد إلى الروم، ودرس بالمدرسة العزية، وله ديوان شعر (ت1068هـ)، «خلاصة الأثر» (4/ 273).

باتتْ تُناشِدني بها ذِكْرَ الهوى ... وُرْقُ الأراكِ بكلِّ صوتٍ مطربِ
تشكو إليَّ بمثلِ ما أشكو لها ... شكوى المعذَّبِ في الهوى لمعذَّبِ
فعلمتُ ما قد حلَّ من وجدٍ بها ... وجهلن، وهو الفرقُ، ما قد حلَّ بي
لم تَلْقَ فيها مِن عليل يشتكي ... إلّا النّسيمَ وذا الهوى إن تطلبِ
بأغضَّ حُسناً مِنْ ربى آدابِ مَنْ ... حَيّا رياضَ حِجاه ألطفُ صيّبِ
طبعٌ أرقُّ من النسيم ومنطقٌ ... مستعذَبٌ، وكذاك كلُّ مهذَّبِ
لو جاد صوبُ حجاه قَفْراً مجدباً ... لنعمتُ منه بكلِّ روضٍ مُعْشِبِ
مولايَ عُذراً فالزمانُ يَعُوقني ... عن مطلبي والآن مَدْحُكَ مطلبي
عَفْواً إذا أخّرتُ مدحك سيّدي ... فَعَوائقُ الأيام عُذْرُ المذنبِ
وكذاك يفعلُ بالأديبِ زمانُهُ ... فَلِذا يطولُ على الزمانِ تعتُّبي
لم ألْقَ يوماً من يديهِ مهرباً ... إلّا ثناك، وحبّذا من مَهْربِ
لولاك ما جال القريضُ بخاطري ... فالدهْرُ يوجبُ للقَريضِ تجنّبي
لولاكَ لم يَنْهضْ جوادُ قريحتي ... من كلِّ وادٍ للضّلالةِ متعبِ
فاسمع، ولستُ بآمرٍ، نظماً غدا ... في عِقْدِ مدحك لؤلؤاً لم يُثْقَبِ
كالراحِ يلعبُ بالعقول للطفه ... لكن بغرِ مسامعٍ لم يُشْرَبِ
من كلِّ قافية غدتْ مِنْ حُسنها ... مَثَلاً لغيرك في العُلا لم يُضرَبِ
خودٌ تَقَلَّدُ من ثناك قلائداً ... بكرٌ لغيرك في الورى لم تُخْطبِ
غَنِيَتْ بمدِحكَ زينَةً ولربما ... يُغْني الجمالُ عن الوشاحِ المُذْهَبِ
هي بعضُ أوصافٍ لذاتك قد غدتْ ... كالبحرِ عَذْباً ماؤه لم ينضبِ
جاءتك تسألك القَبولَ وحَسْبُها ... فخراً قَبولك وهو جُلُّ المطلبِ
وترومُ منكَ إجازةً فاقت بما ... ترويه بالسَّنَدِ القويِّ عن النبي
حسبي الإجازةُ منك جائزةً ولم ... أكُ قبلُ غيرَ الفضلِ بالمتطلّبِ
لا بدعَ والإطْنابُ إيجازاً غدا ... في مدحه إن لم أُطلْ أو أُسهبِ
هيهات لا تحصى مآثر فضله ... بالمدحِ إن أُطنبْ وإن لم أُطْنِبِ

خدمة الداعي محمد بن يوسف
الكريمي

نص الإجازة:

أحمدُ مَنْ أطلعَ شمسَ الدينِ ... فـي أُفُـقِ الـروايـةِ الـمُـبـيـنِ
وَخَصَّ فضلاً منهُ بالإسنادِ ... أمَّـةَ طـه مُـذْهِـبِ الـعـنـادِ
فلم يكنْ عصرٌ مِن الأعصارِ ... إلّا وفيه أهلُ الاسْتِبْصارِ
يَنْفونَ عن حَوْزةِ دينِ الله ما ... يرومُ مَنْ علَيْهِ رشدٌ أبهما
وأنتحي سُبْلَ صلاةٍ كاملَه ... على الذي لَهُ العطايا الشامله
محمدِ المرسَلِ بالشرعِ الحسنْ ... ذي المعجز المفحم أربابَ اللَّسن
مع حزبه من صحبِهِ وعترته ... ومَنْ تلا مؤمِّلاً لأثرته
وبعدُ فالعلمُ أجلُّ ما اعْتَمَدْ ... موفَّقٌ من فيضِ مولاه استمدّ
خصوصاً الحديثَ عن خير الورى ... صلّى عليه اللهُ ما زَنْدٌ وَرَى
ولم يزلْ ذوو النهي يَسْعَوْنَ في ... تحصيله إذ فضلهُ غيرُ خفي
وإنّ مولانا الشهيرَ السامي ... الماجدَ المولى نبيهَ الشامِ
سالكَ نهجِ السنةِ القويم ... محمدَ بنَ يوسفَ الكريمي
لا زالَ في عزٍّ وفي أمانِ ... مُبَلَّغاً من قصدهِ الأماني
وَجّهَ لي لمّا حللتُ الشاما ... وبَرْقَ حُسنِ الظنّ مني شاما
قَصِيدةً بليغةً مُستعذَبهْ ... غريبةً في فنِّها مهذَّبهْ
يسألُ من مثلي بها الإجازهْ ... بشرطها عندَ الذي أجازهْ
مُسْتمسكاً بعُرْوَة الصّوابِ ... ولم أجدْ بُدّاً من الجوابِ
فَلْيَرْوِ عنّي ما سمعتُ كلَّهْ ... وما جمعتُ في الفنون جُمْلَهْ
على شروطٍ قُرِّرَتْ في الفنِّ ... مرتجياً حصولَ كلِّ منِّ
وصنوهُ الأكملُ قد أبَحْته ... ذاك على الوجه الذي شرحته
وإن أكنْ فيما ابتغى مقصّرا ... فذو الرضى ليسَ لعيبٍ مبصرا
ولي أسانيدُ أبى وقتيَ عن ... تفصيلها لمّا من الرحلةِ عَنّ
والعذرُ بادٍ والكريم يَقْبلُ ... والصفح نَهْجٌ يقتفيه الأنبلُ
وخَطَّ هذا المقّرِيُّ الجاني ... أمّنه اللهُ من الأشجانِ
في عامِ ألفٍ وثلاثين قفا ... سبعاً لهجرةِ النبيّ المصطفى
عليه أزكى صلواتٍ تُغْتَنَمْ ... يزكُو بها مبتدأً ومُخْتتَمْ

إجازة أحمد المقري لمحمد المحاسني[1]

نص الاستدعاء:

يـــا سَــيّـــدي ومَـــلاذي — وعـــالـــمَ الـــثَّـــقَـــلـــيـــنِ
ومـــن غـــدا بـــمـــكـــانٍ — عَـلا عـلـى الـنَّـيِّـرَيْـنِ
أجَـــزْتَ بـــالـــدرسِ قـــومـــاً — فـــاقـــوا بـــهِ الـــفـــرقـــديـــنِ
فـــزيِّـــنِ الـــعـــبـــدَ أيـــضـــاً — مـــن مـــثـــلِ ذاك بـــزيـــنِ
إن لـــم يـــكـــنْ فـــي خـــتـــامِ — فَـــذاكَ قُـــرَّةُ عَـــيْـــنـــي

نص الإجازة:

أحمدُ مَنْ أطلَعَ من محاسن — دمشقَ ما أرْبى على المحاسن
وزانها بالجلّةِ الأعيانِ — الرافلينَ في حُلَى التبيانِ
الراغبينَ في الحديثِ النبوي — السالكينَ في الهدى النهجَ السوي
وبَعدُ فالعلمُ أجَلُّ زينَهْ — وَسُبْلُهُ في الرشد مستبِينهْ
وإنَّ علمَ السنَّة الشريفَهْ — ظلالُهُ ضافيةٌ وريفَهْ
لذاك كانَ باعتناءٍ أجدرا — من كلِّ ما يمليه من تصدّرا
وإنّ ذا الفضلِ الأديبَ البارعْ — سابقَ ميدان الذكا المسارعْ
الماجِدُ المسدَّدُ السامي الحسبْ — محمد مَنْ للمحاسنِ انْتسبْ
ابنُ الشهيرِ الصدرِ تاجِ الدينِ — لا زالَ في عزٍّ وفي تمْكينِ
وجدُّهُ لأمّه الشيخُ الحسنْ — وذاك بُورينيهمْ مُعْطى اللّسنْ
يسألني إجازةً بكلِّ ما — أرويه عنواناً بحالي معلما
وها أنا أجبته غيرَ بَطَلْ — مستغفراً من خطإٍ ومِن خطَلْ
فَلْيَرْوِ عني كلَّ ما يصحُّ — عَلى شُروطِ غَيْثِها يسحُّ

---

(1) محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي، درس على علماء دمشق ومنهم العمادي، والمقري، وسافر إلى الروم صحبة والده، وأخذ عن علمائها ثم تولى الخطابة بجامع السلطان سليم بصالحية دمشق. ثم الإمامة بجامع بني أمية (ت1072هـ)، «خلاصة الأثر» (3/ 408).

وهي عن الشروطِ لن تريما ... وليسَ يخفي علمُهُ الكَريما
وكلّ ما ألَّفتُ أو جمعتُ ... نظماً ونثراً مثلَ ما أسمَعتُ
ولي أسانيدُ يضيق الوقتُ ... عن سَرْدِها وبعضَها قد سقتُ
في غيرِ هذا فَلْيُحَقّقْ ذلك ... مقتفِياً لأوضحِ المسالك
وقد أخذتُ جامعَ البخاري ... ومسلمٍ عَنْ حائزِ الفخارِ
عمّي سعيدٍ وهو عمّنْ يُدْعى ... بالتَّنَسِيِّ قد أفادَ الجمعا
عن حافظِ الغرب الرّضى أبيه ... عن ابن مرزوقٍ عن النبيهِ
الحافظِ المبجَّلِ العراقي ... وقَدْ سما في سُلَّمِ المراقي
وما لَهُ من الرواياتِ عُلِمْ ... من كتبه التي حوَتْ خَيرَ الكلِمْ
وخَطَّ هذا المَقّرِيُّ عَن عجلْ ... مؤمِّلاً من ربه عزّ وجلّ
غفرانَ ما جنى مِن الذنوبِ ... والصفحَ عن مَعَرَّةِ العُيوبِ
بجاهِ خيرِ العالمين أحمدا ... صلّى عَلَيْه اللهُ دأباً سرمدا
وآلهِ وصَحْبهِ الأخيارِ ... ومَنْ تَلا لآخرِ الأعصارِ

إجازة أحمد المقري لعمر القاري الدمشقي(1)

يقول أحمد المقري:

ولما سألني في الإجازة الفاضل الأديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشهير الذكر شيخ الإسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري ـ حفظه تعالى ـ وأنا مستوفز للسفر، كتبت له عن عجل ما صورته:

أحمدُ مَنْ زَيّنَ بالآثارِ ... جِيداً من الراوي النبيهِ القاري
وشاد للعلياءِ في أوجِ السَّنَدْ ... منازلاً لم يُبلِها طولُ الأمدْ
ومَيَّزَ الواعينَ للحديثِ ... بالفضلِ في القديم والحديثِ

---

(1) محمد بن علي بن عمر المشهور بابن القاري، درس الحديث على المقري، وكان مدرساً بالمدرسة الشامية الجوانية، وسافر إلى الروم ونال جاهاً، وكان بينه وبين أحمد الشاهيني مودة أكيدة ومراسلات، «خلاصة الأثر» (4/ 54).

وزانَ منهمُ سماءَ الدينِ   فأشرقتْ بالحفظِ والتبيينِ
فهمُ بها للمهتدي نجومُ   وإنّها للمعتدي رُجُومُ
فكم أزاحوا عن حديث المجتبى   صلّى عليه الله ما هَبّتْ صَبا
تحريفَ ذي غلٍّ مضلٍّ غالي   شانٍ لمنهاجِ الرشادِ قالي
وبعدُ فالإسنادُ للروايهْ   وسيلةٌ تزحزح الغوايهْ
والله قد خصَّصَ هذي الأمّهْ   بهِ امتناناً وأزاح الغُمّهْ
هذا ولولا ذاك قال من شا   ما شاءه فهو بحقٍّ مَنْشَا
فلم يزل أهلُ النُّهى كلَّ زَمَنْ   يسعون في تحصيله عن مؤتمنْ
وإنّ من جملةِ من تَحَرَّى   وَمَنْ بِسَبْقٍ للعلوم غَرَّا
الفاضلُ المسدَّدُ النّجيبُ   الواصلُ الممجَّدُ الأريبُ
محمدٌ سليلُ ذي المجدِ علي   ابن الإمام العالمِ الحبرِ الولي
عمرُ الشيخُ الشهيرُ القاري   طودُ السكون هَضْبةُ الوقارِ
شيخُ الشيوخِ في دمشقِ الشامِ   لا زال مَحْفوفاً بعزٍّ سامي
فكان من جملةِ مَنْ عَنّي روى   بعضَ الصحيحِ ظافراً بما نوى
وبَعْد ذاك اقترحَ الإجازهْ   مني وَوَعْدَها اقتضى إنجازهْ
فانزعجتْ نَفْسي عَنِ الإجابهْ   إذ لستُ في ذا الأمر ذا نجابَهْ
معَ أنّني مقصِّرٌ ذو عيٍّ   في مثلِ هذا المطلبِ المرعيِّ
وخفتُ أن آتيَها شنعاءَ   بحمليَ الوشيَ إلى صنعاءَ
وبعد ذا أجَزْتُ قصد الأجرِ   مرتجياً بذاك ربحَ التّجْرِ
وقَدْ أجَبْته وإنّي أعلَمُ   أنّيَ من خوفِ الخطا لا أسلمُ
فَلْيروِها ببالغِ التمنّي   جميعَ ما يصحُّ لي وعني
مِنْ ذلك الجامعُ للبخاري   عن عمّيَ الشهيرِ ذي الفَخارِ
سعيدِ الآخذِ عن سقين   عَنْ قَلْقَشنديٍّ مزيحِ المينِ
عن حافظِ الإسلام أعني ابنَ حجر   بما لَهُ من الرّواياتِ اشتهر
وبعضُها في صدرِ فتحِ الباري   مُبَيَّنٌ لطالبِ الأخبارِ
ولي أسانيدُ يطولُ شرحُها   والروضةُ الغنّاءُ يكفي نَفْحُها

ومن رواياتي عن القَصَّارِ مُفتي البرايا بهجةِ الأعصارِ
حدثنا خروفٌ الذاكي الأرجْ عن الشريفِ الطحطحائي فرجْ
سمعتُ في المنام طَه يملي حديثَ مَنْ أصبحَ وَفْقَ النقلِ
أي آمناً في سِرْبهِ معافى في جسمه مع قوتِ يوم وافى
وكلُّ ما ألّفْتُ في الفنونِ أرْجو بهِ التحقيقَ للظّنونِ
فليروه عنّي بشرطٍ معتبرْ وربّما يصدّق الخُبْرُ الخَبَرْ
ولي تآليف على العشرينا زادت ثمانياً حوَتْ تعنينا
فليروِها إن شا بِلا استثناءِ واللهَ أرجو نيلَ قصدٍ نائي
بجاهِ من شُرّفَ بالإدناءِ صلّى عَلَيْهِ الله في الآناءِ
أحمدَ خيرِ المرسَلينَ الهادي غوثِ البرايا مَلجإ الأشْهادِ
عَلَيْهِ أسنى صلواتٍ زاكيه مع صحبه ذوي المزايا الزاكيَه
ومن تَلا ممّن أطابَ عَمَلَهْ فَنالَ من رجائه ما أمَّلهْ
وشمَّ من عَرْفِ قبولٍ أرَجا فنال من حُسْنِ الختام ما رجا

ما ذكره أحمد بن محمد المقري في وداع دمشق

قال المقري: «... ثمَّ حضر بعد تلك الليلة موقف الوَداع، والكلّ ما بين واجم وباك وداع، فتمثلتُ بقول مَنْ قَلْبه لفراق الأحباب في انْصِداع:

وَدَّعْتُهُمْ ودُمُوعي على الخدود غِزَارُ
فاستكثروا دَمْعَ عَيْني لمّا استقلّوا وسارُوا

وقول آخر:

يا وَحْشَةً من جيرةٍ مُذْ نأوْا عُلُوُّ قدري في الهوى انْحَطّا
حكتْ دموعي البحرَ من بُعدِهم لمّا رأتْ منزلهُمْ شَطّا

وحقَّ لي أن أتمثل في ذلك بقول العزازي:

لا تَسَلْني عمّا جَناهُ الفراقُ حَمّلَتْني يَداه ما لا يُطاقُ
أين صَبْرِي أم كيف أملكُ دمعي والمَطايا بالظاعنينَ تُساقُ
قفْ معي نَنْدُبُ الطّلول فهذي سُنّةٌ قبلُ سَنّها العُشّاقُ

وأعِدْ لي ذكرَ الغُوَيْرِ فكم ما لَ بعِطْفي نسيمُه الخفّاقُ
في سبيل الغَرام ما فعَلَتْ بالـ عاشِقِينَ القُدودُ والأحْداقُ
يومَ وَلّتْ طلائعُ الصَّبْر منّا ثم شَنّتْ غاراتِها الأشْواقُ

وبقول غيره:

كنّا جميعاً والدارُ تجمعُنا مثلَ حروفِ الجَميعِ مُلتصِقَهْ
واليومَ صارَ الوداعُ يجعلُنا مثلَ حُرُوفِ الوداعِ مفترِقَهْ

وقول آخر:

حين هَمَّ الحبيبُ بالتّوْديعِ عَيّرُوني أنّي سَفَحْتُ دُموعي
لم يذوقوا طَعْمَ الفراقِ ولا ما أحرقَتْ لوعةُ الأسى من ضلوعي
كيف لا أسْفَحُ الدموع على رَبْـ ـعِ حوَى خيرَ ساكنٍ وجُموعِ
هَبْك أنّي كتمتُ حالي أتَخْفى زَفَرَاتُ المتيَّمِ المَصْدُوعِ
إنّما يُعْرَفُ الغَرامُ بمَنْ لا حَ عليه الغرامُ بين الرُّبوعِ

وقول بعض الأندلسيين:

سارُوا فودَّعهم طَرْفي وأودَعَهُمْ قلبي فما بَعُدُوا عني ولا قَرُبُوا
همُ الشموس ففي عَيْني إذا طَلعوا في القادمين وفي قلبي إذا غَرَبُوا

وقلت أنا مضمِّناً بديهة:

لا كان يومُ فراقِ ساق الشجونَ إلَيْنا
فكَمْ أذلَّ نفوساً يا مَنْ يَعِزُّ عَلَينا

وقلت أيضاً مضمِّناً:

سلا أحِبَّته مَنْ لم يَذُبْ كمداً يوم الوداع وإن أَجرى الدموعَ دَما
يا مَنْ يعزُّ علينا أن نُفارِقَهُمْ من بُعدِكم هُدّ ركنُ الصبر وانهدما
وإنْ نأى الجِسم كرْهاً عن منازلكمْ فالقلبُ ثاوٍ بها لم يصحَبِ القَدَما
وما نسينا عهوداً للهوَى كَرُمَتْ نَعَمْ قَرَعْنا عليها سِنّنا نَدَما
وأظلمت بالنّوَى أرجاءُ مَقْصِدِنا وصار وِجْدانُ إلفٍ غيركم عَدَما

وقلت أيضاً مضمِّناً:

لم أنْسَ بالشام أُنساً شِمْتُ بارقَهُ		جادت معاهِدَهُ أنواءُ نيسانِ
لهفي لعَيْشٍ قضَينا في مشاهدها		ما بَينَ حُسْنٍ من الدنيا وإحسانِ

وقلت كذلك:

يا جيرةً بانُوا وأبْقوا حسرةً		تجري دموعي بعدهم وفْقَ القَضا
كم قلتُ إذ ودَّعْتُهُمْ والأنسُ لا		يُنْسى وعَهْدُ ودادِهِم لن يُرْفَضا
يا مَوْقفَ التوديع إنَّ مدامعي		فُضَّتْ وفاضَتْ في ثرى ذاك الفضا

وكم تفاءلتُ بقول الأول، مع علمي بأن على الله المعوَّل:

إذا رأيتَ الوَداعَ فاصبِرْ		ولا يَهُمَّنَّكَ البعادُ
وانتظرِ العَوْدَ عن قريبٍ		فإنّ قَلْبَ الوَداعِ عادُوا

وضاقت بي الرّحاب، حين مفارقة أعيان الصّحاب، وكاثرت دموعي من بينه السحاب، وزَنْد التذكر يقدح الأسف فيهيج الانتحاب، وقد تمثلنا إذ ذاك والجوانح من الجَوَى في التهاب، وذخائر الصبر ذات انتهاب، بقول بعض من مَزَّق البعدُ منه الإهاب:

ولمّا نزَلنا منزلاً طَلَّهُ النّدى		أنيقاً وبُسْتاناً من النَّورِ حاليا
أجدّ لنا طيبُ المَكانِ وحُسْنُه		مُنًى فتمنَّينا فكانوا الأمانِيا
وقدْ طُفتُ في شرقِ البلادِ وغرْبِها		وسَيّرْتُ خيلي بينها وركابِيا
فلم أرَ مِنْها مثلَ بغدادَ منزلاً		ولم أرَ فيها مثلَ دِجْلَةَ واديا
ولا مثلَ أهْليها أرقَّ شَمائلاً		وأعذبَ ألْفاظاً وأحْلى مَعانيا

وبقول من تأسّف على مغاني التداني، وهو أبو الحجاج الأندلسي الداني:

أبى الله إلّا أن أُفارق منزلاً		يطالِعُني وَجْهُ المُنى فيه سافِرًا
كأنَّ على الأيامِ حين غَشِيتُهُ		يميناً فلَمْ أحْلُلْهُ إلا مسافرا

وتخيلنا أن إقامتنا بدمشق وقاها الله كل صَرْف، ما كانت إلا خَطْرة طيف مُلمّ أو لمحة طَرْف:

وَقَفْنا ساعةً ثمَّ ارتحَلْنا		وما يُغْني المشوقَ وقوفُ ساعهْ؟

كأنَّ الشملَ لم يكُ في اجتماعٍ   إذا ما شَتّتَ البينُ اجتماعَهْ

وطالما عللت النفس بالعَوْد إليها ثم إلى بقاعي، منشداً قولَ الأديب الشهير بابن الفقّاعي:

متى عاينَتْ عيناي أعلامَ حاجرٍ   جعلتُ مَوَاطي العِيسِ فوق محاجري
وإن لاحَ من أرضِ العَوَاصم بارقٌ   رجَعْتُ بأحشاءٍ صَوادٍ صَوادِرِ
سقى اللهُ هاتيكَ المواطِنَ والرُّبى   مَوَاطِرَ أجفانٍ هوامٍ هَوَامِرِ
وحَيّا الحيا من ساكني الحيّ أوجُهاً   سَفَرْنَ بأنوار زوَاهٍ زواهِرِ
بحيثُ زمانُ الوصلِ غَضٌّ ورَوْضُهُ   أريضٌ بأزهارٍ بَوَاهٍ بواهِرِ
وحَيْثُ جفونُ الحاسِدِينَ غضيضةٌ   رَمَقْنَ بآماقٍ سَوَاهٍ سَوَاهِرِ

ثمَّ حاولت خاطري الكليل، فيما يشفي بعض الغليل، فقال على طريق التضمين، وقد غلب عليه الشوق والتخمين:

بأبي من أوْدَعُوا مذ وَدَّعُوا   قلبيَ الشّوْقَ وللعيس ذَميلُ
جِيرةٌ غُرٌّ كِرامٌ خِيرَةٌ   كلُّ شيءٍ منهمُ يبدو جَميلُ
وعلى الجُمْلة ما لي غيرُهم   لو أرادوا أن يملّوا أو يميلُوا

ثمَّ قلت وقد سدد التنائي إليَّ نَبْله، موطئاً للبيت الثالث كما في الأبيات قبله:

يا دمَشْقاً حيّاكِ غيثٌ غزيرُ   ووقاكِ الإلهُ ممّا يَضِيرُ
حُسنُكِ الفَرْدُ والبدائعُ جَمعٌ   متناهٍ فيهِ فعزَّ النظيرُ
أين أيامُنا بظلِّكِ والشمْـ   ـلُ جميعٌ، والعيش غضٌّ نضيرُ

ثم أكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال، وقد شبهت البَيْداء والشوق ببدل الكل والاشتمال، وتنسمت من نواحي تلك الأرجاء أريجَ الشَّمال، وضمنّت في المعنى قول بعض من ثنى الحبُّ عطْفَه وأمال:

تنسّمْتُ أرواحاً سرَتْ من ديارِ منْ   بِهِمْ كان جمعُ الشّمْل لمحة حالمِ
وجاوَبْتُ من يلحى على ذاك جاهلاً   بقولِ لبيبٍ بالعواقب عالمِ
وما أنْشَقُ الأرواحَ إلّا لأنّها   تمرُّ على تلك الرُّبى والمعالمِ

وما أحسن قول الآخر:

سرَتْ من نواحي الشام لي نَسْمةُ الصَّبا وقد أصبحتْ حَسرى من السير ظالعَهْ
ومن عَرَقٍ مَبْلُولةَ الجَيْبِ بالنّدَى ومنْ تَعَبٍ أنفاسُها مُتتابعَهْ

وقلت أنا:

حَمِدتُ وحقِّ الله للشام رحلَةً أتاحت لعَينَيَّ اجتلاً مُحَيّاهُ
وبَعدَ التنائي صرْتُ أرتاحُ للصَّبا لأنَّ الصَّبا تَسْرِي بعاطِرِ رَيّاهُ
فللّه عَهْدٌ قد أتاح بجِلّقٍ سروراً فحيّاها الإله وحَيّاهُ

واستحضرت عند جد السير، قولَ صفوان بن إدريس المُرْسيّ ذكره الله تعالى بالخير:

أيْنَ أيامُنا اللواتي تَقَضَّتْ إذ زَجَرْنا للوصْلِ أيمَنَ طَيْرِ

ثمَّ قول غيره ممن حَنَّ وأنَّ، وقلِق قلبُه وما اطمأنَّ:

أحِنُّ إلى مشاهِدِ أُنس إلفي وعَهْدي من زيارته قريبُ
وكنتُ أظنُّ قربَ العهد يُطْفي لهيبَ الشوق فازداد اللهيبُ

وربما تجلدت مغالطاً، متعلّلاً بقول من كان لإلفه مخالطاً:

حَضَرْتَ فكنتَ في بَصَري مُقيماً وغِبْتَ فكُنتَ في وَسَطِ الفؤادِ
وما شَطّتْ بنا دارٌ ولَكنْ نُقلْتَ من السّواد إلى السّوادِ

وقول غيره:

وكن كما شئْتَ من قُرْبٍ ومن بُعُدٍ فالقَلْبُ يرعاكَ إن لم يَرْعَكَ البصرُ

وبقول الوَداعي:

يا عاذلي في وَحْدَتي بعدهُمْ وأنّ رَبْعي ما به مِنْ جَليسْ
وكيفَ يشكو وَحْدةً مَنْ له دَمْعٌ حميمٌ وأنينٌ أنيسْ

ثم رَدّدْتُ هذه الطريقة، بقول بعض من لم يُبْلِغْه السلُوُّ رِيقَه:

لا رَعى اللهُ عَزمَةً ضمنت لي سَلْوةَ القلبِ والتصَبّر عَنْهُمْ
ما وَفَتْ غيرَ ساعةٍ ثم عادتْ مثلَ قلبي تقلُ لا بُدَّ منهمْ

وبقول ابن آجروم، في مثل هذا الغرض المَرُوم:

يا غائباً كان أُنسي رَهْنَ طلعته كيف اصطباري وقد كابدتُ بينهما
دعواي أنّك في قلبي يُعارضها شوقي إليك، فكيف الجمعُ بينهما

ثم جدّ بي السير إلى مصر واستمرّ، فتذكرت قول الصفدي وقد اشتدّ بالرمل الحرّ:

أقولُ وَحَرُّ الرملِ قد زاد وَقْدُهُ وما لي إلى شَمّ النسيم سَبيلُ
أظُنُّ نسيمَ الجوّ قد ماتَ وانقَضَى فَعَهْدِي به في الشام وهو عَلِيلُ

وقول ابن الخيّاط:

قَصَدْتُ مصراً من رُبَى جِلّقٍ بهمّةٍ تَجْرِي بتَجْرِيبي
فلم أرَ الطُّرَّةَ حتى جَرَت دموعُ عيني بالمُرَيْزيبِ

وحين وصلت مصر لم أنس عهدَ الشام المرعي، وأنشدت قولَ الشهاب الحنبلي الزرعي:

أحبتّنَا واللهِ مذ غبتُ عنكمُ سُهادي سمِيري والمدامعُ مِدْرَارُ
وواللهِ ما اختَرْتُ الفراقَ، وإنّه برَغْمي، ولي في ذلك الأمر أعْذارُ
إذا شام بَرْقَ الشام طَرْفي تتابعَتْ سحائبُ جَفْني والفؤادُ به نارُ
ألا ليت شعري هل يعُودَنَّ شملُنا جميعاً وتحوينا رُبوعٌ وأقطارُ؟

وقول ابن عَنَين:

دمَشْقُ بنا شوقٌ إليكِ مُبَرِّحٌ وإن لجَّ واشٍ أو ألحَّ عَذُولُ
بلادٌ بها الحَصْباء دُرٌّ، وتُربُها عَبيرٌ، وأنفاسُ الرياح شمولُ
تسَلْسلَ منها ماؤها وَهْوَ مطلقٌ وصَحَّ نسيمُ الروضِ وَهْوَ عليلُ

وقول آخر:

نَفْسِي الفِداءُ لأُنسٍ كنتُ أعْهدُه وطيبِ عيشٍ تَقَضَّى كُلُّه كَرَمُ
وجيرةٍ كان لي إلفٌ بوَصْلهِمُ والأنسُ أفضل ما بالوَصْل يُغتَنَمُ
بالشام خلّفْتُهم ثمَّ انْصَرَفْتُ إلى سِوَاهُمُ فاعْتراني بَعْدَهُمْ ألَمُ
كانوا نعيمَ فؤادي والحياةَ لَهُ والآن كلُّ وجودٍ بعدهم عَدَمُ

فإن أنشد لسان الحال، فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال:

يا غائباً قد كنتُ أحْسَبُ قَلْبَهُ ... بِسِوَى دمَشْقَ وأهلها لا يَعْلَقُ
إن كان صَدّك نِيلُ مصرٍ عنهمُ ... لا غَرْوَ فهو لنا العدُوُّ الأزرَقُ

أتيتُ في جَوَابه، بقول بعض من بَرَّح الجوى به:

لله دهرٌ جَمَعْنا شَمْلَ لذّتِهِ ... بالشام أعْذَبَ من أمْنٍ على فَرَقِ
مَرَّتْ لياليهِ والأيامُ في خُلَسٍ ... كأنّما سَلَبتْه كفُّ مسترِقِ
ما كانَ أحْسَنَهَا لولا تنقّلُها ... مِنَ النّعيم إلى ذاكِ مِنَ الحُرَقِ
رقَّ العذُولُ لحالي بعدها وَرَثَى ... لي في الجَوَى والنوى والشجوِ والأرقِ

وبالجملة فتلك الأيام من مواسم العمر محسوبة، والسعود إلى طوالعها منسوبة:

وكانَتْ في دِمَشْقَ لنا ليالٍ ... سَرَقْناهنَّ من رَيْب الزّمانِ
جعلناهنَّ تاريخَ اللّيالي ... وعُنْوانَ المسرَّةِ والأماني

وهي مغاني التهاني التي ما نسيناها، وأماني زماني التي نعمتُ بطور سيناها، عليها وعلى وطني مقصورة، والقلبُ في المعنى مقيمٌ بهما وإن كان في غيرهما بالصورة، والأشواق إليهما قضاياها مُوَجَّهة وإن كانت غيرَ محصورة:

ولله عهدٌ قد تقضّى فإن يَعُدْ ... فإنّي عن الأيام أعْفُو وأصفَحُ
بقلبيَ من ذكراه ما لَيْس ينقضي ... من بُرَحاء الشوق ما ليس يبرَحُ
إذا مَسَحَتْ كفّي الدموعَ تستُّراً ... بدَتْ زفرةٌ بين الجوانح تقدحُ
فإن جمَعَتْ شَمْلي الليالي بقربهم ... تجمّعَ غيلانٌ وميٌّ وصَيْدَحُ
على أنّها الأيامُ جِدٌّ مُزَاحُها ... ورُبَّ مجدٌّ في الأذى وهو يمزحُ

وكثيراً ما يلهج اللسان بقول من قال:

وما تَفْضُلُ الأوقاتُ أُخْرى لذاتها ... ولكنَّ أوقاتَ الحِسانِ حِسَانُ

ويردد قول من شوقه متجدد:

سقى مَعْهَدَ الأحباب ناقعُ صَيّبٍ ... من المزن عن مَغْناه ليس يَريمُ
وإن لم أكن من ساكنيه فإنّه ... يحُلُّ به خِلٌّ عليَّ كريمُ

وينشد من يلوم، قولَ مَنْ في حَشاه وَلَهٌ وفي قلبه كلُوم:

قـد أصبـح آخـرُ الـهـوى أوَّلَـهُ ... فـالـعـاذلُ فـي هـواك مـا لـي ولَـهُ
بـالله عــلـيــكَ خــلِّ مــا أوَّلَــهُ ... وارحـم دَنِـفـاً لـدى حـشـاهُ ولَـهُ

وقال العلامة أحمد بن شاهي في وداع أحمد المقري:

أبـداً إلـيـكَ تَـشَـوُّقـي وحـنـيـنـي ... وإلى جَنابكَ، ما علمتَ، سكوني
ولـديـكَ قَـلْـبـي لا يـزالُ رهـيـنـةً ... غَـلِـقَـتْ وتَـعـلـمُ ذمّـةَ الـمـرهـونِ
وعليك قد حُبِستْ شواردُ مدحتي ... لـمّـا رأيـتُـكَ فـوقَ كـلّ قَـريـنِ
قلبي كقلبكَ في المحبَّةِ والهوى ... إذ كانَ في الأشواقِ دينُكَ دِيني
ولّـيـتـه بـهـواكِ أرفَـعَ رتـبَـةٍ ... وغدوتَ تعزلُ عنه كلّ خَدينِ
وأطاعَ أمرَكَ في الودادِ فلو أشا ... منه ـ وحاشا ـ سلوةً يَعصيني
ما كنتُ أحسبُ قبل طبعك أن أرى ... يـومـاً عُـطـاردَ نـاطـقـاً بـفُـنـونِ
حـتـى رأيـتُـكَ فـاسـتـبَـنْـتُ بـأنّـه ... يـروي أحـاديـثَ الـعُـلا بـشـجـونِ
ويفيدُ سمعي معجزاً بَهَرَ النُّهى ... ويُـري عـيـونـي آيـةَ الـتـكـويـنِ
يا من غدا يُحيي القلوبَ بلفظه ... ويـردّدُ الأنـفـاسَ عَـنْ جِـبْـريـنِ
أحييتَ بالوَحْي المبين قلوبَنا ... وحْـيٌ، لـعَـمـرُ اللهِ، جِـدُّ مُـبـيـنِ
هذي دمشقُ، لعَمرُ خُلقك، روضةٌ ... قَدْ جادَ طبعُكَ دَوْحَها بمعينِ
قد زارها غيثُ النّدى فبَهارُها ... أضحى يلوحُ بحُلّة النّسْرينِ
لو لم تكنْ بدراً لما أحرزتَ ما ... قد خُصَّ في الأنوارِ بالتلوينِ
حقَّقْتَ ما قد قيل حينَ حَلَلْتَها ... إنَّ الـمـكـانَ مُـشَـرَّفٌ بـمَـكـيـنِ
هـي غـادةٌ حَـلّـيْـتَـهـا فـتـريّـنَـتْ ... مـا كـانَ أحْـوَجَـهـا إلـى الـتـزيـيـنِ
مولايَ أحمدُ يا سليلَ بني العلا ... يا فوقَ مدحي فيك أو تحسيني
أغْنى وجودُكَ وهو عينُ الدّين عن ... عَـلّامـةِ الـدّنـيـا لـسـانِ الـديـنِ
انـظُـرْهُ تـسـتـغـنـي بـهِ عـن غـيـره ... وإلى العيانِ ارغَبْ عن المظنونِ
تلقى علومَ النّاس في أوراقهم ... وعـلـومُـهُ فـي صَـدْره الـمـشـحـون
فـبـعـلـمـه اعـبـرْ كـلَّ بـحـرٍ زاخـرٍ ... وبفهمه اسبرْ غامضَ المخزونِ
وبحلمهِ ارغبْ عن تحلُّم أحنفٍ ... وبعزمه اصحَبْ بأسَ ليثِ عرينِ

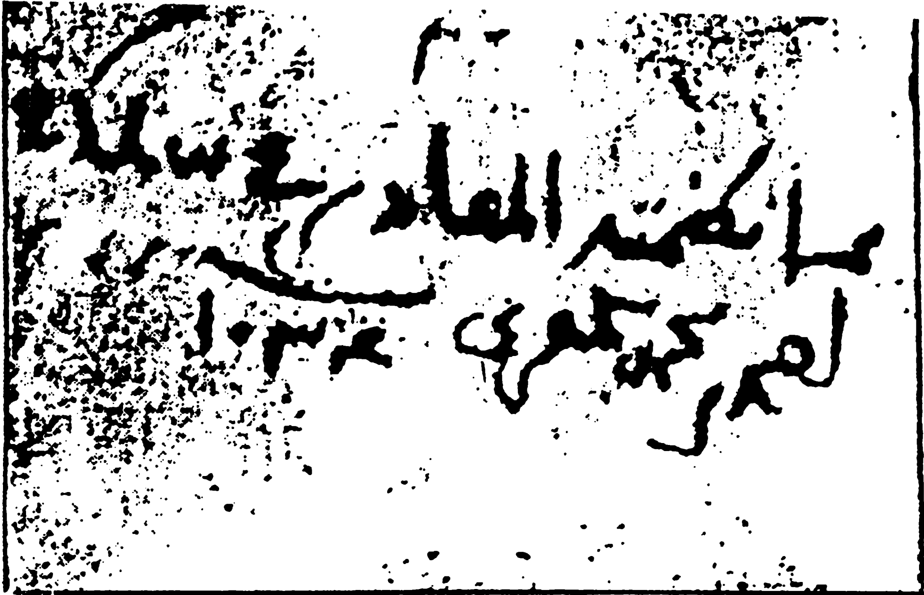
لمّا رأيتُكَ فاستقمتُ لقِبلتي ... أدعو وأشكرُ وارداتِ شؤوني
ألفيتُ قطرك يَمْنَتي فأفادني ... فضلَ اليمينِ على اليسارِ يَقيني
فسقى الحيا للمقّرِيّ أخي العُلا ... بلداً بأقصى الغربِ جدَّ هَتونِ
بلداً تبيَّنتُ الهلالَ بأفقه ... ورأيتُ مِنْهُ قرَّةً لعيُوني
لولا هلالُ الغرب نوَّرَ شرقَنا ... بتنا بليلِ الحَدْسِ والتخمينِ
يا راحلاً رحلَ الفؤادُ بعزمه ... رفقاً بقلبٍ للوفاء ضمينِ
أستودعُ اللهَ العظيمَ، وإنّني ... مستودِعٌ منهُ أجلَّ أمينِ
إنّي أودِّعُ يومَ بينِكَ مُهجتي ... وشَبيبتي وتصبري وسكوني
وأعودُ من توديعِ وجهِكَ عَوْدةً ... خَلَطَتْ يقيني في الهوى بظُنونِ
حتى كأنّي قد فقدتُ تمائماً ... تقضي عليَّ بحالةِ المجنونِ
تودُّ نَفْسي أنّها لو حَرَّمَتْ ... أبَداً سكوني للهوى وركوني
أوشكتُ أُقْتُلُ بينَ معترك الهوى ... نَفْسي ومعتركُ الهوى بيميني
ولقَدْ وددتُ بأنّني متحمّلٌ ... تلكَ الخطا بمحاجري وجفوني
كيفَ السبيلُ إلى الحياةِ ومهجتي ... في قبضةِ الأشواق كالمسجونِ
ما أنتَ إلا البدرُ لاحَ بأُفْقِنا ... شهراً كان ضياؤهُ يَهْديني
وإليكَها يا شيخَ دهري غادةً ... غَنِيَتْ عن التحسينِ والتزيينِ
جاءتْكَ تَعْرِضُ في الودادِ كمالها ... وإذا لحظتَ جمالها يكفيني
هي بنتُ لحظتك التي تؤوي النُّهى ... لا بنتُ ليلتي التي تؤويني
ما الفخرُ في دعوى البديهةِ عندها ... الفخرُ قولك إنّها ترضيني
حسبي أبا العبّاسِ منك إصاخةٌ ... تقضي بموت عِدايَ أو تُحْييني
يا لهفَ نفسي كيف أبلغُ مدحةً ... أضمرتها في سِرّيَ المكنونِ
فلسانُ حبّي بالغٌ أقصى المدى ... ولسانُ مدحي في القصور يليني
ما الشعرُ يستوفي حقوقكَ لي ولو ... أهديتُ في نظمي عقودَ سنيني
حَلّقْتُ أصطادُ النجومَ، وإنّها ... تزهى بعِقْدٍ في عُلاكَ ثمينِ
فرأيتُ في العَيّوق طبعكَ سيدي ... نَسْراً أسَفَّ لعجزه شاهيني

قد خفّ شعري من قصورِ طبيعتي ... ولـربّـمـا قـد كـانَ جِـدَّ ركـيـنِ
يكفيكَ أحمدُ يا ابنَ شاهينٍ بأن ... أحرزتَ خَصْلَ السبق دون الدونِ
وإذا عجزتَ عن الفرائضِ جاهداً ... فادأبْ عساكَ تفوزُ بالمسنونِ
هو قِبلتي فلأغتدي مُتمسكاً ... مِنهُ بحبلٍ في النجاة متينِ
واسْلَمْ فديتُكَ زائراً ومشرِّفاً ... أفدي مواطئ نعلِهِ بجبيني
وكذاكَ عمري في هواكَ مُقَسَّمٌ ... بينَ الدعاء الجدّ والتأمينِ

وقال حفظه الله تعالى في ذلك:

حنانيكَ إنَّ الدمعَ بالودّ مُعرِبُ ... وإنّيَ في شرقٍ وأنت مُغرِّبُ
ورُحْماكَ بي إنّي قتيلُ صبابةٍ ... بمن هو أوفى في الفؤادِ وأنجبُ
ووعدُكَ لي بالعَوْد إنّي مُعلِّلٌ ... به مهجةً قد أوشكَتْ تتصوّبُ
وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل ... «ولكن من الأشيا ما ليس يوهبُ»
فلو كنتَ شيخاً واحداً هدَّ صدُّهُ ... فكيفَ بشيخٍ لم يكنْ مثلَهُ أبُ
وإنّا بحمدِ اللهِ لما خصصتنا ... بزورةِ ذي ودّ دعاهُ التحبّبُ
فرشنا لهُ منّا الخدودَ مواطئاً ... وعدنا به شوقاً نجيء ونذهبُ
وقلنا دمشقٌ أنتَ فيها مُحَكَّمٌ ... وأشرافُها ودّوا وجدُّوا ورحّبوا
وأنتَ لها روحٌ ومولى ومفخرٌ ... قد زنتَ شرقاً مثل ما ازدانَ مغربُ
وفخراً عظيماً يا ابن شاهينَ إنّه ... غدا وكُرُنا نسرُ السما فيهِ يرغبُ
فنحنُ، ونحنُ الناس، خُدّام نعله ... فلا غروَ أن يقلي الغَضَنْفَرَ أكلُبُ
وما نقموا منهُ سوى أنّه امرؤ ... ليأكلُ فيما قدَّروه ويشربُ
هو الشيخُ شيخُ الدهرِ أحمدُ من غدتْ ... دمشقُ ومن فيها بعلياه تخطبُ
هو المقّريُّ العالمُ العَلَمُ الذي ... إليه تناهى الفضلُ والمجدُ يُنسبُ
وما هو إلا الشمسُ أزمَعَ رحلةً ... وإنّا لفي ليلٍ إذا هي تغربُ
أو الغيثُ قد وافى فأمرعَتِ النُّهي ... به وانثنى والصدرُ بالودّ مُعْشِبُ
أو الطائرُ العنقاء جاء مشرقاً ... فأغربَ والعنقاءُ في الطير مُغْرِبُ
وإنّك لَلْخِلُّ الوفيُّ وإنّهُ ... هو الواحد المطلوبُ إن عزّ مطلبُ

وإنّك بالتحقيقِ في كلّ حالةٍ ... لأسنى وأنْدى ثمَّ أوفى وأغربُ
رعى الله وجهاً رُحْتَ ترغبُ نحوه ... وأيُّ أخي جِدّ لَهُ أنْتَ ترغبُ
وحَيّا الحيا أرضاً وطئتَ ترابها ... فأصبحَ مسكاً وهيَ بالمجدِ تخصبُ
ولا فارقَتْ يوماً علاكَ كلاءةٌ ... من الله أنّى كنتَ والله أغلبُ
مدى الدهرِ ما حنّتْ جوانحُ والهٍ ... مشوقٍ فأمسى للحقيقةِ يطربُ



نموذج من خط أحمد المقري




13

محمد بن سليمان الروداني[1] (ت1094هـ)
حدث عنه علماء دمشق بسفح قاسيون

نشأ محمد بن سليمان الروداني بتارودانت وتعلّم بها وهي يومئذٍ حاضرة بلاد سوس العلمية، بما تشتمل عليه من علماء أجلّة قائمين على حلقات التدريس في المساجد الكبرى الثلاثة لا سيما الجامع الأعظم ومدرسته السعدية الأنيقة. ثم تابع الروداني دراسته في الزاوية الناصرية بدرعة، والزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، ومدينة مراكش عاصمة الملوك السعديين قبل أن ينتقل إلى المشرق، فكان من شيوخه المغاربة أبو مهدي عيسى السكتاني، ومحمد بن سعيد المَرْغِتِي، ومحمد بن ناصر الدرعي، ومحمد المرابط الدلائي. وفي طريقه إلى الشرق أخذ بالجزائر عن سعيد بن إبراهيم قَدُّورة، ثم أخذ عن أعلام مصر والشام، كعلي الأجهوري، والشهاب الخفاجي، والشهاب القليوبي، ومحمد بن أحمد الشوبري، والشيخ سلطان، وخير الدين الرملي، ومحمد النقيب بن حمزة الحسني، ومحمد بن بدر الدين ابن بلبان، وأجازوه جميعاً إجازات عامة وخاصة.

وبعد أن أدّى الروداني فريضة الحج، جاور بالمدينة المنورة سنين طويلة إلى أن أزعج عنها بمكايد حساده وخصومه، فتوجه إلى مكة المكرمة. وذكر أبو سالم العياشي في الرحلة شدة الروداني في انتقاد المدنيين وعزوفه عنهم،

(1) ترجمته في: «خلاصة الأثر» (4/ 204)، «رحلة العياشي» (2/ 30)، «صفوة ما انتشر» ص196، «فهرس الفهارس» (1/ 62)، «مقدمة الدكتور محمد حجي» لتحقيق (صلة: السلف بموصول الخلف) ـ (علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر الهجري) (2/ 486).

لانحرافهم - في نظره - عن مقتضى الشريعة في سلوكهم ومعاملاتهم، لم يخفّف من حدّته ما راجعه به العياشي من ضرورة المداراة والنصح بالتي هي أحسن، وما ضرب له من أمثلة يعرفانها في شيخهما قاضي الجماعة بمراكش أبي مهدي عيسى السكتاني الذي كان على طرفي نقيض ممّا عليه الروداني، مع صلاح حاله هو أيضاً وديانته ووفور علمه. ولم يعب العياشي على صديقه الروداني إلّا أنه غير عارف بزمانه، وأنشد:

كان لا يدري مداراةَ الورى ومداراةُ الورى أمرٌ مُهمّ

ورحل ابن سليمان الروداني عام 1081هـ/ 1671م إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية، فمكث بها في حظوة كبيرة سنة رجع بعدها إلى مكة المكرمة، وقد فُوّض إليه النظر في أمور الحرمين الشريفين، حتى صار شريف مكة لا يصدر إلّا عن رأيه. ولمّا مات الوزير الذي كان يسانده تمكّن خصوم الروداني من استصدار أمر الباب العالي بنفيه عن مكة إلى بيت المقدس، فأبى متعلّلاً بقلّة الأمن في الطريق، ولكنه اضطر أخيراً إلى أن يترك أهله بمكة ويخرج إلى الشام، حيث عاش بدمشق منزوياً عن الناس مقبلاً على التأليف، إلى أن أدركه أجله بها في عاشر ذي القعدة عام 1094هـ/ 31 اكتوبر 1683م. ودفن - بوصية منه - في سفح جبل قاسيون.

وأكّد ذلك الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي في ماء الموائد، وكان قد عاشر ابن سليمان الروداني سنة كاملة في المدينة المنورة، واطلّع أثناءها - عن قرب - على مؤلفاته ومخترعاته واقتبس منها، فكتب عنه: «. . . حكيم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام، المتوقّد فطنة، والمتوهّج ذكاء، الممتلى حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حلَّ له أحد وكاء. . وقد حقق على التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلّا أنه يتحامى تعاطي ما يدّل منه على الحوادث المستقبلية ديانة منه - رضي الله عنه - وله قصيدة في علم التوقيت أكبر من الروضة، بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الاتقان، وخالف كثيراً من المؤلّفين في ذلك الفن في

أشياء بيَّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرّب العمل فيها بضوابط وقواعد مبينة على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمة القريبة...».

قال المحبي[1]: «الإمام الجليل المحدث المفنن فرد الدنيا في العلوم كلها، الجامع بين منطوقها ومفهومها والمالك لمجهولها ومعلومها. والظاهر من شأنه كما نقلت عن شيخنا المرحوم عبد القادر بن عبد الهادي، وهو ممن أخذ عنه، وسافر إلى الروم في صحبته، وانتفع به، وكان يصفه بأوصاف بالغة حد الغلو، ويذكر الفنون التي كان يشير بمعرفتها، فيستغرق العد، أنّ ذلك فيه مجرد فتح إلهي ببركة شيخه الواورغتي، فإنه كان يقول: إنه يعرف الحديث والأصول معرفة ما رأينا من يعرفها ممن أدركناه، وأما علوم الأدب فإليه النهاية فيها، وكان في الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهي الأستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب وكان يتقن فنون الرياضة إقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي، ويعرف أنوع الحساب والمقابلة والأرثماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها. وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً مستوفياً، وكان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة. وكان يحفظ في التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والأشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً. وكان في العلوم الغريبة كالرمل والأوفاق والحروف والسيمياء والكيمياء حاذقاً أتم الحذق».

أحب محمد بن سليمان الروداني مدينة دمشق، وأخذ العلم عن كبار أعلامها منهم:

- محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحنفي الحسيني نقيب الأشراف (ت1085هـ)[2].

---

(1) «خلاصة الأثر» (4/ 204).

(2) ترجمته: مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص46، «نفحة الريحانة» (2/ 9)، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر الهجري» (2/ 423).

- ومحمد بن بدر الدين بن عبد الحق بن بلبان البعلي الأصل الدمشقي الصالحي (1083هـ)[1].

كما روى عنه علماء دمشق الحديث بسفح قاسيون منهم:

- عبد القادر ابن عبد الهادي العمري (ت1100هـ)

قال عنه المحبي[2]: «شيخنا الجهبذ المحقق المدقق الفطن كان من الغواصين على المباحث وحل غوامضها وتبيين مبهمها وله فكرة تتوقد ذكاء وتتلهب فطنة».

ووردت ترجمته في «علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر»[3].

عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان بن جلال الدين بن تقي الدين أبي بكر المعروف بابن عبد الهادي العمري الدمشقي الشافعي.

قرأ على مشايخ أجلة منهم المنلا محمود الكردي والمنلا محمود أمين اللاري وإبراهيم الفتال وحضر دروس محمد حمزة نقيب الأشراف في التفسير وغيره وكان جل انتفاعه به، وكانت أغلب معلومات المترجم في أصول الدين والفقه وبهما تقوى مع اتقانه للرياضيات والعلوم الطبيعية. سافر إلى بلاد الروم صحبة محمد بن سليمان المغربي السوسي نزيل مكة وتقرب إليه وأخذ عنه علوماً كثيرة. ولما كان هناك توفي الشيخ عبد القادر الصفوري مدرس دار الحديث الأشرفية فوجهت إليه.

تصدر للإقراء وكان من طلابه الكثيرين ابن عمه عبد الجليل ومحمد بن محمد القاضي المالكي في المحكمة الكبرى فيما بعد ومحمد المحبي المؤرخ قرأ عليه طرفاً من شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب في الأصول وشرح الرسالة الوضعية للعصام.

---

(1) «خلاصة الأثر» (3/ 401)، «طبقات الحنابلة»، ص111، «النعت الأكمل» ص231، «مشيخة أبي المواهب الحنبلي» ص50 - 52، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر» (2/ 410).

(2) «خلاصة الأثر» (2/ 437).

(3) (2/ 454).

ألف كتباً كثيرة منها «شرح على الرسالة الوضعية للعصام»، «شرح على إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة»، «مختصر همع الهوامع للسيوطي»، «شرح همع الهوامع للسيوطي». وله منظومات في علوم متعددة ومسائل متنوعة بالإضافة إلى شعر كثير وعندما توفي شيخه محمد بن سليمان الروداني رثاه بقصيدة طويلة مطلعها[1]:

صبراً فكل الأنام يفقد ... لا أحد ههنا يخلد

ومنها:

والناس آجالهم كخيل ... فالسابق المضمر المجرد
وعالم الكون في فناء ... فحقق الأمر فيه واشهد
والخطب عم الأنام طراً ... بموت شيخ العلوم أوحد
ابن سليمان من حباه ... المصطفى باسمه محمد
تبكي علوم الألى عليه ... وطرسها قد غدا أسود
في كفه دائماً يراع ... له وجوه الطروس سجد
إن هزه فالصواب يبدو ... من أمره واضحاً مؤكد
في كل علم تراه فرداً ... أدرك آحاده وجدد

ـ محمد الدكدكجي[2] (ت1131هـ)

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحنفي، المعروف بالدكدكجي، وأصل أسرته من بلاد التركمان.

ولد بدمشق في شعبان، ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم وجوده على الشيخ محمد الميداني. ثم طلب العلم، فلزم الشيخ أبا المواهب الحنبلي،

---

(1) علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر الهجري (2/ 490).

(2) الدكدكجي: صانع الدكديك: نوع من الألبسة للخيول، نقلاً عن هامش «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر» (1/ 382)، راجع ترجمته في «سلك الدرر» (4/ 25) «معجم المؤرخين الدمشقيين» ص336، «ولاة دمشق» 58، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري (1/ 382).

فقرأ عليه الشاطبية وختمة كاملة للسبعة من طريقها، وقرأ عليه شرح ألفية المصطلح لزكريا الأنصاري، وسمع عليه «صحيح البخاري» وبعض «صحيح مسلم» وكثيراً من كتب الحديث والمصطلح والتجويد والقراءات. حضر دروس الشيخ إبراهيم الفتال، فقرأ عليه شرح القطر لمصنفه، وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل، لازم دروس الأستاذ عبد الغني النابلسي، وكتب بخطه الحسن كثيراً من مصنفاته، وصحبه في رحلته الكبرى. وكان الأستاذ يحبه حباً جماً، ويعتني به لنصحه في خدمته ومثابرته على الطاعة وكف لسانه عن فضول الكلام واهتمامه بأمور الشريعة ومحبته للفقراء. أجازه الشيخ عبد الرحمٰن المجلد كتابة بمشيخته.

له مؤلفات عديدة منها «تراجم رجال الطريقة الشاذلية»، «تهويل الأمر على شارب الخمر»، «شرح الجزرية»، «شرح حزب البحر للشاذلي»، «شرح دلائل الخيرات»، «شرح طيبة النشر في القراءات العشر»، «مجاميع علمية أدبية». وله «مشيخة الدكدكجي»، ترجم فيها لمشايخه من علماء الشام ومصر وبيت المقدس والحرمين والمغرب، وله ديوان خطب.

قال يوصي ولده إبراهيم:

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قد نقلت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا ... زاراك حبواً لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالما ... منحاك نفس الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علة ... جزعا لما تشكو وشقّ عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا ... دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمنيا لو صادفا بك راحة ... بجميع ما تحويه ملك يديهما
لتلحقنهما غداً أو بعده ... حتماً كما لحقا هما أبويهما
ولتندمن على فعالك مثلما ... ندما هما قِدماً على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلاً صالحاً ... وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما ... تسطيعه وبعثت ذاك إليهما

فاحفظ حُفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من بريهما

قال الشيخ مصطفى البكري في وصفه: «كان رحمه الله تعالى منتمياً لجناب شيخنا المهاب المرحوم الشيخ عبد الغني المعلوم في حظائر الخصوص والعموم تبناه من الصبا لما هام في حبه وصبا ورباه في حجر قربه وسقاه من يده صافي شربه ولحظه في ظاهره وباطنه وحفظه في سائر مواطنه وساح معه وناح وراح في خدمته وبسره ما باح وذكره الشيخ في رحلته القدسية والرحلة الكبرى الأنسية، وأثنى عليه لقيامه دائماً بين يديه وما حال ولا زال عن الاستقامة بحال حتى ترعرع وشب في المقامات العوال ونشله بهمة غالية عالية من الأوحال... وكتب غالب كتب الشيخ بقلمه والاستنساخ».

وقد أفرده البكري في رسالة سماها «المرهم الشجي في ذكر يسير من مآثر الشيخ محمد الدكدكجي».

قال المرادي: «الشيخ الإمام المتفنن البارع الأديب نادرة العصر كان فاضلاً كاملاً مهيباً صالحاً ديناً صوفياً وأخلاقه شريفة ورزقه الله الصوت الحسن في الترتيل وكان للناس به محبة عظيمة واعتقاد وافر وخطه حسن مضبوط».

توفي بدمشق ليلة الجمعة 18 ذي الحجة وفي ساعة موته هطلت أمطار غزيرة واستمرت حتى تجهيز دفنه يوم الجمعة وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بتربة الغرباء بمقبرة الدحداح بالجهة الشرقية.

وتمثل الشيخ محمد الغزي يوم وفاته بقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

بكت السماء عليه ساعة موته بمدامع كاللؤلؤ المنثور

وكأنها فرحت بمصعد روحه لما سمَت وتعلقت بالنور

أو ليس دمع الغيث يهمي بارداً وكذا تكون مدامع المسرور

رواية محمد الدكدكجي لحديث الرحمة المسلسل بالأولية من طريق شيخه محمد بن سليمان الروداني

قال محمد بن إبراهم بن محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالدكدكجي[1]:

«لهذا العبد الفقير فيه طرق كثيرة، من وجوه عديدة شهيرة منها:

ما حدثنا به شيخنا العلامة العمدة الفهامة المحقق المدقق الشيخ محمد بن محمد بن سليمان السُّوسي المغربي، نزيل الحرمين الشريفين، المالكي، المولود سنة تسع وثلاثين وألف، والمتوفى بدمشق في ذي القعدة سنة أربع وتسعين وألف، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به شيخنا شيخ الإسلام وصدر أئمة الأنام أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري المعروف بقدُّورة، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به قدوة الأئمة ومسند الأمة أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به وليّ الله تعالى أبو العباس أحمد حَجّي الوهراني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به شيخ الطريقة إبراهيم التّازي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به مسند الآفاق الخطيب صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الْمَيْدُومي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرَّاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا به والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا

(1) علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري (1/ 388).

به أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به.. أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزّار، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا به عبد الرحمٰن بن بشر بن الحكم النيسابوري العبدي، وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

ذكر سلسلة فقه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه من طريق شيخه محمد بن سليمان الروداني

أخذته إجازة من طرقٍ، منها عن شيخنا الإمام الفقيه المحدث محمد بن محمد بن سليمان السُّوسي المغربي المالكي قال في ثبته الذي ناولني إياه وأجازني به: وأما سلسلة فقه المالكي فأقتصر فيما وقع لي منها على إيراد ثلاث طرق متباينة، ثم أورد الثلاث طرق، ولكن نحن نقتصر على الطريقة الأولى منها اختصاراً فنقول:

الأولى: أخذت فقه إمامنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، عن أوحد زمانه علماً وعملاً أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، وهو أخذه عن إمام المذهب في عصره أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرّي التلمساني ومفتيها ستين سنة، عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التَّنَّسِي، عن أبيه، عن الإمام أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد، عن والده أحمد، عن جده محمد بن أحمد الخطيب، عن محمد بن عبد الرحمٰن بن راشد القَفْصي شارح ابن الحاجب وغيره، عن الشهاب أحمد بن إدريس القرافي صاحب الفروق وغيرها والقاضي ناصر الدين الأبياري وناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الشهير بابن المنير، ثلاثتهم عن إمام المحققين أبي عمرو عثمان بن

أبي بكر، عن أبي الحسن علي بن إسماعيل الأبياري، عن إسماعيل بن إسماعيل بن عوف الزُّهري من ذرية عبد الرحمٰن بن عوف ﵁، عن الإمام الجليل أبي بكر محمد بن الوليد الطَّرْطُوشي، عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي صاحب المنتقى وغيره، عن أبي الأصبغ عيسى بن سهل القرطبي صاحب الإعلام بنوازل الأحكام، عن أبي بكر يحيى بن محمد الغساني القلعي، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنين صاحب المنجد في الأحكام، عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن ميسرة صاحب كتاب النصائح، عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن لُبَانة، عن أبي عبد الله محمد بن وضّاح القرطبي، عن القاضي أبي عَمْرو الحارث بن مسكين المصري وأبي مروان عبد الملك بن الحسن زَوْنَان، وأبي مروان عبد الملك بن حبيب (صاحب) الواضحة وغيرها، وهو عن إصبغ بن الفرج المقرئ، وأبي محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي القائل: والله ما كذبت منذ اغتسلت وهو أول من أدخل الموطأ الأندلس، وأبي عبد الله زياد بن عبد الرحمٰن الشهير بشَبْطُون من ولد حاطب بن أبي بلتعة البدري ﵁، وأبي مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف، وأبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، وأبي محمد عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم، وأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم والأولان وهما ابن مسكين وزَوْنان عن الإمام أبي عمرو أشهب مسكين بن عبد العزيز القيسي، وأبي محمد عبد الله بن وهب بن مُسْلم، فهؤلاء تسعة أئمة من أصحاب الإمام مالك ﵁. وهو أخذه عن أعلام الدين وجماهير التابعين كابن شهاب الزهري وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، وحميد الطويل، ومحمد بن أبي بكر الثقفي، وأبي عثمان عَمْرو بن ميسرة، وإسحاق بن عبد الله الأنصاري، وشريك بن عبد الله والعلاء بن عبد الرحمٰن، ثمانيتهم عن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، وغيره كأبي الزبير المكي، ومحمد بن المنكدر، وأبي أسامة زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ووهب بن كيسان، أربعتهم عن جابر بن عبد الله ﵄، وغيره، وكنافع وعبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر ﵄. وعن غيره،

وكسلمة بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي ﵁. وغيره، وكأبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الكعبي ﵁، وكنعيم بن عبد الله الْمُجَمِّر عن أبي هريرة ﵁، وغيره وغيرهم من التابعين، عن الصحابة بلا واسطة، وبواسطة. وكلهم أخذوه عن سيد المرسلين ﷺ، وهو عن الروح الأمين، عن ربنا جل وعلا انتهى.




14

محمد ابن الطيب الشرقي الفاسي[1] (ت1170هـ)

ازدحم عليه علماء دمشق في دار القاضي علي بن محمد المرادي قصد الرواية عنه

كان هذا الرجل نادرة عصره في اتساع الرواية وقوة العارضة ورزق فيها سعداً مبيناً، وأخذ عنه بالشام والحجاز والعراق وغيرها من البلاد.

فمن هو هذا الرجل؟ وما هو تكوينه العلمي؟

وكيف ارتفع صيته عند علماء دمشق؟

ولد محمد بن الطيب الشرقي بفاس سنة (1110هـ).

وكتب ابن الطيب في فهرسته الصغرى المسماة: (ارسال الأسانيد) معرفاً بوالده الذي ذكره في جملة شيوخه فقال: «سيدنا وشيخنا ووالدنا العالم الصالح الصوفي الأديب البارع أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن موسى بن محمد الشرقي الفاسي رحمه الله تعالى. وهو يروي عن والده العالم الصالح الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن موسى عن عمه الفقيه المقرئ الصالح أبي عبد الله محمد ابن محمد... ...».

فنسب ابن الطيب على هذا الاعتبار هو: محمد بن محمد الطيب بن محمد بن موسى بن محمد الشرقي ثم الفاسي، وكنيته أبو عبد الله، وقد يزاد إلى نسبه في بعض مؤلفاته: (الصميلي) على نحو ما سنرى بعد قليل.

هذا هو الثابت في هذا الشأن. ولا بد من التنبيه إلى أمرين:

---

(1) اقتبست أخبار ابن الطيب الشخصية وثقافته الدينية من كتاب «التعريف بابن الطيب الشرفي» ص57 وما بعدها ـ للدكتور عبد العلي الودغيري.

أولهما: أن اسم والد المترجم ـ محمد الطيب ـ يختصر عادة ويستغنى بشقه الثاني عن شقه الأول. ومن أجل هذا اشتهر صاحبنا بـ (ابن الطيب) ليس بـ (ابن محمد الطيب).

ثانيهما: أن النسخة الأمريكية (رقم 83/ 3861) من (ارسال الأسانيد) ختمت بالعبارة التالية: «قال كاتبه وجامعه عبد الله الفقير إلى عفوه ومغفرته: محمد بن الطيب بن محمد بن محمد بن محمد بن الشرقي. . .» فصحف هنا اسم جده الثاني إذ كتب (محمد) بدل (موسى). ولكنه ورد صحيحاً في النسخة السعودية. والذي يزيد تأكيد الخطأ في هذا الموضع هو النص السابق الذي لا تختلف في شأنه النسختان. كما يؤكده ما ورد عند كثير من مترجميه أمثال المرتضى الزبيدي في (تاج العروس) والمرادي في (سلك الدرر) والكتاني في (فهرس الفهارس) وغيرهم. فهم جميعاً حين ترجموا له ذكروا اسم جده (موسى) على النحو الذي أوردناه أولاً.

وأما أسرة ابن الطيب فلا نعرف على وجه الضبط متى استقرت بمدينة فاس، وإن كان الراجح أن ذلك قد حدث في مطلع القرن الحادي عشر الهجري أو قبل ذلك بقليل، أي خلال الفترة التي أقامت فيها قبيلة شراكة ـ التي تنتسب إليها الأسرة ـ بهذه المدينة. فالناصري الذي أمدنا بمعلومات مفيدة عن هذه القبيلة، يذكر أن أفرادها كانوا قبل سنة (1016هـ) «نازلين بقصبة الطالعة وبقصبة أخرى وببعض الفنادق وقرب باب المسافرين». وأصلهم من عرب بادية تلمسان وما انضاف إليهم، هاجروا إلى المغرب الأقصى بعد استيلاء الأتراك على الجزائر، ومن ثم استعملهم السعديون للخدمة في الجيش، وكان عبد الله ابن الشيخ (1022 ـ 1033هـ) قد كون منهم فريقاً يعتمد عليه فكانوا «حماته وأنصاره وبهم كان يعتصم». وقد ساق الناصري في شأنهم أيضاً كثيراً من الأخبار تفيد أنهم كانوا مجبولين على القسوة والنهب والعدوان، لذلك طالت الوقائع والاصطدامات بينهم وبين أهل فاس، وقد اضطر محمد الحاج الدلائي عام (1048هـ) أن يقوم بحملة لمساعدة المجاهد العياشي في القضاء على فتنهم وإغاراتهم المتوالية على تلك المدينة، هذه

الإغارات والفتن التي لم تخف حدتها إلا بعد مجيء المولى الرشيد العلوي فأمرهم ببناء (قصبة الخميس) بظاهر المدينة فأصبحت تسمى باسمهم، وألزمهم بسكناها، ثم حين استمر إضرارهم بأهل فاس أمرهم ثانية بالانتقال إلى بلاد «صدينة وفشتالة بين النهرين: سبو وورغة، وأقطعهم تلك الأرض فبنوا فيها بيوتهم». وقد كان المولى الرشيد يستعين بشراكة في بعض حروبه، وكذلك فعل من جاء بعده من السلاطين كالمولى إسماعيل الذي جعلهم ضمن جيش القبائل، والمولى عبد الله بن إسماعيل الذي استعملهم مراراً في حروبه ضد إخوته.

وقد فسر الناصري سبب إطلاق اسم (شراكة) أو (شراقة) على هذه القبيلة فقال: «لفظ شراقة في الأصل لقب لعرب بادية تلمسان ومن انضاف إليهم، وسموا بذلك لأنهم من جهة الشرق من المغرب الأقصى. فأهل تلمسان مثلاً يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان مشارقة. إلا أن العامة يلحنون في هذه النسبة فيقولون: شراقة بتخفيف الراء والقاف المعقودة». ونظراً لما ذكره هذا المؤرخ وغيره، فإن هذه الكلمة تكتب بالقاف أحياناً وبالكاف أخرى فيقال: (شراقة) أو (شراكة)، والنسبة إليها شرقي أو شركي على غير قياس كما هو الشأن في ابن الطيب الشرقي.

ومن جملة فروع قبيلة (شراكة) التي استقرت بفاس فرقة أولاد الصميلي التي ما يزال عدد من المغاربة إلى اليوم ينتسبون إليها. وقد ذكر ابن سودة في (إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس) هذه الفرقة فقال: «أولاد الصميلي من قبيلة شراكة: أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة، منهم الشيخ العلامة محمد ابن الطيب الشرقي الصميلي...». فإلى هؤلاء الصميليين إذن ينتسب ابن الطيب كما ذكر هنا. بل لقد نص على ذلك ابن الطيب نفسه في خاتمة (شرح القصيدة المُضرية) باللفظ التالي «قال مؤلفه العبد المفتقر إلى ربه الغني، محمد ابن الطيب بن محمد الصميلي الفاسي ثم المدني». وكذلك ذُكِر هذا النسب في فهرسة تلميذه عبد المجيد الزبادي ورحلته: (بلوغ المرام) وفي سلوة الأنفاس للكتاني.

وحين رحل إلى الشرق وأقام به أطلقوا عليه (الفاسي) نسبة إلى المدينة التي هاجر منها. وكانوا أحياناً يعممون فينسبونه إلى المغرب ويقولون: (ابن الطيب المغربي). وقل من المشارقة من نسبه إلى قبيلة (شراقة) أو فرعها (أولاد الصميلي). وهكذا فقد عرف الرجل في المغرب بالشرقي والصميلي، وعرف في المشرق بالفاسي والمغربي، والأول أشهر. ولما جاور قبر الرسول ﷺ بالمدينة المنورة بقية حياته إلى أن مات، أضيف إليه نسب (المدني).

ومن الألقاب التي لقبه بها المشارقة لقب (شمس الدين). ويذكر في (عيون الموارد) حين روى الحديث الرابع والثمانين المسلسل بحرف العين، أن أشياخه لقبوه بعلاء الدين ليتم التسلسل. قال: «ولقبني أشياخي من الألقاب المشرقية علاء الدين ليصح التسلسل عني كما هو عادتهم والله أعلم».

وقبل ختم الحديث عن هذه النقطة، أشير إلى ما سبق أن نبهت إليه، وهو خطأ بعض مترجميه من المغاربة ـ ومنهم صاحب (الدرر البهية) ـ حين نسبوا ابن الطيب إلى بيت الشرفيين ـ بالفاء ـ وهو بيت أندلسي إشبيلي الأصل، نزح أهله إلى فاس. وقد نبه إلى ذلك من قبل الكتاني في فهرس الفهارس وغيره.

نشأ ابن الطيب في أحضان أسرة جل أفرادها من أهل العلم والدين والورع، فجده لأبيه وهو أبو عبد الله محمد بن موسى كان ـ كما تحدث عنه حفيده فيما سبق ـ عالماً صالحاً أديباً بارعاً، وعم جده كان عنده منعوتاً بـ «الفقيه المقرئ الصالح». وأما أبوه محمد الطيب فهو معدود في جملة شيوخه الذين أخذ عنهم، وقد ترددت الرواية عنه في كثير من مؤلفاته.

وكان لابن الطيب أخت تسمى آمنة (أو منانة) ترجم لها الكتاني في سلوة الأنفاس وقال إنها كانت من الصالحات الخيرات، أولعت في أخريات حياتها بحضور مجالس العلم والحديث في القرويين والضريح الإدريسي وضريح سيدي أحمد بن يحيى، وبالأخص مجالس أبي عبد الله جسوس وأحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي «وفتح عليها بالحفظ والفهم من كثرة الملازمة». وقد توفيت سنة (1187هـ).

وفي (عيون الموارد) يروي ابن الطيب عن عمته (الزهراء) بعض المسلسلات الحديثية منها مسلسل الرحمة ومسلسل الشعراء، ويصفها لذلك (بالمسندة). وبـ «الشيخة البرة التقية البارعة في الفنون».

وكانت هذه العمة زوجاً لنابغة علماء المغرب في زمانه وأحد كبار أدبائه: أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت1102هـ)، فاليوسي على ذلك هو فرد من أفراد هذه الأسرة العالمة التي ينتسب إليها ابن الطيب الذي روى في كتبه كثيراً من أشعاره وأخباره وأقواله، عن طريق عمته الزهراء ووالده محمد الطيب وشيخه ابن المسناوي، ونقل بعضها مباشرة من مؤلفاته. وكان شديد الاحترام لعلمه والتقدير لمقامه. لا يذكره إلا بألفاظ التعظيم وعبارات الثناء التي قل أن يصف بها أحداً سواه، ولا أجد ما أمثل به لهذه العبارات أنسب من قوله فيه: «إمام الدنيا، وقطب الوجود بلا ثُنْيَا، مفرد العصر في النظم والنثر: الإمام أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، وآدابه مشهورة، ودواوين نظمه في الآفاق منشورة، وقد أودع كتابه (زهر الأكم في الأمثال والحكم) من نظم الأمثال ما ليس له مثال، ومن نظم الحكم ما قضى له بالتقدم على من تقدم فضلاً عمن تأخر وحَكَمَ. فلا بدع إن جلى في حلبة السبق على الأوائل، وسحب ذيل البلاغة على سحبان وائل، وأعجز الأواخر، فلا يقدرون على الإتيان بمثل جوهره الفاخر».

هذه إذن، هي الأسرة التي فتح ابن الطيب عينيه عليها، وتلمس نفسه في وسطها، فوجد أنه محاط بتقاليد علمية متوارثة، وعادات في التربية والسلوك محفوظة ومرعية. لا يمكن له إلا أن يسير على هدي رسومها.

اجتاز ابن الطيب مرحلة التعليم الأولى، وأصبح مؤهلاً لحضور مجالس كبار المشايخ والمدرسين في بلدته. ولنا أن نتصوره وهو يطوف ـ طوال مراحل التعليم ـ ما بين بيت الأسرة في (درب الطويل)، وبين بيت ابن الشاذلي الذي جعل فيه مقر دروسه، ومسجد القرويين وبه مجالس شيخه محمد بن إدريس العراقي وغيره، ومسجد الأندلس والمدرسة الرشيدية وفيهما كانت تعقد مجالس شيخه أبي العباس الوجاري، ومسجد المولى إدريس حيث

مجلس شيخه المسناوي الذي لازمه أطول مدة، ومسجد عياض بالصاغة حيث مجالس شيخيه: ابن زكري وميارة. ثم يتردد على بقية المساجد والمجالس العلمية التي كانت تنتشر في سائر أنحاء المدينة العالمة، فيصيب من ذلك كله ما يناله الطالب المجد الذي ذاق حلاوة العلم، فوجد أن فيه حياته وخلوده.

ولقد كانت المرحلة التي قضاها بفاس (حوالي 33 سنة) هي المرحلة التي تكونت فيها شخصيته العلمية. ففيها انصرف إلى التعليم على مشايخ عصره، وفيها برزت بواكير أعماله، وانعقدت أولى حلقات تدريسه. وفي خلالها تولى منصب القضاء. وإذا كان عدد شيوخه والذين روى عنهم وأجازوه في العلوم المختلفة قد بلغ فيما ذكره بنفسه قرابة المئتين، فإن هذا العدد سيتقلص كثيراً إذا نحن أخذنا لفظ (الشيخ) بمدلوله الحقيقي، وإذ ذاك سنجد جل شيوخه إن لم نقل كلهم كانوا من المغاربة ومن الفاسيين على الخصوص. أما بعض المشارقة الذين يجعلهم ضمن شيوخه، فهم على قلتهم لم يضيفوا شيئاً ذا بال إلى حصيلته العلمية؛ لأن طريق أخذه عنهم كانت هي طريق الإجازة التي لا تعني التتلمذ الحقيقي وإنما تعني الرغبة في المحافظة على تقليد قديم وهو إثبات السند.

وكانت السمات الثقافية في عصره وبلده فاس هي تلك السمات التي تحدثنا عنها سابقاً، وفي مقدمتها سمة المشاركة في العلوم المختلفة. ولذلك لم يكن أمامه خيار وهو يطلب العلم سوى الاختيار الذي فرضه العصر وأوجبته تقاليد ثقافة المجتمع، الذي عاش فيه ابتداء من الأسرة إلى المدينة إلى المجتمع الإسلامي قاطبة. فنشأ إذن عالماً مشاركاً، له بصر وإلمام بمعارف وقته المتداولة التي يمكن أن نقسمها جملة إلى فرعين كبيرين: فرع المعرفة الواجبة بحكم الدين والمنفعة، وهي العلوم الشرعية بما تشكله من علوم قرآنية وحديثية وفقهية وتصوفية. وفرع المعرفة التي بها تتم المعرفة الأولى وتشمل فقه اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والشعر والتاريخ وما يدخل تحت عنوان (علوم الآلة) أو (العلوم المساعدة). فلننظر إذن في هذين النوعين من المعرفة التي حصلها ابن الطيب خلال هذه المرحلة التكوينية الفاسية.

أما عن ثقافته الدينية:

فقد تحدث ابن الطيب عن دراسته القرآنية بفاس فقال: «وقد قرأت القرآن ولله الحمد والمن برواية ورش وقالون عن نافع، وبقراءة ابن كثير جمعاً وإفراداً، على الوالد والشيخ الصالح البركة أبي عبد الله محمد بن العربي بن مقلب الفاسي، وأبي زيد عبد الرحمٰن الفشتالي، وعم والده الأستاذ أبي محمد عبد الواحد بن محمد وغيرهم ممن أوضحت أسانيدهم في إقرار العين وغيره».

وخصص (إرسال الأسانيد) لذكر مروياته من كتب العلوم المختلفة، وجعل في مقدمتها جملة من كتب التفاسير القرآنية للزمخشري والبيضاوي والطبري والواحدي والثعلبي والماوردي وأبي حيان والقشيري والفخر الرازي وسواهم، ومجموعة أخرى من كتب القراءات لأبي عمرو الداني والشاطبي وابن الجزري.

أما مروياته من علوم الحديث فقد ذكر منها بهذا الفهرس: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وابن حبان وجامع الترمذي ومسانيد الدارمي والدارقطني والبزار وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والشافعي وابن أبي شيبة وأبي يعلى والطيالسي والحارث بن أبي أسامة وابن راهويه وبقي بن مخلد وابن الزبير الحميدي المكي، ومصنفات الشهاب القضاعي وأبي نعيم والطبراني والحاكم والبغوي وابن أبي الدنيا وابن عساكر والخطيب البغدادي وابن أبي عاصم وابن شاهين والآجري وابن حجر والسيوطي والقلقشندي والعز ابن جماعة والصاغاني وابن عرفة والخرائطي والمنذري والنووي وسواهم. بالإضافة إلى مجموعة من المسلسلات الحديثية جمعها في كتابه المسمى: (عيون الموارد السلسلة من عيون الأسانيد المسلسلة). وكانت أغلب هذه المرويات عن شيوخه الفاسيين الذين يروي عنهم أيضاً الفقه المالكي بمصنفاته المختلفة وفي مقدمتها مصنفات الشيخ خليل كالمختصر والتوضيح.

ورغم أنه لم يكن شافعياً ولا حنبلياً ولا حنفياً فقد قرأ وروى كثيراً

من أصول هذه المذاهب وفروعها، فقال: «إنني وإن كنت غير شافعي المذهب إلا أنني قرأت فقه الشافعي وسمعت كثيراً من أصوله وفروعه وأجزْتُ بجميع الكتب المتداولة فيه كما أومأنا إليه قبل، فأكون شافعياً بهذا الاعتبار».

وقال عن معرفته للفقه الحنفي: «وقد قرأت كثيراً من فروع الحنفية وأصولهم وأجِزْتُ بها كما مر إيماء لذلك في سرد الفقه الحنفي وكتبه». وأما الفقه الحنبلي فلم يدرسه جيداً ولكنه روى كثيراً من مؤلفاته بالإجازة، وفي هذا الشأن يقول: «والفقه الحنبلي وإن لم يحصل لي به كبير أخذ ولا كثرة استعمال، فقد أجزت بجميع فروعه وأصوله عن عدة من أشياخ المالكية والشافعية وقال في مكان آخر: «ولم يحصل لي أخذ في الفقه الحنبلي لفقدان من أستنير به في ذلك المنار الذي اندثر وبلي، ولم يبق فيه من يفرق بين الحنبل والحنبلي، ولا من يعرف بَلَى من بَلِيَ، ولله المشتكى. فقد طالما بحثت عن رجل له ولو إلمام ما بهذا المذهب فما رأيت في الآفاق التي قطعتها إلا من ذهب به الجهل أي مذهب، ولذلك قنعت بالإجازات ممن أجيزت له روايته من الشافعية والمالكية».

مكانته عند العلماء:

حلاه القاضي الشوكاني في ثبته والوجيه الأهدل في «النفس اليماني»: بـ «الشيخ الحافظ» وفي ترجمته من «سلك الدرر»: «كان فرداً من أفراد العالم فضلاً وذكاء ونبلاً وله حافظة قوية وفضله أشهر من أن يذكر».اهـ.

وقال عنه ابن الحاج: «لم يكن في زمانه أحفظ منه بالنحو واللغة والتصريف والأشعار إماماً في التفسير والحديث والتصوف والفقه».اهـ. وقد بلغ عدد شيوخه نحو 180 شيخاً كما عندي بخطه في إجازته لولد ابن عبد السلام بناني، وهذا ما بعد العهد به عن أقرانه في المغرب منذ قرون، واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجمي المكي عمره سنتان...».

وطاف الأرض طولها والعرض حتى أشار في ديباجة حاشية على القاموس أنه ما أملى سطراً منها إلّا في شطر من الأرض وأنشد:

يوماً بفاس وفي مكناسةٍ زمناً ... وتارةً في زوايا العمّ والخالِ
وبرهة سفري صفرو وآونة ... تازا وطوراً أرى أفلى الفلا الخالي

وأقام بمكة سنتين، وختم بالمسجد الحرام الصحاح الستة وغيرها، من الأصول الحديثية ومن طالع حاشيته على القاموس بالدقة يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره وكثرة تآليفه وواسع رحلته، وأعجب ما تجد فيها ما في أولها من أنه ألفها حالة مفارقته لأصوله وكتبه، قال: «إلّا ما علق بالبال، أو علق في طرس بال». وقال بعد شرح الخطبة: «قد أشرت في الخطبة إلى أن هذا الكتاب طلب منا ونحن في أثناء أسفار، ليس معنا من مواده ورقة فضلاً عن أسفار»... إلخ.

قال تلميذه الحافظ الزبيدي في طالعة شرحه على القاموس: «وهو عمدتي في هذا الفن، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن». وقال في محل آخر من مقدمة التاج: «لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو شددت أو رحلت أو أخطأ فلان أو أصاب، أو غلط القائل في الخطاب، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالاً، ولم يخل لأحد فيها مجالاً، فإنه عني في شرحه عمن روى، وبرهن عما حوى، ويسر في خطبته فادعى، ولعمري لقد جمع فأوعى، وأتى بالمقاصد فوفى».اهـ. قلت: أما رويت ورحلت وسمعت فلم يخل منها «تاج العروس» أبداً، ومن تتبعه علم صدق الحديث: من عير أخاه فضلاً عن شيخه بما فيه لم يمت حتى يعمله، وأي عيب عليهما معاً في ذلك؟ وإن أردت أن لا تتعب نفسك بتتبع مجلدات الحافظ الزبيدي العشر فانظر إلى قوله في خاتمة الشرح: «إن كتابي هذا لا يوفق لمثله إلّا من ركب في طلب الفوائد كل طريق، فغار فيه وأنجد، وتقرب فيه وأبعد».

وقال عنه في «ألفية السند»[1]:

وَمِـنـهُـم الـعَـلَّامَـةُ الإِمَـامُ ... مُـحَـمَّـدُ بـن الـطَّـيِّـب الـهُـمَـامُ
مُحَدِّثُ العَصْرِ الفَقِيهُ المَاهِرُ ... وَكَـمْ لَـهُ بَـيْـنَ الـوَرَى مَـفَـاخِـرُ
نَـزِيـلُ طَـيْـبَـةَ الـوَجِـيـهُ الأَوْجَـهُ ... شَـيـخُ الـعُـلُـومِ الأَلْـمَـعِـيُّ الأَنْـبَـهُ
أَجَـازَنِـي بِـكُـلِّ مَـا يَـرْوِيـهِ ... عَـن كُـلِّ حَـبْـرٍ عَـالِـمٍ نَـبِـيـهِ
فَـمِـنْـهُـم أَبُـوهُ وَابـنُ نَـاصِـرِ ... وَطَـاهِـرٍ وَنَـجْـلِ عَـبْـدِ الـقَـادِرِ
وَابـن أَخِـيـهِ الـمُـسـنِـدُ الـعَـلَّامَـهْ ... وَالـعَـلَـمِـيُّ الـرَّافِـعُ الـعَـلَامَـهْ
وَالـقَـادِرِيُّ الـفَـرْدُ وَالـمَـسَـنَـاوِي ... وَنَـجْـلُ مَـيَّـارَةَ ذَاكَ الـرَّاوِي
وَالـعَـالِـمُ الـمشـهُـورُ بِـالـوَجَّـارِي ... نَـزِيـلُ فَـاسَ طَـيِّـبَ الـنـجَـارِ
وَصَـحَّ أَنَّ حَـسَـنَ الـعُـجَـيْـمِـي ... أَجَـازَهُ كُـتُـبـاً بِـغَـيـرِ ضَـيْـمِـي

ابن الطيب الشرقي في دمشق

في سنة (1167هـ) وجدنا ابن الطيب يحل فجأة بمدينة دمشق، ويقيم بدار واحد من ذوي البيوتات الشامية الكبرى، ألا وهو القاضي علي بن محمد أفندي المرادي (ت1188هـ) والد محمد خليل مؤلف كتاب «سلك الدرر». ففي نسخة خطية محفوظة بخزانة جامعة (برنستون) الأمريكية تحت رقم (83/ 3861) من كتاب «إرسال الأسانيد» نجد إجازة بخط يد ابن الطيب للشخص المذكور ورد فيها ما نصه:

«وبعد: فإني وردت على الديار الشامية، وتشرفت بالنزول عند الفرد الكامل الهمام العلامة الفاضل سيدنا علي أفندي المجاز المذكور» وفيها يقول:

«سمع المسلسل بالأولية مرة أخرى، وقرأ علي جميع شمائل جده ﷺ في بيته مع جمع من الأفاضل، وقرأ علي بلفظه جميع الفهرست الصغرى المسماة بإرسال الأسانيد وأطرافاً من الصحيحين: البخاري ومسلم وغيرهما،

---

(1) ص101.

وسمع كثيراً من المسلسلات، وصافحته وشابكته وأضفته على الأسودين وغير ذلك، وجددت له الإجازة بكل ما يجوز لي وعني روايته أو تنسب إلي معرفته ودرايته في المعقول والمنقول والفروع والأصول والمجاز والمسموع والمفرق والمجموع (. . .) كتبه عَجِلاً عبد الله تعالى الفقير إلى عفوه ومغفرته محمد بن الطيب المغربي الفاسي نزيل الحرمين الشريفين كان الله له، عند نزولي بالشام بدار المجاز المذكور».

وفي مكان آخر من هذه النسخة المذكورة لهذه الفهرسة ـ وهي إرسال الأسانيد ـ علق علي المرادي بقلمه على هامش من الهوامش بعبارة هذا نصها: «وقد ذكرت إلى حضرة شيخنا صاحب هذا الثبت العلامة سيدنا الشيخ محمد بن الطيب لما وصلنا بقراءة هذا الثبت: (من أصحابي وأهل ودادي في الحرمين الشريفين) فذكرت له: (ومن الدمشقيين) فثبته وقال: (ومن الدمشقيين)، فحررت على الهامش ذلك في داري في أواخر رجب الحرام سنة سبع وستين ومئة وألف».

وورد في خاتمة الفهرسة بعد ذلك بخط كاتب هذه النسخة للمرادي المذكور ما نصه: «وكان الفراغ من نسخه صبيحة سابع وعشرين من رجب سنة (1167هـ) على يد العبد الحقير محمد شاكر بن مصطفى بن عبد القادر العمري عن نسخة بخط الشيخ العالم المحقق المدقق المحدث العلامة سيدي الشيخ محمد بن الطيب مؤلفها فسح الله تعالى في مدته، بجاه رسول الله وخيرته وآله وصحابته، برسم سيدنا ومولانا قدوة علماء الموالي فذلكة محاسن الأيام والليالي السيد علي أفندي المرادي النقشبندي. . .». وفي مكان مقابل لهذه العبارة علق المرادي المذكور الذي كتبت هذه النسخة برسمه بقوله: «وقد مَنَّ ﷻ على الحقير علي المرادي بقراءة هذا الثبت وسماعه على مؤلفه جناب الشيخ محمد بن الطيب الفاسي بطرفيه في داري بدمشق (. . .) وصححته على نسخته التي بخطه وهي لطيفة جداً».

فأفاد كل هذا أن ابن الطيب كان خلال شهر رجب من سنة (1167هـ) مقيماً بدمشق ضيفاً على أحد كبار رجالات هذه المدينة وهو علي المرادي

الذي سبق له أن اتصل به بالحرمين عام (1157هـ) كما مر ولكن المعلومات التي أوردناها لا تجيب عن كل الأسئلة التي قد يطرحها الباحث على نفسه: فلماذا قدم ابن الطيب إلى دمشق؟ وما هي المدة التي قضاها هنالك؟

أما السؤال الأول، فسيتضح لنا الجواب عنه بعد قليل، وهو أن ابن الطيب خرج من المدينة المنورة قاصداً زياة تركيا وعاصمتها القسطنطينية، فكات دمشق مرحلة من مراحل الطريق.

وأما مدة الإقامة، فلا نستطيع تحديدها بشيء جازم، لكن الظاهر أنها كانت قصيرة لا تزيد على أيام قليلة، وهي المدة التي تكفي للاستراحة وقضاء المآرب الضرورية، ولقاء من يتيسر لقاؤه من العلماء وطلبة العلم، على أن زيارة تركيا في حد ذاتها ـ وهي بيت القصيد ـ لم تكن لمدة طويلة. فبعد دمشق التي كان موجوداً بها أواخر رجب من عام (1167هـ)، سيزور ابن الطيب مدينة حلب وبعدها تركيا، ثم يعود عن طريق مصر فيدخل إلى القاهرة التي سوف يلقاه بها أحد تلاميذه المغاربة خلال شهر من الشهور الأواخر من السنة المذكورة. وهذا معناه أن زيارة كل هذه البلدان وما تطلبه الأمر بها من إقامة لنحو تدريس وغيره، قد تمت في مدة لم تتجاوز بضعة أشهر.

لن نستعجل الآن أمر تركيا، ولنعد إلى متابعة كلامنا عن مقام ابن الطيب في بلاد الشام، ونشاطه الثقافي الذي نجد عنه معلومات مفيدة استخلصناها مما ورد عرضاً في التراجم التي عقدها كل من المرادي في «سلك الدرر» والبيطار في «حلية البشر» لشخصيات دمشقية اتصلت بصاحبنا خلال تلك الإقامة.

فأما عن وجوده ونشاطه العلمي في دمشق، فقد رأيناه يحل ضيفاً على بيت المرادي الذي تولى قضاء القدس والتدريس لمدة، وخلال ذلك اتصل به من رغب فيه من الدمشقيين، وقرؤوا عليه أطرافاً من مؤلفاته ومؤلفات غيره في علوم شتى وخاصة علوم الحديث، وأجازهم إجازة عامة.

وإليك تراجم موجزة عن أبرز تلاميذه بدمشق:

1 ـ علي الدباغ (ت1174هـ)

ترجم له المرادي في «سلك الدرر»[1]:

«علي بن مصطفى، الملقب بأبي الفتوح الدباغ، المعروف بالميقاتي الشافعي الحلبي، صاحب العلوم الغزيرة والتصانيف الشهيرة، العالِمُ الإمام المحقق المحدث الأديب الماهر النحرير الشيخ البارع المدقق القدوة.

كان أحدُ من أنجبتهم الشهباء في زماننا، واشتهر بالفضل والأدب، وكان له في كل فن القدح المعلى على الهمة. كاشفاً في المعلومات كلَّ مُدْلهمَّة.

وُلد في سنة أربع ومائة وألف، وقرأ القرآن، واشتغل بطلب العلم على جماعة كالعالم الشيخ أحمد الشراباتي، والفاضل الشيخ سُليمان النحوي.

وارتحل إلى دمشق وأخذ بها عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ محمد الغزي مفتي الشافعية، والشيخ عبد الكريم الخليفتي المدني، والشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، والشيخ أبي الطاهر الكوراني المدني، والشيخ محمد عقيلة المكي، والشيخ أبي الحسن السندي نزيل المدينة، والشيخ محمد المعروف بالشرقي المغربي، تلميذ الفاسي شارح دلائل الخيرات، والشيخ يونس المصري، والشيخ محمد بن عبد الله المغربي، والشيخ منصور المنوفي، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، والشيخ أبي المواهب الحنبلي الدمشقي، والشيخ محمد بن علي الكاملي الدمشقي.

وله مشايخ كثيرون من أهل الحرمين ومصر والقدس وغير ذلك. وكان له المعرفة التامة بالأنساب والرجال والتاريخ. وكان مُوَقِّتاً بجامع بني أمية.

وله من التآليف شرح على البخاري وصل فيه إلى الغزوات، وحاشية

---

(1) (3/ 248).

على شرح الدلائل للفاسي، وكان شعره رائقاً نضيراً، وله مقاطيع وموشَّحات وغير ذلك».

2 ـ علي المرادي (ت1188هـ)

ترجم له ولده محمد خليل المرادي في «سلك الدرر»[1]:

«السيد علي، ابن السيد محمد، ابن السيد مراد، ابن السيد علي، المعروف بالمرادي الحنفي البخاري الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، النقشبندي، مفتي الحنفيَّة وعين أعيانها. وفارس ميدانها.

سيدي ووالدي. ومَن ورثتُ منه طريفي من المجد وتالدي، الشهم الصدر المحتشم المهاب الوقور الجسور المقدام الفاضل العالِم الأديب الأريب الذكي الحاذق اللوذعي الألمعي ذو الفكر الصائب.

كان رحمه الله تعالى فرد الدهر، وواحداً في هذا العصر، حسن الأخلاق كريم السجايا، واسع الصدر، قوالاً بالحق، يصدعُ الكبير والصغير، ولا يبالي في إجراء الحقوق، ولا تأخذه في الله لومة لائم. متمسكاً بالشريعة المحمدية، مُكرِماً للوافدين، محباً للعلماء والأفاضل، سخياً جواداً ممدوحاً، يراعي الله في أموره ويراقبه.

وانعقدت عليه صدارة دمشق الشام، وروجع في الأمور من البلاد، واشتهر صيته بين العباد، وقصدتْه المداح، وكاتبتْه الأعيان من سائر البلاد والأطراف، لا سيما من قسطنطينية، فإن أعيانها كانت تراجعه بمهمات دمشق، حتى السلطان مصطفى خان صاحب المملكة يراجعه ويطلب دعاه ويوصيه بأهل دمشق.

وكانت مخاطبته له في أوامره المرسلة إليه: عمدة المتورعين والزهاد، زبدة المتشرعين والعباد، سراج الإرشاد، مصباح السداد، شيخنا ابن الشيخ مراد، زيد فضله.

---

(1) (3/ 233).

كان يردع الحكام والظلمة عن دمشق وغيرها، ويتكلم معهم كلاماً قاطعاً، ويحترمونه لا يمشون إلا على رأيه ومراده.

والذي بلغه من الجاه والسعة والإقبال، وتوافق القلوب على حبه، لا يُحصيه قلم كاتب، ولا مداد حاسب. وأما صيته فملأ الخافقين وشاع بين الثقلين. لهم من الثناء الباقي المخلد في صفحات الأيام، ما لو نُسخت الدنيا يبقى إلى يوم القيام، وهذه عطية من الله الرحمٰن. وهبة من الرحيم المنان؛ فإنه تفرَّد بكرمِهِ وخلائقه وأُفرد بحيث لم يُسمع مثله سابقاً، ولا يجيء شبهه لاحقاً، فدامت هواطل الرضا على رمسه هامية، ومراتبه في الفراديس الجنانية سامية.

وُلد بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بها في كنف والده، وكان والده يحبه أكثر من إخوته ويميل إليه، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ علي المصري الحافظ المقرئ نزيل دمشق.

وأخذ وقرأ واشتغل بطلب العلم على جماعة، كالشيخ محمد الديري نزيل دمشق، والشيخ محمد الغزي مفتي الشافعية بدمشق، والشيخ أحمد المنيني، والشيخ صالح الجينيني، ووالده العارف العالِم الشيخ السيد محمد المرادي، والشيخ إسماعيل العجلوني الدمشقي، والشيخ علي الطاغستاني نزيل دمشق، والشيخ موسى المحاسني.

وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي بواسطة والده وبدون واسطة، وعن الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ أسعد بن العتاق نزيل مكة، والعالِم الشيخ علي مفتي مكة، والسيد عمر باعلوي سبط الشيخ عبد الله بن سالم المكي، والشيخ محمد بن الطيب المغربي نزيل المدينة، والعلامة المحقق المولى عبد الله الرومي مفتي الممالك العثمانية المعروف بالإيراني، وتفوق واشتهر ومهر وبرع.

وتولى رتبة قضاء القدس وإفتاء الحنفية بدمشق، استقام بها إلى أن مات. ودرَّس في المدرسة السليمانية بالهداية، وجعل من إنشائه في كل درس

خطبةً، وتولى غيرها من التوالي والوكالات، بحيث لو جُمعَ الذي تولّاه وناله وصرفه، لأعيا الحاسبين وبهر الناظرين والسامعين.

وامتُدح بالقصائد الغرر وجُمعت فجاءَت كتاباً حافلاً، ورحل إلى الروم صحبةَ والده كذلك إلى الحج ثلاث مرات.

وله من الخيرات والمبرات والمدارس والعثامنة شيء كثير، لا يمكن العدُّ الإحصاء له بالتقرير.

وله من التآليف شرحٌ على صلوات والده، ومن الرسائل الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السُّنة للروافض، وأُخرى سماها أقوال الأئمة العالنة في أحكام الدروز والتيامنة. وأُخرى سماها القول البين الرجيح، عند فقد العصبات تزويج أولي الأرحام صحيح.

وله شعر كثير، ونثر غزير، ونظم كلُّه بداهة، وقد جمعت ذلك بخطبة من إنشائي فجاء ديواناً بديعاً، وكان في زمنه العلماء والأفاضل محترمون ومبجَّلون، والأسافل الجهال مكيدون محقرون، وكل أحد سالك مسلكه لا يتعدى الحدود. وكان ينظر لصاحب الحق ولو على ولده، ويُكرم الغرباء والحضور، ويُحسن الاعتقاد في الصلحاء، ولا ينكر على أحد، ولا يقبل الرشا والجرائم، مع أن يده كانت طائلة إلى ما يشتهيه، ومع هذا إذا توفي أحد وخلف ولداً وكانت عليه وظائف كثيرة، يجتهد بعملها لولده، ولا يفرط بعثماني واحد إلى الغير. ويُحسن للفقراء والأغنيا بالتواضع والبشاشة وصفاء الخاطر والإحسان لمن يُسيء إليه، والملاطفة مع الكبير والصغير والغنيّ والفقير.

ومجالسه دائماً مشحونة بالأفاضل والعلماء والأدباء، والمسائل دائماً تجري بمجلسه، والمطارحات والمساجلات الشعرية، ولا غيبة في مجلسه ولا نميمة، وأنا إذا أردت أصفه لا أنصفه، ولو أنني جعلت الأيام طروساً ورقمتها بمداد سواد الليالي لا أوفي بعبارة ولا في إشارة».

3 ـ محمد الجاويش (ت1191هـ)

وردت ترجمته في «سلك الدرر»[1]:

محمد بن أبي بكر الجاويش الحنفي الدمشقي، الشيخ العالِم، الفقيه الصالح. كان من الفقهاء المتفوقين مع الفضل والمشاركة في كل فن والديانة والتقوى.

وُلد بدمشق. وكان والده من سباهيَّة دمشق المشروطة تيماراتهم[2] بخدمة ديوان سراية الحكم بدمشق. وباشر والده الخدمة المزبورة ثم تركها. وتبع الكسب الحلال.

ونشأ ولده المترجم من صغره متعلقاً بالقرآن وطلب العلم، فقرأ النحو على الشيخ عبد الرحمٰن الصناديقي والشيخ محمد الخمسي والشيخ محمد الداودي والشيخ محمد التدمري.

وأخذ عنه الفقه وعن الشيخ محمد قولَقْسِزْ والشيخ صالح الجينيني. وأخذ الحديث عن العماد إسماعيل العجلوني والشهاب أحمد المنيني وأحمد الشاملي وعلي الطاغستاني وغيرهم.

وتفوَّق واشتهر بالفقه وتصدر للتدريس في الجامع الأموي مدة تزيد على خمس وعشرينَ سنة. ورحل للروم صحبة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي.

وكانت وفاته يوم الجمعة سادس عشر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائة ألف. رحمه الله تعالى.

---

(1) (4/ 22).

(2) السباهية: هم الجنود الإقطاعيون، الذين كانوا يُعطون الإقطاعات ليُنفقوا منها في السلم والحرب، وكانت هذه الإقطاعات على ثلاثة أنواع: أدناها إقطاع «التيمار» ثم «الزعامت» ثم «الخاص»، هذه الإقطاعات تنحلُّ بوفاة الإقطاعي ولا تُورَّث، وعلى الإقطاعي تأمين عدد من المحارين المسلَّحين، بحسب حجم إقطاعه وأهميته.
بلاد الشام ومصر، عبد الكريم رافق، صفحة 59 و69.

4 ـ أبو البركات مصطفى ابن رحمة الله الأيوبي (ت1205هـ)

وردت ترجمته في «حلية البشر»[1]:

هو الفاضل الإمام، والحبر الهمام، فقيه العصر، ويتيمة الدهر، عقد تاج الأفاضل والكمالات، ومن بنى فوق ذرى المجد غرفات، الإمام العلامة، والمدقق الفهامة، العابد الصالح والفالح الناجح، الحنفي الدمشقي الشهير بالرحمتي.

ولد بدمشق ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من محرم الحرام سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ونشأ في حجر والده، وقرأ عليه وعلى فقيه عصره العلامة الشيخ صالح ابن الشيخ إبراهيم الجينيني والعلامة الشيخ محمد التدمري وفريد الدهر محمد أفندي فولقسز وأجازه سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي وسيدي السيد مصطفى البكري الصديقي والشيخ محمد الغزي والشهاب أحمد المنيني والشيخ علي كزبر والشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي والشيخ عبد الله البصروي الدمشقي وغيرهم من مشاهير العلماء الأعلام، وأفاضل السادات الكرام، فطلب وانتفع وأقرأ ونفع، وقدم لنفسه صالح العمل، وكان بالله حسن الأمل، كثير الذكر والعبادة، شديد الإقبال على الله. يألف الزهادة، وقرأ حديث الأولية وأوائل الكتب الستة على العالم العلامة السيد عمر ابن السيد أحمد ابن السيد عقيل السقاف باعلوي، سبط العلامة عبد الله بن سالم البصري المكي، وكذلك على الشيخ عبد الرحمٰن الفتني والشيخ محمد بن الطيب المغربي والشيخ عبد الله السويدي، ورحل إلى مصر وأخذ عن علمائها منهم الشهاب الشيخ أحمد الملوي والشيخ حسن المدابغي والشيخ محمد بن سالم الحفني والشيخ محمد الدفري، وقد كان في جانب عظيم من الورع والرضى بالقليل وتهذيب النفس، وصار علم الشام وفقيهها، وانتفع به الخلق الكثير من أهلها، وكانت ترفع له الأسئلة فيجيب عنها نثراً ونظماً، وكان مولعاً بحب النبي ﷺ حتى ذهب بعياله من دمشق مع

---

(1) (1/ 1536).

القافلة وجاور في المدينة المنورة سنة سبع وثمانين ومائة وألف، وكانت شهرته في قطر الحجاز بالقطب الشامي، وانتفع به أهل تلك البلاد، أجاز لأهل عصره ومن أدرك جزأ من حياته بجميع مروياته، كما كتبه في إجازته للسيد محمد كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المسطرة بخطه، سنة ألف ومائتين وسنة واحدة، ومن قوله حين إجازته للسيد محمد شاكر العقاد:

ولست بأهل أن أجاز وإنما ... تعديت طوري والحجا غير عاذري

وجاريت دهراً لا مردّ لحكمه ... قضى بارتقاء الدون مرقى الأكابر

ولقد ترجمه صاحب اللآلئ الثمينة فقال: علامة زخرت بحار علومه، وفهامة غزرت أنهار فهومه، فَأَزْهَارُ رياض علومه اخجلت شقائق النعمان، وجعبة أفكاره ملئت من درر فقه النعمان، له فيه اليد البيضاء، والراية الخضراء، برع بجد ساد فيه، وشاد قصور مغاني معانيه، وجلس في مجلس الإفادة والتدريس، وأبدع بكل تحري نفيس، ولعمري أنه الجهبذ الذي لديه من المسائل كل ما ند على غيره أوفرّ، وعنده من سائر العلوم حظ أوفر، والفاضل الذي لسان الثناء عنه كليل، وكثير المديح فيه قليل.

5 ـ أحمد بن إسماعيل العجلوني (ت1274هـ)

وردت ترجمته في «حلية البشر»[1]:

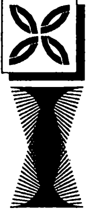
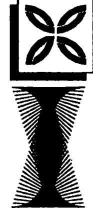
«العالم النحرير، والشافعي الصغير، له آثار مرفوعة على أكف الثنا، وسيرة محمودة محمولة على هام المرام والمنى، أحيا دروس العلم بعد الاندراس، وفصل مجملها غب وقوعها في مهاوي الالتباس، واتخذ الفضل عنوانه، وقصر على رغائب السنة لسانه، وقد أقر له الخاص والعام، بأنه فرد الأفاضل الأعلام، وكنز الأرب وأسّس مبناه، ومحط رحال العرفان والتقدم والجاه، تسامت في زمن شيوخه رتبته، وعمت في قلوب الناس طراً محبته، برع في المعقول والمنقول، وتبحر في معرفة الفروع والأصول، وكانت له اليد

---

(1) (3/ 133).

العلية، ودرس في أول أمره في المدرسة الفتحية، في محلة القيمرية، ثم بعد وفاة الشيخ ياسين العجلوني إمام جامع منجك الكائن في ميدان الحصى تواقع عبد الغني آغا الشمري، على الشيخ المرقوم بأن يشرف إلى الميدان، وأن يجعلها محلاً لإقامة ذاته العلية الشأن، ويتعاطى وظائف الجامع المذكور وألح عليه، فأجابه بعد الاستخارة الواردة إلى ما دعاه إليه، وكان بينه وبين والدي محبَّة فوق المأمول، وكان كل منهما ملازماً للآخر ملازمة الصلة للموصول، ولم يكن لهما اجتماع إلا على المذاكرة والمطالعة من كل ما يفيد، من فقه وحديث وتفسير وتوحيد، ولهما في كل جمعة أوقات، يتذاكران بها بعض الفنون والآلات، ولم يزل في الجامع المذكور إلى أن دعاه داعي المنون، إلى الدار العالية والمقام المصون. توفي ﷺ ليلة السبت قبيل أذان المغرب خامس عشر شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ودفن في مقبرة باب الله خلف ضريح الأستاذ العارف بالله تقي الدين الحصني، وكان لجنازته مشهد حافل، وجمع برفعة القدر والشأن كافل».

وفي دار الكتب المصرية نص إجازة كتبها ابن الطيب بخطه في رجب سنة (1167هـ) لأحمد ابن الشيخ إسماعيل العجلوني أولها: «فقد سمع مني (. . .) أحمد العجلوني ابن أخي العلامة الشيخ إسماعيل قدس الله سره، مسلسل الرحمة على شرطه، وأجزت له رواية ما تجوز لي وعني روايته، وما لي من المصنفات، وما تضمنته فهارسي الجامعة. . .

15

يوسف المغربي الحسني (ت1279هـ)
أعاد فتح دار الحديث الأشرفية ودرس بها

وردت ترجمته في كتاب «علماء دمشق وأعلامها»(1):

«أبو المكارم سيف الدين يوسف بن بدر الدين بن عبد الرحمٰن بن عبد الوهاب بن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي الأصل المالكي، الشهير بالمغربي، وينتهي نسبه إلى الولي عبد العزيز التباع أستاذ الشيخ الجزولي صاحب كتاب «دلائل الخيرات» والتباع ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما.

ولد في المغرب، ونشأ في مصر، وأخذ عن مشاهير العلماء، كالشيخ محمد الأمير، والشيخ حسن العطار، والعلامة الصاوي، والشيخ الفضالي والسيد محمد الحسيني الشهير بفتح الله، والشيخ حسن القويسي، والشيخ إبراهيم الباجوري وغيرهم في كثير من الأقطار، وحفظ القرآن على طريقة التجويد والإتقان، وكثيراً من القواعد والمتون.

قدم دمشق وتوطنها، وأخذ عن بعض علمائها كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمٰن الكزبري، واستجازه من رفقائه في الدرس كالعلّامَتَيْن الأشموني والطهطاوي.

ألقى دروساً في الجامع الأموي وغيره، حضر عنده العلماء، ولكنه لم يثبت على التدريس لكثرة أمراضه وأسفاره، وانتفع به جماعة...».

«كان الشيخ يوسف كثير التجوال والسياحة، أقام في المدينة المنورة مدة

(1) (2/ 611 ـ 621). (باختصار).

طويلة، ومن أدركه شهد بعلمه وفضله وتقاه، وبصلاحه وجرأته وإقدامه وصبره على الملّمات.

كان لطيف المحاضرة، حلو المذاكرة، كثير التلاوة للقرآن الكريم، ملازماً للصلاة على النَّبي ﷺ، يهابه كل من رآه.

توفي بدمشق يوم الخميس 19 جمادى الآخرة سنة (1279هـ)، ودفن بمقبرة الباب الصغير، قريباً من قبور بني الكزبري رحمهم الله تعالى».

ذكر الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه «تحفة الزائر»[1]، كيف أعاد يوسف المغربي الحسني فتح دار الحديث الأشرفية بدمشق. فقال:

«كان رجل من الأروام القاطنين في دمشق، اسمه (بانكو) قد استولى على الدار، التابعة لمدرسة دار الحديث الأشرفية. ثمَّ مدَّ يده إلى الزاوية الغربية من المسجد؛ واقتطعها منه، وأعدَّها لوضع دنان الخمر. فقام عليه العلَّامة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي، المتقدم ذكره، ورفع أمره إلى الحكومة المحلية؛ فلم تسمع دعواه!! فتوجَّه إلى الآستانة، وتعاطى الأسباب؛ لإنقاذ هذه البقعة المباركة، وبعد الجهد التّام منح براءة سلطانية بخطبة دار الحديث وتدريسها ونظرها، وأحرز فرماناً سلطانياً في إعادة المدرسة والبيت إلى ما كانت عليه، ولما قدَّمه إلى والي دمشق؛ طرحه في زوايا الإهمال! وبقي الأمرُ؛ إلى أن جاء الأميرُ عبد القادر الجزائري إلى الآستانة، من فرنسا؛ فاجتمع به الشيخ يوسف، وشكا إليه أمره، وجاء معه إلى بروسة. ثم توجَّه إلى الآستانة؛ بقصد الهجرة، إلى المدينة المنوَّرة، وحصلت بينه وبين الأمير، مكاتبات. ومن جملة ما كتبه له، في شأن المدرسة المذكورة، قوله:

«جناب السَّيِّد الهمّام، والبطل السميذع الهمام، شقيق الروح، وآسي الجروح. من محبَّتنا فيه ـ كما يعلم الله ورسوله ـ خالصة. وهي مع البعد متزايدة غير متناقصة. مولانا السيد الشريف الأمير، سيِّدي عبد القادر بن محيي الدين لطف الله بنا وبه، وكافة المسلمين. في كلِّ سكون وحركة. آمين.

---

(1) ص609.

وبعد؛ فأهدي أوفر تسليمات زكيّة، وأسنى تحيّاتٍ متواليةٍ، إلى الحضرة العليّة، والطلعة السَّنيّة، تؤمُّ المغنى، وتعمُّ المعنى.

هذا؛ والمعروض ـ بعد أداء الدعاء المفروض ـ أنه وصلني، من الجناب كتابان: قرَّت بكلٍّ منهما العينان، حيث استفدنا منهما: صحَّة مزاجكم وراحة بالكم، فنسأل الله لكم: دوام ذلك، إبلاغكم فوق ما هنالك، وأن يسلك بنا وبكم، أحسن المسالك. وما تفضَّلتم به، على سبيل البشارة. ثمَّ توقفت، في تطبيق معناها، على قضيَّتنا؛ باتحاد البشير والمبشِّر. ثم خطر بالبال المعلول: أنه مِن باب تنزيل الخلف الاعتباري، منزلة الذاتي (كما هو مبيَّن في الأصول) ويمكن أن يكون من باب السراية، على أعداء الزمان، ثم؛ أهَمُّ ما سرَّني: عزوك مسألة عموريّة، إلى نصِّ القاموس. إذا قالت حزامِ فصدِّقوها، ولا عطر بعد عروس، فإني، قبل تنبيهك، كنت مرتبكاً: في أيِّ النَّقلين، هو الصواب؟ حتى أتى جواب الجناب. أكثر الله فوائدكم، وأدام عوائدكم... وأرسلت لكم سابقاً جواباً، مشتملاً على: قصيدة بائية من بحر الطويل. حمل عليه صدق المحبَّة، وأخبرتكم فيه: أني الآن ولله الحمد في سعة عظيمة، وأحوالي بفضل الله ﷻ مِن قِبل الصّحة والدنيا؛ مستقيمة، قاصدين سكنى المدينة، حتى ينزل بنا، على ملَّة الإسلام إن شاء الله الحمام.

ويا سيِّدي!! قد نصحتم وأجدتم. وهذا؛ من صدق محبَّتكم المحقَّقة، التي لا تحتاج إلى استشهاد. يقول القائل: ليس يصحُّ في الأذهان شيء... إلخ. فها أنا أبسط عذري، وهو أني قاسيت بالشام، من المصائب العظام؛ ما لا يصدر على مثلي، لو كان بين عبدة الأصنام، وذلك مشهور؛ لدى الخاص والعام!

فأوّلاً: دار الحديث، مدرسة أُسِّست على تقوى، وكان بها النعل المنيفة التي مسَّتها قدمه الشريفة ﷺ، وكانت محطَّ رجال العلماء العاملين. أساطين الإسلام وأئمة الدين. فأوَّلهم: الحافظ ابن الصلاح. ثم الإمام أبو شامة، ثم القطب الكبير، الإمام النووي الشهير، ثم الحافظ المزيّ، ثم مجتهد الدنيا، في عصره، السبكي، الكانس لها بلحيته، وقال في شأنها: (وفي دار الحديث)

إلخ، إلى الحافظ ابن حجر، شارح البخاري، بفتح الباري. . . وأضرابهم. ومن البيِّن: أن التَّبرُّك بآثار الصالحين؛ من سنن النَّبيِّين والمرسلين، وما فعله ﷺ ليلة مسراه، بإشارة سيِّدنا جبريل، حيث صلَّى في مكان سيِّدنا موسى، وسيِّدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام، مع تفاوتهم في درجات الكمال، بشهادة تلك الرسل، تنبيهاً لأمَّته: على أنه سنَّة قديمة؛ ليغتنموا ثواب هذه المنقبة الفخيمة! فمدرسة، هذا شأنها، خبرها مشهورٌ متواترٌ، امتلأت به بطون الدفاتر. قصدها الأكابر، من سائر الأقطار؛ لاغتنام بركة ما فيها من الآثار؛ يليق أن يكون بجوارها خمارة؟ لاجتماع الفسقة! فضلاً عن كونها في قاعة درسها، ودار وقفها؟! سبحانك! هذا بهتانٌ عظيم! ويحسبونه هيِّناً! وهو عند الله عظيم! وأعجب من هذا: أن أهل الكتابين، اللذين تحت الذِّمَّة، في ظاهر الحال مع نقضهم للعهد الدِّينيّة، والشروط العمريّة، هل سمعنا؟ أو رأينا؟ أنَّه خربت لهم، كنيسة كانت معدَّة لعبادتهم جعلوها خمارة؟ أو تجاسر بعض سفهائهم، وشرب بها خمراً؟ مع استحلالهم لذلك؟ وأزيد من هذا: ما شهدته بعد توجُّهي في العام الماضي، من عندك؛ من تزوير الحجج الباطلة؛ بعد كتب الحجّة لنا: أن الدار؛ للوقف، بشهادة الجمِّ الغفير، من أهل الإسلام، وختم عليها: رؤساءُ المجلس، والعلماءُ والقاضي. وادَّعوا: أنَّ النصراني؛ حماية! وهو رعيّة، ووضع جزية عشر سنين الآن! فما بالهم؟ لا يرجعون الوقف إلى أصله؟ فقومٌ هتكوا حرمة شريعتهم، وكسروا ناموس دولتهم، فعلى أيِّ حال يكون المقام بينهم!

ثانياً: ما لي بينهم معاشٌ، ولا مرتَّب، وكلُّهم له ذلك، وهو مع ذلك في الزيادة يرغب! وكسبهم: بقراءة القرآن، والتهاليل، ودخول المحاكم للتوكيل، وإصلاح بين رجلين؛ على أيِّ وجه كان، للأكل من الطرفين، وما اعتدنا ـ ولله الحمد ـ شيئاً من ذلك. وقد عوَّدنا الحقُّ ﷻ الرزق؛ من حيث لا نحتسب. وضاقت عليَّ بين أظهرهم الأحوال؛ مع أني ببلدتهم ذو عيال، فمعاشي، بمزاولة الأسفار، ومع ذلك؛ يقول بعض سفهائهم: الشيخ لا ثباتَ له، ولا قرار. راكباً، في شامنا، متن عينٍ عمياء، خابطاً خبط عشواء، بدون

بصيرةٍ ولا استبصار! وما درى الغبيّ: أنّي في نفسي مهموم بشأني، وشأن عيالي! ومن يقدم عليَّ من الأحبَّة، فأيّ فكرة تنقدح، لإدراك البديهيّ، فضلاً عن النظري من العلوم! مع أنه؛ لم يكن في البلدة عالمٌ مستعدّ، ولا طالب له ذهن متَّقد، ولا يشتغلون بمهمّات العلوم؛ إنَّما يشتغلو بصغار كتب بعض الفنون، بدون إتقان تحقيق، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأله سبحانه اللطف، فيما جرت به المقادير، فخرجت معتقداً أنَّ الهجرة؛ واجبةٌ، للمناكر الشائعة، والمصائب المتعاقبة، على الحال، الذي رأيته جنابك، فصارت الدنيا في وجهي؛ كالخاتم مع سعتها وسُدَّت الأبواب دوني، إلّا باب، من هو للأنبياء ختام. فتوسَّلت به إلى الله. فتخلَّصت والحمد لله ببركته، من كلِّ شدة، بحول الإله، وعلمت أنَّ ذلك؛ تأديبٌ لي منه سبحانه بتركي التشريف بجواره ﷺ، ونشر شريعته، في بلدته؛ على قدر عجزي، حسب الإمكان؛ مع الاستراحة التامّة. فلما صمَّمت العزم على ذلك؛ تيسَّرت أموري، كلها عامَّة».

ثم إنَّ الحقَّ تعالى ساق الأمير إلى سكنى دمشق. فرأى الأمير كما بلغه، فحرَّكته الحميَّة الإسلاميَّة، والغيرة العلويّة؛ فأحضر الروميّ عنده واشتراها منه. ثم أوقفها بموجب حجَّة شرعيّة، على الشيخ يوسف وعلى عقبه، وإذا انقطع نسلهم؛ يرجع ريعها للمدرسة، وذلك؛ في الثاني من جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين ومئتين وألف (1272)، وأمر بترميم المسجد والمدرسة، على نفقته. وجعل الله تعالى إنقاذها وتطهيرها، من نجاسة الخمر؛ على يده. وهذه من أعظم المبرَّات، ونوافل الخيرات.

وبعد أن أتمَّ ترميمها وإصلاحها؛ كتب للشيخ يوسف؛ وأخبره؛ فحضر مِن المدينة المنوَّرة، وسكن في الدار، واستلم المدرسة، وفي أول يوم من رجب سنة أربع وسبعين ومئتين وألف (1274)؛ افتتح الأمير فيها التدريس، بصحيح البخاري، روايةً بحضور الشيخ المذكور، كان يجلس، لإقرائه، بعد صلاة الظهر، إلى أن يصلِّي العصر، وكان درسه؛ منوّراً مفيداً يحضره العلماء والأذكياء من الطلبة.

يوسف المغربي الحسني
ينشد بين يدي الأمير عبد القادر الجزائري
قصيدة بمناسبة ختم «صحيح البخاري» بدار الحديث الأشرفية(1)

بابُ القبول، لهذا الختم؛ قد فتحا ... فلاح، مِن يمنه، بدر السعود ضحى
وهبَّ، مِن روضة الرضوان؛ عارفةٌ ... أضحى بها القلب مسروراً ومنشرحا
أما ترى السعد، قد لاحت بشائره! ... وطائر اليمن، في أدواحه صدحا!
وهذه، أوجه الإقبال؛ مسفرة ... والوقت، بالبشر والآمال؛ قد سمحا
اسأل إلٰهك ما ترجوه من أملٍ ... واضرع إليه، فوجه القرب قد وضحا
وابسط يديك، إلى مولاك مبتهلاً ... فإنَّ مَن أمَّ باب الله؛ قد نجحا
إن البخاريَّ؛ معلوم الإجابة، في ... ما أمَّه المرء، في إقرائه؛ ونحا
فما توسَّل محزونٌ به ورجا؛ ... إلّا وأبدل من أحزانه فرحا
ولا تلاه، لكشف الضُّرِّ، ذو حرج؛ ... إلّا تباعد عنه الضُّرُّ، وانفسحا
ولا تقرَّب مكروبٌ لخالقه ... بسرِّه مخلصاً، إلّا اغتدى فرحا
ولا تنفَّس، مِن أنفاسه، أرجٌ ... إلّا أتى فرجٌ، باللطف منفتحا
فالهج به، ورواة فيه، قد وصلوا ... به حديث رسول الله، متَّضحا
هم الأئمة، تُجلى كلُّ داجيةٍ ... بنورهم وهم الأقطاب والصلحا
وهم أولو القرب، في دنيا، وآخرةٍ ... والسادة، القادة، الهادون، والنُّصحا
أهل الحديث؛ حماة الدين. تابعهم ... في متجر الحقِّ والتحقيق؛ قد ربحا
فازوا بدعوة خيرِ الخلق؛ ما وجدوا ... إلّا ونور الهدى؛ مِن وجههم، لمحا
رووا حديث رسول الله عن زمرٍ ... غصناً طريّاً، عليه الصدق، متَّضحا
وقد نفوا كلَّ شكٍّ عن شريعته ... فأرغموا أنف، مَن للشك، قد جمحا

(1) انظر كتاب دار الحديث الأشرفية بدمشق ص210.

جزاهم الله خيراً، عن نبيِّهم ودينه وحباهم أجر مَن نصحا
وقد تسامى ابن إسماعيل، في شرف بهم؛ فنال العلا، والفخر، والمدحا
أدى إلينا صحيحاً من حديثهم بجامعٍ؛ فاق ترتيباً، ومصطلحا
آتاه مولاه أجر المحسنين. فقد أهدى المحدّث عقداً، ما له طمحا
قد اعتنى كلُّ ذي دينٍ، وذي رشدٍ، به؛ فحاز به التقديم، والمنحا
وردّدوا سرَّه، في كل آونةٍ يرجون مِن يمنه؛ تقريب ما نزحا
وحاز قصب سباق، في: دراسته، وفهمه، عارف بالفضل، قد رجحا
في مسجد الأشرف السلطان، ما وسما دار الحديث، بدرسٍ أبهر الفصحا
ضبطاً، وبحثاً مع الإتقان، مقتفياً آثار مَن حلَّها، مِن سادة صلحا
مثل الإمام النواوي، والمضاهي له مِمَّن، على منهج الإرشاد؛ قد سبحا
فالله ينفعنا فضلاً، بجاههم ويكشف الكرب، عن ذا الجمع، والترحا
مولىً؛ به ملَّة الإسلام، باسمة والدين عال. وحال الناس؛ قد صلحا
فسيبه؛ أنعش المحتال، واكفُه وسيفه، لضلال الكافرين؛ محا
وصيته؛ ألبس الإسلام؛ عزَّته وعلمه، لمعاني الدين؛ قد شرحا
نور النُّبوَّة، يبدو في أسرته من حلى أخلاقها؛ وضحا
قد أكسب الدين رفعاً. والعلوم حلّى فالكفر أصبح، والعصيان، منطرحا
وعمّر العمر بالطاعات، مجتهداً في أشهر الخير، للخيرات؛ مقترحا
أدم إلهي لعزِّ الدين عبدك، مَن للقادر انضاف، وامنحه العلا منحا
هو الإمام ابن محيي الدين، مَن ظهرت منه الكمالات في الدنيا؛ كشمس ضحى
مَن قام لله، في أمر الجهاد. ومَن غدا به، صدر دين الله، منشرحا
في عصرنا؛ ما سمعنا، مَن سواه حبي مثل الذي قال. أو طرفاً كمن لمحا
أضحى له وَزَراً، في كلِّ نائبةٍ تعرو، حصناً حصيناً؛ كلَّما سنحا
وجاءَ، للدرس والإملا، جهابذة للبحث، إن عنَّ أو للفهم؛ إن جنحا
قد لازموه، ونالوا من معارفه؛ ما يخرس اللسن، أو ما يبهر الفصحا

فليهنأ الحاضرون نيل مقصدهم   مِن الفوائد، إنَّ الباب؛ قد فتحا
ويسأل القوم، ما شاؤوا، لأنفسهم   من فضله الجمّ. إن الله؛ قد منحا
والعلم، أفضل ما ازدان اللبيب به   وخير ما اغتبق النِّحرير، واصطحبا
وأسعد الناس؛ مَن كانت بضاعته   علم الحديث، الذي قد صحَّ واتَّضحا
وأسند العلم، أخذاً عن أئمته   فنال مِن عليّة الإسناد، ما اقترحا
وللبخاري رجالٌ، يستغاث بهم   في المحل، إن حلَّ، أو في الخطب؛ إن فدحا
بجاههم؛ أسأل الرحمٰن مغفرةً   ورحمةً تذهب الأحزان، والترحا
ونكبةً لعدٍّ الدين عاجلة   تدير بالهلك، والتدمير؛ كلَّ رحى
بك انتصرت وأنت الله ناصرنا   فالنصر منك؛ لمن يدعوك؛ ما برحا
أنزل بهم يا شديد البطش قارعةً   تكسوهم: الذُّلّ، والتَّبديد، والبرحا
وامدد، بنصرك والتأييد، عبدك، مَن   أضفته لمجيد القدر؛ ممتدحا
وانظم به شمل هذا الدين. واكسُ به   جماعةَ المسلمين؛ الأمن والفرحا
واجعل، بطاعته، يا ربِّ عصمتهم   وألِّف الكلّ. واهدِ كلَّ مَن نزحا
وزده: حلماً، وتوفيقاً، وعافيةً   واجعله أفضل مَن أمسى، ومَن صبحا
وارفع عماد الهدى والدين واحم به   شرع النَّبيِّ. وخذ مَن زاغ، أو جمحا
واحفظ بطانته، أركان دولته   ممَّن أعان، على خيرٍ، ومَن نصحا
ولا تدع لذوي التثليث قائمةً   وطهِّر الأرض؛ ممّن عاث، أو مرحا
بخاتم الرُّسل، المختار سيِّدنا   محمد، مَن به، باب الهدى، انفتحا
ما خاب، مَن جعل المختار واسطةً   ووصلة الذي يرجوه، واقترحا
فإنه باب فضل الله، ما برحت   سحائب الجود منه؛ تمطر المنحا
ما نال ذو مطلب دنيا وآخرة   إلّا استعار من المختار، ما منحا
صلَّى عليه إلٰه العرش، ما طلعت   شمسٌ، وما سارعيسٌ، بالحجيج ضحى
والآل، والصحب، ما انجاب الظلام، وما   ورقٌ، على غصن أيكٍ؛ ناح أو صدحا
أو قال يوسف بدر الدين مبتهلاً:   باب القبول، لهذا الختم؛ قد فتحا

يوسف المغربي الحسني
ينظم قصيدة يؤرخ فيها حادثه دار الحديث الأشرفية

وقد سمى هذه القصيدة ـ: «**نازلة دار الحديث**»

تزيد على أربع مئة بيت نقتطف منها هذه الأبيات:

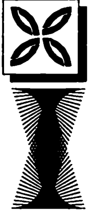
أشكو إلى الله ما لاقيت من همج ... ما دأبهم غير حبِّ الجاه والتِّيه
لم يرقبوا الله في سرٍّ ولا علن ... بل حاربوه وخاضوا في معاصيه
فالخير فضل من المولى يهم به ... والشر للنفس لا لله نعزيه
من جرب الدهر لم يركن إلى أحد ... وما سوى الله فالتغيير لاقيه
أغركم أن حلم الله أمهلكم ... أليس للبيت ربٌّ سوف يحميه
ماذا دهاكم هدمتم ما بنت يدكم ... أيهدم البيت بعد البذل بانيه
وإن تعد عقرب فالنعل حاضرة ... ومن يقم رأسه فالصفع يدميه
أخذت علمي عن شمٍّ جهابذة ... وكلهم أثبتوا فضلي بتنويه
ذكري جميل لدى من كان يعرفني ... سل عنه من شئت بالتفصيل ينهيه
كم مسجد بي قد قامت شعائره ... وأنت تسعى بتخريب وتشويه
كفى بذا بيننا فرقاً فكل إنا ... يجود يابن... بالذي فيه
من لم يكن بين أقوام يسر بهم ... فعشه بينم ضنك يقاسيه
لو كان والله في التقديم لي أرب ... فكلهم خلف ظهري كنت أرميه
والله يعلم أني ما قصدت سوى ... إظهار الحق أضاعوه بتنويه
أرجو من الله في هذا مثوبته ... ونية المرء خير من مساعيه

ثم أثنى في آخر القصيدة على جماعة من العلماء فقال:

ما هكذا الكل بل فيهم نجوم هدى ... كالإدلبي إمام الدين محييه
والفضل الحسن الشطي أحسنهم ... ديناً ودنيا فأرجو الله يبقيه
والسيد العارف العاني صفوتهم ... من ليس يخلق فيهم من يضاهيه
ونجل حمزة عبد القادر الحنفي ... من علمه البحر للظمآن يرويه
والشيخ عبد الغني الميداني من نثرت ... نفائس الدُّر بالتحقيق من فيه
وعندنا من خيار الصحب كل فتى ... يضيق نظمي عنه إذ أسميه

قصيدة نازلة دار الحديث
للسيد العلامة الاديب
والاديب الشيخ يوسف
البيباني
الملقب
ببدر
الدين

عنوان القصيدة بخط ولده الشيخ بدر الدين الحسني




16

محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)

أستاذ الأساتذة بدمشق

(لقد أفردت حياة محمد بن جعفر الكتاني في كتاب ضخم، وكذلك العناية بتراجم أولاده وبعض أحفاده المحدثين الذين كانت لهم مكانة كبيرة بدمشق.

وسميته (العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الفاسي شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام).

ـ وتولت دار ابن حزم الإشراف على طباعته).

وسأقتصر هنا على نقل بعض نوادر الإجازات والرسائل المتبادلة بين محمد بن جعفر الكتاني وعلماء عصره بدمشق، وبعض تلاميذه.

صلاته بعلماء عصره بدمشق:

كان لمحمد بن جعفر الكتاني صلات علمية متينة مع كثير من علماء عصره بدمشق منهم:

ـ محمد أمين البيطار (ت1326هـ).

ـ سعيد الحبال (ت1326هـ).

ـ عبد الحكيم الأفغاني (ت1326هـ).

ـ عبد الله الحموي (ت1330هـ).

ـ محمد بن محمد المبارك (ت1330هـ).

ـ عبد المحسن المرادي (ت1332هـ).

ـ جمال الدين القاسمي (ت1332هـ).

- عبد الرزاق البيطار (ت1335هـ).
- عبد القادر بدران (ت1346هـ).
- أمين سويد (ت1355هـ).
- عطا الكسم (ت1357هـ).
- عبد المحسن بن عمر التغلبي (ت1361هـ).
- محمد جميل الشطي (ت1378هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع منار العلم في كل مصر وعصر واقام اهله ظاهرين على الحق مؤيدين بالفتح والنصر والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه سورة الفتح والنصر وعلى آله واصحابه صلاة وسلاما لا يحويهما حد ولا عد ولا حصر اما بعد فقد التمس مني الفاضل الكبير والعلامة النحرير الجامع بين علم الباطن والظاهر ذو الصفات الحسنة والنسب الطاهر الحائز قصبات السبق في مضمار البلاغة والفصاحة الحائز اسنى مقامات العلا في الكرم والسماحة صاحب الاخلاق المرضية فرع السلالة الحسينية السيد الشريف محمد بن السيد جعفر الكتاني بلغه الله تعالى غاية الاماني ان اجيزه في علم المعقول والمنقول والفروع والاصول فما رأيتني اهلا لذلك لكن لما ظهر لي ان هذا الامر صار له اربا لظنه في اني اهل لما هنالك فما وسعني ان اصفح عن قضاء اربه فاجبته لما طلب ممتثلا مستعينا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله فقلت وبالله التوفيق راجيا منه الهداية الى اقوم طريق قد اجزت للسيد المذكور ضاعف الله لي وله للمسلمين الاجور بجميع تلك العلوم وبالاوراد الشريفة له ولسائر اولاده واخوته واخوانه وجميع من يلوذ من صالح خلانه كما اجازني مشائخي الكرام قدس الله اسرارهم منهم محمد بن محمد بن عبد الله الخاني نور الله ضريحه واسلافه وارجو السيد المزبور ان يتذكرني بصالح دعواته لاسيما بحسن الختام والوفاة على كمال الايمان وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام التاريخ الربيع الاول ٣ سنة ١٣٢٢ كتبه عبد الحكيم الافغاني

الحمد لله سيدي ومولاي العالم العامل السيد محمد ابن الشريف العلامة المحدث القدوة مولاي السيد جعفر الحسني الادريسي الكتاني حفظه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فما اشد شوقي الى لقائكم واستلام راحتكم المباركة ونرجو من الله ان يبلغنا الآمال ويجمع شملنا بكم على احسن الاحوال هذا وان ناقلها السيد علي سالم من اشراف شنجيط وقد بلغه باني من المحسوبين عليكم والمنسوبين اليكم فطلب من الحقير ان اصحبه توصية اليكم في شموله بانظاركم الكريمة والله تعالى يحفظكم ويجعلكم ملجأ للخاص والعام بحرمة سيد الانام عليه اكمل التحية والسلام ثم اني اهدي تحياتي الى من يلوذ بكم وسائر من يسأل عني كما ان اخواننا كافة يسلمون عليكم والجميع ملتمسون صالح دعواتكم المستجابة الداعي لكم

٢٩ جمادى الثانية محمد بن محمد المبارك

بجوي ان لـ ... عن ... بعض ... تفضلكم بـ ... من ... الـ ... عنه ... من الطائف الاسرار الالهية ... الحكم المحمدية ...

حضر تسطيره الفقير اليه تعالى عبد الباقي الحسني يقبل يدكم المباركة ويهديكم جزيل السلام ويسئلكم صالح الدعوات خصوصا امام الحجرة الشريفة. وقد فرحنا لتقدم المسلمين في بلاد المغرب ورجونا منه الحق تعالى اتمام فضله ببلوغكم المرام وما زلت على الله لعزيز والله تعالى يحفظكم ويديم النفع بكم بمنه وفضله

صور لنوادر الرسائل والإجازات
صورة إجازة عبد الحكيم الأفغاني
لمحمّد بن جعفر الكتاني بخطه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اطلع كواكب العلماء في سموات المفاخر، وانار بدائع معارفهم في مطالع
بدور المآثر، اورثهم سبحانه بنعمته العلم النبوي، واوقفهم بمنته على الصراط السوي،
فاضحوا ائمة يهدون للخير وبه يعدلون، ونجوم الهداية الى مناهج السداد يرشدون،
اولئك الذين اعلى الله منارهم، ورفع في منصات الكمال مقدارهم، فلا غرو ان يتسنموا
ذروة الفضائل، ويتحلوا من زينة المجد بدرر الشمائل، وعندهم علم الكتاب المبين،
وفهم سنة خاتم النبيين، وامام المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الابرار، واصحابه
السادة الاخيار، ومن تبعهم باحسان، ما طلع نجم العرفان في برجه ولاح نوره،
ونجم طلع البيان في مزجه وفاح نوره، اما بعد فضل العلم تقصر عنه الاشارة،
ويضيق عن الاحاطة بنعته نطاق العبارة، قد نسج الوحي ببنان التعظيم
رداء فخره، ونوه لسان الذكر الحكيم بجلالة قدره، وليس لناعت وراء التنزيل
منتهى، ولو حطت اراؤه السهى، ولا يزال في كل عصر طائفة، في ركن حرمه طائفة،
يرفعون بيد الفخر في الخافقين ما له من الاعلام، ويطوون على نشره الليالي والايام،
لا يشار الا اليهم، ولا تعقد الخناصر الا عليهم، وكان ممن استنارت به آفاق معالمه،
وعرفت له في اندية عوارف معارفه ولطائف مكارمه، فبحث وحقق، وقرر ودقق،
وحبر وصنف، وحرر والف، حضرة كوكب المغرب، ودرة المطرب والمغرب،
نخبة الفضلاء الاخيار، وقدوة الاتقياء الابرار، السيد محمد بن الامام الهمام
اوحد الاعلام السيد جعفر الادريسي الفاسي الشهير بالكتاني، لا زال بيان بلاغته
مرصعا بجواهر المعاني، ولما برز في بلاده، على نظرائه وانداده، تاقت نفسه
الى النقلة، فاغترب غارب الرحلة، وسبح بدره من فلك المغرب الى افق المشرق،
فوصل مصر والحرمين الشريفين ثم حل بروض الشام المشرق، فآنس من دمشق فيحائها،
وعطر بنفحات بركته ارجائها، ولقد سررت بزيارته، وابتهجت بوفادته، وابصرت منه
شهما جليلا، وهماما تقيا نبيلا، مليئة باللطائف محاضرته، والسعة بمناقب الاتقياء
مسامرته

صورة إجازة جمال الدين القاسمي
لمحمد بن جعفر الكتاني

مسامرته، ولحسن ظنه وصفاء سريرته، رام من الفقير الاجازة لحضرته ومن في معيته، فتضاءلت دون شامخ هذا الشان، واعتذرت باني لست من فرسان هذا الميدان، وما احرى مثلي بالاقتباس من انفاسه، والاستصباح بنبراسه، ولما لم يفد عذري لدى مطلوبه، ولم يزد الا حرصا على مرغوبه، اجبته رجاء دعواته الصالحة، وتوجهاته الناجحة، تاسيا بسنة المحدثين، وطريقة المسندين، واجزت لحضرته بما تجوز لي روايته، وتنسب الى درايته، من منقول ومعقول، وفروع واصول، واوراد ماثوره، واذكار مشهوره، وبما تطفلت بجمعه وتاليفه، وتعليقه وتصنيفه، كما اجاز لي اشياخي الكرام، واساتذتي العظام، بوأهم المولى دار السلام. واجزت ايضا لنجله الشاب الاديب النجيب السيد محمد الزمزمي ولاخوته واخوانه وبقية اولاده حفظ المولى وجودهم، واتم في العلوم سعودهم، اجازة عامة، كاملة تامة، بالشرط المعتبر عند اهل الاثر، وقد وقع لي بحمده تعالى اسانيد نادره، واتصالات باهره، زيادة عن الاسانيد الشامية التي امتدت لها الاعناق من سائر الآفاق، وذلك باتصال سندي بائمة الحجاز واليمن ومصر والهند والعراق، ممن شاعت مصنفاتهم في الربع المعمور، واشرقت فضائلهم في الخافقين اشراق البدور، وقد جمعت مسانيدهم في ثبت سميته «الطالع السعيد» في مهمات الاسانيد، وفي هذه العجالة اقتصر على سندي في رواية صحيح الامام الحافظ امير المؤمنين في الحديث (ابي عبد الله البخاري) قدس الله روحه من طريقين هما من مستخرجاتي، الاول من طريق اعلام وطننا الدمشقيين مسلسلا في معظمه بهم، والثاني من طريق هو اعلى سند يوجد على وجه الارض، فاما الطريق الاول فاني اروي الصحيح منه سماعا لبعضه واجازة لباقيه عن سيدي والدي نخبة الادباء، وروضة الفقهاء، الشيخ محمد سعيد ابي الخير الشافعي امام جامع السنانية ومدرسه، عن سيدي والده جدي فقيه الشام وصالحها وورعها بالاتفاق، ابي البركات الشيخ قاسم بن الشيخ صالح الدمشقي الشهير بالحلاق،

امام الجامع المذكور ومدرسه، عن شيخه خال جدتي السيد الشريف العلامة الشيخ صالح الدسوقي نسبا الدمشقي الحسيني امام الجامع المذكور ومدرسه، عن والده جد جدتي عالم الشرفاء واوحد الصوفية العظماء السيد الشيخ محمد بن محمد الدسوقي الدمشقي، عن الشيخ علي السليمي الصالحي الدمشقي، عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، عن نجم الدين محمد الغزي الدمشقي، عن والده بدر الدين محمد الغزي الدمشقي، عن تقي الدين ابي بكر بن قاضي عجلون الدمشقي، عن خاتمة حفاظ الديار الشامية شمس الدين محمد الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي، عن المعمر علاء الدين ابن الصائغ الدمشقي، قال حدثنا سراج الدين الحسين ابن المبارك الزبيدي في شوال سنة ٦١٣ بصالحية دمشق بالجامع المظفري بسفح قاسيون، قال حدثنا ابو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي الصوفي، قال ثنا ابو الحسن عبد الرحمن الداودي، ثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي، ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري، ثنا مؤلفه الامام الحافظ المجتهد محمد بن اسمعيل البخاري عليه الرحمة والرضوان، واما الطريق الثاني، فاروي الصحيح منه اجازة عن مفتي دمشق ذي التصانيف الشهيرة العلامة السيد محمود افندي الحمزاوي الحسيني، وسماعا لبعضه واجازة لباقيه عن مسند عصره الشيخ سليم العطار، وعن صوفي الشام فهامة اقرانه الشيخ محمد بن محمد الخاني شيخ الطريقة النقشبندية، ثلاثتهم عن مسند زمانه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري الدمشقي، وهو يرويه بالاجازة العامة عن الشيخ المعمر محمد بن سنة العمري الفلاني فانه اجاز اهل عصره اجازة عامة، وهو عن الشيخ ابي الوفا احمد بن محمد بن العجل، عن قطب الدين محمد بن احمد النهرواني، عن الحافظ نور الدين ابي الفتوح احمد بن عبد الله بن ابي الفتوح الطاوسي، عن المعمر بابا يوسف الهروي، عن محمد بن شادبخت الفارسي الفرغاني عن شيخ المعمر ابي لقمان يحيى بن عمار الختلاني السمرقندي، عن الفربري، عن

جامعه

جامعه الامام البخاري، عليه رحمة الباري، كذا ظفرت بسياقه من محمد بن سِنَة
الى آخره في ثبت شيخ مشايخنا الشيخ محمد عابد السندي، وعليه فيكون بيني
وبين البخاري عشرة رجال، وباعتبار ثلاثياته يتم لي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربع عشرة واسطة، وقد اتصلت لي رواية هذا الصحيح
مسلسلا بالمالكية المغاربة، والشافعية، والحنفية، والحنابلة، واليمنيين،
وائمة الفرس وغيرهم، وقد سقت جميع ذلك مفصلا في ثبتي السالف
الذكر، هذا واني ارجو من حضرة الاستاذ المجاز المنوه بقدره ومن
اولاده واخوته واخوانه ان يتفقدوني بصالح الدعوات، سيما في مظان
الاجابات، بارك الله في حياتهم، واكثر من طاهر ذرياتهم، واحياهم
على العلم والتقوى، والارشاد الى الطريق الاقوم الاقوى، واعلى
مقامهم في الانام، ومنّ علينا وعليهم بحسن الختام،

قاله بفمه، ورقمه بقلمه، الفقير محمد جمال الدين
القاسمي الدمشقي، في ٣ ربيع
الاول عام ١٣٢٢،



بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمين وعلى آله

الهداة المرضيين وأصحابه أجمعين

لمعالي حضرات السيدين الكاملين والقمرين النيرين العالمين العاملين السيد محمد زمزمي

والسيد محمد مكي أدام الله تعالى علاهما

بعد إهداء شريف السلام ومزيد الاحترام أبدي أني تلقيت كتابكما الكريم

المبشر بوصولكما البلاد المراكشية بمزيد الرفاهة والصحة والعافية فحمدت الله

تعالى على ذلك وسألته وهو خير مسؤول بحرمة جدكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

أن يحفظكم ويجعلكم متمتعين بكل نعمة وفضل رافلين في ميادين السعادة تحت

أنظار سيدنا ومولانا والدكم المعظم والبحر المطمطم راجيًا من فضلكما أن تنوبا عن

هذا المحب بسؤال شريف خاطره وأن ب دعواته المباركة في خلواته وجلواته فسح

الله تعالى لنا بطول حياته وأعاد علينا من بركاته والسلام عليكم أهل البيت في

البدء والختام ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٥

مفتي الشام
محمد عطا
الكسم

رسالة من مفتي الشام محمّد عطا الكسم

لمحمّد بن جعفر الكتاني

الى حضرة استاذ الاساتذة سيدي الكتاني المحترم

اقدم الى حضرة هي في العلم فوق الثريا والى مقام في التقوى يحسده الفرقدان
ويود ان يكون في منزلته النيران بعد ان اسلم على حضرتكم سلام سلفي دائم
اللهجة بالسلام بان اخواننا البصراء وغيرهم ممن هم شغف في علم الحديث
قد رغبوا في ان اختار لهم كتابا مشتملا على الصحاح ليكون سميرا لهم
في خلواتهم وجلواتهم ففتشت فلم ار انفع لهم من كتاب عمدة الاحكام
للحافظ عبد الغني المقدسي الدمشقي ولا يخفاكم انه جمع فيه احاديث الاحكام
المتفق عليها فعولت على طبعه لهم ليحفظه البصراء ويسامره غيرهم ثم اني
كنت شرحت هذا الكتاب في مجلدين فاحببت ان الخص منهما معنى الحديث
وما يستنبط منه الاحكام على وجه سهل وحيث ان الراغبين في ذلك
من الفقراء قصدنا ان نجعل الاشتراك فيه على ثمانية وعشرين سهما
كل سهم بخمس مجيديات ثم بعد الفراغ من الطبع ياخذ اصحاب الاسهام
كتبا في مقابلة ما بذلوه يكونون احرارا بها يتصرفون بها كيفما يشاؤون
وحيث اني موقن بان حضرتكم تكون اكبر المساعدين في هذا المشروع
رجونا ان تعرضوه على تلامذتكم واحبابكم املا بالاشتراك مساعدة
للراغبين ونشر الحديث سيد المرسلين ١٥ جماد الثاني ٣٢٩

الكاتب
عبد القادر
بدران

رسالة عبد القادر بدران
إلى محمّد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى والصلوة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وآله آل الوفا واصحابه ولي الخصوصيات والاصطفى اجمعين امين

جناب حضرة سيدي الأستاذ المعظم وسندي الملاذ المفخم دوحة الحمد ومخدوم السادة والسعد نخبة آل الرسول
وصفوة بني الزهراء البتول قدوة الصالحين ومورد العارفين العلامة الشهير والفهامة الكبير الجامع بين علمي الظاهر
والباطن الملي والمتحقق بكل خلق نبوي علي مولاي السيد محمد ابن مولاي السيد جعفر الكتاني فسح الله تعالى في اجله
وبلغه في الدارين مجامع امله ومتعنا والمسلمين عموما بطول حياته وزاده من صنوف نعمه الجليلة وسوابغ هباته امين
اما بعد مزيد السلام التام ورحمة الله تعالى وبركاته على سيدي مع تقبيل اياديه واقدامه وطلب صالح دعاه ورضاه
فاعرض بأنه صار لنا بتقدير الله تعالى وقسمته الأزلية تصيب بالسفر الى قرية جرش من اعمال البلقاء ولنا فيها
زيادة عن شهر ونحن ولله الحمد والمنة بغاية الصحة وتمام العافية التي نروم دوامها لكم ولجميع من يلوذ بكم اجمعين
ولم شاق علينا سوى فراقكم ربنا يرينا وجهكم على احسن حال واقرب اوان امين ومني السلام التام ورحمة
الله وبركاته على عموم اسيادي السادات الأكرمين انجالكم عموما خصوصا سيدي السيد محمد زمزمي وسيدي
محمد مكي وعلى الاخوان الكرمين المحترمين اولاد البناني والشيخ حسن افندي الأسطواني والشيخ عبد الله افندي المنجد والشيخ
عبد الجليل افندي الدرا والشيخ عبد الرحمن افندي الطيبي مفتي حوران والأخ المفخم الشيخ محمد توفيق افندي الأيوبي
وعلى جميع من يلوذ بحماكم الرفيع وجاهكم المنيع هذا وسيدي يعلم اني معدود من خدامه واتباعه والمحسوبين
عليه المنتسبين اليه فالمرجو من سيدي ان لا يخرجني من نظره وان يشملني بشريف دعائه وسني نظره امين
والسلام على سيدي ورحمة الله وبركاته   (٢٧ رجب ٣٤٤   الداعي العمر الله تعالى
وكل عام وانتم بخير بيوم معراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن طرفنا   محمد امين سويد
الأخ ابو حسن السباغ صهر الشيخ الطيب يقبل اياديكم ويسلم عليكم   م

رسالة من محمّد أمين سويد

إلى محمّد بن جعفر الكتاني

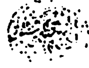
لحضرة العلامة السيد الكتاني حفظه الله تعالى

أما بعد السلام عليكم ورحمة الله فقد قصدت زيارتكم اليوم لتقديم رسالتي في مسائل الوهابية التي طلبتموها
من الأستاذ الأيوبي فأطلتم واسترسلتم في الكلام على مسألة الدخان حتى لم يسعني مع حفظي لكرامة مجلسكم وتوقيركم
وتبجيلكم الآن أن أرد عليكم إذ قلتم أولاً: إنه ذهب إلى القول بتحريم الدخان من الحنابلة الشيخ أحمد بن [illegible]
[illegible] مفتي الحنابلة بدمشق وابن [illegible] مفتيهم بنجد فأجبتكم بأن علماء المذهب الذين أدركوا الدخان لم يتكلموا
[illegible] بشيء ولو كان حراماً لبينوه ولنقل إلينا عنهم وغير علمائنا كذلك سكتوا عنه وهم أجل من أن [illegible]
[illegible] الخاص والعام وبأن بعض علمائنا ذكروه في جملة ما يجب للمرأة على الرجل من النفقة وبأن
الشيخ مرعي من أجلة علمائنا له رسالة ذهب فيها إلى القول بأنه تعرض له الأحكام الخمسة. ثم قلتم بأنكم جمعتم
في تحريم الدخان اثني عشر دليلاً أعظمها كونه مفتراً وكونه مضراً فأجبتكم بأنه ليس بمفتر وإنما أثره على
أصحابه تسكين في الأعصاب يجدون منه راحة ونشاطاً وبأنه ليس بمضر إلا في بعض الناس فيحرم عليهم كما
يحرم هذا الشاي على من يضره. ثم قلتم إنه قد عمت به البلوى حتى استعمله العلماء قديماً وحديثاً فلم يبق إلا [illegible]
فأجبتكم بأن يقتدى بهم السواد الأعظم ولا تجتمع الأمة على ضلالة. ولما خجلت من الإكثار عليكم وخفت أن أسيء
إليكم أردت الالتفات إلى حديث آخر والانصراف عنكم فما انصرفت إلا وأنتم تشبهون حديث الدخان وأنه
كالحشيشة التي اختلف الناس في [illegible] اختلافهم بالدخان فأجبتكم بأنه لو صح اختلاف الناس بالحشيشة [illegible]
اختلافهم في الدخان ثم خرجت وأنا لا أظن نفسي إلا أنني مع السيد الكتاني الذي تحدث الناس بفضله.
وقد كان أدبي وصغر سني ووجودي في ضيافتكم كل ذلك يمنعني أن أسمعكم حججي وأورد عليكم حججكم
مع أن قول مثلي حكم فاصل بين الحق والباطل إذ كنت مولى القضاء في مذهبي ومن ورائي مفتي دمشق
الحنفي الحنبلي وكثير من علمائها ممن سبقت لهم الفتوى وعرفوا بالعلم والتقوى ذاهبين كلهم إلى القول
بإباحة الدخان لذاته وإنما تعرض له الأحكام بحسب الحال في أصحابه.
ولو كان لأهل دمشق إجماع لعلمت أنكم خرقتم الإجماع بتحريم الدخان فأنتم ترمونهم بالحرام (وربما [illegible])
فكنتم كالوهابية الذين كفروا الأمة جميعاً لا أرى فرقاً بينكم وبينهم.
سمعت أنكم [illegible] رسالة في تحريم الدخان تزيد على عشرة كراريس؟ أرجوكم نشرها ورفعها إلى [illegible]
لتروا رأي العلماء فيها هل يوافقونكم على تحريم ما لم يحرمه الله ورسوله وأئمة العلم أم [illegible]
ويرمونكم بالافتيات والقول بالرأي فاحفظوا هذا الكتاب وتفضلوا بإرسال الجواب والله الهادي
إلى الصواب.

تحريراً في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٤٠

كتبه محمد جميل الشطي
القاضي الحنبلي بدمشق

رسالة من محمد جميل الشطي
إلى محمد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رتب هيئة آدم ببديع الابداع على رق الجماء
المسنون ونقش صور المشايخ على لوحه بقلم الكاف
والنون أحمده بما حمد به عبده الصالح ذي النون وأشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إلاه واحد احد صمد
نحن له عابدون واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل
عليه في كتابه المكنون ن والقلم وما يسطرون اللهم صل
عليه وعلى آله واصحابه قرة العيون ودرة سحائب الرحمة
الهتون وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين
اما بعد فان طريق القوم عالية المنار طيبة النجار كثيرة
الانوار قد حث عليها السلف الاخيار وعمت بركاتها
على جميع الاقطار فاني قد اذنت بما تحويه الطريقة المباركة
الشيبانية السعدية من الاذكار والاوراد ولباس
الخرقة الشريفة الى حضرة الاخ الامام العالم الفاضل سليل
الاولياء الاماجد الكرام ونخبة الاشراف الفخام مربي
المريدين وعمدة السالكين الحسيب النسيب والعالم
الشهير السيد محمد نجل المرحوم وحيد دهره وفريد عصره
صاحب الاحوال الطاهرة والاقوال الظاهرة العارف
بالله السيد جعفر الكتاني الحسيني اعاد الله تعالى علينا

صورة إجازة للشيخ عبد المحسن بن عمر التغلبي في الطريقة التغلبية
لمحمّد بن جعفر الكتاني

من بركاته وافاض علينا من سحائب امداداته رحم الله
تعالى اسلافهم اجمعين وانى اذنت لكما ان اخذتها وتواجزت
بها من شيخي ومرشدي وقدوتي الى الله تعالى هو الشيخ
مربي المريدين وعمدة المحققين ونخبة الواصلين الحسيب
النسيب السيد الشيخ يونس التغلبي الشيباني وهو اخذها
عن والده وقدوته الى الله تعالى السيد الشيخ عمر التغلبي الشيباني
وهو اخذها عن والده ايضا السيد الشيخ عمر الكبير التغلبي
الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ عبد القادر
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن عمه السيد الشيخ مصطفى
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ عمر
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ علي
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ سعد الدين
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ محمد التغلبي
الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ محب الدين
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ سعد الدين
التغلبي الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ محمد التغلبي
الشيباني وهو اخذها عن والده الكبير مربي المريدين وقدوة
السالكين السيد الشيخ محمد ابو تغلب الشيباني قدس سره العالي
وهو اخذها عن والده السيد الشيخ سالم الشيباني وهو اخذها

٣

عن والده السيد الشيخ محمد الشيباني وهو اخذها عن والده
السيد الشيخ نصر الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ
منصر الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ علي الشيباني
وهو اخذها عن والده السيد الشيخ عثمان الشيباني وهو اخذها
عن والده السيد الشيخ قاسم الشيباني وهو اخذها عن والده
الكبير مربي المريدين وقدوة السالكين السيد الشيخ محمد اليسى
الشيباني قدس الله سره العالي وهو اخذها عن والده شيخ
الاسلام والمسلمين مربي المريدين ونخبت الواصلين
السيد الشيخ محمد سيف الدين الرجبجي الشيباني قدس سره العزيز
ونور ضريحه امين وهو اخذها عن والده الجليل العارف
بالله السيد الشيخ سايق الشيباني وهو اخذها عن والده
الجليل مربي المريدين وعمدة المحققين العارف بالله
القطب الرباني السيد الشيخ هلال الشيباني اخا القطب
الغوث العارف الرباني سيدنا الشيخ سعد الدين الجباوي
الشيباني قدس الله تعالى سره العزيز وسيدنا هلال اخذها
عن والده المظهر الرحماني والنور الصمداني العارف بالله
المستغرق في انوار الله الراسخ الاوحد الرباني صاحب
الأشارات والمعاني سيدنا الشيخ يونس الكبير المكي
الشيباني قدس الله سره العالي ونور ضريحه امين

٤

وسيدنا الشيخ يونس الكبير العارف بالله المستغرق في انوار الله
اخذها عن والده ذوي الفتح الغيبي السيد الشيخ يوسف المكي
الشيباني وهو اخذها عن والده ذوي الحسب الفاخر السيد
الشيخ جابر الشيباني وهو اخذها عن والده ذوي المدد العميم
السيد الشيخ ابراهيم الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ
ساعد الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ سالم الشيباني
وهو اخذها عن والده السيد الشيخ علي الشيباني وهو اخذها
عن والده السيد الشيخ حسن الشيباني وهو اخذها عن والده
السيد الشيخ عبد الله الشيباني وهو اخذها عن والده السيد الشيخ
عبيد الله الشيباني وهو اخذها عن والده عبد الخالق الشيباني
وهو اخذها عن والده السيد الشيخ سلامة الشيباني وهو اخذها
عن والده السيد الشيخ عبد الله الشيباني وهو اخذها عن والده
السيد الشيخ قيس الشيباني وهو اخذها عن والده الرهم البهي
السيد الشيخ عامر الشيباني وهو اخذها عن والده الجامع لاشتات
المعاني السيد الشيخ قبيصة الشيباني وهو اخذها عن والده
الامام الكامل الزاهر السيد الشيخ عامر الشيباني وهو اخذها
عن والده السيد الشيخ عمرو الشيباني وهو اخذها عن والده
الامام الكامل المعاني سيدنا الصحابي الجليل هاني بن
مسعود الشيباني رضي الله تعالى عنه ونور ضريحه امين

٥

وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو تأدب بآداب
زوج البتول وابن عم الرسول سيف الله المسلول فارس
المشارق والمغارب الامام الجليل امير المؤمنين علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وهو اخذ العلم والاداب
عن ابن عمه ونبيه افضل الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا
وذخرنا وملاذنا وهادينا وملجأنا ابو القاسم سيدنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تأدب
بها عن اخيه الوحي عليه السلام سيدنا جبرائيل وهو تأدب
بها عن رب العزة جل جلاله وتقدست اسمائه ولا اله غيره
اعلم ان العارف بالله البحر المحيط القطب الرباني سيدنا
الشيخ يونس الكبير المكي الشيباني قدس الله سره العالي ان
له سندين احدهما عن ابائه كما تقدم والاخر عن مشايخه
اخذ سيدنا الشيخ يونس الكبير الشيباني الطريقة عن شيخ الشيوخ
الكبير ابي سعيد الاندلسي عن شيخ الشيوخ ابي البركات عن
شيخ الشيوخ ابي الفضل البغدادي عن شيخ الشيوخ احمد
الغزالي عن شيخ الشيوخ ابي البركات خير النساج عن شيخ
الشيوخ ابي القاسم الجرجاني عن شيخ الشيوخ عثمان المغربي
عن شيخ الشيوخ ابي علي الكاتب عن شيخ الشيوخ الكبير ابي علي
الروزبادي عن شيخ الشيوخ سيد الطائفة الشيخ ابي القاسم

٦

الجنيد البغدادي عن استاذه شيخ الشيوخ خاله السري السقطي
عن شيخه معروف الكرخي عن بحر العلوم علي بن موسى الرضى
عن والده الامام جعفر الصادق عن والده الامام محمد الباقر
عن والده الامام زين العابدين عن والده الامام الحسين
ابن بنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين والمرسلين
وخير الخلائق اجمعين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه
اجمعين صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين
اعلم ان سيدنا هلال وسيدنا سعد الدين الجبادي
الشيباني هم طيبين الأصلين كريمين النسبين فان
نسبهما من جهة ابيهما ينتهي الى عدنان جد نبي الله سيد
الاكوان كما ذكر باطنه ونسبهما من جهة والدتهما ينتهي
الى سيدنا الامام الحسين سبط نبي الله بغير مين هما
ابني التقية العفيفة والسيدة الشريفة السيدة عائشة
بنت السيد ايوب بن السيد عبد المحسن بن السيد يحيى بن السيد
ثابت بن السيد حازم بن السيد علي بن السيد مهدي بن
السيد حسين بن السيد احمد بن السيد موسى الرضى بن السيد
ابراهيم المرتضى بن السيد موسى الكاظم بن سيدي
جعفر الصادق بن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين
العابدين بن سيدنا ودلى نعمتنا سيدنا الامام الحسين

٧

ابن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا ونبينا
وهادينا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلم ان العارف بالله شيخ العارفين وصدر المقربين وامام
الناسكين وقدوة السالكين القطب الرباني سيدنا الشيخ
سعد الدين الجباوي الجناني قدس الله روحه ونور ضريحه
ان له سندين احدهما وهبي والآخر كسبي فأما الوهبي
مارواه العارف بالله القطب الأمجد ولده سيدنا الشيخ
شمس الدين محمد قدس الله مكنون أسراره ان والده سيدنا
السيد الشيخ سعد الدين الجباوي الجناني الشيباني كان في زمن
والده العارف بالله القطب الرباني سيدنا الشيخ يونس الكبير
المكي الشيباني قدس الله روحه خارجا عن حماطاعته مشتغلا
بلهوه وبطالته وانه خرج الى ارض حوران واقام بها يقطع
الطريق برهة من الزمان فسمع والده الشيخ يونس الشيباني
بما هنالك واهتم لذلك ودعى الله تعالى مبتهلا اليه
في صلاحه وهدايته أوان يتوفاه من ساعته فكانت
السعادة سابقة له من الله تعالى في فلاحه واستجاب
له دعائه في اصلاحه فبينما هو على ذلك الحال اذ رأى
ثلاثة من الرجال فتوجه اليهم لسلب ما عليهم اليه
أتاه احدهم قائلا الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم

لذكر الله فأخذ بالبكاء والنحيب والوجد والهيام من ذلك
القول من خير الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام حتى
سقط عن فرسه وبقي ملقى ليس فيه غير نفسه فأتاه احدهم
وضرب بيده على صدره وقال قل استغفر الله فأستغفر
مما وقع من سالف امره فلما افاق من سكره وشرابه وهدئت
نفسه من تحريكه واضطرابه اخرج احدهم تمرة من جيبه وقدمها
الى رسول الله واحيه غيبه وقال اسقه يا رسول الله فتفل
عليها وناوله اياها قائلا خذها لك ولذريتك الى يوم
القيامة فأخذها الشيخ سعد الدين الجباوي وحظى بما
لديها ورجع عما كان عليه وقد عمر الله جل ثناؤه ظاهره
وباطنه وظهرت منه الاسرار الكامنة وانجذب الى مولاه
وفاز بما اولاه فيا سعادة من والاه ويا شقاوة من حاربه
وعاداه كما ذكره في خلاصة الأثر
واما السند الكسبي فهو عن والده السيد الشيخ يونس الكبير المكي
الشيباني كما ذكر مفصلا باطنه والحمد لله رب العالمين
تم ان الطلب من حضرة الاخ العالم الفاضل السيد محمد الكتاني
الحسني صالح دعواته الشريفة في الأوقات المباركة الحرية
وانا الفقير اليه تعالى عبد المحسن بن المرحوم الشيخ عمر التغلبي الشيباني
السعدي شيخ طريقة الشيبانية السعدية بدمشق الشام المحمية



تلاميذه بدمشق:

- عبد الله الجلاد (ت1340هـ).
- أبو الخير عابدين (ت1344هـ).
- سعيد الفرا (ت1345هـ).
- محمد بن علي بن يلس التلمساني (ت1346هـ).
- عبد القادر الخطيب (ت1351هـ).
- محمد توفيق الأيوبي الأنصاري (ت1351هـ).
- محمد أديب تقي الدين الحصني (ت1358هـ).
- محمد شريف النص (ت1359هـ).
- صالح الحمصي (ت1362هـ).
- محمد الشريف اليعقوبي (ت1362هـ).
- محمد تاج الدين الحسني (1362هـ).
- محمود العطار (ت1362هـ).
- محمد علي الدقر (ت1362هـ).
- محمد خالد الأنصاري الحمصي الدمشقي (ت1364هـ).
- عبد القادر بن محمد المبارك (ت1365هـ).
- عبد الحميد بن محمد الآوي (ت1365هـ).
- توفيق الدوجي (ت1366هـ).
- عبد الجليل الدرا (ت1366هـ).
- عبد الرحمٰن الخطيب (ت1367هـ).
- محمد ياسين الحمامي (ت1369هـ).
- محمد ياسين الفراء (ت1368هـ).
- محمد صالح الآمدي (ت1370هـ).
- محمد زاهد الكوثري (ت1371هـ).

- محمد عيد الباري (ت1377هـ).
- محمد هاشم الخطيب (ت1378هـ).
- أحمد بن محمد التلمساني (ت1379هـ).
- عبد الله بن أبي الشامات (ت1381هـ).
- عبد الرحيم بن أبي الشامات (ت1388هـ).
- عبد الرحمٰن بن أبي الشامات (ت1312هـ).
- محمد رابح الجزائري الدمشقي (ت1380هـ).
- محمد عارف عثمان (ت1385هـ).
- خالد بن عبد القادر الدمشقي (ت1387هـ).
- محمد وفا القصاب (ت1397هـ).
- أحمد الهاشمي الجزائري الدمشقي (ت1399هـ).
- حسام الدين القدسي (ت1400هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

من العبد الفقير خديم أهل الله الحاج محمد بن يلس
إلى العالم العلامة الحبر البحر الفهامة المحدث الكبير الشريف
العارف بالله الشهير الفرد الصمداني سيدنا ومولانا محمد بن جعفر
الكتاني أدام الله وجودكم رحمة للقاصي والداني آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فموجب هذا تجديد المحبة
والعهد لحضرتكم العلية والسؤال على أحوالكم الشريفة المرضية أجراها
الله طبق مرامكم آمين ومنا السلام الجزيل إلى سادتنا وموالينا
الشرفاء أنجالكم الكرام السعداء سيدي محمد الزمزمي وسيدي محمد
المكي وسيدي محمد الكامل وكافة الشرفاء وبلغوا جزيل سلامنا
إلى مولاي أحمد الشتيشي وسيدي كامل باش إمام وسيدي الحاج
محمد بن الحاج رابح والفقيه الجليل سيدي الحاج العربي الزرهوني
ومحب الجميع سيدي توفيق الهبري وسيدي الشيخ إبراهيم
الشاذلي والعارف بالله سيدي الشيخ شريف اليعقوبي وسيدي
جميل الحبال وسيدي أبي خالد الحبال والحكيم سيدي محمد خالد وسيدي
الحاج حسن حمور ونجله الكريم سيدي صالح وسيدي أبي فؤاد حمور
وكافة أهل مجلسكم الشريف كما يقبل أياديكم الكريمة أهل دارنا
وأولادنا سيدي الشيخ أحمد وسيدي مصطفى وسيدي محمد عز الدين
ومحمد بن الهاشمي وولده أحمد وسيدي الغوثي بالحاج وكافة من
معنا من الإخوان والأحباب وكذلك بلغوا جزيل سلامنا إلى
محب الجميع سيدي الحاج حسن وإني أرجو الله أن تساعدني

الأمور فالتشرف بزيارتكم والتوسل بين يديكم قبل سفري ووداعكم ونسأله تعالى أن لا يجعله آخر
عهد بيننا وبينكم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير فهذا ما لزم ورمانا زيارة [illegible] الرابعة
ودمتم محبوبا ما دمتم والسلام
٢٠ صفر الخير ١٣٤٥

رسالة من محمّد بن يلس التلمساني
إلى محمّد بن جعفر الكتاني

٥

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لله تعالى وصلى على نبيه وآله وعلى صحبه المتخلقين بما قسم لهم من كمالاته وخلاله

وبعد فأقدم لسيدي ومعبودي من جمل التحيات الزاكيات الطيبات والتسليمات المباركات ما أرجت

الغاديات ما يليق بمقامه العالي الكريم ومنصبه الجليل العظيم وأقبل أياديه المباركة

المباركة المرة بعد المرة وأسأله تعالى أن لا يحرمنا من كريم رؤيته ورؤيتنا

بهذه الحضرة... شرفتم وخلفتم لنا الوحشة والاشتياق وحقائق العرفان

من المذاق لا حرمنا من بركاتكم معنى وروحاً وبحمد الله تعالى وحسنا وفقنا

اجتماعاً وأنساً نبشر مولانا بالإفراج عن حضرة الشيخ التلمساني وقد فرحنا به

كثيراً وفرح المسلمون عموماً لا زالت ألطاف الله تعالى حافة بكم وبالمسلمين

وأقدم تحياتي لساداتي السيد الزمزمي والسيد المكي وجميع الذراري المباركين

والسيد أحمد وجميع من لديكم أجمعين ومن عندنا يهدون الدعوات

ودوام التوجهات ونسأله تعالى أن يكون معكم في جميع الأطوار والحالات

والسلام التام على سيدي مكرراً ومعاداً والحمد لله تعالى ٩ ذي الحجة [illegible]

الداعي

محمد توفيق [illegible]

دمشق

رسالة من توفيق الأيوبي

إلى محمّد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعالى على افضاله واصلي واسلم على النبي وصحبه وآله ثم على سيدي ومولاي

ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد تشرفت بكتاب كريم من سيدي واسأل الله تعالى ان

يديم حضرته العالية زينة للوجود ومنهلاً للكرم والجود ويطيل بقاءه في نيل

من خيري الدارين ما يتمناه ولا يجعله آخر العهد من مولانا بل يديم علينا وعلى

اهل الشام هذه النعم الكريمة حتى نقتبس من انوارها ونجتلي سنا انوارها واقدم

تحياتي لسادتي السادة الكرام الانجال المحترمين ولمن يلوذ بكم سيما سيدي الولي

الشريف السيد محمود ابي طالب وصاحبه السيد محمد الحريري وللشيخ المحترم المفضال الشيخ [illegible]

الجبره والسيد الشريف البعقولي وجناب الشيخ العربي الزهوني وكل من يلوذ بالاعتاب

الكريمة والسلام مع لثم الاذيال منا ومن تضمنه مشفقتي [illegible]

محمد وآله وصحبه وتابعيه [illegible] ذي الحجة [illegible]

الداعي
محمد توفيق
الايوبي

[illegible]

رسالة أخرى من توفيق الأيوبي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

الحمد لله مجيز من استجازه من اوليائه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد اكمل العالمين خَلقا وخُلقا
واعلاهم قدرا وجاها وارقاهم في خصائصه ومزاياه وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار اما بعد فانه لما كان العلم
افضل مكسوب واجل مرغوب تنافس فيه المتنافسون وسلك الى تحصيله الراغبون وان ممن انتمى لجنابه
وسار الى اقتنائه واكتسابه سيدنا [illegible] الغني [illegible] التوصيف سليل السادات الاماثل ونخبة
السادة الافاضل السيد محمد اديب بن السيد محمد تقي الدين الحسيني الحصني الدمشقي وانه طلب من العبد الاجازة في العلوم والاذكار
وغيرها مما تحمله من الاذكار فلما رأيته اهلا لذلك ولست اهلا لما هنالك [illegible] وان يلحقني الله بمن امتثله من
[illegible] واجبته لطلبته فقلت مستعينا بالله [illegible] اجزت الفاضل الذكي
[illegible] جميع ما يجوز لي من معقول ومنقول وفروع واصول واوراد واحزاب واذكار وغير ما
جميع الاذكار [illegible] مؤلفاتي [illegible] مصنفاتي [illegible]
اجازة عامة [illegible] بشرطها المعروف وعلى نهجها المألوف من التوقف في مواضع الاشتباه ورد العلم فيها الى اهله
[illegible] الكلمة [illegible] الفاتحة [illegible] والاحزاب والادعية والاذكار [illegible] المشايخ الكبار
[illegible] المسلسل [illegible] المصافحات [illegible] والسادات واستجزت جماعة من ذوي [illegible]
العامة [illegible] اجازات [illegible] الفلوات [illegible] واوصي المجاز المذكور بتقوى الله
[illegible] الكتاب [illegible]
والانتماء الى اولياء الله [illegible] واوصيه ايضا [illegible]
[illegible] واوصيه ايضا بالاشتغال بما يعني وترك الخوض فيما لا يعني [illegible] لم
[illegible] السنة [illegible] واوصيه ايضا بالتعلق التام والانحياش الكامل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم [illegible] للتبرك [illegible]
الله [illegible] كتب [illegible] كثيرا من
[illegible] الصلاة والسلام على هذا الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم [illegible] بذلك واوصيه ايضا
واوصيه ايضا ان لا ينساني [illegible] المسلمين [illegible] الدعوات الصالحة في كل وقت
[illegible] والسلام [illegible] عبد الله تعالى [illegible] والله [illegible]
جعفر بن [illegible] ادريس [illegible] الكتاني الحسني الادريسي [illegible] المدينة المنورة [illegible] محمد بن
في التاسع [illegible] ربيع [illegible] عام [illegible] وثلاثمائة والف من الهجرة صلى الله عليه وسلم [illegible] دمشق الشام

صورة إجازة محمد بن جعفر الكتاني
لمحمد أديب تقي الدين الحصني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وحزبه

حضرة سيدي وأستاذي وملاذي وقرة عيني محدث العصر وعلامة الدهر شريف العلماء وعالم الشرفاء متعنا الله عز وجل بطول حياته وأفاض علينا وعلى المسلمين من بحر امداداته وبركاته آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعرض لسيادتكم أنه ورد علي تحريركم الشريف المنبئ عن كمال الفضل والخطاب اللطيف فحصل لهذا الفقير الفرح والسرور والابتهاج والحبور حيث تنزلتم لمكاتبة مثلي وإني لشاكر له بجانب مكارمكم وحمدت الله عز وجل على وصولكم تلك الأماكن بالسلامة وشكرته تعالى على تمام عزمكم على العود إلى هذه الديار حيث أنني والأحباب جميعا بالانتظار إلى التمتع بمشاهدة تلك الأنظار كي نسعد بلقائكم ونحظى بمشاهدتكم فنسأله عز وجل أن يحفظكم لنا الكمال ويمتعنا برؤياكم على أحسن حال هذا وإني منذ توجهتم وذكر سيادتكم على لساني وقلبي وفي يقظتي ونومي حتى أنني رأيت سيادتكم في النوم أنكم قد شرفتم بلدنا وذهبنا لزيارتكم وتعانقنا وتوكلنا وتحادثنا وكررت الرؤيا لحضرتكم فاستبشرت بالعود وعلمت أنه لا تنفكم للفقير موصولة وأنه عنايتكم وامدادكم عن هذا العاجز غير مقطوعة فأسأله تعالى أن يرزقني وأهلي وأصحابي وإخواني الصدق في محبتكم وأن يمن علي وعليهم بالأدب معكم ومع آل الله جميعا هذا وإني أهدي تحياتي لكم وأرجلكم ونعالكم وأطلب دعائكم ورضاكم ورجوتكم إهداء السلام في جميع الأحباب والأصحاب والأقارب والأولاد وأخص منهم النجلين الكريمين الفاضلين سيدي السيد محمد الزمزمي وسيدي السيد محمد المكي أقر الله عينكم بهما وبجميع أولادكم ورزقني وإياهم محبة الله والمعرفة به وذكره وغيره كما من عندنا الأولاد والأهل والإخوان والأصحاب يلثمون جميعا رضاكم ودعائكم وامدادكم وبركاتكم ونية نفوسه العالم وأرجوكم الدعاء لي بحسن ختام

حرر في [illegible] جمادى الثانية [illegible]

خادمكم الفقير إليه عز وجل

[illegible]

علي الدقر

رسالة من علي الدقر

لمحمّد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اورث الكتاب من عباده من اصطفاه وجعل العلم والسند اليه

ورائه نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حبيبه ومصطفاه ونشهد انه الله الملك القدوس المنزه من تخيلات الخواطر

وهواجس النفوس ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل فيما روى عنه يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله

صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله الاصفياء وصحابته الابرار الاتقياء اما بعد فانه لما كان العلم انفس مطلب وانفس مأرب

وامنس غنيمة وارفع من كل شيء وقيمة يتنافس في اقتنائه المتطلبون ويتبارى في اكتسابه وعلو اسانيده الراغبون

وفق الله تعالى اقواما لخدمته وهيأهم لحلول رياض جنته فهجروا في طلبه لذيذ المنام وقوضوا من ديارهم للرحلة

في تحصيل الخيام والتمسوا له الوسائط وتطلبوا من اجله الاسباب والروابط فهيأ الحق تعالى لنفعهم رجالا وابطالا

يجولون مقدمين في الصدارة اليه مجالا متى ما حلوا منه على الغرض الاكبير ونالوا بسببه الاجر الوافر والفضل

المديدات ممن انتمى لعلي جنابه وتعاطى ما قدر له من اسبابه الاخ في الله المتطلي بلا نزاع اجمل الحلل الامثلة

الفاضل والعالم الكامل الحائز من الم[illegible] والنائر الشيخ محمد خالد بن محمد بن محمد الانصاري نسبا الحنفي

مذهبا الحمصي بلدا ومحتدا وانه التمس من العبد الكسير الاجازة فيما يسند اليه او يصح له به من قليل او كثير

فعلمت اني لست لذلك متاهلا وقلت في نفسي منشدا ومتمثلا العرابي ما نصبه العلا : الى كرم وفي الدنيا كريم

ولولا الكلام اذا اشتعرت :. وصوح نبت [illegible] شيء انه اجبته رعيا للخاطر ورجاء النفع الظاهر

[illegible] لا يبطل والله يعصمنا من الزلل بفضله والله المستعان وعليه لا على غيره التكلان اجزت

الفاضل المذكور ذا النعت المشكور في كل ما تجوز لي وعني روايته او تسند الى معرفته ودرايته من معقول

ومنقول وفروع واصول واحزاب وادعية واذكار وطرق جليلة المقدار وبكل ما لي من رسالة او تصنيف

او كتابة صغيرة او تعريف وقد سلف مني من الموضوعات الجزئيات وضعا وترصيفا ما يزيد على الستين

تاليفا تقبلها الله تعالى باحسن قبول وجعلها سببا لنيل الدرجات العلا وكل سول وذلك

بالاجازة العامة المطلقة التامة بشرطها المعروف وعلى نهجها المالوف من التثبت في الطلوع والرجوع

عند الاشتباه فيها الى من له معرفة بالمنطوق منها والمفهوم وقد لقيت بفاس وغيرها من بلاد

المغرب الاقصى جماعة عظيمة او عالما كبيرا من العلماء الاعيان وغيرهم من اولياء الزمان واخذت عنهم

والتمست البركة منهم ولازمت منهم الكثير وحصل لي والحمد لله من بركتهم المدد الغزير وتبركت ايضا

في المشرق عام حجتنا الاولى وما بعدها بمن لا يحصى من اهل البركات الظاهرة والمقامات الفاخرة وفي

هجرتنا بسلوة الانفاس ورحلتنا الشرقية وبعض اجازاتنا لبعض الاعلام اسماء منهم وافرة وجماعة كثيرة

فاخرة ولنقتصر هنا على ذكر بعض ما تشتد اليه حاجة الطالب الشائق الراغب فنقول اخذت

صحيح البخاري برواية ابن سعادة التي عليها المدار في الغرب الاقصى [illegible] جمعتها وجمعتها وتعانيها لا يحصى

وقالوا ان الحافظ ابن حجر وغيره من [illegible] من اكابر الحفاظ لم يعثروا عليها ولم يقفوا على السند المتصل اليها

وتكثير نقلها من الروايات [illegible] الكتب الستة والموطا والشمائل وغيرها من كتب الحديث قراءة لبعض

صورة إجازة محمد بن جعفر الكتاني

لمحمد خالد الأنصاري

واجازة للبلاد عن جماعة من الشيوخ منهم شيخنا وشيخ كثير من مشايخنا العلامة المحدث الشهير البركة ابو
العباس احمد بن احمد البناني المغربي الطيب وهو عن جماعة من اجلاء السيد عبد الله المدعو الوليد بن العربي
العراقي الحسيني الفاسي عن الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران الفاسي والشيخ حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي
والسيد ادريس بن علي زين العابدين العراقي الحسيني والشيخ محمد بن عمرو الزروالي والاربعة كلهم عن شيخ
وقته سيدي محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المري الفاسي باسانيده المذكورة في ثبته ويروونه
ايضا عن ابي محمد عبد القادر ابن شقرون عن ابي حفص عمر بن عبد الله الفاسي عن ابي العباس احمد بن المبارك
السجلماسي اللمطي مؤلف الابريز عن شيخ الجماعة ابي عبد الله محمد بن احمد المسناوي البكري الدلائي
عن ابي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي عن والده شيخ الاسلام ابي محمد عبد القادر بن علي الفاسي
باسانيده المذكورة في ثبته ايضا واخذت ... العلوم والاحزاب والدعوات والطرق والاذكار بالاجازة
العامة لفظا وكتابة والتلقين مشافهة عن جماعة من الكبار من اجلهم العلامة الكبير الطائر الصيت
في المغرب والاقطار المري النفاع الكثير التصانيف والاتباع الشريف ابو عبد الله محمد مصطفى ماء العينين ابن
الشيخ محمد فاضل الشنقيطي الحسني الادريسي واخذت عن مولاي الاسرار الطريقة القادرية التي هي
طريقته عن ابائه الى الشيخ زروق بسنده ولنذكر ههنا اعلى سند يوجد الان على وجه الارض
بالطرق الظاهرة بجميع البخاري فنقول اروي بالاجازة العامة عن الافندي عبد الجليل بن عبد السلام
برادة الفاسي اصلا المدني مولدا ودارا وقرارا ومدفنا وهو يرويه عن الشيخ اسماعيل البرزنجي عن الشيخ
صالح بن محمد العمري الفلاني ثم المدني عن محمد بن سنة العمري الفلاني ثم المدني عن ابي الوفاء احمد بن محمد
العجيل اليمني عن قطب الدين النهروالي عن نور الدين ابي الفتوح الطاوسي عن بابا يوسف
الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني عن ابي لقمان الختلاني يحيى بن عمار الختلاني بسماعه عن محمد
ابن يوسف الفربري عن البخاري فيكون بيني وبينه احد عشر وتقع لي ثلاثياته بثلاثة عشر واروي
ايضا بالاجازة العامة عن الشيخ المعمر الملا احمد بن الملا محمد صالح بن الملا محمد علي بن الملا محمد سعيد بن الملا
خاتمة المحققين ببغداد الشيخ عبد الله السويدي البغدادي عن الشيخ مرتضى الزبيدي شارح الاحياء والقاموس
باجازته لجده عبد الله المذكور واولاده وذريته عن محمد بن سنة الفلاني بسنده وهو عال جدا بدرجة اذ بيني
وبين البخاري فيه عشرة انفس فتقع لي ثلاثياته باربعة عشر وهو اعلى ما يكون من القرب في هذا الزمان
ولنذكر ايضا من اسانيد الطرق التي اجزنا بها اسانيد طرق ثلاثة لشهرتها فنقول اخذت الطريقة
الشاذلية الدرقاوية عن الشريف الفقيه البركة مولاي عبد الرحمان بن الطيب بن العربي بن احمد الدرقاوي
الحسني عن ابيه عن جده بعض الشهور وعن الشريف المحسن البركة سيدي الحاج محمد بن رشيد المغاري
نزيل المدينة المنورة ودفين البقيع بها عن مولاي الطيب بن العربي الدرقاوي عن ابيه وعن الشريف
المري مولاي عبد العزيز بن احمد الدباغ الحسني الادريسي عن قريبه الشيخ سيدي عبد الواحد بن علال
الدباغ عن مولاي العربي المذكور وعن غيرهم والطريقة الناصرية وهي شاذلية ايضا عن سيدي احمد بن

ابي بكر الناصري عن والده المذكور عن والده سيدي علي عن والده سيدي يوسف عن عمه سيدي احمد بن محمد
عن والده الغوث سيدي محمد بن ناصر الدرعي وسنده مشهور والطريقة الخلوتية وهي من فروع
السهروردية عن الشيخ سيدي ابي بكر بن محمد الحداد المغربي عن سيدي فتح الله بن محمد المغربي من اهل
ريف مصر عن سيدي احمد الصاوي عن القطب سيدي احمد بن محمد الدردير عن القطب سيدي محمد بن سالم
الحفناوي عن القطب سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي
الخلوتي بسنده والطريقة القادرية الكنتية المختارية عن شيخنا ابي عبد الله محمد بن احمد الفياض
الحسني الادريسي عن الشيخ سيدي محمد بن عمر الكنتي عن الشيخ سيدي بابا عن الشيخ سيدي المختار
الكنتي بسنده والطريقة التجانية عن الشريف الولي الحسن سيدي العربي بن ابي السعيد العلمي
الموسوي عن سيدي ابي عزة بن الحاج علي حرازم بن العربي برادة عن والده عن الشيخ سيدي
احمد بن محمد بن المختار التجاني اولا وعنه ثانيا بدون واسطة ابيه وعن الشريف البركة العلامة مولاي
عبد المالك بن محمد العلوي الضرير والقاضي سيدي احمد بن محمد بناني كلاهما عن سيدي ابي عزة المذكور
وعن سيدي الحاج عبد الوهاب بن التاودي بن الاحمر الفاسي عن الشيخ رضي الله عنه وبسنده
والقاضي تحميد(?) بالخضر عن الشريف المامنتي(?) سيدي محمد بن ابي النصر العلوي العلمي(?) عن
الشيخ واخذتها ايضا عن الحسن البركة سيدي احمد بن محمد بن فتح(?) شيرز(?) القبرلاوي الحسني عن القطب
سيدي الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني عن الشيخ رضي الله عنه والطريقة المحمدية
الكتانية عن الوالد قدس الله روحه عن ابن عمه الولي العارف في الكرامات سيدي محمد بن عبد
الواحد المدعو الكبير بن احمد الكتاني وهي طريقته التي استقل بها داخرا(?) ورد(?) والطريقة
النقشبندية عن الشيخ محمد يوسف بن رحمة الله الازبكي نسبا الخوارزمي بلدا النقشبندي
طريقة الحنفي مذهبا عن الشيخ محمد اغا تقي بن الشيخ عبد الله السمرقندي عن الشيخ خليفة
صديق بن الشيخ ابراهيم السمرقندي عن الشيخ خاقنه(?) جنقاه(?) بن الشيخ خاجه يوسف
الهمداني بسنده الى ابي يزيد البسطامي ثم الى سلمان الفارسي عن ابي بكر الصديق عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واوصي المجاز المذكور واياي بالاعتماد في الامور كلها على الله وجميع التوسل
في نيل الاعلى فضله وعطاه وبالتقاء(?) الوجهة بتمامها الى الرسول الكريم ودوام الانتساب(?) وكمال
التخلق بخلقه العظيم ومحبة آل بيته واصحابه وكل من انتمى الى جنابه وبسط جناح الرافة
والرحمة لعامة المومنين والنصيحة والموعظة الحسنة لكافة المسلمين والدعوة الى الله بالليل والنهار(?) والبشرى
والتحريض(?) اليه سرا وجهرا واساله ان لاينساه وسائر المسلمين من دعواته الصالحة في كل وقت من اوقاته

٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

[illegible]

سيدي ومولاي الأفخم الجناب الرفيع والكهف المنيع ذو العلوم السنية والفيوضات الربانية السامي تاجا لأقرانه وغيث عيونه لأعيانه صاحب الفضيلة والسيادة سيدي الأستاذ السيد محمد بن جعفر الكتاني السلام عليكم وعلى سيادة واحبابنا الكرام السيد محمد الزمزمي والسيد المكي واخوانهم واخوانكم وانجالكم ادام الله الجميع قرة لأعين المسلمين بجاه الشفيع المحبوب الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اعرض لسيدي باني لما كنت في بيروت ذكرت لبعض الأحباب انه يمكن التوصل بواسطة الشيخ ابو الشامات الى المقصد لأسباب وبذلك ربما نستغني عن طريق الابراء فاجبت انه اهتم فيه بمصر ولكن لما رجعنا الى القدس نفذت منا النفقة فعزمت على الرجوع فبرع احبابنا بان يقوموا لنا بالمصروف ذهابا وايابا فوذلك لما رأوا منا لأكرام بركاتكم ولله الحمد وانه هذه المدة كلها نتقلب في انواع النعم وانا من خصوص العائلة ولله الحمد مثل خروجنا من الشام استفدت منه جدا اخوانا من اهل المدينة فلما الى بيروت ارسلنا لكم شيء مما فتح الله به ولما وصلنا الى حيفا وجدنا هنالك الأخ الحاج مصطفى وقام لنا بواجب كبير للعائلة جزاه الله كل خير وقام لنا بواجب عظيم مدة اقامتنا عنده جزاه الله كل خير فزودونا واياه بدعواتكم وابلغوا سلامي

رسالة من محمّد شريف اليعقوبي

إلى محمّد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله والحمد لله رب العالمين أما بعد من العبد الفقير إلى الله
عبد الحميد الآوي إلى حضرة مولانا الفاضل الأستاذ الجليل السيد الكامل محمد الزمزمي وشقيقه السيد محمد
مكي الكتاني أدام المولى تعالى بقاءهما.
وصلني كتابكما الكريم المبشر بوصولكما إلى الأوطان ورؤيتكما الأهل والأحباب فحمدنا الله تعالى
على ذلك وقد أسرنا كثيرا لسروركما أما في الحقيقة التي تعلمونها من قلبكما فقد
أوحشتمونا جدا نسأله تعالى أن لا يجعله آخر العهد بكما إنه على ما يشاء قدير.
أرجو التكرم بتقبيل أيادي سيدي وسندي مولاي الأستاذ الفاضل والعالم الكبير والمحدث العظيم
والدكم الكريم أمدنا الله بمدده وحفظه الله تعالى ذخرا للمسلمين أجمعين بجاه سيد المرسلين
عليه الصلاة والسلام.
سيتفقد كلامنا الجميع من المحبين كما نطلب منا جميعهم يهدونكما السلام وأولادنا يقبلون يديكما والله
تعالى يحفظكما آمين ١٥ جمادى الأولى سنة [illegible]
عبد الحميد
الآوي

حضرة سيادة [illegible] يسأل شريف خاطركم ويقبل أيادي سيدي والدكم العزيز والمحدث الكبير أدام
الله لنا بحياتكما جميع ولا تنسونا من صالح دعواتكم أمانة الله والدعاء لإخواننا في عالم الغيب مستجاب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتقبيل أيادي الكريمة [illegible] عني هي أمانة عندكم

رسالة من عبد الحميد الآوي
إلى محمّد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من محبكم توفيق الدوجي إلى سيده وأستاذه وعمدته وملاذه مدير فضله المعالم والمحاسن ونفع علمه المستفيد والفاضل. وذكرنا بحجاز بذوة العلماء الأقدمين وحكى لنا بأخلاقه سيرة الأتقياء والصالحين. وهدانا بنور علمه إلى محجة وسلك بنا بصفائه طريق المرشد العلامة المحدث رئيس العلماء وكبير الأولياء حضرة مولانا الأكبر السيد الكتاني. وإلى إخواننا وأحبابنا رفقائنا في الطلب وأسيادنا في النسب السيد محمد الزمزمي والسيد محمد المكي يسر الله لهم الوصول إلى مقام والدهم وأعمى عيون أعدائهم وبعد فقد تشرفت بكتابكم المؤرخ في ١٠ ربيع الثاني [illegible] والله ما تمالكت حينما أخذته بيدي أن جعلت أقبله مرات عديدة وأضعه على وجهي لأحصل على بركات صحيفة سطرتها تلك الأيادي الطاهرة. وحمدت الله على وصولكم بالصحة والسلامة نرجو الله سبحانه أن يكون بلادكم على ما يرضيكم ويرضي المسلمين عموما وتعيشون بأرغد عيش وأهنا حال بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم

وإني لا زال محزونا على فراقكم وبعادكم ولا سيما أهل بلادي الذين لم يقدروكم قدركم ولم يقوموا ببعض حقكم ولم يعرفوا ما يجب عليهم تجاه ذلك العلم الراسخ والنسب الرفيع من الواجبات والخدم (وإني كنت منهم) ولكن قدر الله أن يكونوا محرومين. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأرجو من السيد زمزمي أن يقبل عني يد الوالد ويطلب لي دعاءه. وأتمنى أن تمنوا علي بسطر في كل شهر لأنني كما أني لا أزال مقيدا في جملة التلامذة والمحبين ويهدي سلامنا العاطر إلى أنجالكم عموما كل واحد باسمه [illegible] بما يلزم من الخدم لسيادتكم [illegible]

٧ جمادى [illegible]

[illegible]

رسالة من توفيق الدوجي إلى محمد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله الذي أمد الأكوان بأسمائه وصفاته ونور الملك والملكوت بأنوار وأسرار سيد مخلوقاته سيدنا ورحمتنا ومنقذنا ومهذبنا ومرشدنا محمد سيد من بشر وأنذر وسبح وحمد صلى الله عليه وعلى آله وعترته نجوم المهتدين ورجوم المعتدين

أهدي تحياتي وتسليماتي العاطرة وأبث أشواقي المتكاثرة لمشاهدة أنوار سيدي ومولاي قطب العارفين وعارف الأقطاب الواصلين شيخ المحدثين وإمام العلماء العاملين الحجة الرحلة الثبت عمدة الإسلام وقدوة العلماء الأعلام ناصر السنة المحمدية وقامع أهل البدع والزيغ بالحجج الدامغة والأدلة الشرعية المرضية مولاي بركة الإسلام والمسلمين وناشر محبة جده الأعظم في قلوب المؤمنين مثال الكمالات المصطفوية وينبوع الكرم والجود والأخلاق المحمدية

ما كنت أعتقد المكارم والعلا والعلم والعرفان والإحسانا
قد حازهن من البرية واحد حتى رأيت بعيني البرهانا

كيف لا وأنت سيد الأشراف وعين أعيان آل عبد مناف والبضعة الزكية فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عند أهل الأرض والسماء

يا ابن الذي بلسانه وبيانه هدي الأنام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدومه التوراة والإنجيل

سيدي وأستاذي وملاذي وعمدتي وعياذي السيد محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الفاسي ثم المدني ثم الدمشقي ثم المدني متعني الله ومتع المسلمين بحياته ولا حرمنا مشاهدة أنواره وسماع أحاديثه ودوام بركاته آمين

والعائلة

مولاي والله نحن في شوق الى تقبيل اقدامك ونلقى نفحاتك وبركاتك وخوارقكم
زادنا ضعفنا على ما بنا بما ينتابنا كل يوم وليلة وساعة ولحظة من قصف مدافع وفرقعة
قنابل وازيز رصاص ونهب اموال وحريق بيوت وقتل نفوس وافتراس ذئاب ووحوش
بصور رجال حوالنا فعسى الله ان يرحم عباده المذنبين ويكف بأس من سلطهم على تأديبهم
ليرجعوا اليه بالعمل الصالح والدين المتين وقد بدأت ولله الحمد بشائر السلامة وندم كل واش
ومفسد وغاش على ما جنته اعماله اي ندامة فعسى ان يتم نعمه ونصره ويفتح علينا ببركاتكم
وتعود الطمأنينة الى القلوب ويجتمع المحب والمحبوب وتعمر الديار ويتم المجد والاستقلال والفخار
ونعود الى بلادنا الذي دعا لها جدكم عليه الصلاة والسلام بالبركة وتشرفونا بالعائلة
الشريفة على الرحب والسعة في داركم المباركة وبذلك تجبرون جروح الشام وتدمير القرى
ويكون ذلك للجميع جبر وقرى ادام الله للامة الاسلامية هداكم ولا حرم المحبين
بركاتكم وخوارقكم وفتح بخواطركم المباركة غوامض الحقائق وملأ بمعارفكم وعرفانكم
المغارب والمشارق ولا زال بحر حقائقكم المحمدي زاخرا وسحاب جودكم الحاتمي
الغمري ماطرا وضياء مجدكم لامعا وكوكب هداكم طالعا ولا زلتم قدوة لمن
اقتدى وسراجا منيرا لمن استرشد واهتدى وسيفا قاطعا لمن على السنة كفرا اعتدى
هذا وقد حرر سيدي الاستاذ الكبير العلامة الصوفي السلفي الاستاذ الشيخ توفيق ابو النفع الايوبي
الانصاري كتابا لسيادتكم في دارنا بحضور زمرة من اخوان الصفا وخلان الوفا
منهم سيدي الشيخ عبد الله النجد وبه بثثنا بعض ما عندنا من شوق لتقبيل
اقدامكم وايديكم فعسى ان يكون وصل وحظي بلثم يدكم الشريفة وقد وقع لي كرامة
في تحريره من نوع الكرامات المصرية لما كنت نجد شكركم وكلما اظهرت كرامة (استغفر الله)
او صادفت كرامة بعدها لسيدي وحبيبي ونور عيني السيد الكبير المنير محمد المكي وكان يعرفها
له سيدي ومولاي واستاذي وبركتي الشمس المشرقة السيد محمد الرمزي وحين اني
اقترحت على الاستاذ الانصاري ان يحرر كتابا لسيادتكم نبث فيه شوقنا لمشاهدتكم ه

ونجعله مقدمة لعرض زيارتنا لبيروت عليكم واذ بسيدنا عدها كرامة له حيث من جملة
النيات بزيارته المحسوبة ان يحرر عندي كتابا لسماحتكم ثم لما ذكر ذلك تذكرت كراماتي
في مصر وهجوم سيدي محمد الازهري عليها وتشبثها له وضمها اليه ثم اتفقنا على ان نرفع هذه
القضية والنازلة بين يدي مولانا في بيروت في داره العامرة ثم بعد ان
نملأ العين والاذن والقلب وننعش الروح والفؤاد ببث هذا بذكر وسماع
احاديثكم واسماركم نعود للشام بمعيتكم ومعية بقية العائلة الكريمة
ان شاء الله تعالى لان المياه كادت تعود الى مجاريها وان الامر الذي نزح
سيدي لاجله زال بحول الله وقوته ومنه وبركاته
فعسى ان نتشرف الى بيروت وسيدي الى رحابكم قريبا ان شاء الله تعالى
ولا اقدر ان اقول في هذا الاسبوع ربما الذي بعده ان اراد الله تعالى
وفي الختام اسلم على سيدي الحبيب السيد محمد الازهري الذي جبر قلبي وجاوبني
على كتابي واخاطبه

فوالله ما اخرت عنك رسائلي ... لامر سوى اني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة ... فما ساغ ان اهدي لمثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة ... وان كان درا كيف يهدى الى البحر

واسلم على سيدي نور كمالي السيد محمد المكي الذي حرمني منذ توجه من الشام
من كلمة او سلام ردا على كتابي الصغير فاصبح المعايرة واقول متذكرا ايامنا

سلوت عن كل شيء كنت آلفه ... الا استماعي اخبار المحبينا
اذا شكا بعضهم وجدا بكيت له ... وان دعا قلت بالاخلاص آمينا
ما ذاك الا لاني قد لقيت كما ... لاقوا وكابدت ما قد كابدوا حينا
لكنني لم اجد من كان يسعدني ... واني مسعد من كان محزونا

هذا وان خادمكم عبد الجليل كثيرة اشواقه لمشاهدتكم وطلب بركاتكم ودعواتكم

فان خادمتكم ام شعبون وخدمتكم ام البنين وام الفضل والاحسان وام الدراري والذراري

سواء اليه دار التمويس يقبلون اقدامكم ويطلبون رضاكم وبركاتكم ويبثون شوقهم ويهدون

سلامهم الى الاهل والعيال ستة فردا فردا فلو كانت الدار العامرة تسعنا لا تيت

بهم حتى لا يتزلزل من برد ست الاب العائلة وكثرة الدراري وجميع الذرية المباركة

التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء

كما انى سابقا اودعت سلاماتكم لسيدى الورع الصالح التقى النقى الذى يموت

وحده ويبعث وحده كامة مثل ما قيل عن سيدى وجدى سيدنا ابى ذر الغفارى

رضى الله عنه سيدى الشيخ محمد سعد الله الحريرى حبيبى منذ نعومة اظفارى ولا ادرى اكرمنا

من اى ارضه مثلى لانى عجمت عوده وعرفت سعوده فانى اودعكم سلامى

اليه على ان تدعوالى وله بان يختم الله لنا بالسعادة العظمى والخاتمة الحسنى

وان يجمعنا بكم مع خادمكم المرحوم احمد شفيق تحت لواء جدكم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

كما انى اسلم على سيدى العالم الفاضل مفتى مسلمى الشرق والغرب سيدى محمد العربى واسلم

على سيدى الحبيب العالم الصوفى المكرم الزاهد محب الدراويش ومحبوبهم سيدنا السيد الشريف

اليعقوبى الحسنى (لا الاسرائيلى) كما كان يتوهم البعض انه من نسل سيدنا يعقوب عليه وعلى

نبينا افضل الصلاة واتم التسليم كما انى اسلم على سيدى الذى لابد وان الله

ان يسعده السعادة الابدية بقيامه بخدمتكم بالنيابة عنى وعن كل محب

فانى بمحبتكم السيد مولانا احمد الغماتى واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

كما انى اسلم على العالم الفاضل الذى اوقف نفسه على الخدمات العامة للمسلمين الشيخ نور قبيبه

اخذه الابدى وبخلة السيد جليل افندى وامره بالسلام عليها التى اكساد فى المخلصين الحب

لكم حقا واحزه السيد ابو الوفا احف الوضع الذى ما رأيت مثله فى الاخوان بالتمام

للامور الادارية الكتابية والسيد الحريرى ولولا خوف سوط الملامات الكرام ونقول

ما قل ودل خير مما كثر وقل والسلام على سيدى ورحمة الله وبركاته والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

خادمكم المخلص
عبد الجليل الدرا

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

هذه صورة إجازة كتبت للشيخ عبد الجليل الدرا سنة ١٣٢٢ في صحيح البخاري من طريق ابن سعادة
وبها إجازة بغير هذه الطريق

الحمد لله مجيز من استجازه والصلاة والسلام على أفضل من نال الفضل وحازه
وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار أما بعد فقد التمس مني الفقيه الأديب
الأفضل سيدي عبد الجليل بن الشيخ محمد سليم بن الشيخ محمد الدرا الدمشقي أن (السمي الأجل أبو أحمد الشيخ)
أجيزه في كل ما ثبت لي وعني من العلوم والكتابات والتصانيف والعلوم
والطرق والأذكار والأدعية المأثورة عن الأخيار مستحسنا في ذلك ذا ورام
ومبتغيا الحظوة من العدم ولما رأيته من حسن نيته ورجوته من صالح دعوته
أجبته لذلك وإن لم أكن أهلا [redacted] لما هنالك فقلت مستعينا بالله معتمدا
على فضله وعلاه أجزت الفقيه المذكور والسيد المسطور في
كل ما يجوز لي وعني من معقول ومنقول وفروع وأصول وكتابة وتصنيف
وتقييدات وتآليف وأذكار وأدعية وطرق للسادات الصوفية إجازة تامة
مطلقة عامة بشرطها المعروف وقيدها المقرر المألوف وقد رويت عن جماعة
كثيرة من الأئمة العظام أساطين الدين والإسلام يطول جلبهم ويعسر
استيعابهم ونقتصر هاهنا على ذكر سندنا بصحيح البخاري من طريق المغاربة (مسند البخاري برواية ابن سعادة)
برواية ابن سعادة التي هي معتمدهم فنقول أخذت الصحيح قراءة لبعضه
وإجازة لباقيه عن شيخنا العلامة الحسن البركة المحدث المعقولي أبي العباس
أحمد بن أحمد البناني عن شيخه إمام الحرم الإدريسي بفاس وخطيبه ومدرسه (ح)
وشيخ الجماعة سيدي الوليد بن العربي العراقي الحسيني عن شيخه أبي الفيض
سيدي حمدون ابن الحاج عن سيدي أبي عبد الله محمد التاودي ابن سودة المري
عن أبي العباس أحمد بن المبارك السجلماسي عن أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي
عن شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي عن عم أبيه العارف

بالله

صورة إجازة محمد بن جعفر الكتاني
لعبد الجليل الدرا في «صحيح البخاري»
من طريق ابن سعادة

بالسند سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن أبي عبد الله محمد بن قاسم القيسي الشهير
بالقصار عن سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي عن سيدي وشيخه عبد الرحمن سقين العاصمي
عن أبي عبد الله محمد بن غازي العثماني المكناسي عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم
السراج عن أبيه أبي القاسم عن جده أبي زكرياء يحيى عن أبي البركات
محمد بن محمد السلمي البلفيقي عن أبي جعفر بن الزبير الثقفي عن أبي الخطاب
ابن خليل السكوني عن أبي الخطاب بن واجب القيسي عن أبي عبد الله محمد بن
يوسف بن سعادة عن أبي علي الصدفي عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذر
الهروي عن شيوخه الثلاثة المستملي والكشميهني والسرخسي عن أبي
عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن البخاري رحمه الله وبهذا السند إلى القصار بأسانيده
أروي بقية الكتب الستة وغيرها من المصنفات الحديثية وأما كتب السادة
الصوفية فأروي منها الطريقة الشاذلية الدرقاوية عن [illegible] البركة سيدي [كثيرا من جملتها]
عبد الرحمن بن الطيب بن العربي (بن أحمد) الدرقاوي عن والده عن جده وهو شيخ هذه
الطريقة والطريقة القادرية الكنتية عن الشيخ الذاكر سيدي محمد بن
أحمد الغيلاني عن سيدي محمد بن عمر الكنتي عن سيدي محمد عن الشيخ القطب سيدي
المختار بن أحمد الكنتي وهو شيخها والطريقة الناصرية عن الشيخ
سيدي أحمد بن أبي بكر الناصري عن والده سيدي أبي بكر عن والده سيدي
علي عن والده سيدي يوسف عن عمه سيدي أحمد عن والده الغوث الكبير
سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهو شيخها والطريقة الوزانية عن الشيخ
سيدي محمد بن علال الوزاني عن سيدي الحاج عبد السلام بن العربي الوزاني عن
والده سيدي العربي (عن والده سيدي علي) عن والده سيدي أحمد عن والده سيدي الطيب عن أخيه سيدي
التهامي عن والده سيدي محمد عن والده مولاي عبد الله الشريف الوزاني وهو
شيخها والطريقة الكرزازية عن سيدي أحمد بن الكبير الكرزازي عن سيدي محمد بن
علي الكرزازي عن سيدي محمد بن محمد الكرزازي بسنده إلى جده الشيخ سيدي أحمد بن

موسى الكرزازي وهو شيخها والطريقة التجانية عن عمنا شيخنا
الشيخ سيدي احمد بن محمد البناني عن سيدي الحاج عبد الوهاب بن الاحمر عن
القطب سيدي احمد التجاني وهو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
والطريقة العبد المالكية عن شيخنا مولاي عبد الملك بن محمد الضرير
العلوي المدغري وهو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلا واسطة
والطريقة الريسونية عن الشيخ سيدي عبد السلام فتحا بن علي ريسون وهو
شيخها والطريقة الشرقاوية عن الشيخ سيدي الحسن الشرقاوي
عن ابائه الى الشيخ القطب سيدي محمد الشرقي وهو شيخها
واوصيه وإياي بالتقوى وترك الهوى واسقاط الدعوى وملازمة
العلم واهله ومحبة آل البيت المنتسبين اليه والى النبي صلى الله عليه وسلم
الاشراف والاشتغال بما يعنيه وترك ما لا يعنيه والله يوفقنا للخير
ويعيننا عليه ويفتح بصيرتنا في العلم النافع ويهدينا اليه آمين واطلب
منه ان لا ينساني من دعواته الصالحة في كل وقت والله يجازيه [illegible]
[illegible] قاله وكتبه عبد ربه تعالى الفقير الجاني محمد بن جعفر بن
ادريس بن الطائع بن ادريس الحسني الادريسي الشهير بالكتاني
غفر الله ذنبه وستر عيبه وكره [illegible] آمين وذلك بمحروسة دمشق الشام
[illegible] في اوائل شهر ربيع النبوي الانور عام ١٣٢٢
من هجرة من انزل عليه افضل الصلوات وازكى السلام والسلام على جميع
من يقف عليه ورحمة الله تعالى وبركاته ه

تمت

عن ابائه الى الشيخ سيدي محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي التوفيق والهداية وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا حبيبنا محمد وعلى آله وعترته وصحبه

لمعالي كهف الانسانية وملاذ التحقيقات العلمية فخر المسلمين محدث الشرق والغرب امام التقوى والآخذ بالعروة الوثقى درة العقد في آل البيت المعظم مولانا وقرة أعيننا وسيدنا السيد محمد بن جعفر الكتاني امد الله العالم الاسلامي بعطفه وشمله بلطفه

ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني ... اذ انت فيه مكان السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب ... فقد تحيرت بين الصدق والكذب

مولاي ومولى اهل الاسلام ومولى المسلمين لقد طالت مدة ولم تعطفوا فيها بالمكاتبة لأهل هذه البلاد التي هي [illegible] الى قرب [illegible] اهديتم نسأل الرحمن جل جلاله ان يعمر جميع اوقاتكم بالراحة والهناء وان يقر العيون بعطفاتكم التي هي الروح لأرواحنا والحياة لافئدتنا وهو على ما يشاء قدير [illegible] آخر العهد بتردادكم في بيروت بتحرير فاجأنا بتحقيق عزمكم على السفر ونزول البحر وما كدنا [illegible] ولكن ابتهلت القلوب الى الله بان يحفكم والجميع بالسلامة [illegible] في كل حط وترحال ومسير واقامة [illegible] الاخبار المبشرة وللمحمد بتشرف مدينة فاس الزاهرة العامرة الميمونة بنعمة حلولكم فيها تلك النعمة التي يغبطها عليها كل قطر اسلامي وكل فاد تشرق في سمائه شمس علم جعلكم الله في بحبوحة عنايته وامداد حمد انيته اينما حللتم ومنذ نحو خمسين يوما بينما كنت في درس النساء اليوم يوم الاثنين المبارك ورد علي [illegible] ابكى الحاضرين [illegible] الدعاء بالقلوب المبتهلة الى الحق بان من سبق له في علم الله تعالى من عائلتكم وحاشيتكم الاقامة في مدينة فاس فيجعل الله له اسباب النشاط والسلامة فيها وان يقر اعينكم بالجميع ويجبر قلبكم وقلوب من سبقت له العودة الى هذه الديار الشامية من عائلتكم وحاشيتكم لتجبر واقلوبنا بقرب مشاهدتكم وان يكرمنا بخدمتكم في التشرف بزيارة الحاضرة المحمدية [illegible] الا ان نرجو اعادته الآن ولكن الحال استبشرت منه كثيرا [illegible] الرجاء والآن [illegible] من حضرات القريب [illegible] مولانا [illegible] السيد المكي [illegible] واقر عيون اهل السماء والارض [illegible] بسلامتكم وتوجهاتكم وهو بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٥ [illegible] بعطفكم وتوجهاتكم [illegible] لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد عجبنا من طول مدة البريد والحمد لله [illegible] نرجو دوام عطفكم والدعاء بقرب مشاهدتكم ونرجو اهداء اشواقنا وتحياتنا لكل من حضر [illegible] العظام [illegible] الاحباب لكلام هذا يقبلون اقدامكم [illegible] عطفكم ودعواتكم [illegible] السلام مولاه

محمد [illegible] عبد الرحمن [illegible] الخطيب

الاثنين [illegible] ١٣٤٥

رسالة من عبد الرحمن الخطيب وأخيه هاشم الخطيب
لمحمد بن جعفر الكتاني

صورة اجازة الشيخ محمود
بن الحما صاحب مدرسة
التهذيب الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله مجيز من استجازه والصلاة والسلام على أكمل من نال الفضل وحازه سيدنا محمد
ومولانا محمد المصطفى في الفضل العظيم والوصل وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار أما بعد
ولله الأمر من قبل ومن بعد فإنه لما قدمت الشام ومن الله علي بالاجتماع بمن فيها من الفضلاء
والاطلاع على من جذبته يد الحقيقة الكاملة إليه وتردد علينا في الدعاء الشيخ الفاضل والهمام
الكامل المحافظ على دينه ومروءته العامل بما علم جعل مستطلعته الحريص على التحصيل والجد في تقييد
ما يسمعه من كل كثير وقليل السيد محمود بن السيد أحمد ياسين عامله الله بلطفه في كل حين وأنه حضر في
مجالس عديدة وتردد إلى منزلي مرات عديدة وكان مما حضر فيه ختم الشفاء بالجامع وجملة كبيرة
من مسند أحمد ومن اختصار الشمائل النبوية لأبي عبد الله الزرقاني أحمد ومن شرح الصغرى لمؤلفها
السنوسي أبي عبد الله أقر الله عيون أهل طاعته بقراءة وكتب في فيها وفي غيرها كتابات
واسعة وفوائد عظيمة القدر شاسعة وذاكرني في أشياء تلك عن فهم المذاكرة فيها والبحث عنها
وسألني عن أشياء بحسب هذا الوقت السؤال وطلب الإجابة عنها ثم طلب مني الآن لما أراد عزمه
وتصميمه على الرجوع لبلاده وطلب الإجازة العامة الوافية التامة فيما قرأه وفيما لم يقرأه حتى
العلوم منطوقها والمفهوم ومن الدعوات والأحزاب والأذكار والطرق ونحوها من أسرار
الله وكان اقتداء في ذلك بالسلف الصالح وجريا على منهاجهم الواضح فأجبته لذلك وإن لم أكن
أهلا لما هنالك رغبة في محبته وطلبا لصالح دعوته فقلت مستعينا بالله وما توفيقي إلا بالله
أجزت الشيخ المذكور والفاضل المشكور في كل ما لي وإلي مما حملته ويصح عني من معقول
ومنقول وفروع وأصول وأدعية وأحزاب وأذكار وطرق جليلة المقدار وغيرها من المطالب
التي تشتغل الطالب بشرطه ذلك المعروف وعلى نهجه المألوف والتشبث في العلم والرسوخ والرجوع
فيما لا يفهم منها إلى عالمه في السر والنجوى وقد أخذت شرقا وغربا عن جماعة وافرة من
العلماء واجتمعت بمن لا يحصى من الفضلاء والصلحاء وأخذت عنهم واقتبست منهم مما فيه غاية
المنى والسؤل وشرح هذا هنا يطول ولي منهم في الحديث الشريف وغيره أسانيد سلفية وطرق
متكاثرة نامية اقتصر منها هنا على طريقين إحداهما مغربية والأخرى مشرقية فأقول أما
المغربية فإني أخذت الموطأ والكتب الستة وغيرها من الكتب الحديثية قراءة للبعض وإجازة

صورة إجازة محمد بن جعفر الكتاني لمحمود ياسين الحمامي

للبعض الآخر من شيخنا المسن البركة الشيخ علي وغيره عن أبي العباس أحمد بن أحمد البناني عن شيخه
أبي عبد الله محمد المدعو الوليد بن العربي العراقي ... عن شيخه أبي الغيث حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج
السلمي المرداسي عن شيخه أبي عبد الله محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المري عن أبي العباس أحمد
ابن المبارك اللمطي السجلماسي مؤلف الإبريز عن شارح الموطأ والشفاء أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي
عن تاج الأمة وإمام الأئمة أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي عن عم أبيه العارف بالله
عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن إمام الأقطار والأمصار محدث المغرب أبي عبد الله محمد بن قاسم القيسي
الغرناطي الشهير بالقصار بأسانيده العلوية المفصلة في ثبته وفي أثبات المغاربة وأما المشرقية
فإني أروي الكتب المذكورة قراءة للصحيحين بتمامهما وللشمائل وللشفا وإجازة لباقيها مع قراءة
الأوائل والأربعين العجلونية المشهورة عن شيخنا العلامة معمر الحجاز في عصره أبي الحسن
علي بن ظاهر الوتري المدني وهو يروي عن جماعة كثيرة من الشيوخ من أجلهم الشيخ عبد الغني بن أبي
سعيد العمري المجددي النقشبندي الدهلوي شيخ المدينة وله اليانع الجني في أسانيد الشيخ
عبد الغني عن الإمام المحدث محمد عابد السندي شيخ المدينة وهو صاحب الثبت الشهير الكبير المسمى
حصر الشارد بأسانيد محمد عابد عن الشيخ صالح بن محمد الفلاني شيخ المدينة صاحب قطف الثمر
في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ومن أجلهم الشيخ عبد الغني الدمشقي الميداني شارح
القدوري عن محدث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي وله ثبت عن والده
الشيخ [illegible] محمد الكزبري وله ثبت أيضا عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير
وله أيضا ثبت عن محمد بن أحمد عقيلة المكي وله مسلسلات وكتاب هدية الخلان وكتاب عقد
الجوهر في سلاسل الأكابر ذكر فيه أسانيده وفي الأخير غالب طرق السادات الصوفية
عن الأئمة الثلاثة المكيين أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي والشهاب أحمد بن محمد النخلي وعبد الله
ابن سالم البصري وأثباتهم معلومة والأول والثالث يرويان عن محمد بن محمد بن سليمان
الروداني صاحب الثبت الكبير المسمى بصلة الخلف بموصول السلف سلك فيه مسلك الإتقان
وأتى فيه بالعجب العجاب ومن أقران الشيخ عبد الغني هذا يروي شيخنا الوتري الأربعين العجلونية
عن الشيخ المعمر أحمد منة الله المالكي الأزهري ٢٤٥ عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري
عن الشيخ أحمد بن عبيد العطار الدمشقي عن جامعها الشيخ إسماعيل بن محمد جراح العجلوني
وأسانيدهم بها مذكورة في ثبته والشيخ أحمد منة الله هذا أخذ عن الأمير الكبير وعنه يروي ثبته

ثبته المشهور فيستفاد منه وهو الأمير والسقاط والعدوي والأمير يروي عن أبي الحسن
نور الدين علي بن أحمد الشهير بالعدوي المالكي وعن أبي الحسن نور الدين أيضا علي بن محمد العربي
السقاط الفاسي ثم المصري المالكي وعن الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي الشافعي الأزهري
وعن الشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي الشهير بالجوهري وعن القطب الشهير محمد بن سالم
الحفناوي الشافعي الخلوتي وأثبات هؤلاء الجميع معلومة والحفناوي يروي عن العارف بالله
محمد بن محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت وثبته مطبوع وهو والحسن يأخذ عن
القوراني في ذكر الأسانيد العوالي وهو الذي اختصر منه الشناوي ثبته المذكور وسماه نقطة
الشناوي والعجمي يروي عن الملا إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني الشهرزوري نزيل
المدينة المنورة وثبته مطبوع وهو المسمى بالأمم وفي هذه الأثبات كفاية لمن كانت له
عناية واسعة بتقييد واعتناء بالتفتيش وأوصيه حفظه الله بتقوى الله وبالمثابرة على نشر العلم
تعلما وتعليما والنصح لعباد الله والإكثار من قراءة وتلاوة وبتلاوة القرآن والإكثار من
الصلاة على الرسول العدنان صلى الله عليه وسلم في كل وقت وأوان فإنها من أعظم الوسائل إلى الرحمان
ومحبة الشرفاء وتعظيمهم وتوقيرهم وسلوك طريقتهم والذب عن ساحتهم والتعلق
بالجناب الأعلى والسيد الأكبر الذي هو محل كمال الحمد والإمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه باب
الله الأعظم الذي لا وصول إليه إلا من بابه ولا تقرب إلا من جنابه فبكماله يتحقق به
يحصل للعبد غاية المنى وينال في الدارين كل ما يتمنى والمطلوب منه أن يجعل وردا يواظب
عليه من الأوراد المأثورة إليه وعليه وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته
والله يوفقنا لرضاه ويقربنا لما فيه هداه آمين وأجيز بمثل هذه الإجازة صاحبه ورفيقه
الجليلين الفاضلين الكاملين سيدي الشريف بن سيدي ... والسيد توفيق
ابن السيد صالح الروحي كان الله لهم ومن بتوفيقه وهدايته عليهم آمين والحمد لله رب
العالمين قاله وكتبه عبد ربه تعالى الخاطئ أبو الفيض محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع
الكتاني الحسني الإدريسي ... في ثامن وعشري محرم الحرام فاتح عام ١٣٢٥ بمدينة بيروت

باسمه سبحانه وعز شانه

السيد المولى، امام من فعلى، المستضيء بنور شمائله المحمدية، وكريم اوصاف اخلاقه المرضية، المرجع فيما الم من المشكلات، كشاف لثام المسائل المعضلات، حضرة العلامة الوحيد، والفهامة الفريد، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والرافع بين البرية اعلام الطريقة، سيدي المعظم الامجد، مولاي السيد محمد لازلتم محفوفين بالاجلال، ومرتدين باردية الفضل والكمال، اما بعد اهديكم من السلام اعطره وازكاه، ومن الشوق ادمه واوفاه، مع تقبيل اناملكم الشريفة، وطلب رضاكم ودعواتكم المنيفة، عرضه برجاء سيادتكم وامت نفسه تعالى عليكم، ان تفضلتم بالسؤال عن هذا الداعي المحسوب، واني بالعجز والتقصير منسوب، المخلص في محبتكم القلبية، والشمول بدعواتكم الغيبية، فانه بحمد تعالى في ارغد عيش واحسن رفاهية، وليس عليه شاق، سوى الم الفراق، نسأله تعالى الحنان المنان، صاحب الفضل والاحسان، ان يمن علينا بالتلاقي، في اقرب آن وزمان، على احسن بال، واكمل حال، بجاه سيدنا محمد والآل، وليس على الله بعزيز، فانه سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير، وبالاجابة جدير، وبينما ننال من راحة وفاتكم الاسمى، ومكارم اخلاقكم الحسنى، اذ ورد علينا عزيز الكتاب الكريم، والخطاب الجليل الفخيم، من حضرة الاخ الشفيق الفاضل والاديب الكامل، سيدي المعاني، مولاي السيد عبد الرحمن، زيد فضله، وعلا في الانام قدره، بحوزة سيدي الاستاذ العالم العلامة النحرير، والمفضال الهمام الخطير، قاسمي زاده مولانا الشيخ جمال الشام، ونادرة الايام، متعنا الله بطول.

محياتكم وحياتنا الحاوي عن سلامة وصحة قراجلكم العاطرة وعن يلوذ بنادكم العامر فشكرنا
عز شانه على ذلك ونرجوه جل علاه دوام ذلك بمنه وكرمه وارجو من سيدي الاستاذ ان
لاينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته لاسيما في ساعة التي ينفرد فيها بالمعبود في
ركوعه وسجوده والمأمول من حضرته ايضا ان لا ينقطعنا كلما سمحت الفرصة بالمكاتبة
لانها قيل انها نصف المشاهدة وقال الاديب الشاعر النجيب

بالله ان تقطعوا عنا رسائلكم … فان فيها سرور السمع والبصر

فانها من مكارمكم الزائدة لكي يحصل بها الاطمئنان عن صحتكم الرائقة مع تقبيل انامل
حضرة سيدي الامام الكبير والعالم الجليل الوالد العزيز الافخم شيخ الاسلام وقدوة الانام
متعكم الله بالنظر اليه واحياكم الله على طلب رضاه ومرضاته مع اهداء سلامي اليه وطلب الدعوات
الصالحة منه لاسيما حضرة الشقيقة المشار اليه مع ابلاغ سلامنا لحضرة نجلكم الكريم والشهم الفهيم
الاخ بالله الشاب الاديب سيدي الكامل السيد محمد الزمزمي زيد سموه وافر عيون الاخيار
والابرار به بمنه وفضله خصوصا نهدي اشواقنا لحضرة الفاضل والاخ الكامل سيدي السيد محمد المكي
وعلى بقية انجالكم المحروسين بالله والاخوان الكرام الذين كانوا مع حضرتكم الزاهية مع طلب
الدعاء منهم وابلاغ سلامي اليهم كما من عندنا حضرات العلماء الاماثل الاعلام ادامهم الله لنا
وجودهم هداة الانام وسائر علماء المسلمين في الاسلام منهم حضرة سيدي الاستاذ المشار اليه الشيخ
صالح الذي ايضا وحضرة اخيه الشقيق والمحب الرفيق الاوحد في باب الله الفاضل الكامل الشيخ
قاسم الذي ايضا وحضرة شيخنا العلامة الاستاذ الشيخ عبد الحكيم ابن الافغاني وحضرة
استاذنا العالم المحقق الشيخ محمد بدر الدين ايضا وحضرة الاستاذ المرشد الكامل وملاذنا الافضل
حضرة سيدي السيد محمد المبارك الحسني الجزائري والجميع هائمون بكمال المحبة والسلامة الوافية والسلام
على حضرتكم الزكية المسكية ورحمة الله وبركاته ختام

حرر في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٢

رقمه بقلمه وقاله بفمه
الفقير الى عز شانه
ابو عبد الله محمد ياسين
الفراء

رسالة من محمد ياسين الفراء لمحمد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له أحد وهو القوي على ما عليه كان

والصلاة على نور الوجود والسبب لكل موجود وعلى آله وأصحابه الركع السجود وبعد فيا شيخنا

جناب حضرة سيدنا وسندنا فريد عصره ونادرة زمانه السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني

أدام الله ظله علينا وعلى المسلمين آمين آمين تشرفت [illegible] ما أبداه الكرام الشيخ سيدي محمد السيد

[illegible] تقبيل أياديكم الكرام إذ في أبرك وقت [illegible] بينما لم يجد آخر العهد وبحضرة [illegible]

الزمزمي والسيد محمد المكي فرحنا [illegible] الأوجاك [illegible]

في هذا العام في حرمه وحرم نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وإن كنت أراكم معنى على الدوام

وفي قلبي من أول [illegible] فسرني ذلك أمدنا الله بمددكم على الدوام سيدي [illegible] بما يليق بكم

الشيء [illegible] وإذا انشرح صدركم [illegible] شيئاً من أوراد الكتانية مع الإجازة بها

مسلسلة النظر لكم سيدي مع المداومة على ما أجزتم [illegible] ذاكرا يا واحد يا أحد يا واجد يا موجود يا جواد

وأيضاً إذا انشرح صدركم [illegible] بتلاوة البردة الشريفة حيث إن أمرت [illegible] بتلاوتها

وحيث إن الفاضل الشيخ عمر الخربوطي ذكر في شرحه شروطها [illegible] لا يخفى سيدي منها الإذن [illegible]

ثم إن جنابكم سيدي العاجز المضطر إليه في جميع أحواله وأقواله وأفعاله فإن التفت بنعمه

وأشكره على [illegible] فمن [illegible] أن أذكر أسياد من الكرام الشيخ السيد محمد زمزمي وسيدي السيد محمد

مكي لإيصاله كتابه للعاجز فكان السبب في تيسير لتحرير سيدي (وفي الحقيقة الشكر رؤية

المنعم لا رؤية النعمة) بينا يحققنا في رؤية المنعم على الدوام مع [illegible] نور نبيه عليه أفضل الصلاة

والسلام والسلام على من يلوذ بكم وعلى كل محب لكم [illegible] وما طرفنا [illegible] نخبر نسلوك بأذكاركم

والصلاة والسلام في البدء والختام على النبي الشفيع يوم الزحام وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان

كريتية المردف بعنيه [illegible] في جمادى الأولى [illegible] سنة ١٣٢٧

[illegible] محمد صالح أفندي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سيدنا العلامة والمحقق المدقق الفهامة انسان عين الدهر وشامة وجنة هذا العصر شمس السلالة الطاهرة المحمدية وطلعة قمر العترة الهاشمية وواسطة عقد نظام الأسرة المباركة الكتانية حصن الشريعة والحقيقة وكنز اسرارها الدقيقة كوكب الهداية والارشاد وكعبة القصاد التي تطوف حولها وفود العباد من اقصى البلاد مجلى جمال العلم ومظهر الكمال والحلم بحر الكرم والجود ومطلع كوكب البشائر والسعود ذو الايادي البيضاء والمزايا الغراء التي يقصر عن تقدير فضلها اعظم المدح وابلغ الثناء روضة مكارم الاخلاق الحميدة ومرقد اسمى المراتب المجيدة حضرة سيدنا المولى الافضل والمرشد الكامل الاكمل الجامع بين الشريعة والطريقة والسالك باجتهاده الى اسمى مقامات الحقيقة اعني به حضرة سيدنا الاستاذ والملجأ الملاذ مولانا الحسيب والشريف النسيب السيد محمد بن سيدنا جعفر الكتاني مانح النفحات الذكية لكل قاص ودان ابد الله تعالى حياته السعيدة وايد مرامي تقارير علومه المجيدة وابقاه للأمة الاسلامية ركنا ركينا وللملة الحنيفية حصنا حصينا ما دار الدوران وتعاقب الملوان

اعرض يا سيدنا عن تقبيل اياديكم الشريفة والتماس صالح ادعيتكم المنيفة انكم بعدتم عنا بالامس فان بعدكم كبعد الشمس مطلعها في كبد السماء ونورها مشرق في سائر الاقطار والافضاء وها انا في ابرك الاوقات واجل الساعات تناولنا تحريرا كريما بل كتابا عظيما تكرم بارساله حضرات اشبالكم الاكارم بل انجالكم الاعاظم فلا زالوا مشمولين بعين العناية الصمدانية ولا برحوا محفوفين باللطائف الرحمانية ممنوحين من نفحات عواطفكم القلبية فتناولناه بايدي السرور وتلوناه بلسان الفرح والحبور بين الاهل والاحباب والاخوان والاصحاب وكررنا تلاوته بين الملا وكلما كررناه حلا فعلمنا علم اليقين باننا واخواننا لم نبرح مقيدين في سجل الرضا من قلبكم النقي الطاهر مسجلين في صفحة العطف من فؤادكم النزيه الطاهر معترفين بالتقصير عما يجب علينا من اداء الشكر والامتنان ولكن

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

وان فوزنا بنعمة عواطفكم القلبية يطمعنا بكرم سماحكم ويطمئننا على دوام شمولنا بانظاركم النورانية مع تقديم واجب احترامنا لحضرات انجالكم الافاضل ومن هنا جميع اخواننا يتشرفون بتقبيل الايدي الكريمة ويأملون الفوز بصالح ادعيتكم العميمة والسلام عليكم سيدي في البدء والختام

الفقراء

عبد الرحمن عبد الله
عبد الرحيم
كاتب الأحرف القطب

انجال ابو الشامات

يقبل اياديكم مع طلب صالح دعائكم على الدوام والسلام تكل من اخوانا والسلام عليكم مولاي

... جمادى الثاني ...

رسالة من محمد صالح الآمدي إلى محمد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
لجناب معالي أستاذي وسيدي وملاذي سيدي السيد محمد الكتاني
وفقه الله آمين
وبعد فقد تشرفت بكتابكم الباهر وحسن خطابكم الزاهر فتلوته
بفرح وسرور وحمدت الله سبحانه وتعالى عن صحة سلامتكم
وبعده أهدي سلامي إلى زوجتكم الزكية وأقبل أياديكم الكرام
وأطلب منكم الدعاء، وبعده سلامي إلى أنجالكم السعيدة سيدي الزكي
وسيدي المكي حفظهم الله أجمعين وأهدي سلامي إلى شقيقتي السيدة
خديجة وبناتها وإلى جميع العائلة كبيرهم مع صغيرهم وأهدي سلامي إلى السيد
أحمد وبعده يا سيدي إن سألتم عن حالة الأزهر فحالة الأزهر
ليس كما تعهدونها فإنه من يوم قيام الثورة على الإنكليز فإنه
فرقهم وجعل لهم في كل مديرية معهد علمي ودخلوا على الأزهر دروس
رياضية مثل الجبر والحساب والخط والإملاء والإنشاء والتاريخ وغير
ذلك من العلوم التي لا يعبأ بها وجعلوا فيه امتحانا وجعلوا كل يوم يقرأ
في بعض دروس اثنان من الرياضية واثنان من الدينية وصار
مجاورو الأزهر لا قيمة لهم عند الأهالي مطلقا وأنا قطعت في نفسي
أن [illegible] عندهم إما من كتب وإما من أكل وإما من لبس وغير ذلك
الذي [illegible] منه عندنا ثلاثة أمثال أو أربعة حتى. والمعيشة في مصر
صعبة [illegible] الآن ما لا نهاية وإن سألت عن القراءة فالقراءة ليست

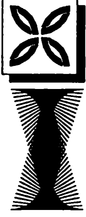
رسالة من أنجال أبي الشامات
إلى محمد بن جعفر الكتاني

بحسنه بجيده لأنهم كل شهر أو شهرين يبدلوا الشيخ فبعد ما يكون بدأ بنفسهما على التمام فإنهم يبدلونه
بغيره وهذه مسألة حقيقية للطالب وهذا كله لأجل أن لا ينجح المجاور الأزهري وشرطوا على أنه
لا يخرج معلم من الأزهر إلا بعد مكثه في الأزهر ستة عشر سنة اثنا عشر (١٢) في النظام وأربعة (٤) في التكميلية
واشترطوا شروطاً لا تطاق منها أن يخرج بعد ستة عشر (١٦) سنة لا يكون به علة من العلل [كيف وهو قد
مكث على حصيرة الأزهر ستة عشر (١٦) سنة لا يكون به علة] وكثير مثل تلك الشروط ولقدموا وقت التعيين
الذي آخذ شهادة من المدارس على الذي آخذ شهادة من الأزهر ~~[illegible]~~ ومنعوا الأغراب من التوظيف
في الديار المصرية جميعاً والحركة الدينية فإنهم لبيسين من ذلك في شهرين [دعاء] اللهم إنا نعوذ بك
من علم لا ينفع ألخ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ~~[illegible]~~ والسلام عليكم

خادمكم
خالد بن عبد القادر
الدمشقي بالأزهر الشريف
برواق الشوام

يوم الجمعة [illegible] جمادى الثاني [illegible]هـ

رسالة من خالد بن عبد القادر الدمشقي
إلى محمّد بن جعفر الكتاني




17

بدر الدين الحسني المغربي (ت1354هـ)
خاتمة المدرسين تحت قبة النسر بالجامع الأموي
وبدار الحديث الأشرفية

خاتمة الحفاظ والمحدِّثين(1)

بقلم تلميذه العلامة الشيخ محمود رشيد العطار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبةُ للمتقين، والصلاةُ والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد طلب حضرة الفاضل الكبير صاحب السعادة أحمد باشا تيمور، ترجمة سيدي وملاذي الأستاذ الأكبر خاتمة الحفاظ والمحدثين وفخر المسلمين من انتهت إليه رئاسة علم الحديث والتفسير وسائر العلوم، وانقادت له جميع الفنون بالمنطق والمفهوم، وانتظمت بأنامل أفكاره عقود السنة البهية، وابتسمت بدرر وعظه ثغور الشريعة المحمدية، علامة الإسلام ومرجع الخاص والعام، مجدِّد هذا القرن بلا خلاف، ورافع لواء الشريعة بالإجماع، مولانا الأستاذ السيد الشيخ محمد بدر الدين الحسني نسباً الدمشقي ولادة، أطال الله حياته، ونفع به الخلق أجمعين.

وبعد أن وقف نجله حضرة السيد تاج الدين أفندي على طلب سعادة الباشا المحترم أشار إليَّ، وأنا الفقير لرحمة ربه الغفار محمود بن رشيد

---

(1) هذه الترجمة مأخوذة من كتاب (محدث الشام العلامة السيد بدر الدين الحسني) ص13 ـ 34.

العطار أن أحرِّر له ترجمة والده الجليل ظناً منه أني واقف على بعض أحواله ومطَّلِعٌ على شيء من خصاله لأنني لازمته كثيراً، وما زلت في خدمته والأخذ عنه منذ أربعين سنة، وقد تربَّيتُ عنده منذ زمان الصبا ولم أفارقه سفراً ولا حضراً، فهو والد روحي وسبب فتوحي.

وقد كان حضرة العالم الفاضل أحمد بك الحسيني طلب مني ترجمة مولانا الأستاذ ليدرجها في مقدمة كتاب «شرح الأم» للإمام الشافعي ﵁ حيث شرح منه ربع العبادات في عشرين مجلداً، وقد اطلعت عليها، وجعل لها مقدِّمة في تراجم مشاهير العلماء إلى زمنه ﵀ فكتبت له أوراقاً لطيفة على عجلة واعتذرت له في الاختصار، إذ كنت على أوفاز السفر مع أن ترجمة مولانا الأستاذ حفظه الله على الكمال يعجز عن استقصاءها كُمَّل الرجال، فهو نابغة الدهر، وحجة الله في هذا العصر، اختصَّه الله تعالى بكثير من الكمال في سائر الفنون والرياضيات والمجاهدات والأحوال الباطنة الذوقية والورع، قلَّ أن يكون، والمؤلّفات الكثيرة والتلامذة التي لا تحصى عدداً كما تأتي الإشارة إلى بعضه، وبالجملة فالمترجم حفظه الله تعالى نادرة الزمان وواحد الأوان، عمَّت منافعه وكثرت مناقبه، لا تكاد تجد أحداً من طلبة العلم وأهله في الأقطار الشامية وغيرها من الأقطار الإسلامية إلا هو من تلامذته أو تلميذاً لتلامذته أو مجازاً منه أو عنه وكذا لا تجد أحداً من الخواص والعوام الأمراء والحكام إلا وقد انتفع بوعظه وتأثّر بلفظه، له الشفاعة الحقة المقبولة عند أرباب المناصب وأُولي الأمر، مع دين كالجبال الرواسي، وعلم كالبحر الزاخر، وورع ما رُئي مثله، وتقشف وصدع بالحق وقيام بأنواع العبادات، فهو صائم الدهر، قائم الليل، لسانه رطب بذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ، بحيث لم يوقف على نظيره في الأزمنة المتطاولة من خواص المترجمين فمن رآه وخالطه تذكر أحوال أكابر السلف وجزم بأنه لا يوجد مثله بالخلف، فأقول متكلاً على الله تعالى:

ولد مولانا الأستاذ بدمشق (1267هـ) كما أخبرني بذلك، وكنت قد مدحت المترجم بقصيدة طويلة قلت فيها مؤرخاً مولده:

من قد سما بين الأنام قدرُه　　حافظُ دين الله لهو بدره
من نشأة قد ظهرت أنفاسه　　مولده تاريخه أغراسه

وولادته كانت بدارة قرب دا الحديث الأشرفية مقر المترجم، ومقر أئمة الحديث من سبعمائة سنة إلى الآن، من أبوين فاضلين تقيين ورعين، فوالدته السيدة عائشة من أعرق عائلة في دمشق بالعلم والفضل والحسب والنسب وخصوصاً علم الحديث الذي انتهت رئاسته إليها، وهي عائلة بني الكزبري، وكانت تقيَّة ورعة كفلت المترجم بعد وفاة والده واعتنت به أشد الاعتناء وسلَّمته لشيوخ العصر.

أما والده، فهو العلَّامة الكبير والإمام الشهير السيد الشيخ يوسف ابن العلامة الشيخ بدر الدين المغربي السبتي المراكشي الحسني المالكي الدمشقي وفاة، من محلة ورياد العروس في مراكش وينتهي نسبه إلى الولي الكبير مولانا الشيخ عبد العزيز الدباغ أستاذ الولي الكبير الشيخ الجزولي صاحب «دلائل الخيرات»، والشيخ عبد العزيز المذكور ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن السبط رضي الله تعالى عنه، الشيخ الإمام العالم الفاضل النحرير الكامل الشاعر الكبير والأديب البليغ أبو المكارم سيف الدين، قدِم دمشق بعدما صار العلم الأوحد، والأستاذ المفرد في سائر العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً علم الأدب، فكان حامل لوائه بلا خلاف، وكان تحصيله العلم في الجامع الأزهر فأخذ عن العلامة الشيخ حسن العطار، والعلامة الصاوي، والنفسي، والأمير الصغير، والشيخ محمد الحسيني الشهير بفتح الله، والشيخ حسن القويسني، وغيرهم من شيوخ العصر، واستجاز من الشيخ المحدث عبد الرحمٰن الكزبري، ومن رفقائه في الطلب، العلامة الأشموني، والطهطاوي، وأضرابهما.

صنَّف المصنَّفات الكثيرة، الناطقة له بالتفرُّد والدالَّة على طول باعه في سائر الفنون، وخصوصاً الأدب، فمنها شرحه على مولد الدردير في مجلد سماه بـ«فتح القدير»، ونظم «دُرَّة الغواص» للحريري، وهي مفيدة جداً، ومنظومته الشهيرة بفن الرسم العربي وشرحها المسمى بـ «كشف النقاب عن

وجوه مخدرات تحفة الطلاب»، وهي فريدة في بابها وغيرها من المؤلفات النافعة.

أما نظمه فكثير جداً يكاد لا يحصى مع متانة وإبداع تفرَّد بهما بعصره، وكان يَنْظِمُ على البداهة، ويكاتبُ أصدقائه الكثيرين المتفرقين في سائر الأقطار بالشعر، ويجيز المستجيزين به أيضاً، وقد أجاز العالم الشريف السيد أحمد عابدين بقصيدة عصماء ساق فيها شيوخه الكثيرين وعدَّدهم.

رحل إلى الآستانة واتصل بالسلطان محمود بواسطة صديقه الحميم شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي الذي أكثر المترجم من مدحه بقصائده الفريدة، وشكا لجلالته قضية دار الحديث المشهورة مقر حفاظ الحديث الشريف وشيوخه وأئمة الدين من سبعمائة سنة إلى وقتنا هذا مثل: ابن الصلاح، والنووي، والذهبي، والمزي، والسبكي، وأولاده، حيث لم يخل من أمثال هؤلاء.

وقصة هذه المدرسة مشهورة اختُلس قسم منها، واستعمل حانة فقام العلامة الشيخ يوسف قومة الأسد الهصور غاضباً لله تعالى ورسوله ﷺ، وسلَّ سيف الحق، وهو حامل لواء الشريعة في زمنه وحامي زمارها في وقته ولم يبال بأحد من الخلق مع كثرة المعارضين له حتى أيَّده الله تعالى بعد عناء طويل وجهاد عظيم واستخلص القسم المغصوب منها، وأرجعه إلى المدرسة التي كانت متداعية إلى الخراب فقلع أخشاب داره وعمرها بها وفتحها باحتفال حافل حضره كبار القوم من علماء وعظماء، ومنهم الأمير عبد القادر الجزائري الحسني الذي كانت له اليد الطولى بمساعدة المترجم بهذه الحادثة.

وقد نظم المترجم قصيدته المشهورة بهذه وسماها: «التحديث عن نازلة دار الحديث»، وكان شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي عون المترجم وعضده في هذه الحادثة أيضاً.

ولما طلب المغفور له السلطان محمود من شيخ الإسلام المذكور أستاذاً يعلِّم [نجليه] عبد المجيد، وعبد العزيز اللغة العربية مع أصولها اختار لهما المترجم معلماً مدة غير قليلة، وكان أثناء ذلك في القصر السلطاني،

وأجازهما، وقد مدح المترجم السلطان محمود ونجليه في مقدمة منظومته في «رسم الخط العربي» التي قرأها عليه نجلا السلطان، وهذه المنظومة مفيدة جداً كسائر تآليفه.

وقد ترجم العلامة الشيخ يوسف المذكور المؤرخان الفاضلان السيد مراد والسيد جميل الشطي، فقال الأخير في «طبقاته»: هو الشيخ يوسف وساق نسبه كما ذكرنا آنفاً إلى أن قال: نزيل دمشق ودفينها، الشيخ الإمام العلامة الفقيه المحدث الكبير الأديب البارع الشاعر البليغ، المتضلِّع، المتفنن، توطَّن دمشق وهو بين سفر وإقام، ولما ورد دمشق الأمير عبد القادر الجزائري الحسني أحب المترجم، محبة عظيمة، وقدَّره حقَّ قدره، أخذ المترجم العلم في مصر عن مشايخ كثيرين، وقرأ القراءات وأتقنها، وشارك في العلوم كلها، وصنَّف المصنَّفات الكثيرة مع الدين المتين، والورع والزهد، وأخذ عن الشيخ سعيد الحلبي، والشيخ عبد الرحمٰن الكزبري، ودرس في الجامع الأموري، وحضر درسه العلماء والأفاضل، وكانت مدرسة دار الحدث الشهيرة خمارة بيد رجل أجنبي التبعة، فقام المترجم بنصرتها بهمَّة علياء وغيرة شماء واستنصر بعلماء دمشق فساعده من ساعد وتراخى من تراخى، وانعقد لذلك مجالس عديدة لدى قاضي دمشق وقتئذٍ أسعد أفندي، وطال الأمر إلى أن انتصر المترجم ومن معه فأيَّد الحق بالحق وفتح المدرسة ودرَّس بها، وأسكن بها الطلبة، وكان ذلك في سنة (1270هـ) فصارت له أثراً باقياً، وخيراً جارياً، وقد نظم في ذلك قصيدته الشهيرة، وهي تزيد على أربعمائة بيت ساق فيها القصة بتمامها لم يبق فيها مقالاً لقائل، ومن اطلع عليها علم ما له من القدم الراسخ في العلم والأدب، وبالجملة، فالمترجم كان آيةً من آيات الله تعالى ومعجزاً من معجزاته، قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم كان مهاباً تفر العظماء من بين يديه مهابة له وإجلالاً حتى إنَّ طاهر أفندي مفتي الشام المشهور كان يتوارى منه لأنه تراخى عن نصرت في قضية دار الحديث، سكن المترجم مدة طويلة بالمدينة المنورة وهناك نظم قصيدته التوسلية الشهيرة في

مدح المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم[1] وهي قصيدة سارت بذكرها الركبان.

ولقد أخبرني الثقات، أنه إذا دخل من باب الجامع الأموي وأحسَّ به بعض المدرسين قام من درسه واختفى خوفاً من أن يقف على درسه ويتكلم معه، وكان يأتي بعض ضواحي دمشق، وقراها، كقرة دوماً، وكفرسوسه، كما أخبرني بعض المعمَّرين فيهما فيدخل ويجتمع عليه الناس للوعظ والانتفاع منه فيقرأ عشراً من القرآن الكريم بالقراءات العشر ثم يشرع بالوعظ بلا كتاب، وقد أخبرني الشيخ عثمان الدوماني الحنبلي الفقيه إمام مسجد دوما أنَّ المترجم جلس مدةً للوعظ، وبدأ مرة ببيت من البردة فشرحه بأنواع الفنون، ثم توقف هنيهة فأنشأ عدة أبيات من بحر البردة وقافيتها، وأراني الشيخ عثمان المذكور تاريخاً بديعاً منقوشاً على جدار مسجد دوما الشهير من نظم المترجم.

وله مع الأمير عبد القادر الكبير واقعة مشهورة وهي أنه في أثناء احتدام قضية دار الحديث دخل على الأمير عبد القادر، وهو يقرأ البخاري الشريف لتلامذته فقال موجهاً الخطاب للأمير: أصلي أربع تكبيرات على هذا الميت، فكان هذا سبباً بقيام الأمير بنصرة الشيخ.

وبالجملة فكان المذكور مجدد عصره بلا خلاف وحامل لواء السنة بالاتفاق ورأيت بخط تلميذه الشيخ عبد السلام الشطي، أنه توفي يوم الخميس في 19 جمادى الآخر سنة (1279هـ) في دمشق، ودفن في تربة باب الصغير وقبره ظاهر يزار ويتبرك به.

وأعق المترجم نجلين هما، مولانا الأستاذ الشيخ بدر الدين وأخاه الشيخ أحمد بهاء الدين، وكان الأخير من أهل العلم إماماً في مدرسة دار الحديث، ثم صار شيخاً للتكية المجيدية يقيم فيها الذكر والطريقة النقشبندية إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة (1330هـ)، وخلف ولداً دعاه يوسف ضياء الدين، وهو في كنف عمه يطلب العلم أسوة بأسلافه.

---

(1) هنا حذف للأبيات.

ولنرجع إلى ترجمة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ بدر الدين، فنقول: إنه نشأ في حجر والده المرحوم، وتعلَّم القرآن الكريم، وقرأ عليه مبادئ العلوم حفظاً وفهماً على والده، وكان يقول له حينما أشرف على الموت: تركتك لله يا بدر الدين، وكان له شغف عظيم به ومحبة شديدة، وقد قال في قصيدته التوسلية وكان غائباً في دار الخلافة العلية لأجل دار الحديث:

وأما الذي قد أورث القلب حسرة ففرقة من للعين أعظم قرة
محمدٌ ابني من به امتنَّى خالقي على عقيب الشيب إبان شيخة
ففارقته قهراً ولا كافل له... سوى من قضى بالبعد عنه لحكمة
وقول على من رام لي عنه فرقة بمحض الأذى الله حسبي بحرقتي
.... الهاشمي محمد تمتّعني قبل الممات برؤية
عليه صلاة الله ما حن غائب وما اكتحلت عين برؤيا الأحبة

وبمناسبة هذه المدرسة نذكر حادثة وقعت في زماننا هذا شاهدها العموم وهي أن المدرسة المذكورة احترق قسم منها بالحريق الهائل الذي نَشَب في دمشق والتهم سوق الحميدية الشهير فبلغ ذلك عزت باشا العابد فأرسل إلى أحد خواصّه بعمل كشف على أحسن طرز، وبأثناء ذلك حضر المشار إليه إلى دمشق، وزار المدرسة مع المرحوم عبد الحميد أفندي الزهراوي، وجدَّد العزيمة لعمارتها وصرف مبلغاً جسيماً في هذا السبيل فقام البعض من أحفاد أولئك الذين عارضوا من قبل وسعى لدى الباشا لصرف همَّته عن ذلك، وقد نجح في مسعاه الهالك، وصرف النظر عن ذلك فتجلت بأجلى معانيها الكلمة الخالدة: التاريخ يعيد نفسه، ولكن الله تعالى أبىٰ إلا أن تشاد، وإلى ما كانت عليه تعاد، وهي الآن بحمد الله تعالى عامرة بأهل العلم والطلبة من الصباح إلى المساء، وهي المعهد الوحيد الذي تدرس فيه العلوم على اختلاف أنواعها وتقصد من أطراف الأرض فيزورها الجاوي، والبخاري، والهندي، والصيني، والأفغاني، والمدني، والمصري، والداغستاني، واليمني، والتتري فهي تعجُّ بالأجناس المختلفة وفي حقها قال الإمام السبكي رحمه الله تعالى:

وفي دار الحديث لطيف معنى أصلي في جوانبها وآوى

لعلي أن أمس بحُرٍّ وجهي مكاناً مسَّه قدم النواوي

ويقال: إن نعل المصطفى ﷺ تعالى بحائطها القبلي والله تعالى أعلم.

ولما توفي والد المترجم كان عمره اثنا عشرة سنة فقعد في غرفة والده المتوفى بدار الحديث، وصار يطالع الكتب التي تركها له والده بهمَّة عظيمة ويحفظ المتون بأنواع الفنون بحافظة غريبة...

وكانت ـ أي: والدته ـ من العابدات الصالحات قلَّ أن يوجد مثلها في زمنها، ثم إنها أخذت الأستاذ حفظه الله تعالى، وذهبت به إلى العلامة الشيخ أبي الخير الخطيب في دمشق، وأوصته به خيراً فعامله الشيخ المذكور معاملة ولده لما رأى عليه من سيما النجابة والذكاء مع خلق كريم وورع عظيم، وأشغله بحفظ المتون في سائر الفنون المختلفة فحفظ الألفية والشاطبية وألفية الحديث للعراقي وغيرها، وقد أخبرني المرحوم الشيخ مصطفى الشطي مفتي دوما أنه قبل أن يتعرف بالأستاذ المترجم، ذهب مع والده لزيارة الشيخ أبي الخير الخطيب في العيد لأجل معايدته فرأى شاباً متجهاً نحو القبلة، فقال لهم الشيخ أبو الخير الخطيب: أتعرفون هذا الشاب، هو الشيخ محمد بدر الدين ابن الشيخ يوسف المغربي لقد أدهش عقلي فإن سنه اثنتا عشرة سنة، وقد حفظ القرآن الكريم واثني عشر ألف بيت في فنون مختلفة، ثم أشغله الشيخ أبو الخير بقراءة شروحها بفهم وإتقان، ولم يكمل الثامنة عشر من عمره حتى نبغ نبوغاً باهراً استلفتت إليه أنظار مشايخه فأجازوه إجازة عامة وأذنوا له بالتدريس، وشرح «غرامي صحيح» في مصطلح الحديث، ولم يكمل العشرين من عمره، وطبعت هذه سنة (1286هـ)، ثم أقبل على المطالعة بنفسه بهمّة شمّاء وعزيمة صحيحة، لا يفترُ عن ذلك آناء الليل ولا أطراف النهار، وحفظ من الأحاديث بأسانيدها ما شاء الله أن يحفظ، ومما حفظه البخاري ومسلم بأسانيدهما بحيث لا يغيب عليه حديث قط من الكتب الستة، ومن رأى الأستاذ في درسه العام وهو يسرد الأحاديث بأسانيدها، ويتكلم عليها بأنواع العلوم علم أنَّ الله تعالى اختصَّه بقوة حافظة خارقة للعادة لم يسمع بمثلها، ثم بدأ بالتأليف فألَّف نحواً من أربعين تأليفاً ذكر معظمها تلميذه العلامة الشيخ

طاهر الأتاسي مفتي حمص حالاً التي اطَّلع عليها حين قراءته عليه.

هذا ما ألَّفه وسِنُّه دون العشرين، ولعلَّ له تآليف أُخَر لم نطَّلع عليها لأنه يريد أن لا يُنسَب له شيء منها تواضعاً، وقد محا اسمه عنها لذلك، ثم صار يقري الطلبة في الجامع الأموي النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه وغيرها، وقرأ درساً عاماً بين العشائين، وسمعت من كبار الشيوخ أنه كان يقرأ تفسير البيضاوي عن ظهر قلبه بدون أن يحمل كراساً، وكان جهوريَّ الصوت يجتمع عليه الخلق الكثير صفوفاً صفوفاً، فتعطلت دروس غيره من الشيوخ لشدة فصاحته ولإخلاصه الخالص، ولم يكن يومئذٍ بوجهه شعر أصلاً، ولما أحسَّ المترجم بما ألم بنفوس القوم، ترك الدرس واعتزل في غرفته في المدرسة ولم يخرج نمها سبع عشرة سنة حتى يقال: إنه ما كان يُرى أبداً يصلي حتى الجمعة لالتصاق حجرته بالمسجد من جهة الشرق، وفي هذه المدة أكبَّ على المطالعة والحفظ، وأقبل بكليته على علم الحديث حتى صار فيه الحجة البالغة، ثم رحل إلى حمص وأقبل عليه أهلها إقبالاً عظيماً، وأخذوا عنه، وقال لي بعض من قرأ عليه هناك: أن ذلك كان في سنة (1290هـ).

ثم رجع إلى حجرته في المدرسة حتى تجاوز الثلاثين من عمره فقرأ درساً عاماً في جامع السادات عن ظهر قلبه من «صحيح البخاري»، وقد بهرت الناس فصاحته وتكلمه على الحديث الواحد من علوم شتى لم تعرف بديار الشام مثل الحكمة والطلب والرياضيات وغيرها، فلما كثر الخلق عليه وضاق بهم الجامع انتقل إلى جامع سنان باشا، فكان يقرأ ليلة الجمعة والاثنين من بعد المغرب إلى العشاء، ويجتمع عليه الألوف من الناس حتى إنهم كانوا يأتون إلى الجامع من قبل المغرب فيصلون فيه، ويمكثون في أماكنهم من شدة الزحام وامتلأ المسجد حتى السدّة العليا والسفلى والرواق وصحن المسجد الخارجي، وكان يحضر درسه العام رجل صالح من الأتراك اسمه عزت أفندي متصرِّف دمشق إذ ذاك، فصار له اعتقاد خاص بالأستاذ المترجم، وكان يخرج من الديوان فيأتي بيته ويغيِّر ثيابه ويلبس جبة وعمة على هيئة أهل العلم ولازمه ملازمة شديدة، وأحبه محبة عظيمة، وقد ذهب بعد ذلك إلى الآستانة واجتمع

بالوزراء وأهل الحل والعقد، وأخبرهم بالأستاذ وأنه من أجلِّ العلماء المحدثين، يتكلم في سائر الفنون عن ظهر قلبه، وأنه حديث السن مع فصاحة غريب وطلاوة تأخذ بمجامع القلوب، وقد أثمرت مساعي هذا الرجل الصادق بتعين راتب عشر ليرات، ولم يكن للأستاذ علم بذلك، وكان الأستاذ على عادته يقرأ ممن يحضر درسه ويكون قد خطر له بحث أو سؤال فيتكلم الأستاذ على ذلك، ويلتفت إليه ويبتسم، فيتعجب من هذا أشد العجب، وكم له مثل ذلك حتى يختم درسه بما يبدأ به، ويطبق على حديث الباب الكلام الذي انتهى إليه آخر الدرس من انسجام غريب وتخلص مدهش يحيِّر الألباب، وقد يذكر حديثاً من المسلسلات بإسناده ورجاله بما يزيدون عن الثلاثين، ولا يخلو درسه من مثل هذه الفوائد وغيرها، فلو كتب درسه الواحد بالحرف الواحد لبلغ جزءاً لطيفاً بلا شك.

ولقد رأيت أكثر تلامذته يكتب بسرعة الأحاديث التي يذكرها بالمناسبات فما قدروا على ذلك، بل يتحملونها منه خارج الدرس، ومع هذه السرعة فتجد الحضور يفهمون كلامه حتى الفلّاح والعامي ويقولون: إن الأستاذ اليوم تكلم بكذا وينقلون كلامه فالفلاح إلى قريته، والعاميّ إلى محلته وبيته بسبب إخلاص الأستاذ الذي ما شك فيه اثنان، وهكذا ينشر الأستاذ العلم بين الخلق ولمثل هذا فليعمل العاملون، ثم كان إذا ختم الدرس دعا بالدعاء الوارد في السنة ولا يتجاوز في دعائه المأثور كما أنه لا يبدأ درسه بالخطب الطويلة المتعارفة بين المدرسين، فإذا قام من مجلسه أقبل الخلق عليه ليتبركوا بلثم يديه، فلا يمكِّن أحداً، ويمشي وراءه الناس أفواجاً أفواجاً، ويلتفت بوجه كالقمر يميناً وشمالاً ويسلِّم على الناس في متاجرهم ويهرعون إليه للتبرك به، فيكلم كلاً على ما يقتضيه حاله حتى يصل إلى مقره دار الحديث ووراءه الجموع الغفيرة فيصعد إلى حجرته، ومن له سؤال أو إشكال يجيبه عنه، ويرد الكثيرين إلى أحد تلامذته للجواب أو كتابة شيء خطأ، وقد حضر درسه كثيرون من أجلَّة علماء الأقطار وخصوصاً مصر فأكبروه واعترفوا للأستاذ بالتفرد، ومنهم العلامة الشيخ محمد بخيت فقيه مصر وواحدها، حتى إن

الأستاذ العلامة المرحوم الشيخ سليم العطار كان يصلي الظهر من يوم الجمعة قريباً من محل درس الأستاذ المترجم ويصغي إلى كلامه ويقف طويلاً وقد سمعت من أخيه الشيخ محمد العطار يقول: إنَّ أخي الأستاذ الشيخ سليم سمع كلام الأستاذ الشيخ بدر الدين وأصغى إليه طويلاً، واعترف له بالفضل وقال لي: يا أخي إن الشيخ بدر الدين خير من هذه اللحية وقبض على لحيته فإنه رجل عالم ومعتزل عن الناس ومشتغل بنفسه. هذا ما سمعته من فم الشيخ محمد العطار.

وقد أخبرنا الأستاذ الشيخ محمد الحلواني أحد تلامذة المرحوم الأستاذ الشيخ سليم العطار أن بعض تلامذة الأستاذ المذكور ذكر له أن الأستاذ المترجم حفظه الله تعالى يذكر في درسه الأحاديث بأسانيدها التي لا يقدر أن يحفظها أكابر الشيوخ مع حداثة سنه. فقال له الأستاذ الشيخ سليم: اذهب غداً إلى درس الأستاذ الشيخ بدر الدين واكتب أول كل حديث يرويه، وأول كل اسم من الرواة، وقد جلس بنفسه الأستاذ الشيخ سليم قريباً من درس الأستاذ، وكان الأستاذ المترجَم ـ حفظه الله ـ جهوريَّ الصوت يُسْمع من في الجامع فسمع بنفسه الشيخ سليم العطار الدرسَ، وبعد الدرسِ ذهب تلامذة المرحوم الأستاذ الشيخ سليم وقابل هذه الأحاديث التي ذكرَها الأستاذ المترجم على أصلها فوجدها مطابقة تماماً، وقال لتلامذته: لا تبخسوا الناس أشياءهم، إن الشيخ بدر الدين هو شيخ الجامع مع حداثة سنه.

وبالجملة فقد أجمع أهل هذا الجيل على أن درس الأستاذ خارقة من الخوارق الإلَهية ما سمع بمثله في سائر الأقطار الإسلامية، وكانَ بعض تلامذته ينقل شيئاً منه وينشره بالجرائد اليومية لتعم الفائدة خصوصاً وهو يحث المسلمين على ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم على طريقة السلف الصالح لإظهار الدين الحنيف بمظهره الحقيقي مجرَّداً عن الدخيل الذي ليس من الدين بشيء.

هذا ولنرجع إلى المترجم وحاله الخاص. فهو بعدما يصلي الصبحَ غَلَساً مع الجماعة يجلس في مصلاه فيقرأ أوراده إلى طلوع الشمس، وبعد ذلك

يصلي الضحى ولا أظن أنه قطعها مرة واحدة حتى في الحج كما شاهدته بنفسي، فإذا فرغ منها ابتدأ بالدروس حتى الضحوة الكبرى، فيقوم الأستاذ للوضوء ويستقبل القبلة ويدعو كثيراً، ثم يأتي حجرته ويصلي إلى الظهر نوافل كثيرة، فإذا أذن الظهر صلى بجماعة قرأ أوراده، ثم أقبل على الدروس حتى يقرب العصر فيتهيأ للصلاة بوضوء جديد، فإذا صلى العصر مع الجماعة وتلا أوراده رجع لحاله الأول، وربما قرأ درسين أو أكثر إلى قبيل المغرب فيصليه ويذهب إلى داره فيفطر، ثم يجلس للدرس في بيته ويحضره بعض الطلبة وكثير من العوام إلى أن يصلي العشاء ثم يذهب رأساً إلى مضجعه ولا يكلم أحداً فينام قليلاً وهو ذاكر الله تعالى، ثم يقوم للتهجد حتى يقرب الفجر فيهب إلى الجامع الأموي فيصلي الفجر فيه ويجلس في مصلاه قليلاً، ثم ينتقل إلى المدينة هذه عادته لا يتركها أبداً فأوقاته حفظه الله تعالى محفوظة بغاية الدقة فلا تكاد تجده فارغاً أصلاً ويقرأ عبارة الدروس الخاصة بنفسه.

أما الكتب التي يقرؤها للطلبة فهي «شرح التحرير» لابن أمير حاج، و«العضد شرح مختصر ابن الحاجب» وحواشيه، وحواشي «جمع الجوامع»، و«شرح مسلَّم الثبوت» في الأصول، و«المطوَّل» وحواشيه، و«شرح العقائد» للدواني، والسعد وحواشيهما، وشرح المقاصد، والموقف والكلنبوي على الدواني.

وله شغف عظيم بالرياضيات فيقرأ كتب الحساب والجبر الأفلاك وشرح الجغميني وكتب المنطق والحكمة مع حواشيها الدقيقة المخطوطة والمطبوعة بلا نظارة فبصرُه حديد، ولله تعالى الحمد كلما قرأ بحثاً عميقاً كرره ويأتي بحاصله، ويضع الكتاب من يده ويقول للطلبة: تكلموا بخلاصة الدرس، فيتكلمون بها ثم يعيده كله عن ظهر قلبه فبهذا الأسلوب استفادت التلامذة منه استفادة عظيمة.

وبالجملة فهو آيةٌ من آياتِ الله تعالى إذا خاض في مسألة عويصة من أيِّ فن كان يبهر العقول ودروسه في اليوم قريبة من اثني عشر درساً وهو ربعة من الرجال، خفيف العارضين، قليل شعر الوجه، أصلع الجبهة، آيات النجابة والمهابة والذكاء المفرط تلمع من وجهه الذي هو كدائرة القمر، والناظر إلى

عينيه الحادتين يقرأ فيهما ما اختصه الله من العجائب والأسرار، يبرق جهه ويلم منه النور عن بعد، وفي جبهته ارتفاع يظهر عليها آثار كثرة السجود، ويداه كالحرير في اللين والفضة في البياض، يلبس الثياب البسيطة التي لا تميزه عن غيره، قليل الكلام، دائم التفكير لا يمكن أحداً من التكلم بالغيبة، فكل من تكلم بغير حاجة يسكته بلطف مهما كان القائل فما اغتاب أحداً في حياته ولا اغتيب أحد في مجلسه أبداً، ويكره أن يتكلم بالمباح فضلاً عن غيره، وهذه الطريقة أصبحت نادرة من قرون متطاولة.

أما ورعه فلم يحك عن أحد قبله تضرب به الأمثال: صائم الدهر فما رؤي مفطراً ما عدا الأيام التي نهى عن صيامها، يهتم لأمور الخلق أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، حريص على منفعتهم يشفع للمظلومين عند الحكام والأمراء، ربما يكتب في اليوم الواحد أكثر من عشر كتب بالشفاعة للمظلومين ويمشي بحوائجهم، وشفاعتهُ لا ترد يتكلم بلسان الناصح الشفوق. ما قبل هدية من أحد في عمره وإذا اضطر إلى قبول هدية كان يقابلها بأكبر منها.

يلتهب غيرة على العالم الإسلامي فيكاتب الملوك والأمراء والحكام في أقطار الأرض يحثهم على العدل وإقامة الحق بين الخلق ويبين لهم سوء [العاقبة] بترك الشريعة والاسترسال مع الأهواء، وكان بعيداً عن الوظائف والفخفخة بُعد السماء عن الأرض مع أن الملوك والأمراء والحكام تهابه وتقبِّل يده.

ومما يحكى بهذا الصدد إنه لما أُعلن الدستور في زمن المرحوم السلطان عبد الحميد راجت إشاعة قوية بديار الشام بأنه سيبايع أهل الشام مولانا الأستاذ على الخلافة الإسلامية وأنه في جمعة كذا سيخطب الخطباء باسمه على المنابر فاتَّصل هذا الخبر بجمعية «الاتحاد والترقي» وجرائد الآستانة فنشرته بعضها واهتمت له الحكومة المركزية اهتماماً شديداً، وكانت الجمعية قائمة على ساق، والخواطر في هياج، فأبرق وزير الداخلية يومئذٍ رؤوف باشا الذي كان قومسير الدولة في مصر إلى والي دمشق ناظم باشا، وكان متغيباً في القدس يأمره بالرجوع إلى الشام حالاً وإجراء التحقيقات، وأخذ الاحتياطات في هذه القضية فرجع الوالي إلى الشام، وكان من محبّي الأستاذ المترجم،

وأخذ في تهدئة الخواطر التي كانت متهيِّجة إذ ذاك وجاوب عن الأستاذ بجواب حسن، فلما بلغ الأستاذ جريان هذه القضية قال: لا حاجة إلى الاهتمام لو عرضت عليَّ لم أقبلها أنا لست من أرباب المناصب ولا من طلاب الجاه.

مقرُّه: دار الحديث وهي محطُّ الرجال في سائر الأقطار للتبرك، وأخذ الإجازة منه الحديث الشريف والاستفتاء منه فهو حجة الإسلام وحافظ شريعة سيد الأنام، فلا عدد من أخذ عنه أو استجاز منه وكثير منهم من أجِلَّة العلماء مثل الأستاذ الكبير السيد محمد بن جعفر الكتاني المحدِّث المشهور، والشيخ أحمد بن شمس العالم التقي، والفقيه العالم الكبير الشيخ عبد الحكيم الأفغاني شارح الكنز، والشيخ أبو بكر شطا صاحب حاشية فتح المعين بالفقه، والشيخ أعظم حسين العالم الهندي الشهير، وغيرهم من علماء الحرمين الشريفين والآستانة واليمن والهند وبخارى ممن لا يحصون عدداً.

وبالإجمال فهو أستاذ الجميع لم يبق رجل ينتسب للعلم في سائر الأقطار إلا واستجاز منه وتبرَّك بسنده.

أما تواضعه فعجيب، لم يصلِّ إماماً في حياته مع كونه لم يترك صلاة الجماعة أصلاً، يتوجَّه لزيارة أهل الصلاح والتقوى والفقراء، ويزور مدارس الأولاد الصغار، ويدخل عليهم ويطلب الدعاء منهم ومن معلميهم، ويمسح رؤوس الأيتام منهم، وكذا يأتي السجون ويدخل على المسجونين، ويسلِّم عليهم وينصحهم ويعظهم ويتلطف معهم، وفيهم المظلومون فيأمرهم بالصبر فيزول ما بهم من الشدة.

ويُقابَل في أيِّ محل دخله بالاحترام والابتهاج، ولم يدخل في عمره دواوين الحكومة وقصورها، وإذا مشى يسلك الطرق الخالية لتهافت الخلق عليه حين مروره بالأسواق الأهلية.

لم يتكلم قط بكلام الدنيا في المسجد مهما كان المتكلم معه عظيماً، بل يأخذه بيده ويصافحه ويبتسم حتى يخرج من المسجد ويتورَّع كثيراً في «الفتاوى الفقهية» التي يُسأل عنها، وفي الغالب يحيل الجواب عنها إلى تلامذته.

عاكفاً على المطالعة والدرس حتى يومنا هذا وقد نيف على السبعين أمد الله تعالى بعمره يدقِّقُ كتبَ الهيئة والرياضيات بلا نظَّارة.

طريقته السنة السنيَّة إذا أتى إليه رجل وطلب منه طريقاً أمره باتباع الشرع وملازمته سنة النبي ﷺ وأمره بقراءة بعض الأذكار الواردة في السنة.

أما محبة الخلق للأستاذ علىٰ اختلاف أديانهم وإجلالهم لمقامه فعظيمة جداً تفوق الوصف فكثيراً منهم يأتي للمدرسة لينظر إليه فقط ويرى هذا الهيكل العجيب في هذا الزمان الأخير وهو اليوم مُعْتَقَد العالم الإسلامي.

وقد ترجم أحد علماء الهند الأستاذ ترجمة وافية ووصفه بقطب الزمان ومجدد الأوان.

وكان شيخ الإسلام في الآستانة موسى كاظم يقول عنه: إنه قطب العالم الإسلامي.

وقد قال السيد الكبير الكتاني: أنه منذ خمسمائة سنة لم يوجد له نظير.

رحل الأستاذ حفظه الله تعالى إلى الحجاز مرتين، وإلى مصر واجتمع بالشيخ الأشموني وهو رفيق والده في الطلب بالأزهر. وإلى القدس الشريف وغيرها من البلاد السورية، وحصل له استقبالات عظيمة.

ولما حج أخذ عنه علماء مكة قاطبة، واجتمع عليه الخلق وخصوصاً الهنود وقرؤوا عليه بعض كتب الحديث، ولما تشرَّف بزيارة النبي ﷺ في حجته الأخيرة سنة (1333هـ) كان دخوله إليها قبيل صلاة الجمعة، فاغتسل ولبس أحسن ثيابه وأتى المسجد الشريف، فلما دخله اجتمع عليه الخلق وحصل حال غريب فما كلم أحداً فيه حتى خرج عليه الناس أفواجاً أفواجاً ولم يبق أحد من علمائها وطلبتها إلا أخذ عنه واستجازه.

وقد دعاه المغفور له السلطان عبد الحميد إلى الآستانة فاعتذر.

كما أنه دعاه قيصر روسيا سنة (1913م) حين أقام الحفلة التي دعا إليها بطرك الروم وملوك أوروبا وبعض ملوك المسلمين لما رأى من إقبال الناس من رعيته على البطرك وسؤالهم عن الأستاذ المترجم وإجلالهم له حتى أدهشه ذلك ولم يعلم من قبل فأرسل يعتذر من الأستاذ على تقصيره عن دعوته إلى الحفلة. وأنه يأمر بإعادتها، ويرسل له باخرة حربية إلى بيروت لتقله إلى روسيا فاعتذر كذلك.

وقد استقبله المغفور له الملك حسين استقبالاً عظيماً في حجته الأخيرة حيث أرسل أولاده الأربعة الشرفاء: علي وعبد الله وفيصل وزيد إلى ظاهر مكة المشرفة نحو من فرسخين لاستقباله وإعلامه بأنه أعدَّ له جناحاً في قصره لينزل به، وأنه حين وصل إلى مكة نزل بنفسه لاستقباله. فاعتذر الأستاذ كذلك عن النزول في قصر الشريف ونزل عند آل هاشم.

وهكذا تجله الملوك والأمراء، وتكاتبه وتطلب رضاه، ومما رأيته من المكاتبات كتاب من الصدر الأعظم مؤرخ سنة (1324هـ)، وخلاصة مضمونه: سلام من الخليفة وأن الدولة تفتخر به.

ولما كان الملك فيصل بدمشق كان يكاتبه والده بطلب رضاء الأستاذ، ومما اطلعت عليه كتاب من الشريف حسين إلى ولده الشريف فيصل يقول في آخره: رضائي رضا الشيخ بدر الدين.

ومما اطلعت عليه كتاب من الشريف حسين، وكان أميراً لمكة المكرمة مؤرخ في سنة (1330هـ) وذلك أنَّ الأمير عبد الله لما زار دمشق في تلك السنة زار الأستاذ المترجم، فلما رجع إلى مكة المكرمة وأخبر والده بتلك الزيارة كتب ذلك الكتاب الشريف حسين وأرسله وهو:

مولانا العلامة المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين..

بعد إهدَاء جزيل التحيات والتسليمات، إن ابنك عبد الله وصل وهو بعناية الباري تبارك وتعالى بأكمل الأوصاف وأبهج ما طرقني في سنياتي هذه الأخيرة بشارة لنا بخطوته بلثم أناملكم وتمايزه بتلقي ما يوجب سعادته من أوامرك وفي الحقيقة وإن كانت هذه المنة نبذة من محض لطف وإفضال كمالك متع الله بها الوجود إذ أنك من ورثة سيد الوجود ولكنها ستكون من مفخر عائلته ولاستيفائي حسن ظنكم بنا ورد التحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في 18 جمادى الأولى سنة 1330هـ

أمير مكة

الحسين بن علي

وهكذا اطلعت على كتب كثير من أمراء الهند والأفغان وبخارىٰ يضيق نشرها في هذه الرسالة الصغيرة.

وأما تلامذته فيتعذر على الإنسان إحصاء مشاهيرهم فضلاً عن جميعهم وإنما أذكر هنا بعض الذي أتذكره: فمنهم العلامة الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص، الشيخ أمين سويد، الشيخ توفيق الأيوبي، الشيخ عبد المحسن الأسطواني، الشيخ عبد الرزاق الأسطواني، الشيخ عبد القادر المغربي، والعلامة الأديب الشيخ محمد المبارك، والعلامة الشيخ جمال القاسمي صاحب التآليف العديدة، والشيخ عبد القادر بدران، والشيخ جعفر الرحبي مدرس لواء دير الزور، الشيخ عارف الحملجي، الشيخ سليم الكزبري، وشقيقه أبو السعود أفندي، الشيخ مصطفى الحلاق، الشيخ حسن المدور أمين الفتوى، الشيخ رشيد الحواصلي، والعلامة الشيخ عبد الوهاب الشركة، الشيخ محمد الحكيم، والعلامة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت، الشيخ بهجت البيطار، الشيخ علي الدقر، الشيخ هاشم الخطيب، العلامة الشيخ عبد القادر القصاب، الشيخ محمد أبو المواهب الريحاوي، الشيخ أحمد عمر المحمصاني، الشيخ قاسم حرز الله النابلسي، الشيخ محمد الكستي قاضي بيروت، الشيخ ميرزا الأفغاني، الشيخ الحافظ حسن بك فوزي الأرناؤوط، الشيخ مراد الشطي، الشيخ راشد القوتلي، الشيخ عبد القادر شموط، الشيخ طه المكتبي، الشيخ علي ظبيان، الشيخ خير الطباع، الشيخ عبد القادر المبارك، الشيخ رضا الزعيم، السيد أحمد أمير خان، الشيخ محمد قربان مفتي المالكية، الشيخ محمود الياسين، ونجله السيد تاج الدين.

هذا الذي تذكرته الآن. وبالجملة: لا يوجد عالم في دمشق أو طالب علم إلا وهو من تلامذته أو تلامذة تلامذتهم وقد اختصَّهم الله تعالى بالصلاح والورع والسمت الحسن، وهم مميَّزون عند العامة والخاصة وبإخلاص الأستاذ عمَّ النفع بهم في البلاد، فمنهم المدرسون في المساجد، ومنهم المفتون، ومنهم الأئمة والخطباء والوعاظ في القرى والبلاد البعيدة، ومنهم المؤلفون والمؤرخون إلى غير ذلك.

أما شيوخه: فأجلُّهم العلامة الكبير المرحوم الشيخ إبراهيم السقا علامة مصر وعنه يروى سنده، والعلامة المرحوم الشيخ أبو الخير الخطيب، ووالده العلامة المرحوم الشيخ يوسف وغيرهم.

وخلاصة ما يقال في ترجمة الأستاذ حفظه الله تعالى قول من قال فما رآءٍ كمن سمع، لا يسعها مثل هذه العجالة وذلك نقطة من بحره الزخّار، فلا يعلم حقيقة أمره إلا عالم الأسرار، ولكن وفاءً ببعض حقه وقياماً بالواجب أتينا على بعضها أمدَّ الله تعالى بعمره نفعاً للخلق كافة.

ورزق مولانا الأستاذ نجلان احتسب بالأكبر زمن الحرب وهو المرحوم السيد عصام الدين، وكان من أهل العلم والذكاء، مدرساً بالمدرسة السلطانية العربية وُجِّهت عليه الرتب العلمية، محباً للاعتزال، أخذ في بادئ الأمر عن تلامذة والده، ثم قرأ على والده. وأجيز من علماء مصر كالشيخ بخيت وأضرابه، وتزوَّج بنت أخي المرحوم محمود أفندي الحمزاوي مفتي الشام وعلامتها ورُزق منها ولده الوحيد محمد فخر الدين، وهو اليوم يطلب العلم كأسلافه.

والثاني، وهو سماحة السيد تاج الدين أفندي مدير العلمية التي هي بمقام المشيخة الإسلامية، نبغ من الصغر وأخذ العلوم على والده مولانا الأستاذ، ولازمه ملازمة شديدة، ومن كاتب هذه السطور، ولم يزل يجدُّ في الطلب حتى أجيز من علماء عصره في عام (1326هـ)، ومن أجلّهم والده مولانا الأستاذ، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت، والعلامة الشيخ عبد الحكيم الأفغاني، والسيد المحدث الكتاني، والشيخ سليمان العبد وغيرهم من فطاحل العلماء.

رحل إلى الآستانة مرتين ووجهت عليه الرتب السامية، وعُيِّن أستاذاً للعلوم الدينية في المدرسة السلطانية وهكذا إلى أن تولى مشيخة الإسلام في حكومة الملك فيصل، ولوالده عناية خاصة به، قد جمع مكتبة نفيسة من المخطوطات خصوصاً بعدما احترق قسم من مكتبة والده النادرة التي جمعت من أطراف الأرض شراء واستنساخاً، وله نجلان أحدهما خالد ضياء الدين الثاني أحمد شمس الدين.

مدح مولانا الأستاذ المترجم بقصائد عديدة تكاد لا تحصى وإن من أحسنها قصيدة العلامة الفاضل الشنقيطي اللغو، وقصيدة العلامة الأتاسي، والهلالي التي يقول فيها:

يـــا عـــالـــمـــاً جـــل قـــدره ومـــن حـــكـــى الـــبـــحـــر صـــدره

الـــديـــن أعـــلـــى ســـمـــاءه وأنـــت لا شـــك بـــدره

هذا قليل من كثير والله يتولى السرائر وهو يهدي السبيل.

محرره الفقير

محمود بن رشيد العطار

عفى عنه آمين

أسماء من حضر دروس الشيخ بدر الدين الحسني بالجامع الأموي أو دار الحديث الأشرفية من خلال كتاب (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري)

وقد رتبت أسماءهم حسب تقدم سن الوفيات

1 ـ أحمد العاني (ت1316هـ)[1].

2 ـ محمد خير الطباع (ت1329هـ)[2].

3 ـ مصطفى الحلاق (ت1329هـ)[3].

4 ـ أحمد الأحمر (ت1333هـ)[4].

5 ـ محمد رضا الزعيم (ت1334هـ)[5].

6 ـ عارف المحملجي (ت1335هـ)[6].

7 ـ محمد الحكيم (ت1335هـ)[7].

8 ـ محمد عبد الباقي الحسني (ت1335هـ)[8].

9 ـ محمد رمزي الكزبري (ت1336هـ)[9].

---

(1) (1/ 146).
(2) (1/ 266).
(3) (1/ 269).
(4) (3/ 75).
(5) (1/ 324).
(6) (1/ 339).
(7) (1/ 345).
(8) (1/ 346).
(9) (3/ 85).

10 ـ كمال الدين الخطيب (ابن أحمد بن عبد الرحمٰن بن صالح بن عبد الرحيم) (ت1338هـ)[1].

11 ـ كمال الدين الخطيب (ابن أبي الخير بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب) (ت1339هـ)[2].

12 ـ زكي الشربجي (ت1345هـ)[3].

13 ـ محمد الفحل (ت1345هـ)[4].

14 ـ محمد التلمساني (ت1346هـ)[5].

15 ـ سليم البخاري (ت1347هـ)[6].

16 ـ محمد الغنيمي (ت1347هـ)[7].

17 ـ مصطفى الشطي (ت1348هـ)[8].

18 ـ سعيد العلبي (ت1349هـ)[9].

19 ـ عبد القادر الخطيب (ت1351هـ)[10].

20 ـ محمد بكري الشويكي (ت1353هـ)[11].

21 ـ محمد العاني (ت1354هـ)[12].

---

(1) (1/ 381).

(2) (3/ 90).

(3) (1/ 409).

(4) (1/ 420).

(5) (1/ 427).

(6) (1/ 431).

(7) (3/ 111).

(8) (1/ 445).

(9) (3/ 117).

(10) (1/ 460).

(11) (3/ 126).

(12) (3/ 133).

22 ـ محمد أمين سويد (ت1355هـ)[1].

23 ـ محمد أمين الخربوطلي (ت1356هـ)[2].

24 ـ محمد نطفجي (ت1357هـ)[3].

25 ـ محمد أديب تقي الدين (ت1358هـ)[4].

26 ـ عبد الله المنجد (ت1359هـ)[5].

27 ـ محمد شريف النص (ت1359هـ)[6].

28 ـ عبد المجيد العبار (ت1359هـ)[7].

29 ـ عبد القادر القصاب (ت1360هـ)[8].

30 ـ عمر العيطة (ت1360هـ)[9].

31 ـ رشيد شمس (ت1362هـ)[10].

32 ـ صالح الحمصي (ت1362هـ)[11].

33 ـ محمد الشريف اليعقوبي (ت1362هـ)[12].

34 ـ محمد علي الدقر (ت1362هـ)[13].

---

(1) (1/ 503).

(2) (1/ 509).

(3) (1/ 523).

(4) (1/ 325).

(5) (1/ 329).

(6) (1/ 533).

(7) (3/ 146).

(8) (1/ 539).

(9) (3/ 160).

(10) (2/ 568).

(11) (2/ 571).

(12) (2/ 579).

(13) (2/ 586).

35 ـ محمد العطار (ت1362هـ)[1].

36 ـ أحمد المخللاتي (ت1362هـ)[2].

37 ـ عبد الحميد المدني القابوني (ت1363هـ)[3].

38 ـ محمد منيب الكزبري (ت1364هـ)[4].

39 ـ عبد القادر المبارك (ت1365هـ)[5].

40 ـ محمد سليم الأسطواني (ت1365هـ)[6].

41 ـ عبد الجليل الدرا (ت1366هـ)[7].

42 ـ محمد عيد الحلبي (ت1366هـ)[8].

43 ـ توفيق الصواف الدوجي (ت1366هـ)[9].

44 ـ محمود ياسين (ت1367هـ)[10].

45 ـ عبد الرحمٰن الخطيب (1367هـ)[11].

46 ـ محمد بركات (ت1369هـ)[12].

47 ـ محمود السيد (ت1369هـ)[13].

---

(1) (2/ 596).

(2) (3/ 171).

(3) (3/ 182).

(4) (3/ 188).

(5) (2/ 605).

(6) (3/ 192).

(7) (2/ 609).

(8) (2/ 672).

(9) (3/ 195).

(10) (3/ 615).

(11) (3/ 199).

(12) (2/ 621).

(13) (3/ 209).

48 ـ عارف الدوجي (1371هـ)[1].

49 ـ محمد الزمزمي الكتاني (ت1371هـ)[2].

50 ـ صادق أبو قرة (ت1371هـ)[3].

51 ـ محمد راشد القوتلي (ت1371هـ)[4].

52 ـ محمد زاهد الكوثري (ت1371هـ)[5].

53 ـ جميل الميداني (ت1372هـ)[6].

54 ـ محمد طه زميتا المكتبي (ت1372هـ)[7].

55 ـ محمود القرة (ت1372هـ)[8].

56 ـ توفيق البزرة (ت1373هـ)[9].

57 ـ محمد كامل القصاب (ت1373هـ)[10].

58 ـ نعيم البغجاتي (ت1374هـ)[11].

59 ـ محمد سليم الجندي (ت1375هـ)[12].

60 ـ إبراهيم الغلاييني (ت1377هـ)[13].

---

(1) (2/ 626).
(2) (2/ 637).
(3) (3/ 227).
(4) (3/ 229).
(5) (3/ 231).
(6) (3/ 245).
(7) (3/ 248).
(8) (3/ 250).
(9) (2/ 655).
(10) (2/ 657).
(11) (3/ 256).
(12) (2/ 673).
(13) (2/ 687).

61 ـ محمد عيد الباري (ت1377هـ)[1].

62 ـ محمد توكلنا (ت1378هـ)[2].

63 ـ محمد جميل الشطي (ت1378هـ)[3].

64 ـ محمد هاشم الخطيب (ت1378هـ)[4].

65 ـ يحيى المكتبي (ت1378هـ)[5].

66 ـ أحمد التلمساني (ت1379هـ)[6].

67 ـ محمد الأشمر (ت1380هـ)[7].

68 ـ إسماعيل اليعقوبي (ت1380هـ)[8].

69 ـ توفيق سوقية (ت1380هـ)[9].

70 ـ صالح الرفاعي (ت1380هـ)[10].

71 ـ محمد رابح الجزائري (ت1380هـ)[11].

72 ـ محمد الهاشمي (ت1381هـ)[12].

73 ـ يحيى الصباغ (ت1381هـ)[13].

---

(1) (2/ 696).
(2) (2/ 702).
(3) (2/ 704).
(4) (2/ 710).
(5) (2/ 715).
(6) (2/ 718).
(7) (2/ 740).
(8) (3/ 295).
(9) (3/ 296).
(10) (3/ 298).
(11) (3/ 301).
(12) (2/ 747).
(13) (2/ 752).

74 ـ أحمد الحارون (ت1382هـ)[1].

75 ـ حسن بن محمد الشطي (ت1382هـ)[2].

76 ـ عبد الوهاب الصلاحي (ت1382هـ)[3].

77 ـ محمد بشير الخطيب (ت1382هـ)[4].

78 ـ محمد العربي اليعقوبي (ت1383هـ)[5].

79 ـ ياسين الجويجاتي (ت1384هـ)[6].

80 ـ محمد سعيد البرهاني (ت1386هـ)[7].

81 ـ حامد التقي (ت1387هـ)[8].

82 ـ محمد شفيق الأسطواني (ت1387هـ)[9].

83 ـ محمد صلاح الدين كيوان (ت1387هـ)[10].

84 ـ عبد الرزاق الحمصي (ت1388هـ)[11].

85 ـ عبد الرحمٰن الزعبي (ت1389هـ)[12].

86 ـ عبد الوهاب دبس وزيت (ت1389هـ)[13].

---

(1) (2/ 753).
(2) (2/ 763).
(3) (2/ 765).
(4) (3/ 311).
(5) (3/ 320).
(6) (2/ 782).
(7) (2/ 794).
(8) (2/ 807).
(9) (3/ 335).
(10) (3/ 336).
(11) (2/ 812).
(12) (2/ 822).
(13) (2/ 829).

87 ـ محمد نجا الحلواني (ت1389هـ)[1].

88 ـ محمد صالح العقاد (ت1390هـ)[2].

89 ـ أحمد قويدر العربيلي (ت1390هـ)[3].

90 ـ محمود وضحه المنيني (ت1390هـ)[4].

91 ـ محمد شخاشيرو (ت1391هـ)[5].

92 ـ محمد فريز الكيلاني (ت1392هـ)[6].

93 ـ عبد الكريم الرفاعي (ت1393هـ)[7].

94 ـ محمد المكي الكتاني (ت1393هـ)[8].

95 ـ عبد المجيد الخطيب (ت1394هـ)[9].

96 ـ محمد عارف الجويجاتي (ت1395هـ)[10].

97 ـ محمد بهجة البيطار (ت1396هـ)[11].

98 ـ سعيد السيد (ت1396هـ)[12].

99 ـ محمد سعدي ياسين (ت1396هـ)[13].

---

(1) (2/ 873).
(2) (2/ 894).
(3) (3/ 345).
(4) (3/ 350).
(5) (3/ 355).
(6) (3/ 363).
(7) (3/ 366).
(8) (2/ 909).
(9) (3/ 375).
(10) (2/ 914).
(11) (2/ 918).
(12) (3/ 379).
(13) (3/ 381).

100 ـ أحمد الدقر (ت1397هـ)[1].

101 ـ محمد وفا القصاب (ت1397هـ)[2].

102 ـ محمد سعيد الحمزاوي (ت1398هـ)[3].

103 ـ حسن حبنكة الميداني (ت1398هـ)[4].

104 ـ عبد القادر العاني (ت1398هـ)[5].

105 ـ أحمد الهاشمي (ت1399هـ)[6].

106 ـ عبد الماجد العاني (ت1400هـ)[7].

107 ـ محمد حسام الدين القدسي (ت1400هـ)[8].

108 ـ أنور سليم سلطان (ت1401هـ)[9].

109 ـ محمد أبو اليسر عابدين (ت1401هـ)[10].

110 ـ ناظم الكزبري (ت1401هـ)[11].

111 ـ محمد بدر الدين عابدين (ت1402هـ)[12].

112 ـ محمد سهيل الخطيب (ت1402هـ)[13].

---

(1) (2/ 926).

(2) (3/ 394).

(3) (2/ 940).

(4) (3/ 397).

(5) (3/ 407).

(6) (3/ 410).

(7) (3/ 413).

(8) (3/ 416).

(9) (2/ 959).

(10) (2/ 968).

(11) (2/ 428).

(12) (2/ 976).

(13) (2/ 981).

113 ـ محمد رفيق السباعي (ت1403هـ)[1].

114 ـ محمد بشير الشلاح (ت1405هـ)[2].

115 ـ محمود الرنكوسي (ت1405هـ)[3].

116 ـ هاشم العيطة (ت1405هـ)[4].

117 ـ إبراهيم اليعقوبي (ت1406هـ)[5].

118 ـ أحمد القهوجي الرفاعي (1406هـ)[6].

119 ـ رشدي عرفة (ت1406هـ)[7].

120 ـ حبيب الحلاق (ت1407هـ)[8].

121 ـ محمد صالح الفرفور (ت1407هـ)[9].

122 ـ محمد دهمان (ت1408هـ)[10].

123 ـ علي سليق (ت1409هـ)[11].

124 ـ مصطفى حمدي جويجاتي (ت1411هـ)[12].

---

(1) (2/ 989).
(2) (2/ 995).
(3) (2/ 999).
(4) (2/ 1001).
(5) (3/ 471).
(6) (3/ 485).
(7) (3/ 488).
(8) (3/ 501).
(9) (3/ 507).
(10) (3/ 532).
(11) (3/ 547).
(12) (3/ 563).

نماذج من صور إجازات بدر الدين الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على مسلسل نعمائك ونشكرك على متواتر
آلائك ونسألك متصل الصلوات والتسليمات على المرفوع
من بين المخلوقات وعلى آله المشهورة أخبارهم
وأصحابه المستفيضة آثارهم أما بعد فإن الإسناد
من الدين والآخذ به متمسك بالحبل المتين
فلذا عكف أهل التحصيل عليه وتوجهت مطايا هممهم إليه
ومنهم الشاب الماجد الفاضل الشيخ حامد فطلب مني الإجازة
التي هي أمل عند اقتحام المفازة وأنى لمثلي أن يستجاز وهل يقال
لهذه الحواز الأحسن في ظنه آثابه الله تعالى على حسن الظنة
فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول كما أجازني
بذلك فضلاء العصر وجهابذة مصر منهم من الفضلاء
ومعترف الفحول والنبلاء أفضل من عمر بشلبي العلامة
الشيخ ابراهيم السقا عن الإمام المهذب العلامة الشيخ
ثعيلب عن العلامة الشهاب الملوي ذي الفضل المأثور
عن الإمام عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور
وعن شيخه العلامة الشيخ محمد الأمير عن والده
ولده الشيخ الكبير وقد حوى ثبته الأسانيد مفصلة
لا تحتاج إلى مزيد هذا والمرجو من المذكور صانه الله تعالى
وللمسلمين [illegible] أن لا ينساني من دعوة صالحة
جعل الله تعالى تجارة الجميع رابحة وأمد الجميع بالمدد
الرباني وختم لنا بالحسنى

العبد الفقير والراجي الحقير
محمد بدر الدين
عفي عنه آمين



إجازة الشيخ محمد بدر الدين الحسني بخطه للشيخ حامد التقي

«ثبت الشيخ حامد التقي» نسخة الظاهرية برقم (11223).

نقلاً عن كتاب «نتيجة الفكر فيمن «درس تحت قبة النسر» للعلامة عبد الرزاق البيطار ـ ص131

بسم الله الرحمن الرحيم

ونشكرك على مسلسل الالائك ونسلك
نحمدك اللهم على متواتر نعمائك
متصل الصلوات والتسليمات على المرفوع من بين المخلوقات وعلى آله
المشهورة اخبارهم واصحابه المستفيضة اثارهم اما بعد فان الاسناد
من الدين والاخذ به متمسك بالحبل المتين فمن ثم عكف اهل العلم
عليه وتوجهت مطايا هممهم اليه ولما كان منهم مولانا الشيخ محمد
ابن جعفر الكتاني طلب مني الاجازة التي هي امان عند اقتحام المفازة
ولست اهلا ان اجاز وهل يقال بهذا الجواز الا انه حسن في ظنه
اثابه الله تعالى على قصده الجنة فاجزته بالمعقول والمنقول من فروع
واصول وكذا ولده الشيخ محمد الزمزمي وبقية اولاده واخوته واخوانه
كما اجازني بذلك فضلاء العصر وجهابذة مصر منهم بحر الفضلاء
ومفترف الفحول والنبلاء افضل من عنه يتلقى العلامة الشيخ ابراهيم
السقا عن الامام المهذب العلامة الشيخ ثعيلب عن العلامة الشهاب
الملوي ذي النور في الديجور عن الامام الشيخ عبد الله بن سالم صاحب
الثبت المشهور وعن العلامة الشيخ محمد الامير عن والده الشيخ الكبير
وقد حوى ثبته الاسانيد بما لا يحتاج الى مزيد واوصى المجاز المشار اليه
نظر الله بعين عنايته اليه بمجاهدة النفس عن الاغيار وتطهيره
عن سفاسف هذه الدار وملازمة الاذكار الماثورة والادعية المشهورة
والاكثار من الصلاة والسلام على خير الانام مع المشاهدة المعنوية
المنتجة للمجالسة الحسية امدنا الله بالمدد الاسنى وختم لنا بالحسنى

٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ وتفريغ القلب صح قاله العبد الفقير محمد
محمد بدر الدين
عفي عنه
آمين



صورة إجازة بدر الدين الحسني
لمحمد بن جعفر الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على متواتر آلائك ونشكرك على مسلسل نعمائك ونسألك متصل الصلوات والتسليمات على المرفوع من بين المخلوقات وعلى آله المشهورة اخبارهم واصحابه المستفيضة آثارهم اما بعد فان الاسناد من الدين والآخذ به متمسك بالحبل المتين ثمن ثم عكف اهل العلم عليه وتوجهت مطايا هممهم اليه ولما كان منهم مولانا السيدة

﴿ ٣ ﴾

حبيبة كريمة مولانا الاستاذ الكبير السيد محمد بن مولانا الاستاذ الشهير السيد جعفر الكتاني وفقه الله تعالى لارشاد العباد وسهل لنا وله طرق السداد آمين طلب مني الاجازه التي هي امان عند اقتحام المفازه ولست اهلا ان استجاز وهل يقال بهذا الجواز الا انه حسن في ظنه اثابه الله تعالى على قصده الجنه فاجزته بالمعقول والمنقول من فروع واصول والاحاديث الشريفه والآثار المنيفه التي اشتملت عليها الجوامع والمسانيد ذات الانوار اللوامع كما اجازني بذالك فضلاء العصر وجهابذة مصر منهم بحر الفضلاء ومغترف الفحول والنبلاء افضل من عنه يتلقى العلامة الشيخ ابراهيم السقا عن الامام المهذب العلامة الشيخ ثعيلب عن العلامة الشهاب الملوى ذى النور في الديجور عن الامام الشيخ عبدالله بن

صورة إجازة بدر الدين الحسني
لحبيبة بنت محمّد بن جعفر الكتاني

﴿ ٤ ﴾

سالم صاحب الثبت المشهور وعن العلامة الشيخ محمد الامير عن والده الشيخ الكبير فقد حوى ثبته الاسانيد بما لايحتاج الى مزيد فروى صحيح الامام البخارى عن العلامة الشيخ علي الصعيدى حال قرائته بالجامع الازهر عن الشيخ محمد عقيلة المكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمى عن ابن العجل اليمنى عن الامام يحيى الطبرى قال اخبرنا البرهان ابراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالأول الفرغانى عن ابى عبدالرحمن محمد بن شاذان بخت الفرغانى بسماعه لجميعه على الشيخ ابى لقمان بن مقبل شاهان الختلانى عن محمد بن يوسف الفربرى عن جامعه

﴿ ٥ ﴾

وروى صحيح مسلم عن الشيخ علي السقاط عن الشيخ ابراهيم الفيومى عن الشيخ احمد الغرقاوى عن الشيخ على الاجهورى عن الشيخ نورالدين على القرافى عن الحافظ جلال الدين السيوطى عن البلقيني عن التنوخى عن سليمان بن حمزة عن ابى الحسن علي بن نصر عن الحافظ عبدالرحمن بن مندة عن الحافظ ابى بكر محمد بن عبدالله عن مكي النيسابورى عن الامام مسلم واوصى المجاز المشار اليه نضر الله نعالى بامين الدنابة اليه بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الاغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وبملازمة الاذكار المأثوره والادعية المشهوره والاكثار من الصلاة والسلام عَلَى خير الانام مع المشاهدة المعنوية

إجازة
لخديجة بنت محمد بن جعفر
الكتاني وبظهره خطه
وخاتمه

٦

المنتجة للمجالسة الحسنة والمرجو من الشيخ المذكور
ضاعف الله تعالى لذاويه الاجور ان لا ينساني من
دعوة صالحة جعل الله تجارة الجميع رابحة وامدنا
بالمدد الاسني وختم لنا بالحسنى العبد الفقير اليه تعالى

محمد بدر الدين
عفي عنه
آمين



[illegible]

٦

المنتجة للمجالسة الحسنة والمرجو من الشيخ المذكور
ضاعف الله تعالى لذاويه الاجور ان لا ينساني من
دعوة صالحة جعل الله تجارة الجميع رابحة وامدنا
بالمدد الاسني وختم لنا بالحسنى العبد الفقير اليه تعالى

إجازة لحبيبة
بنت محمد بن جعفر الكتاني
وبظهره خطه وخاتمه

محمد بدر الدين
عفي عنه
آمين



[illegible]

صورة إجازة بدر الدين الحسني
لخديجة بنت محمد بن جعفر الكتاني

الفهارس

1 ـ فهرس الآيات

2 ـ فهرس الأحاديث

3 ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

4 ـ فهرس المصادر والمراجع

- أبو زرعة الرازي وجهوده في خدمة السنّة النبوية مع تحقيق كتابه «الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي»: للدكتور سعدي الهاشمي، نشر دار الوفاء بالمنصورة، مصر، دار ابن القيم بالمدينة المنورة، ط2، 1409هـ.
- أبو الفتح اليعمري ـ حياته وآثاره مع تحقيق أجوبته ـ: لمحمد الراوندي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط1، 1410هـ.
- الأجوبة على أسئلة ابن أيبك: لأبي الفتح محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري (ت734هـ)، مخطوط، بالأسكوريال، رقم 1160.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب (ت776هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1395هـ.
- الأحكام الوسطى: لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمٰن الإشبيلي (ت581هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي وصبحي السامرائي، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط1، 1416هـ.
- أخبار الفقهاء والمحدثين: لأبي عبد الله محمد بن الحارث الخشني القيرواني (ت361هـ)، تحقيق ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م.
- اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار: لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي (ت بعد 825هـ)، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، نشر بالرباط، ط2، 1403هـ.
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى: لابن سعيد علي بن موسى (ت685هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959م.
- أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي: لأحمد أبو سعد، من منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط1، 1961م.
- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني: للحسن الشاهدي، من منشورات عكاظ بالرباط، 1990م.

- الأربعون البلدانية: لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت576هـ)، تحقيق مسعد السعدني، نشر مكتبة أضواء السلف بالرياض، ط1، 1418هـ.
- الأربعون البلدانية: لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، نشر دار الفكر، دمشق، ط1، 1413هـ.
- الأربعون حديثاً من المساواة مستخرجة من ثقات الرواة: تخريج أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر لشيخه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي (ت530هـ)، دراسة وتحقيق طه بوسريح، ط1، 1414هـ.
- إرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والمسانيد: لمحمد بن الطيب الشرقي (ت1170هـ)، مخطوط، جامعة برنستون الأمريكية، رقم 83/ 3861.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث: لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي (ت446هـ)، تحقيق د. محمد سعيد بن عمر إدريس، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط1، 1409هـ.
- أزهار الرياض في أخبار عياض: لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1978م.
- الاستدعاء الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي، نشره د. محمد الحبيب بلخوجة بآخر الجزء الثالث من ملء العيبة لابن رشيد 3/ 463.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ)، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، نشر دار الكتاب بالدار البيضاء، 1954م.
- استنزال السكينة: لأبي زيد عبد الرحمٰن الفاسي، (مخطوط).
- إعتاب الكتاب: لابن الأبار، تحقيق الدكتور صالح الأشتر، ط1، دمشق، 1961م.
- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463)، تحقيق د. عز الدين علي السيد، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1417هـ ـ 1997م.
- الإسناد من الدين: للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، 1412هـ ـ 1992م.

- الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي ابن أبي الشرف: لأبي القاسم القاسم بن عبد الله ابن الشاط السبتي (ت723هـ)، تحقيق إسماعيل الخطيب، من منشورات جمعية البعث الإسلامي بتطوان، المغرب، 1406هـ ـ 1986م.
- الأعلام: لخير الدين الزركلي (ت1976م)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1984م.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: للعباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي (ت1378هـ)، نشر المطبعة الملكية بالرباط، 1976م.
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي، طبع في المطبعة العلمية في حلب، على نفقة مؤلفه، ط1، 1342هـ ـ 1923م.
- أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين الصفدي (ت764هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد ورفاقه، نشر دار الفكر ببيروت، ط1، 1418هـ ـ 1998م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب: لأبي نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا (ت475هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن المعلمي، ونايف الدعيس، نشر محمد أمين دمج ببيروت، بدون تاريخ.
- الأمصار ذوات الآثار: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق قاسم علي سعد، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1406هـ.
- أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم الأعارب: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج، تحقيق محمد الفاسي، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي بالمغرب، فاس، 1388هـ ـ 1968م.
- أنس الفقير وعز الحقير: لأبي العباس أحمد بن قنفد القسنطيني (ت810هـ)، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، من منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط، 1965م.
- الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت562هـ)، تصحيح وتعليق عبد الرحمٰن المعلمي وآخرين، نشر محمد أمين دمج عن الطبعة الأولى التي صدرت عن مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند 1382هـ.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: لعلي بن أبي زرع، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط، 1973م.

- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط3، 1407هـ - 1987م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ)، نشر مطبعة السعادة بالقاهرة، ط1، 1348هـ.
- برنامج التجيبي: للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت730هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، نشر الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
- برنامج ابن جابر الوادي آشي: لشمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي (ت749هـ)، تقديم وتحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1401هـ.
- برنامج ابن أبي الربيع: جمعه تلميذه أبو القاسم ابن الشاط، تحقيق د. عبد العزيز الأهواني، نشر في الجزأين الأول والثاني من المجلد الأول عام 1955م من مجلة معهد المخطوطات العربية.
- برنامج شيوخ الرعيني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (ت666هـ)، تحقيق إبراهيم شبوح، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، سورية، ط1، 1381هـ - 1987م.
- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن أبي مريم التلمساني، نشر ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1986م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت599هـ)، نشر دار الكتاب العربي بمصر، 1967م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1384هـ - 1964م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت وآخرين، من منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، توزيع دار الغرب الإسلامي ببيروت، 1985م.

- بيوتات الحديث بدمشق: الدكتور محمد بن عزوز، ط1، دار الفكر بدمشق، ط1، 1425هـ ـ 2004م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ ـ 1988م.
- تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت571هـ)، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر ببيروت، ط1، 1417هـ ـ 1996م.
- التاريخ الصغير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، نشر إدارة ترجمان السنّة بلاهور، 1402هـ ـ 1982م.
- تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي (ت280هـ) عن أبي زكريا يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم: تحقيق د. أحمد بن محمد نور سيف، نشر جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة بالتعاون مع دار المأمون للتراث بدمشق، بدون تاريخ.
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر: د. نزار أباظة، ود. مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1406هـ ـ 1986م.
- تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: لأبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي النباهي (ت792هـ)، تحقيق د. مريم قاسم طويل، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 1415هـ ـ 1995م.
- التاريخ الكبير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تصحيح عبد الرحمٰن المعلمي، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ـ الدكن بالهند، سنة 1398هـ ـ 1978م.
- تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري: تحقيق أحمد نور سيف.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، تحقيق علي البجاوي، نشر الدار العلمية بدلهي، الهند، ط2، 1406هـ ـ 1986م.
- تذكرة الحفاظ: للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن المعلمي، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، عن طبعة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية.
- تراجم المؤلفين التونسيين: لمحمد محفوظ، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط1، 1390هـ ـ 1970م.
- التعريف بابن الطيب الشرقي: للدكتور عبد العالي الودغيري، من منشورات عكاظ، الرباط، 1410هـ ـ 1990م.
- تكملة الإكمال: لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة (ت629هـ)، تحقيق د. عبد القيوم عبد رب النبي، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ط1، 1408هـ.
- التكملة لكتاب الصلة: لأبي عبد الله ابن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار (ت658هـ)، تحقيق د. عبد السلام الهراس، نشر دار الفكر ببيروت، دار المعرفة بالدار البيضاء، ط1، 1996م.
- تكملة مختصر تاريخ دمشق: لابن منظور، استخرجه محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط. دار الفكر، دمشق، 1425هـ ـ 2004م.
- التكملة لوفيات النقلة: لعبد العظيم المنذري، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، 1405هـ ـ 1984م.
- تكميل معالم الإيمان: لابن ناجي، تحقيق إبراهيم شبوح، نشر المكتبة العتيقة بتونس، ط2، 1988م.
- تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، طبعة دار المعارف العثمانية النظامية بحيدرآباد بالدكن، الهند، عام 1325هـ، نشر دار صادر ببيروت.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: لشمس الدين محمد بن عبد الله القيسي المعروف بابن ناصر الدين (ت842هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط1، 1414هـ ـ 1993م.
- الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت345هـ)، نشر مؤسسة الكتب الثقافية تصويراً عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ط1، 1399هـ ـ 1979م.
- جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، للدكتور عبد الهادي التازي، نشر دار الكتاب اللبناني ببيروت، ط1، 1973م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف بالرياض، عام 1403هـ.

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس: لأبي العباس أحمد ابن القاضي المكناسي (ت1025هـ)، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط، 1973م.
- جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف: الدكتور محمد بن عزوز، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004م.
- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد: ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي (ت909هـ)، تحقيق د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، القاهرة، 1407هـ ـ 1987م.
- الحافظ ابن رشيد السبتي وجهوده في خدة السنّة النبوية: د. عبد اللطيف ابن الجيلاني، ط1، دار البشائر الإسلامية، 2005م.
- الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر ومئة، طبع بعنوان يوميات شامية: لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي (ت1153هـ)، تحقيق أكرم حسن العلبي، دمشق، 1414هـ.
- خطط دمشق: لأكرم حسن العلبي، دمشق، 1410هـ ـ 1989م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (1ـ4): لمحمد أمين المحبي (ت1111هـ)، طبع المطبعة الوهبية، القاهرة، 1284هـ.
- الدارس في تاريخ المدارس (1ـ2): لعبد القادر النعيمي (ت927هـ)، تحقيق جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1948م.
- درة الحجال في أسماء الرجال: لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت1025هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، نشر المكتبة العتيقة بتونس، دار التراث بالقاهرة، ط1، 1391هـ ـ 1971م.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي: لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت874هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بدون تاريخ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لإبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت799هـ)، الطبعة القديمة، تصوير دار الكتب العلمية ببيروت.
- دمشق: علي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، 1959م.

- دمشق أقدم عاصمة في العالم: جمع وإعداد حسن زكي الصواف، دار ابن قتيبة، 1424هـ ـ 2004م.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: لعبد الله كَنون، اعتنى به ورتّب طبقات تراجمه الدكتور محمد بن عزوز، ط3، دار ابن حزم في بيروت، 1429هـ ـ 2009م.
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: لتقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي (ت832هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 1410هـ ـ 1990م.
- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي: لجلال الدين السيوطي (ت911هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، بدون تاريخ.
- الذيل على طبقات الحنابلة: لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت795هـ)، نشر دار المعرفة ببيروت، عن الطبعة الأولى عام 1372هـ ـ 1952م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت703هـ) السفر الأول والثاني بتحقيق د. محمد بن شريفة، والسفر الرابع والخامس والسادس بتحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة ببيروت، ثم صدر السفر الثامن بتحقيق د. محمد بن شريفة ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية عام 1984م.
- الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية: لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)، تخريج د. محمد حمزة الكتاني، تقديم وتعليق د. محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم ببيروت، 1426هـ ـ 2005م.
- الرحلة المغربية: لمحمد بن محمد العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، نشر جامعة محمد الخامس بالرباط، 1968م.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم: لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق بشير البكوش، وراجعه: محمد العروسي المطوي، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط1، 1403هـ ـ 1983م.
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي (ت1295هـ)، مكتبة الإمام أحمد، 1409هـ ـ 1989م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: لمحمد خليل المرادي (ت1206هـ)، (1ـ3) إستانبول 1291هـ، (الرابع) القاهرة 1301هـ.

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)، ط. حجرية نشرت بفاس عام 1316هـ.
- سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط1، 1401هـ ـ 1405م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف (ت1360هـ)، نشر دار الفكر ببيروت، بدون تاريخ.
- شذرات الذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، بدون تاريخ.
- شرف الطالب في أسنى المطالب: لأحمد بن قنفذ القسنطيني (ت810هـ)، طبع ضمن كتاب «ألف سنة من الوفيات» في ثلاثة كتب، تحقيق محمد حجي، من مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط، 1396هـ ـ 1976م.
- صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري: للدكتور محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم ببيروت، 1423هـ ـ 2002م.
- صلة التكملة لوفيات النقلة: للحسيني (ت695هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط، دار الغرب الإسلامي، 2007م.
- صلة الخلف بموصول السلف: لمحمد بن سليمان الروداني (ت1094هـ)، نشر دار الغرب الإسلامي، تحقيق د. محمد حجي، 1408هـ ـ 1988م.
- صلة الصلة: لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي (ت708هـ)، تحقيق د. عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1413هـ ـ 1993م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (ت578هـ)، عني بنشره وتصحيحه السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1414هـ ـ 1994م.
- طبقات الحنابلة: لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت526هـ)، نشر دار المعرفة ببيروت، عن الطبعة الأولى عام 1372هـ ـ 1952م.
- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة (ت851هـ)، اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه د. عبد العليم خان، نشر ببيروت، ط1، 1407هـ ـ 1987م.

- طبقات الشافعية الكبرى: لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت771هـ)، طبع عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط1، 1383هـ.
- طبقات علماء إفريقية وتونس: لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت333هـ)، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، نشر الدار التونسية للنشر بتونس، ط2، 1985م.
- العبر في خبر من غبر: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ ـ 1985م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لتقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي المكي (ت832هـ)، تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي، مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة، ط1، 1378هـ ـ 1958م.
- العلل ومعرفة الرجال: لأحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق طلعت قوج وإسماعيل أوغلي، نشر المكتبة الإسلامية بإستانبول، تركيا، ط1، عام 1987م.
- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر (1ـ2)، د. نزار أباظة، د. مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1412هـ ـ 1991م.
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض (ت544هـ)، تحقيق ماهر زهير جرار، نشر دار الغرب الإسلامي، ط1، 1402هـ.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: لعبد الحي الكتاني (ت1382هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1302هـ ـ 1982م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، 1973م.
- في رحاب دمشق ـ دراسات عن أهم أماكنها الأثرية: لمحمد أحمد دهمان، دمشق، 1402هـ ـ 1982م.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: لمحمد بن طولون الصالحي (ت953هـ)، تحقيق محمد أحمد دهمان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة دار أبو بكر، ط1، 1401هـ.
- الكتيبة الكامنة: للسان الدين محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب (ت776هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963م.

- مدرسة الحديث في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري: د. محمد بن عزوز، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2001م.
- المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها: لأبي عمر محمد بن أحمد المقدسي الصالحي، د. محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، سورية، 1421هـ ـ 2000م.
- مشيخة ابن البخاري (ت690هـ)، تخريج جمال الدين ابن الظاهري، عناية محمد بن ناصر العجمي، نشر الصندوق الوقفي للثقافة والفكر بالكويت، 1417هـ.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المركشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي السلمي، نشر دار الكتاب بالدار البيضاء، المغرب، ط7، 1987م.
- معجم الشيوخ: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، نشر دار الصديق بالطائف، ط1، 1408هـ ـ 1988م.
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي: لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت658هـ)، طبع في مجريط سنة 1885م.
- المعجم المختص بالمحدثين: لأبي عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، نشر مكتبة الصديق بالطائف، السعودية، ط1، 1408هـ ـ 1988م.
- معرفة الثقات: لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت261هـ)، ترتيب الهيثمي والسبكي، تحقيق عبد العليم البستوي، نشر مكتبة الدار بالمدينة، ط1، 1405هـ ـ 1985م.
- معرفة الرجال عن يحيى بن معين: لأحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، تحقيق محمد كامل القصار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1405هـ ـ 1985م.
- المعرفة والتاريخ: ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت277هـ)، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، نشر مطبعة الإرشاد ببغداد، ط1، 1394هـ ـ 1974م.
- المعين في طبقات المحدثين: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق د. همام عبد الرحيم، نشر دار الفرقان بعمان، الأردن، ط1، 1404هـ ـ 1984م.

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي (ت721هـ)، تحقيق د. محمد بلخوجة، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت874هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، نشر مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1375هـ.
- المؤتلف والمختلف: لعبد الغني بن سعيد الأزدي (ت409هـ)، اعتنى بطبعه محمد محيي الدين الجعفري، نشر مكتبة الدار بالمدينة تصويراً عن طبعة الهند، 1327هـ.
- المؤتلف والمختلف: لعلي بن عمر الدارقطني (ت385هـ)، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ ـ 1986م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت874هـ)، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: لمحمد بن الطيب القادري (ت1187هـ)، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، من مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب بالرباط، 1397هـ ـ 1977م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، 1388هـ.
- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ) باعتناء ديدرينغ، دار النشر فرانز شتايز، بفيسبان، ط2، 1394هـ ـ 1974م.
- الوفيات: لأبي المعالي محمد بن رافع السلمي (ت774هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط1، 1402هـ ـ 1982م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت681هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت، بدون تاريخ.

5 ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة